

الكوثر

الجزء الثاني

مجموعة من خطابات الإمام الخميني رحمته الله

التي تتضمن تسجيلاً لوقائع الثورة الإسلامية

خلال الأعوام

(١٩٦٢ - ١٩٧٨)

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (س)

الشؤون الدولية

هوية الخطاب رقم - ٣١

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٨ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: عوامل أهداف الثورة الإسلامية

المناسبة: الرد على الإعلام المسموم لوسائل الإعلام الغربية فيما يتعلق بأهداف النهضة.

الحاضرون: جمع من الإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد الهجرة التاريخية لسماحة الإمام من العراق إلى باريس، بدأ فصل آخر في نهضة الإمام الخميني والثورة الإسلامية. هبطت الطائرة التي أقلت قائد الثورة في مطار باريس في الساعة السادسة بعد الظهر (بتوقيت طهران) من يوم الجمعة ١٤ مهر ١٣٥٧ - بعد تأخير لمدة ساعتين - وقد أدى انتشار خبر وصول الإمام إلى باريس إلى

موجة من الفرح في إيران، وبخروج سماحته من العراق في ١٣ مهر ١٣٥٧ انتهى قلق واضطراب ملايين النساء والرجال الإيرانيين والمشتاقين لسماحته في خارج البلد ممن لم يكن لديهم اطلاع على مصير قائدهم.

وبعد يوم واحد من وصوله إلى باريس، شرح الإمام الخميني (س) (بعد الظهر من يوم ١٥ مهر ١٣٥٧) تفاصيل تعامل المسؤولين العراقيين والكويتيين معه ثم سفره إلى باريس فقال:

لقد حذرني المسؤولون العراقيون من أنهم لا يستطيعون تحمل نشاطاتي بسبب العلاقات التي تربطهم مع النظام الإيراني. وقد أجبته إذا كانت لديكم مسؤوليات تجاه الحكومة الإيرانية. فأنا أيضا مسؤول أمام الإسلام والشعب الإيراني ويجب أن اعمل بمسؤوليتي الإلهية والمعنوية.

وفي قسم آخر من بيانه قال: لو كنت قد بقيت هناك، لشعرت بأنني مذب أمام الشعب الإيراني، لكنني لا أستطيع أن أكون غير مكترث بما يحدث.

وأشار الإمام الخميني (س) في الخطاب الذي ألقاه في ١٩ مهر ١٣٥٧، إلى هجرته من العراق إلى باريس. ونظرا للأهمية التاريخية لهجرته المصيرية ننقل هنا تفاصيل ذلك كما أوردناها نجله، سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج أحمد الخميني، والتي نشرها في صحيفة اطلاعات في تاريخ ١٠ بهمن ١٣٦٠:

قال سماحته: طلب مني أن أكتب حول هجرة الإمام، وبما أن ما قيل حتى الآن وما كتب لا ينطبق مع الحقيقة، رأيت من اللازم أن أكتب حول هذا الموضوع باختصار وكما عايشته.

إن قرار الإمام بالهجرة إلى باريس يقود إلى الأحداث التي وقعت قبل ذلك التاريخ بعدة أشهر، وبعد تصاعد ثورة الشعب الإيراني، عقدت الحكومتان الإيرانية والعراقية لقاءات عديدة في بغداد وتوصلتا إلى نتيجة مؤداها أن خطر نشاط الإمام لا تقتصر فقط على إيران، بل انه يهدد العراق أيضا، فانتباه الشعب العراقي إلى حركة الإمام ومشاعر الزوار الإيرانيين لم يكن بالشيء الذي يمكن للحكومة العراقية أن تمر عليه بسهولة.

ولهذا السبب فقد استدعت الحكومة العراقية الأخ العزيز السيد الدعائي وطلبوا منه إبلاغ الإمام بآراء مجلس قيادة الثورة في العراق بشكل واضح، وقد بين السيد الدعائي آراء الحكومة الواقية لسماحة الإمام، الأمور التي تتلخص فيما يلي:

١- يمكن لسماحة الإمام مواصلة حياته العادية في العراق كما في السابق بشرط الامتناع عن الأعمال السياسية التي تؤدي إلى توتر علاقات العراق مع إيران.

٢- في حالة استمرار الأعمال السياسية على الإمام مغادرة العراق.

وكان تصميم الإمام واضحا، فقد التفت إليّ وقال: إليّ بجواز سفري وجواز سفرك. ففعلت ذلك، فتوجه السيد الدعائي إلى بغداد ولكن تلك المحاولة لم توفق فلم نحصل على موافقة السفر.

بعد فترة زار سعدون شاكر - رئيس مديرية الأمن في العراق - الإمام وتحدث معه حول العلاقات الإيرانية العراقية وأوضاع العراق والمنطقة وتقارير أخرى حول هذه الأمور، لكنه لم يضيف جديدا في هذا اللقاء.

وقد تحدث الإمام بإسهاب. إلا أن من المؤسف أن ذلك الحديث لم يسجل. وقد قال في كلمته: إلى أي مكان أذهب وأفرش سجادتي، مشيرا إلى سجادة صلاته. فهو نزلي. وقال: إنني لست من الملالي الذي يتركون مسؤولياتهم من أجل زيارة المراقد فقط. شيء من هذا القبيل.

مرت فترة ولم يأت خبر حول موافقة السفر. كانت مشاعر الشعب العراقي والإيراني تبلغ ذروتها عندما كان الإمام يدخل حرم مولى المتقين، لذا فقد حوَصر منزله يعد ذلك ولم يسمح لأحد بزيارته. استدعي الأخ الدعائي إلى بغداد وأخبر بقرار القيادة العراقية النهائي والمتمثلة رغبتها في مغادرة الإمام العراق. وقد عاد الأخ الدعائي يحمل معه جوازات السفر.

ويأذن من الإمام، أخبرنا أصدقاءنا المقربين في النجف بقرار الإمام بالسفر إلى الكويت، أخبرنا سبعة أو ثمانية من أخص المقربين وعلى الفور استحصلنا بطاقتي دعوة لزيارة الكويت لي ولالإمام وذلك بواسطة أحد أصدقائنا في الكويت، ولما كان لقبنا المسجل في الجوازات هو المصطفوي، لذا فإن الحكومة الكويتية لم تلتفت إلى حقيقة شخصية المدعويين، وهيات ثلاث سيارات صغيرة، وتحركنا في اليوم التالي بعد صلاة الصبح متوجهين إلى الحدود العراقية الكويتية، وكنت أنا والإمام في إحدى السيارات، وبقية الأصدقاء في السيارتين الآخرين وفي الليلة التي كان مقررا أن نتحرك في غدها، كان منزلنا يعيش جوا خاصا، فقد كان الجميع أُمي وأختي وحسين - ابن أخي - وزوجتي وزوجة أخي في حالة غير عادية، وكان اهتمامي منصبا على الإمام، وقد نام سماحته في الوقت المحدد مثل الليالي السابقة.

ونهض لصلاة الليل قبل الفجر بساعة ونصف، وأذكر تماما أنه جمع أهل البيت وقال:

أرجو أن لا تقلقوا، فلن يحدث أي شيء لا يمكن السكوت، فبماذا نجيب الله والناس؟ المهم هو التكليف، لا يمكن التخلي عن عبء التكليف الإلهي. وقال: سفري ليس بأمر ذي بال، فلو أنهم طالبوني بالسكوت ليوم واحد والبقاء هنا، وكنت أعلم أن السكوت يوما واحدا أمرا مضرا، فإن من المحال أن أقبل. ومن هذا القبيل.

عندما أردنا أن نركب السيارة، لفت انتباهي في الظلام رجل غير معمم، دقت في ملامحه فإذا به السيد الدكتور اليزدي. كان قد جاء لأخذ رسالة من الإمام إلى الاتحادات الطلابية الإسلامية الإيرانية في كندا وأمريكا، لكنه فوجئ بهذا الوضع. حتى تلك اللحظة لم يكن لديه أي اطلاع عن قضية هجرة الإمام. فركب الدكتور في إحدى تلكما السيارتين. وقد لفت انتباهنا أيضا أن سيارة تقلّ عناصر من أمن النظام العراقي كانت ترافقنا. كان مقررا في ذلك اليوم أن يقوم السيد الرضواني (عضو مجلس صيانة الدستور) بعمله اليومي المتعارف بشكل عادي. الجميع ذهبوا إلى صلاة الجماعة ولكن النجف افتقدت الإمام فجأة. تناولنا الفطور في إحدى المقاهي،

خبز وجبن وشاي، وصلينا صلاة الظهر عند الحدود العراقية الكويتية بإمامة الإمام. أنجزت الإجراءات الرسمية بسرعة، وودعنا رجال الأمن العراقيين وذهبوا، وعاد الأصدقاء إلى النجف ما عدا المرحوم الإمامي (رحمة الله عليه)، والسيد الفردوسي (ممثل أهالي طبس) والسيد الدكتور اليزدي، واتجهنا نحن الخمسة إلى الحدود الكويتية، فدخل السادة اليزدي والفردوسي والإمامي، وبقينا أنا والإمام، فقالوا اصبروا، فقد اتضح أن الحكومة الكويتية فهمت حقيقة الأمر. وقد جاء إلينا شخص من العاصمة وتحدث إلينا، وكانت خلاصة كلامه الذي استغرق ساعة هو أن الدخول ممنوع.

عدنا جميعا، كان العراقيون ينتظروننا - أهلا وسهلا- آخرون من الثانية بعد الظهر حتى الحادية عشرة مساء. تحرك المرحوم الإمامي بذكائه الخاص نحو البصرة وأخبر أخوتنا في النجف بالقضية، وعاد ومعه مقدار من الخبز والجبن واللحم المفروم المخلوط مع البطاطا وأشياء من هذا القبيل. كان الإمام قد تعب كثيرا وكنت متأثرا بشدة عليه. فهم الإمام من ملامحي أنني متألم من أنهم آخروه كل هذا. قال: نحن أيضا يجب أن يأتي إلينا البلاء مثل البقية حتى نلمس واحدة من آلاف الآلام التي يتعرض لها اخوتنا، كن قويا. قلت: نعم.

بينما كنا مجتمعين حول الإمام الذي اضطجع في غرفة غير مناسبة، تفاءلت بالقرآن: "أذهب إلى فرعون انه طغي، قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري"، صدقوني أنني امتلأت بقوة جديدة. كان الأمر عجيبا جدا، فقد آخرونا لأكثر من تسع ساعات، في حين أننا قلنا أننا نريد العودة إلى بغداد، غضب الإمام وهدهم. كلما قلت لهم لماذا التأخير؟ قالوا يجب أن يأتي الخبر من بغداد. بعد غضب الإمام: اتصلوا مباشرة ببغداد وذكروا تعامل الإمام معهم. قال الإمام لهم: سأعلن للعالم ما يمر عليّ هنا، اخبروا المسؤولين في بغداد بهذا. لم يمض وقت طويل حتى جاؤوا وقالوا اعذرونا، لم نتمكن من الاتصال بالعاصمة، والا فهم لا يقبلون بهذا الوضع.

ركبنا، ولكن الدكتور اليزدي بقي معهم. قال لي الدكتور لا تهتموا، هؤلاء لا يمكنهم احتجاجي طويلا. تحركنا نحن الأربعة إلى البصرة، وبقينا ليلة حتى الصباح في فندق جيد ونظيف نسبيا. أنا والإمام في غرفة، والسادة الفردوسي والإمامي في غرفة أخرى. ومع التعب الذي كان لدى الإمام، فقد نهض لصلاة الليل بعد أن استراح لمدة ثلاث ساعات.

صليت صلاة الصبح مع الإمام، وبعد الصلاة سألته عن قراره، قال: سوريا، قلت إذا لم يسمحوا، إذا تعاملوا مثل الكويت، إلى أين بعد ذلك؟ درسنا الدول المجاورة واحدة واحدة، الكويت لم تسمح لنا، لذا فإن الشارقة ودبي ودول الخليج الأخرى لا بد أنها سترفض، العربية السعودية كانت تصبّ علينا شتائمها باستمرار، أفغانستان وباكستان لا يمكن، تبقى سوريا، وكان تصميم الإمام صحيحا، ولكن لا يمكن الإبحار في الماء دون قارب.

كان يجب أن ندخل دولة لا يحتاج دخولها إلى تأشيرة دخول والاتصال من هناك بالمسؤولين السوريين والاستشارة منهم حول استعدادهم لقول الإمام بدون أي قيد أو شرط، أي أن لا يطالبوا الإمام بتحديد حرية بأي شكل من الأشكال. لأنه إذا كانت هناك أية محدودية، فإن البقاء في العراق كان أفضل، اقترحت الذهاب إلى

فرنسا، لأن توقفنا القصير في فرنسا كان يمكن أن يكون مثمرا، ويتمكن الإمام أن يوصل قضاياه إلى العالم بشكل أفضل، وافق الإمام. ومنما بعد اتخاذ هذا القرار.

في الساعة ٨ صباحا، قلت لرجال الأمن العراقي: نريد الذهاب إلى بغداد، فقالوا يمكنكم أن تعودوا إلى النجف، قلت لا نذهب. بعد ساعة جاؤوا وقالوا إن المسؤولين في الإدارة العامة يسألون عن قراركم، قلت باريس، ذهب متعجبا! وفي الساعة ١٠/٥-١١ صباحا جاء السيد اليزدي، ففرحنا. أرادوا أن يرسلونا إلى بغداد بسيارة. كان وضع الإمام ليس على ما يرام، وبعد الإصرار ذهبنا بطائرة، وبعد النزول مباشرة اتصلت بأصدقائنا في باريس وقلت إننا نريد السفر إلى هناك، وسألني السيد الدكتور الحبيبي ماذا أعمل؟ قلت لا تبعد عن الهاتف حتى وصولنا إلى هناك.

كنا مساء في بغداد، رأينا أصدقاءنا مرة أخرى، في تلك الليلة ذهب الإمام لزيارة الكاظمين (عليهما السلام) كانت مشاعر الناس غريبة، وفي الصباح ذهبنا إلى المطار، أخروا الطائرة، كان هناك تأخير لمدة ساعتين.

كانت طائرة "جانبو"، كنا نحن الأشخاص الخمسة في الطبقة الثانية مع ثلاثة أشخاص لا نعرفهم. كان الأصدقاء المودعون في حالة عجيبة، لم يكونوا يعلمون ماذا سيحصل للإمام. استدعى رجال الأمن السيد الدعائي، وعاد بحالة متغيرة، خجل أن يقول للإمام، قال لي إنهم يقولون على الإمام أن لا يعود مرة أخرى (وقحون) ضحكت بتأثر.

كنا في الطبقة الثانية، لم نر الطبقة الأولى، ولكنهم كانوا مسافرين يريدون الذهاب إلى أوروبا. حلقت الطائرة ساعتين أو ثلاث ساعات، وقد التفتنا أننا سجناء هناك. لأن واحداً منا أراد أن يذهب إلى المغسلة (طبعاً في نفس تلك الطبقة)، مع هذا نهض أحد أولئك الأشخاص الثلاثة وتابعه. ومن أجل أن نتيقن أننا فهمنا بشكل صحيح، نهض المرحوم الإملائي حتى يتجول في الطبقة الأولى، فلم يسمحوا له، عاد. بدأ بحث وحوار بيننا نحن الأربعة، هل يريدون القضاء علينا؟ هل يريدون اختطافنا؟ هل يتصورون أنهم يتمكنون من أن يسجنونا في دولة معينة؟ وكثير من الأسئلة، هل سيحجزون الإمام في الأسفل وكأنه غير موجود في هذا السفر؟ بعد كلام كثير، وصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن ينزل السادة اليزدي والإملائي في جنيف ونبقى أنا والفردوسي مع الإمام، وإذا لم يسمحوا لهما بالنزول، نصرخ حتى يلتفت الناس في الأسفل.

قال الدكتور لأحد أولئك الأشخاص الثلاثة إننا نريد النزول في جنيف، لدينا عمل. وبعد لحظة أعلنت مكبرات الصوت في الطائرة أنه عندما تهبط الطائرة في جنيف، لا ينزل أحد غير المسافرين إلى هناك. أصبحنا نعتقد بأنهم سيحجزون الإمام في الأسفل. نفذنا تصميمنا، أخذ الإملائي من الخلف أحد أولئك الذي كان يريد منع نزولهما، وقفز اليزدي في السلم، لم يقولوا شيئاً، فقد بادر اثنان منهم بإخراج سلاحيهما التي لم تكن تُرى حتى ذلك الوقت، ووجهوها إلى صدورهما، وذهبا وراءهما. وكان السيد الحبيبي يتظر خلف الهاتف حسب القرار.

قالا له اجمعوا أصدقاءكم في المطار، فإذا جاء المسافرون ونحن غير موجودين لا تسمحوا أن تحلق الطائرة بأية وسيلة موجودة (لأننا كنا نحتفل أن يأخذونا إلى بلد آخر بعد نزول المسافرين). في هذا الوقت صلينا صلاة الظهر والعصر بإمامة الإمام. بعد عدة دقائق جاء هؤلاء وفرحنا. وقلنا للإمام القضية والتخيلات التي تخيلناها. قال: هل جئتم؟!!

وصلنا باريس، ومن أجل أن لا تلفت عمامنا الأنظار، ذهب الإمام لوحده، وبعد فترة ذهبت أنا ثم أولئك السيدين. وفي تلك الليلة جاءني مبعوث من قصر الإليزيه وقال لي: "لقد فوجئنا بهذه القضية، وقد جاء آية الله سواء أردنا أم أبينا. ولو كنا على إطلاع مسبق لما سمحنا لكم"، طلبوا وقتا للقاء الإمام، قال الإمام ليأتوا، جاؤوا وقالوا: لا يحق لسماحتكم أن تقوموا بأقل عمل. قال الإمام: كنا نظن أن هذا المكان ليس مثل العراق، لتعلموا بأنني أقول ما لدي في أي مكان أذهب، وإذا اقتضى الأمر فإني سأسافر من مطار إلى مطار ومن مدينة إلى مدينة حتى أعلن للعالم أن جميع الظالمين في العالم قد تحالفوا لخنق صوت مظلوميتنا، ورغم ذلك فإني سوف أوصل صوت الشعب الإيراني الشجاع إلى العالم، سوف أقول للعالم ماذا يجري في إيران.

ومع أن الإمام أعلن قائلا: بمحض أن يدعوني أحد البلدان الإسلامية، فإني سأذهب إلى هناك.

إلا أن بلدا واحدا في العالم – سواء كان مسلما أو غير مسلم – لم يطلب استضافة الإمام حتى ليوم واحد.

كان الإمام يعمل ليل نهار في فرنسا. لم يمر يوم إلا وكان لديه خطاب أو مقابلة أو بيان. ولم يعرف أب الثورة، الطاعن في السن، الراحة بكل وجوده من أجل إسقاط الملكية في إيران وإفشال مخططات أمريكا في إيران – في المنطقة مستقبلا بإذن الله – كان الذين يجرون المقابلات مع الإمام يقولون أحيانا إنهم لم يروا عالما يتكلم في غرفة مساحتها ٣ ^{عشرة} ٢ بدون تشريفات ويأتي ويذهب بدون طاولة ومقعد، يتكلم باللغة الإيرانية. بدأت زيارات السياسيين الإيرانيين تتوالى على الإمام، وكان أكثرهم قد جاء من إيران ودول أوروبية وآسيوية ومن أمريكا، وكانوا يقترحون على الإمام القبول برحيل الملك فقط، لأنه لا يمكن التغلب على أمريكا والجيش، ولكن الإمام كان يقول: ليس لكم شأن بالناس، هؤلاء يريدون الجمهورية الإسلامية. إذا أردتم أن تقولوا هذه المسائل رسميا، فإني سأفضحكم أمام الناس. وكان الإمام يقول مرارا: الجيش منا، ولا علاقة لأمريكا، الملك ذاهب ويجب قطع جذور النظام الملكي وتحرير الناس.

ولكن الشعب الإيراني قد أدرك ذلك جيدا، فكما يقول أحد أصدقائنا المقربين: إن الإمام والأمة قد عرفوا بعضهم بعضا، البقية يتكلمون كلاما لا معنى له، كان الشعب يستلهم شعاراته من بيانات الإمام.

هنا يجب أن أذكر مسألة وهي أن الإمام يكتب سريعا جدا، مثلا كان باستطاعته كتابة صفحة كبيرة خلال ربع ساعة. وهو أمر صعب في الحقيقة. فهو زعيم ويحسب لكل جملة من كلامه ألف حساب، كما أنكم ترون أن لديه نمط خاص في الكتابة. ومع ذلك فهو حين يقرّر اتخاذ موقف حول موضوع ما، يبادر لذلك بنفسه. فمن

المتعارف أن المستشارين هم الذين يعدّون المواضيع ويقرأونها على رئيس الجمهورية أو شخصية ما، ويقول هؤلاء آراءهم ويوقعون بعد الحك والإصلاح. غير أن جميع بيانات الإمام كتبت من قبله، وليس هناك بيان إلا وقد كان كتبه بأجمعه. كنا نوصل إلى الإمام التقارير فقط، والآن أيضا نوصلها والباقي على الإمام. وجميل أن البعض مع كل هذا، يدّعون بمنتهى عدم الحياء أننا نكتب البيانات للإمام.

أنا أعلن هنا بصراحة:

(١) أن الإمام نفسه صمم على الهجرة، ولم يكن لأي أحد حتى بمقدار رأس إبرة تدخل في ذهاب الإمام إلى باريس، فقط أنني ذكرت باريس في تلك الليلة ووافق الإمام.

(٢) كان الإمام يكتب جميع بياناته، وهو اليوم حاضر وناظر، وإذا كان الأمر غير ذلك فليكنه، وإذا ادعى شخص أنه جاء بالإمام إلى باريس أو أخذه أو كتب كلمة للإمام، فهذا محض كذب، وأنا أرجو أن يقدم الدليل على ذلك، لأنه في غير هذه الحالة فلن يقبل أي ادعاء فيما بعد. وأما لماذا أكدت على هاتين القضيتين مع أنهما خارجتان عن إطار هذا المقال الذي يفترض أنه يتحدث عن أحداث هجرة إمام الأمة، ذلك لأن تاريخنا والمسار التاريخي للثورات وثورتنا وفي النتيجة، نظام جمهوريتنا الإسلامية، ينحرف عن مساره الأصلي والأصيل، ولا يمضي وقت طويل حتى تتبدل حركة الإمام الأصلية والشعبية والإلهية، إلى حركة سياسية مترشحة عن الغرب والشرق أو هذه المجموعة أو تلك المجموعة، كما قيل (وقد قيل ذلك بلا خوف وتقوى) لقد كنت مع الإمام في جميع المراحل.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، ما دام الإمام موجودا (حفظه الله حتى ثورة المهدي) فيجب أن يتضح ما يلي:

(١) لم يكن لدى أي شخص خبر عن هجرة الإمام، غيري وبعض الأصدقاء المقربين في النجف.

(٢) إن الإمام هو الذي قرّر الهجرة إلى فرنسا، وهذه الحركة لا ترتبط بأي شخص وأي من الحركات السياسية، سواء في الداخل أو الخارج. لا يدّعي غدا أننا جننا حتى نعمل على ذهاب الإمام إلى باريس أو قيل لنا أن نقول للإمام إنه يمكن المواجهة في فرنسا بشكل أفضل ومن هذا القبيل من الأقاويل الفارغة التي إذا لم تكشف حقيقتها الآن في حياة الإمام فإنها ستعتبر غدا من أكبر الانحرافات الأساسية في هذه الثورة والنهضة.

بعد يومين من التوقف، ذهبنا إلى قرية تبعد سبعة فراسخ عن باريس. (نوفيل لوشاتو) كان منزل السيد العسكري هناك. وقد عاملنا بلطف بالغ، أخذنا منزلا في باريس لإرشاد كل من يريد أن يأتي إلى "نوفيل لوشاتو"، أو يأتي بواسطة حافلات النقل العام التي كانت تذهب إلى منزل الإمام (نوفيل لوشاتو) مرة أو مرتين في اليوم.

في البداية كان الإمام يتحدث كل ليلة، ثم أصبحت ليلتين في الأسبوع ثم ليالي الجمعة، وبعد ذلك وقت الظهر من أيام الأحد. لأن الطلبة الجامعيين في أنحاء أوروبا كانوا يتمكنون من زيارة الإمام في أيام الأحد فقط. في البداية لم يكن هناك العديد من الرواد، وشيئا فشيئا صار المكان يغص بالزائرين، بحيث أنهم قاموا في أحد الأيام بتظاهرات مفصلة بقيادة السيد هادي الغفاري، وكان الوضع في وقت الغذاء والعشاء، كان السيد الحاج مهدي العراقي (رحمه الله) رئيسا للمطبخ، كان الغذاء كل يوم، بيضة واحدة ونصف طماطمة وأحيانا ماء لحم.

مر ثمانية وعشرون يوما على مجزرة النظام في ساحة جاله (الشهداء)، وقد خصصت الصحف الصادرة في ١٥ مهر ١٣٥٧ عناوينها الرئيسية للحدث حول وصول الإمام الخميني (س) إلى باريس^(١). وكان شريف الإمامي في منصب رئيس الوزراء، وكانت الأحكام العرفية قد أعلنت في طهران والمدينة الكبيرة. وكان المشير الاويسى الذي عرف بعد فاجعة ١٧ شهر بور بـ "قصاب طهران"، قائم مقام طهران العسكري، وأقيل المشير النصيري الذي كان قد عين سفيراً لإيران في باكستان بعد رئاسته لدائرة السافاك عن منصبه، امتدت دائرة اضطرابات إلى كثير من الدوائر والمؤسسات الحكومية، وانضم موظفو السكك الحديدية والطيران الوطني إلى المضربين أيضاً. وفي المدن كانت تلاحظ في كل مكان تظاهرات ومسيرات ومشاهد اشتباك عناصر النظام مع الناس، في تظاهرات خرم آباد قتل عدة تلاميذ وجرح ٤٧ شخصا آخرين.

الخطاب رقم ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

... وبعد ذلك جاء رئيس أمنهم وطلبت إليه الامتناع عن التسليح. والتحرك لدعم إيران النظام. فقال: نحن لدينا التزامات مع الحكومة الإيرانية، قلت: أنتم لديكم التزامات تجاه الحكومة الإيرانية، ولكنني لست ملتزماً تجاهها بأي شيء، غير أن لديّ التزامات تجاه الإسلام وتجاه شعبنا، فنحن نواصل عملنا. وأنتم افعلوا ما تريدون. قال: انتم تصدرون بيانا كل يوم، ترسلون شريطا كل يوم، ماذا تعملون؟ قللوا من هذه الأمور. قلت: كلا، إنني أصدر بيانا وأسجل شريطا وأرسله، وإذا صعدت المنبر سأتكلم، هذه أشياء لا أتمكن من تركها. فذهب وبعد ذلك قاموا بمحاصرتنا، فأدركت أنهم لا يتحملون الموضوع. ولما كان قد قال لي: لا أهمية لفلان وفلان ولكن أنتم أصدقاؤنا. رأيت من الممكن أن يتعرض هؤلاء أحيانا لأصدقائنا، ونحن لم نفكر بمكان آخر حتى ذلك

(١) انتشرت موجة من الغضب والاعتراض في أنحاء البلد منذ اليوم الأول حيث نشر خبر محاصرة منزل الإمام في التجف بواسطة القوات البعثية وكذلك إخراج الإمام من التجف حتى لحظة الوصول إلى باريس، وقام الناس في كثير من المدن الإيرانية بتظاهرات في الشوارع (انظر الصحافة في تلك الأيام)، وطالب مراجع التقليد في إعلان مشترك وبرقيات مستقلة، أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية وسماحة آية الله الخوئي بإجراء عاجل لرفع الحصار وعودة الإمام. وأصدر علماء طهران وأهالي وجمعيات مختلفة إعلانات في هذا الصدد. (راجع "نهضة علماء إيران"، ج ٨، ص ١١).

الوقت. وإننا نريد أن نمارس دورنا، لذا قررت الذهاب إلى الكويت ومن هناك إلى أحد البلدان الإسلامية، ومع أنه كانت لدينا ورقة عبور، إلا أن حكومة الكويت منعنا من دخول الكويت، حتى أنهم لم يسمحوا أن نذهب إلى المطار ونسافر من هناك. عدنا مرة أخرى إلى العراق فاتضح أنهم كانوا متفقيين، كانوا ينتظروننا، المجموعة التي جاءت بنا كانت واقفة هناك. عدنا إلى العراق وأخذونا إلى البصرة، وبعد عدة ساعات أخذونا إلى بغداد ومن بغداد رأينا أن نأتي إلى هنا كي نتمكن من اختيار مكان آخر، فمجيئنا إلى فرنسا أمر مؤقت.^(١)

وأنا أرى نفسي ملزما شرعيا وعقليا للوقوف مع الشعب الإيراني الشائر حاليا، إن شعبنا شائر الآن ويقدم الضحايا، وقد أخذوا شبابه وقتلوا العديد منهم، وسجنوا البعض الآخر. إن العديد من علمائنا يرزحون في السجون الآن، كما أن عددا كبيرا منهم في المنفى. والشعب كله من الطفل الصغير إلى الرجل الشيخ وقف في وجه جهاز الملك، والكل يقول بصوت واحد نحن لا نريد الملك. لذا فإننا جميعا نصبح مسؤولين أمام هذا الشعب.

وهذا الشعب وكل شعب، له الحق في تقرير مصيره، هذا من حقوق الإنسان وهو موجود في إعلان حقوق الإنسان أيضا. كل شخص وكل شعب، له أن يقرر مصيره بنفسه، يجب أن لا يقوم الآخرون بذلك، شعبنا الآن كله واقف ويريد أن يقرر مصيره.

(١) في ٢٧ شهر يور ١٣٥٧ التقى السفير الإيراني لدى العراق مع صدام حسين (نائب رئيس الجمهورية العراقية) آنذاك، وطلب من الحكومة العراقية أن تقوم بالحد من نشاطات الإمام الخميني (س) في النجف. وفي أواخر شهر بور ١٣٥٧ سافر وزير الخارجية الإيراني إلى أمريكا للمشاركة في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة. وخلال الاجتماع التقى ثلاث مرات بوزير الخارجية العراقي وطلب من المسؤولين العراقيين إخراج الإمام من العراق، وحصل على تأييد وزيري الخارجية الأميركي والإسرائيلي نتيجة مباحثاته. وفي ختام تلك اللقاءات قال: إن مقدمات إخراج الإمام من العراق قد تهيأت، وبعد هذا الاتفاق، حوشر منزل الإمام في النجف بتاريخ أهر ١٣٥٧ وأصبح تحت مراقبة قوات الأمن العراقية وطلب من الإمام الامتناع عن استقبال الصحفيين وإلقاء الخطابات وكتابة البيانات. إلا أن الإمام لم يهتم بتحذير العراق. وقد أدى خبر محاصرة منزل الإمام في النجف إلى موجة من الاعتراض بين المسلمين الثوريين في العالم، خاصة الشعب الإيراني المسلم الذي كان في حال نهضة إسلامية. وأصدر المراجع والعلماء والشخصيات السياسية في داخل البلد بيانات وأرسلوا برقيات إلى المجمع المختلفة، اعترضوا فيها على هذا العمل. وقام الكتبة والموظفون والجامعيون وبقية الطبقات بإضراب ومسيرة واعتبروا النظام الإيراني مسؤولا عما قام به العراق. ووقعت مواجهات دامية بين المتظاهرين وقوات النظام عدة مرات أدت إلى زيادة تردي الأوضاع. في تلك الأحوال كذب السافاك مسألة وضع القيود على تردد الناس لمحل إقامة الإمام ومحاصرة منزله. إلا أن الناس الذين كانوا يتابعون أخبار وقائع النجف لم يهدأوا حتى اضطر النظام إلى اللجوء إلى المسؤولين العراقيين. بتاريخ ١٠ مهر ١٣٥٧ وصلت بغداد هيئة أمنية إيرانية رفيعة المستوى والتقت سعدون شاكر، وبعد المباحثات توصلوا إلى أنه لا يمكن مواصلة حصار منزل الإمام، ولكن في نفس الوقت سوف لا يكون من صالح إيران والعراق ترك الإمام حرا. لذا قرروا إجباره على مغادرة العراق بشكل غير مباشر، وعن طريق مضايقة أقرباء وأصحاب الإمام. أخيرا خرج الإمام من العراق وكان ينوي السفر إلى سوريا عن طريق الكويت، إلا أن المسؤولين الكويتيين لم يسمحوا له. واضطر الإمام إلى العودة إلى العراق، ولأنه كان عالما بأنه لن يتمكن من ممارسة نشاطه السياسي في أي من البلاد الإسلامية بسبب النفوذ الأميركي وعلاقتهم الودية مع الملك، ذهب أخيرا إلى باريس. (للاطلاع على تفاصيل هذه الهجرة التاريخية ووقائع باريس راجع هوية هذا الخطاب والخطابات في باريس).

إن هذا الإنسان^(١) الذي خاننا وخان إسلامنا وخان ديننا، يعطي ثرواتنا للأجنبي ويأخذ في مقابلها أسلحة يقتل بها الناس، أو أنه يصرف مقداراً منها على هذه الأعمال، والباقي يبتلعه هو وحاشيته. لقد انتفض الشعب وبدأ يعطي دماً من أجل هذا الأمر، ونحن الذين في الخارج مكلفون أن نضم صوتنا إليه. لتعلموا بأننا الآن وحيث نجلس هاهنا فإن هناك غلياناً في إيران. قبل عدة أيام قتلوا أناساً في كثير من المدن الإيرانية ونحن نجلس الآن هنا ولا نعلم فلعل هناك أصواتاً تنطلق في إيران الآن، كما لا نعلم هل أن عمليات قتل أم لا، لا نعلم. لماذا؟ لأننا بعيدون وهذه المسائل تتكرر كل يوم. أبناء شعبنا هؤلاء في ساحة المواجهة، منشغلون بالمواجهة. فهل يحق لنا نحن هنا أن نكون لا مباليين ونشتغل بأعمالنا العادية مثلاً! هذا خلاف للإنصاف، خلاف للإنسانية وخلاف للشرع، خلاف لكل هذه الموازين.

نحن مكلفون بالعمل بقدر استطاعتنا، كل شخص بمقدار استطاعته، أنا أستطيع الآن أن أتكلم معكم وأدعوكم إلى أن تقفوا مع شعبكم الذي ثار من أجل الجميع، فأنتم جزء من أولئك، هذه التيارات المتواجدة في الخارج عليها - ومهما كانت واجهاتها - أن تضع أيديها بأيدي البعض الآخر. أنا أتحدث بما يمكنني معكم، أنتم العدة المعدودة، وأكتب وأنشر ما أمكنني ذلك. وأنتم أيضاً أن تفعلوا ما تستطيعون، نظّموا التظاهرات، في حينها إن أمكن أكتبوا وتحذثوا وصرحوا للصحفيين، افعلوا كل ما تستطيعون. كل شخص يجب أن يتعاون ما أمكنه ذلك مع هذا الشعب الضعيف الموجود الآن تحت أقدام هؤلاء المجرمين.

ولا أظن أن في التاريخ سابقة لهذه الثورة الموجودة في إيران الآن، فلم يحدثنا التاريخ عن مثل هذا التوحيد من قبل الجميع. فالجميع الآن يتحركون نحو هدف واحد، فالأطفال الصغار يقولون إننا لا نريد الملك، الجميع قال هذا، فتبعمهم هؤلاء الصبية. طفل عمره سبع.. ثمان سنوات.. خمس.. ست سنوات! يقول: "الموت للملك" رغم أنه حديث العهد بالكلام، فهو قد رأى الجميع يقول ذلك، فانطلق يقول ذلك أيضاً. هذا هو لسان ومنطق الجميع، ولعل التاريخ لم يحدثنا عن حالة يتفق فيها الجميع على مسألة واحدة، أي أن يكون كلام الشخص الموجود في أدنى إيران نفس ما يقوله الذي في أقصى إيران، وواحد مع كلام الموجود في العاصمة. لقد أصبح الوضع الآن هكذا. والشعب الذي يصبح وضعه هكذا لا بد أن يتقدم، كما لا يمكن لهذا الشعب - الذي واجه الظلم والمتجبرين وهم متسلحون بالمدفع والدبابة - يقاوم بقبضته الخالية - أن ينكسر. هذا الشعب لا يهزم.

لقد بدأت الآن أنواع مختلفة من الإعلام تنتشر، طبعاً هذا النوع من الإعلام كان موجوداً لكنه أصبح الآن أشد. راحت أنواع مختلفة من الأساليب الإعلامية كي تحطم هذه الوحدة، وجعلوا من شعبنا جبهات مختلفة وأشخاصاً مختلفين، فيقولون: هؤلاء بهذه الصورة؟ بل لقد قيل بأنهم يريدون أن يأتوا بمجموعة من عناصر

(١) الملك.

الأمن متكرين بزي الطلبة الجامعيين ويرددون شعارات "شيعوية" في الجامعة بعد أن تفتح أبوابها من أجل أن يفهموا الناس بأن الأمور ستصبح بيد هؤلاء إذا رحل الملك. غير أن هذا الملك أسوأ من الشيوعيين، وأي شخص يأتي هو أفضل من هذا الملك، من هذا الإنسان! فماذا ترك هذا لبلدنا؟ غير الإعلام؟ كم يصرف على الإعلام في الداخل والخارج، كم ينفق من المال حتى تكتب له الصحف في الخارج وفي الداخل حفنة من الأكاذيب. إنه مشغول بهذه الأعمال، ومشغول بجمع المال والمصاريف الكمالية وشراء الأراضي في مختلف أطراف العالم. هذا هو عمله! ما هو عمله غير هذا؟... أما قتل الناس وضربهم واستغلالهم هكذا! إنه يستغل حال هذا الشعب ويتلفه.

كلامنا هو هذا، كل ما لدينا هو كلمة واحدة وهي أن هؤلاء الذين تحلقوا حول مائدة النهب المسماة إيران، جاء كل واحد منهم من كل جهة، كل واحد منهم من بلد، وأخذوا يأكلون من مائدة النهب هذه، وشعبنا إلى جانبها يأكله الجوع. نحن نريد أن ينتهي هذا، نحن نقول إن لدينا بلد بترولي، ولديه ثروات أخرى، بلدنا غني، اتركوا هذا البلد لنا. نحن ندير شؤوننا، إذا أردنا أن نأتي بخبير فنحن نأتي به. لماذا تأتون أنتم به وتعطونه مرتباً لا أعلم كم مئة ألف تومان! نحن نأتي بخبير لا يكون هكذا بل إننا نحن نخرج خبراء.

منذ أن أسس "أمير كبير" الجامعة وحتى الآن، أي منذ سبعين أو... مرّ كثير من عمر^(١)، لكنهم لم يدعوا شبابنا يتمّون تعليمهم بشكل جيد، حالوا أساساً دون أن ينضج شبابنا فيها، إنهم لا يسمحون لعملية الرشد أن تتم في الاتجاهات التي بُنيت بأيدي الآخرين. كذلك فهم لا يدعون عسكرينا يتربّون تربية عسكرية صحيحة. فالمستشارون الأمريكيون يسلكون بهم الطريق المنحرف، فهم يوجهونهم نحو الطريق النافع لهم! ثقافتنا ثقافة استعمارية، يجب أن تكون لدينا ثقافتنا الخاصة، غير أن هذه الثقافات هي ثقافات تبعد أطفالنا عن الثقافة الصحيحة. وإذا أراد أحدهم أن يجري جراحة اللوزتين الآن فعليه أن يسافر إلى الخارج، فمن إنجازاته أنه جاؤوا بطبيب من أوروبا ليجري عملية استئصال اللوزة!^(٢) حسناً أنت تقول إننا أوصلنا بلدنا إلى المستوى الفلاني، لكنكم تجرون عملية استئصال اللوزة في مكان آخر! يتضح إذاً أن ليس لديكم أي شيء إذا أرادوا أن يرسموا خطأ من هنا إلى هناك، فالمهم يأتون بأشخاص من الخارج ليعلموا من أجل أن يرسموا ذلك الخط عندها يعقدون اتفاقية مع إحدى الشركات... في إحدى الاتفاقيات. أنا أنسى هذه الأشياء - لا أعلم كم أنجز من الأمتار ثم أخذ بقية المبلغ وذهب لشأنه.

(١) أول مدرسة بالنمط الجديد في إيران هي مدرسة "دار الفنون" التي أسسها أمير كبير في طهران في عام ١٢٦٧هـ وقبل دار الفنون أسست مدرستان دينيتان في إيران، المدرسة الأولى افتتحها في عام ١٢٥٤هـ في أرومية أحد الأشخاص الأمريكيين ويدعى بركيز، والمدرسة الثانية أسسها أحد الفرنسيين ويدعى أوجيني بوره، في تبريز عام ١٢٥٥هـ هاتان المدرستان اللتان توصفان بالدينيتين أسستا من قبل الأجانب ومن أجل أهداف خاصة لدولهم.

(٢) من المحتمل أن المقصود هو الدكتور فلاندر، الأخصائي الفرنسي المعروف في معرفة الدم، الذي جاء إلى إيران لمعالجة الملك.

هؤلاء هكذا هاجموا هذا البلد. الاتحاد السوفيتي يأخذ غازه، أمريكا تأخذ نفطه، نحن حين نقول إننا نريد حكومة إسلامية، فإننا إنما نريد أن يحال دون هذا النوع من الاستهتار، لا كما يقول الملك، نريد أن نعود إلى زمان ما قبل ألف وأربعمئة سنة، نحن نريد أن نعود إلى عدالة ما قبل ألف وأربعمئة سنة، لا أن تصبح حياتنا حياة ذلك الوقت، كلا إننا نتقبل جميع مظاهر الحضارة برحابة صدر، ولكن ما لديكم ليس مظاهر حضارة.

هل أن كل هذا القتل للناس هو من مظاهر حضارة؟ أهذه الأحكام العرفية مهاجمة الناس، من مظاهر حضارة؟ هل أن إعطاء كل نفطنا إلى الآخرين لاستيراد الأسلحة بثمانه؟ تلك الأسلحة التي لا يستطيعون استخدامها نتيجة عدم وجود الخبر بها في إيران، الأمر الذي يستلزم استقدام الخبراء والمستشارين معها، هل هي من مظاهر الحضارة^(١) بنوا قاعدة هنا! بنوا قاعدة أمريكية ويقولون إننا نريد أن نجعل بلدنا ماذا! قاعدة لأمريكا في بلدنا! إن كلامنا هو أننا لا نريد لهذه الفوضى التي قام بها هذا السيد، هذا الخادم لأسياده، أن تحصل.

منذ اليوم الأول الذي أذكره - انتم شباب لا تذكرون - منذ اليوم الأول الذي قام الملك رضا بانقلابه العسكري، وانقلابه مدبر من قبل الإنجليز! فبعد أن ذهب قال الإنجليز أنفسهم في إذاعة "دهلي" (وأنا بنفسني سمعت): نحن جئنا بالملك رضا ولكنه خاننا فخلعناه، عندما أخذوه إلى جزيرة كذا^(٢) قالوا في إذاعة "دهلي" التي كانت تحت إشراف الإنجليز: إننا جئنا برضا خان إلى الحكم وبعد أن خان خلعناه، محمد رضا خان نفسه، كتب في إحدى آثاره - لعله في "خدمة لوطني"^(٣) - لكنهم خدموا هذا المقطع فيما بعد! فقد أدركوا أنه تكلم بما لا ينبغي أن يقال، يقول هو: "إن الحلفاء حينما جاؤوا إلى هنا، رأوا من الصلاح أن أكون أنا ملكاً، وأن يكون أحد من عائلتنا" لكن جنابك عميل أيضاً، (رأوا من الصالح أن أكون أنا) معناه أن هؤلاء هم الذين نصبوك نحن نقول بأننا لا نريد الشخص الذي جاء إلى هنا بصلاح الحلفاء، ويعمل حالياً للحلفاء أيضاً، فهو يتحمل مشقة، ولكنه يضيّع كل وجودنا. ليس لدينا استقلال، ليس لدينا حرية، ليس لدينا حرية قلم، ليس لدينا أي شيء.

الزراعة... بلد زراعي ينبغي أن يكون مصدراً للمنتجات الزراعية، لكن احتياطه لا يبقى سوى لـ ٣٣ يوماً - يبدو أنهم كتبوا هكذا، ٣٣ أو ٣٤ يوماً، هكذا - بعدها يجب أن يستوردوا ما يحتاجون من الخارج، ألا ترون الآن

(١) قبل الثورة لم يكن الجيش الإيراني قادراً على استخدام الأسلحة التي اشترت من أمريكا، بدون مساعدة المستشارين والأخصائيين الأمريكيين بسبب نقص النصوص التعليمية وضعف المقدمات السابقة للتعليم والسياسات الأخرى للنظام. وكانت شدة التبعية العسكرية الإيرانية لأمريكا إلى درجة أن الجيش الإيراني لم يكن قادراً على إدارة نفسه بدون المساعدات اليومية من أمريكا وكان القيام بجميع الأمور الفنية وتحليق الطائرات تحت إشراف الأمريكيين وبمساعدهم الفنية. لكن الجيش الإيراني اليوم يستخدم التجهيزات العسكرية بدون مساعدة الأجانب ويعلم الأخصائيون الإيرانيون، الأشخاص كيفية الاستفادة من الوسائل والأسلحة العسكرية المتقدمة.

(٢) جزيرة موريس.

(٣) فيما يخص أول كتاب منسوب إلى الملك "مهمة لوطني".

كيف تنهال سيول القمح والشعير من الخارج، وماذا وماذا وماذا؟ البيض وكل شيء يأتون به من الخارج. ضيّعوا الزراعة في إيران باسم "الإصلاح الزراعي"، سبّبوا البؤس للفلاحين والرعية إلى درجة جعلتهم لا يتمكنون من البقاء في مزارعهم. رحلوا من هناك إلى طهران، وهم يعيشون في وضع سيئ في ضواحي طهران. يعيشون في وضع مؤسف جدا. عدد كبير الآن، لعله حوالي ٤٠ حالة، ٤٠ منطقة سكنية - أو هكذا كما أخبروني وأرسلوا لي صورهم، وكانت الصور لدي في النجف - أخبروني أن هناك عدداً من الناس يعيشون في مكان كذا من المدينة الفلانية، وعدداً آخر في المدينة الفلانية، وهكذا في مدن متفرقة، يعيشون في أكواخ صغيرة أو خيم، هكذا في طهران المركز! اكتب أنه إذا أرادت امرأة أن تجلب ماء لأطفالها بالجرة، فإن عليها أن تصعد عدة سلال، ١٠٠ درجة أو أكثر، من ذلك المنخفض الذي يعيشون فيه، يجب أن تصعد إلى فوق لتصل إلى حنفية الماء التي وضعوها هناك. ففي الشتاء البارد يجب أن تصعد هذه المرأة بالجرة إلى فوق وبعد ذلك تعود بجرة الماء لأطفالها.

نحن نقول إن الوضع المأساوي يجب أن ينتهي، من ناحية أخرى فإن نفقاتهم تبلغ حداً مذهلاً، قرأت أخيراً أنهم اشتروا الفيلا الفلانية التي كانت لإحدى أخوات الملك بمبلغ كذا، لا أتذكر الآن ولكنه كان كثيراً. ينفقون ٥ ملايين دولار على زراعة الزهور وأعمال الزينة^(١) هذا وضع هؤلاء! وأكثر من هذا ولا يمكننا الآن تصوره، فمن جانب هذا وضع عدد كبير من الناس الذين يسكنون في مدينة طهران إذ يعيشون في مخيمات أو أكواخ وليس لديهم مصابيح، وليس لديهم ماء. تعبيد الطرق، وهذه الأشياء ليس لها معنى لدى هؤلاء أساساً! نحن الذين نقول حكومة إسلامية، نقول إن هذا الوضع يجب أن ينتهي، لا نقول إن الحكومة الإسلامية...

... الملك يقول إن هؤلاء يقولون: يجب أن نعود إلى ذلك الزمان الذي كان الناس فيه يستخدمون الحمير للنقل^(٢)! أي إنسان قال هذا الكلام؟ من قال إنكم يجب أن تنتقلوا على الحمار؟ نحن نقول إن هذا الوضع يجب أن يتغير، وما دام محمد رضا بهلوي وعائلته موجودة، فإن بلدنا لن يرى وجه الحرية أو الاستقلال.

إنه خادم وضعوه هنا، وهو "مأمور لأداء مأمورية" لوطنه! هو نفسه يقول "مهمة لوطني" وهو صادق! لكنها مأمورية من أمريكا، في أن لا يدع هذا الوطن المسكين ينمو معنوياً، وأن لا يدع أهله يأكلون ثروتهم. فثرواتهم من نصيب أمريكا. نحن نقول "حكومة إسلامية" ونقصد حكومة العدالة، نحن نقول: يجب على الحاكم أن لا يخون بيت مال المسلمين، ولا يمد يده إلى هذا المال، وهو أمر مستساغ من قبل جميع المجتمعات البشرية، بل من قبل أي شخص.

(١) قامت "شمس"، الأخت الكبرى للملك ببناء قصر أسطوري يدعى "مرواريد" في منطقة "مهردشت" في أراضي مستنقعات في جنوب كرج. بمساعدة أكبر المعمارين الإنكليز. زين بكمية كبيرة من النباتات والأشجار الجميلة. وقد بنى السافاك في غرب هذه المنطقة أحد أحدث السجون وهو سجن "قزل حصار".

(٢) قال الملك في كلمة ألقاها في خرداد ١٣٤٢ أثناء إعطاء مستندات ملكية المزارعين في منطقة همدان، ماذا فعلت الرجعية السوداء في يوم الأربعاء الخامس عشر من خرداد ٤٢؟ أحرقت مكتبة ومنتزه المدينة. لأنه لا يفيدنا كل ما ينطبق مع العلم والقراءة وحاجات اليوم. أحرقت الملعب وأحرقت وسائل المرور وأماكن بيع بطاقات حافلات نقل الركاب، لأنها قد تفكر أنه يجب أن نركب الحمار أو البغل في هذا القرن حيث يسير العالم نحو تسخير الفضاء.

لقد ثار شعبنا اليوم لأن هذا الإنسان قد خاننا، أكل أموالنا وأخذها واشترى الفيلات في بلدان أخرى له ولعائلته ولأتباعه، وأعدّ لهم وله مستلزمات حياة رغبة ونحن جوع! لذا فقد اجتمع الجوع يقولون إننا لا نريده فيما يقولون؟ حسنا هذا هو منطقنا ليس لدينا كلام غير هذا.

كذلك فلتكتب الصحف هنا كل ما تريد: الإسلام الرجعي! حسناً، أجيئوا أنتم على هذه الكلمة.. لتجتمع هذه الصحف، جميع الصحف في العالم وليجيئوني على ما أقول: يا سيد نحن لدينا ثروة نفطية، لدينا ثروة من ماس و ثروات أخرى، لدينا كل شيء. لكنهم يأخذون، ينهبون، نحن شعب ضعيف متخلف لا نريد أن ننهب! أنتم تقولون: إننا متخلفون. حسن جداً، أنتم الذين تنهبون تقدمتم، ونحن المنهبون تأخرنا! أنتم - أقول - وصلتم إلى بوابة الحضارة وتنهبون الناس! الناس الآخرون لعلهم لم يصلوا إلى المستوى الذي يؤهلهم لأن تعطوهم الحرية! التامة يقول: إن هؤلاء لم يصلوا إلى ذلك الحد الذي يمكنهم من التمتع بالحرية! لم يصلوا إلى ذلك الحد! أنا لم أفهم ماذا يعني؟! كيف لم يصلوا إلى ذلك الحد الذي يؤهلهم للتمتع بالحرية؟!^(١) الناس يصيحون: يا سيد، لماذا تقوم بتلك الأعمال الخاطئة؟! وهو يقول: هؤلاء لم يصلوا إلى ذلك؟ لم يصلوا إلى ذلك الحد، يجب أن لا يتكلموا؟ مهما ضربوهم على رؤوسهم فلا يتكلموا، حتى يصلوا إلى ذلك الحد الذي يمكن عنده من إعطائهم الحرية؟!

بلدنا ثار اليوم، وكلنا مسؤولون عن متابعة هذه الثورة. ابتداءً مني، أنا أحد الطلبة البسطاء، وانتهاء بكم أنتم الجامعيين، ومروراً بالكاسب والتاجر وكل شخص من أهل هذا البلد، علينا جميعاً أن نتابع أهالي بلدة هؤلاء حتى يتم إنجاز المطلوب. إنها مسألة منطقية يجب أن يتابعها البشر. هؤلاء يطالبون بالحقوق الأولية للبشر. الحق الأولي للبشر هو أن يكون حراً، أنا أريد أن يكون كلامي حراً، أريد أن (أكون) مستقلاً. أريد أن أكون سيداً لنفسي هذا هو كلامنا، هذا كلام في أي مكان تقولونه، يقبله الجميع منكم.

ونحن كلنا موظفون أن نتابع هذه المسألة، لنساعد الإخوة الذين يعطون القتلى، وبقدر استطاعتنا مهما تمكتم، ساعدوا أولئك الذين يخوضون الجهاد وكأنهم في ساحة حرب. اعملوا بأي شكل تتمكنون، بالقلم.. بالبيان.. بالتحدث بكل ما يمكن.. بالتظاهرات هذا هو كلامنا.

أسأل الله تبارك وتعالى التوفيق لكم جميعاً. وآمل أن (تكونوا) جميعاً أناساً مستقيمين ثوريين، واجهوا الفساد. وأن يصيبكم التوفيق ضمن رضى الله تبارك وتعالى، فالمطلوب أن تكون كل هذه الشعوب شعوباً قوية، تكون الشعوب قوية، تكون الشعوب مرفهة، إن شاء الله ستوفقون في الحصول على ذلك.

(١) لَوْح الملك في عدة خطابات إلى أن ثمن إعطاء الحرية للشعب الإيراني باهظ! كما قال بمناسبة افتتاح مجلسي الشيوخ والمجلس الوطني وفي مقابلة بمناسبة ٢٨ مرداد عام ١٣٥٧. قلت رداً على سؤال: إن هذه القيمة التي يجب أن ندفعها للوصول إلى الحرية. في ذلك الوقت لم أظن أن هذه القيمة هي بهذا القدر! نشرت هذه المقابلة بشكل كامل في صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٨.

هوية الخطاب رقم - ٣٢

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ١٠ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: حقوق الإنسان وإصلاحات الملك الأميركية.

المناسبة: استمرار الأحكام العرفية والإضرابات العامة.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

مع أن الأحكام العرفية كانت سارية، إلا أن الناس كانوا قليلا ما يهتمون بتحذيرات وتهديدات عناصر الحكم العسكري - سواء في طهران أم في المدن - فقد استمرت التظاهرات وكانت أكثر دوائر الدولة في حالة إضراب كامل. ولم تكن الصحف مستثناة عن هذه الحالة فمع أنهم كانوا يهددون كل يوم بعناوين مختلفة من قبل مأموري الأحكام العرفية وأشخاص مجهولين (سافاكين)، فإن الأخبار والوقائع كانت تنشر ما وجدت الصحف إلى ذلك سبيلا.

وفي يوم الأربعاء ١٩ مهر ١٣٥٧ بدأ العاملون في الصحافة إضرابهم عن العمل اعتراضا على ممارسة الرقابة الشديدة وتعيين مراقب عسكري في هيئة التحرير.

وقد أيدت المجموعات الدينية وطبقات الشعب المختلفة، خطوة الصحافة فقام "منوجهر آزمون" الوزير المستشار في الشؤون التنفيذية والدكتور العاملي الطهراني وزير الإعلام والسياحة - طبعاً بأمر من شريف الإمامي بالسعي حثيثاً لإنهاء إضراب الصحافة، ولكن أهل القلم اعتبروا أن الشرط الوحيد لبدء العمل هو (الضمان الرسمي للحكومة) لرفع الرقابة بشكل كامل. وباستثناء عدة صحف ومجلات - كان أصحابها مرتبطين بنظام الملك بشكل كامل وينشرون بيانات الحكومة العسكرية فقط - فإن سائر الصحف والمطبوعات أضربت عن العمل مدة ٤ أيام. أخيراً استسلمت حكومة شريف الإمامي وأصدرت بياناً بعد ظهر ٢٢ مهر ١٣٥٧ مكون من ٣ مواد، أعلنت فيه إلغاء الرقابة وأطلقت حرية الصحافة.

إن سر تبعية أفراد الشعب الإيراني العظيم لقيادة الإمام الخميني (قده) وإصرارهم في طريق أهدافه يمكن إدراكه في فقرة من البيان الذي وجهه الإمام للشعب في ٢٠ مهر ١٣٥٧:

"...إنني أواصل دوري في خدمة الشعب من هنا، والمكان أو ما أعانيه في هذا المكان ليس مطروحاً في النهضة الإسلامية وتقديم الخدمة للشعب المسلم. إن الشيء المطروح هو التكليف، صوت الضمير. مهما علمت ومهما حصل لي، فإني خجل أمامكم أنتم الذين أعطيتكم الدم في طريق الحرية والإسلام. إن ما يسرني في هذا المكان المؤلم هو أنني أقدم خدمة لكم. وإني لاعتبر نفسي شريكاً لهموم العوائل التي نفخر بها في اتحاد إيران".

إن الإيمان بالله والعمل بالوظيفة والتكليف الإلهي والحزم والصدق أمام الناس، كانت قواعد ثابتة في حركة الإمام، بقي سماحته وفيها لها منذ مشروع نهضته الإلهية حتى لحظة رحيله عن هذه الدنيا.

وفي هذا البيان الذي أصدره سماحته بمناسبة أربعين فاجعة ساحة جالا واستشهاد مئات الأشخاص على يد عناصر الحكم العسكري أعلن يوم الاثنين ٢٤ مهر ١٣٥٧ حدادا عاما. وصدر بيان مشترك موقع من قبل الآيات العظام: الكلبيكاني والمرعشي النجفي والسيد كاظم الشريعتمداري، أيدوا فيه الحداد في هذا اليوم، وجاء في قسم من بيانهم:

.. ليظهر عموم المسلمين وحدتهم مرة أخرى وذلك من خلال التعطيل في يوم الاثنين وليبنوا بمتنهي الثبات والهدوء يقظتهم وتضامنهم الوطني أمام مثيري النفاق والتفرقة^(١)

وقد أشار الإمام الخميني (قدس) في هذا الخطاب إلى القيود التي فرضتها الحكومات العراقية والفرنسية على نشاطاته السياسية. وأعلن عزمه على مواصلة الطريق الذي اختاره قائلا:

.. قالوا نحن لدينا التزامات مع الحكومة الإيرانية.. قلت: حسنا، أنا أيضا - بهذا المعنى تقريبا - لدي التزامات تجاه الإسلام والشعب الإيراني، أنا أيضا لا أتمكن من أن أتخلى عن التزاماتي".

وفي قسم آخر من خطابه، انتقد الإمام أكذوبة المطالبة بحقوق الإنسان، وشجب بشدة سكوت المجتمع الدولية أمام نهب ثروات الشرق من قبل الاتحاد السوفيتي والصين والدول الغربية وخاصة أميركا. واعتبر الحكومة الأميركية مسؤولة عن جرائم الملك وعن تدمير الزراعة في إيران. لقد أوصل الإمام صرخة مظلومية الشعب الإيراني ومطالبته بالحرية إلى أسماع العالم، واعتبر السعي في هذا الاتجاه تكليفا شرعيا ووجدانيا لجميع الطبقات والفئات في داخل وخارج البلد.

وقد شجب سماحته المنطق الفاشل للذين يبررون سكوتهم ودعمهم للنظام الملكي بالشعار الخادع (القبضات لا يمكنها مواجهة الحراب) الأمر الذي طرح في ١٥ خرداد ١٣٤٢ وبعده. قائلا: "إذا وقف الشعب وطالب بحقه، فإن الحراب لا تستطيع أن تمنعه". وأكد الإمام على الشعار الشعبي العام "الموت للملك" ولزوم استمرار الهتاف به. الأمر الذي عقد مهمة الأحزاب والجماعات والشخصيات التي تسعى في تغيير مسيرة النهضة بشعارات منحرفة.

(١) "نهضة علماء إيران"، ج ٨، ص ١٦٣.

الخطاب رقم - ٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

نتيجة لضغط الحكومة الإيرانية، طلبت الحكومة العراقية منا أن نحدّ من نشاطاتنا ضد الحكومة الإيرانية. فأجبناهم بعدم إمكانية ذلك. فأخذتها ووضعناها جانباً ولم أعطِ جواباً لأولئك، وواصلت عملي^(١). ومنذ سنة تزايدت أعمالنا ونشاطاتنا، وازدادت وتيرة صدور البيانات والنشاطات الأخرى والمقابلات الصحفية مع بعض الصحف الأجنبية كـ"اللوموند" وغيرها^(٢) مما زاد من تضيقاتهم، فقد جاء إلى رئيس مديرية الأمن العامة، جاء بنفسه، وطالبني بالامتناع عن إجراء المقابلات فقط. صرح بأن لي الحق في القيام بأي نشاط آخر. نحن أيضاً وإن كنا لم نعتدّ كثيراً إجراء المقابلات إلا أننا لم نعطه جواباً. وبعد ذلك أجريت مقابلة أخرى، أي أن الصحفيين جاؤوا من فرنسا وأجرّوا مقابلة معي، وقد بادرت قوات الأمن إلى اعتقالهم بعد أن خرجوا من المنزل^(٣) بعد ذلك تشددوا كثيراً في منع المقابلات.

إنكم هنا - حسب تعبيرهم - في منزلكم فكونوا كيفما تريدون ولكن لا تقوموا بنشاط سياسي. العالم الجيد - كان هذا مؤدى كلامهم - هو الذي يدرس ويخوض في المسائل الشرعية.

قلت: إن الإسلام غير مفصول عن السياسة. الإسلام ليس مثل العقائد الأخرى. ليس مثل الأديان الأخرى. وهو لا يقتصر على الذكر والدعاء. الإسلام سياسته ممتزجة مع سائر أحكامه. وأنا أقوم بدوري السياسي، وصادر البيانات وأسجل أشرطة الكاسيت، وإذا اقتضى أيضاً فإنني أقول كلامي من على المنبر. وهذا تكليف شرعي لي. قالوا: نحن لدينا التزامات مع الحكومة الإيرانية، ولا تنسجم هذه الأعمال مع تلك الالتزامات.

(١) مع العلم أن الرسالة التي أبلغت للإمام لم ينشر نصها حتى الآن.

(٢) لم يكن سماحة الإمام يرغب في المقابلة الصحفية. والسبب يوضحه هو هكذا: أن الصحافة الدولية تهتم أكثر بالتبجيل والبهجة والضجيج والتأكيد على طنين الألفاظ.. لا يؤس الشعب الإيراني أو الضغط الذي يتحملة. في الرابع من أرويهشت ١٣٥٧ طلب السيد لوسين جورج، مراسل صحيفة اللوموند الفرنسية الواسعة الانتشار والمعروفة من الإمام الخميني (س) إجراء مقابلة. ومنذ فترة كانت المجامع الغربية تنتظر اليوم الذي يتحدث معهم الإمام لسمع الناس في الغرب سبب معارضته لنظام الملك ومشروع وبرنامج الثورة للمستقبل، وخلاصة أسباب لمواجهة الوطنية - الدينية لهذا المرجع الشيعي الكبير من لسانه. في البداية لم يرغب الإمام الرد إيجابياً على طلبهم، ولكن ولأنه اطلع على مقدار من سوابق هذه الصحيفة، وعلم أن "اللوموند" ذكرت في الماضي حقائق عن الأوضاع في إيران وكشفت للملأ بعض جرائم الملك، فقد وافق على دعوة الصحيفة للمقابلة. كانت هذه المقابلة مهمة جداً وصريحة تماماً تركت أثراً حسناً وحظيت باهتمام كبير في الغرب. وكان للاعتبار الكبير لهذه الصحيفة والعدد الكثير من نسخها التي تباع تأثير كبير في هذا الأمر.

(٣) في ١٣٥٧/٦/٢٣ هـ ش وصلت إلى بغداد هيئة من قبل الإذاعة والتلفزيون الفرنسي بحجة دعوة من الإذاعة والتلفزيون العراقي، وأثناء الليل ذهبوا إلى الإمام في النجف بشكل سري لإجراء مقابلة معه. وبعد المقابلة والتصوير عرف العراقيون واعتقلوا الصحفيين. وقد حرص أصحاب الإمام على إخفاء أشرطة المقابلة في أحد الأماكن، غير أن العراقيين مزقوا الشريط التلفزيوني والصور.

قلت حسناً، أنا أيضاً - بهذا المعنى تقريباً - لدي التزامات تجاه الإسلام وتجاه الشعب الإيراني: أنا أيضاً لا أتمكن أن أتخلى عن التزاماتي.

انتهى الأمر بتأكيدهم على عدم رغبتهم في استمرار نشاطنا السياسي. أكدت أنا على لزوم حصول ذلك، ثم قاموا بمحاصرتنا في المنزل. طبعاً لم يقولوا لا تخرجوا، وإنما منعوا أي شخص بالتردد علينا. كانوا يمنعون الإيرانيين يأتون من الخارج. في أحد الأيام منعوا الطلبة أيضاً. إلا شخصاً أو اثنين أو ثلاثة أشخاص. لم أخرج من المنزل^(١). وعندما لم أخرج، حصلت أمور في إيران، فرأيت أن بقاءنا في المنزل وعدم قيامنا بأداء دورنا والاقتصار على التدريس يخالف منهجنا.

إننا نعطي قتلى في إيران، لقد قتلوا أطفالنا، كبارنا في إيران. وهذه الحالة موجودة الآن كل يوم.

وقد سرت هذه الحالة إلى الجامعة، وقد ذكرت الصحف ذلك حيث قيل - أمس أو أول أمس - أن أكثر من ٨٠ شخصاً ٧٥ شخصاً قد جرحوا في الجامعة، وقد قتل عدة أشخاص، وهذا ما قالته الحكومة الإيرانية^(٢). لقد هاجم هؤلاء الشعب، فمن ناحية اخذوا كل ما لديه، والآن هم يأخذون روح هذا الشعب. إذاً كيف نستطيع والوضع هذا أن نتوقف عن ممارسة دورنا؟ هل يسمح لنا وجداننا؟ هل تسمح لنا ديانتنا أن نجلس ونتفرج كيف يقوم هؤلاء بقتل أبناء الإسلام؟ إن علينا أن نوصل صوتنا إلى أقصى ما نستطيع وبالقدر الذي تسمح به الحكومات. يجب أن نوصل صوتنا إلى العالم ليرَوْا جيداً أي وضع تعيشه إيران.

لا أظن الآن أن هناك بلدا يعاني كما تعاني إيران. ويعيش حالة الأحكام العرفية من أقصاه إلى أدناه، فجميع المدن تقريبا ١٢ مدينة إيرانية كبيرة تمثل أهم المدن الإيرانية تعيش حالة الأحكام العرفية والحكم العسكري والباقي أيضاً طبقت فيها الأحكام العرفية، ولكن دون ضجيج. أي أن الحكم العسكري الآن يحكم إيران بأسرها وحسب ما قيل فقد تقرر أن يصبح أحد العسكريين رئيساً للوزراء. يقولون "إن فريدون جم"^(٣) يريد أن يصبح رئيس الوزراء، هذا عسكري أيضاً.

(١) أدت محاصرة منزل الإمام إلى عدم نشر أية كلمة أو رسالة من قبله فترة أسبوعين. وبعد هذه المحاصرة بدأت موجة من الاعتراضات واعتراض المراجع والعلماء والجماعات والشخصيات السياسية الإيرانية من داخل وخارج البلد على ما قام به العراق. وفي إيران أبدى العمال والموظفون والكسبة استياءهم مما قام به العراق وإيران وعبروا عن ذلك بالتعطيل والإضراب العام عن العمل. كما قام العمال في مصفى آبادان يون الثاني من مهر، والعمالون في دائرة الهاتف في طهران في اليوم الثالث من مهر، والعمالون في مصفى خارك يوم الخامس من مهر، والعمالون في مؤسسة الماء والسكك الحديد في السابع من مهر بإضراب عام.

(٢) راجع صحيفة "اطلاعات"، بتاريخ ٢٣ مهر ١٣٥٧.

(٣) فريدون جم الزوج الأول لشمس البهلوي، جنرال ورئيس أركان القوات المسلحة، اختير فيما بعد سفيرا لإيران في فرنسا. وجاء إلى إيران في زمان تولي بختيار لرئاسة الوزراء أشيع أنه رفض القبول بمنصب وزير الحرب وعاد إلى إنجلترا. في ذلك الوقت كان يبلغ من العمر ٦٤ سنة. قال في مقابلة مع صحيفة "الساندي تلغراف": إن لإيران مستقبل مظلم، وستغرق في الدم. وفيما يتعلق بمعرفة شخصية هذا العنصر المرتبط، راجع ظهور وسقوط السلطنة البهلوية، مذكرات المشير السابق حسين فردوست، ج ١، ص ٦٣ و ٢٤٤.

هؤلاء لا يستطيعون أن يواصلوا الحياة. الملك لا يستطيع أن يواصل حياته، فهو الآن يعيش تحت راية العسكر وتحت حراب العسكرين، ومن ورائهم حراب الأمريكان. ولو رفعت حراب أمريكا فلعل الجيش الإيراني لا يكون متقادا بهذا الشكل.

فالعسكري استيقظ أيضا، فهو إنسان أيضا، وهو إيراني أيضا، وهو يرى ماذا يجري. فما من يوم يخلو من ظهور صوت في إحدى المدن. وبمجرد أن يظهر صوت يبادر هؤلاء إلى الضرب والقتل والممارسات الأخرى. ورغم هذا الوضع الموجود في إيران، والاضطراب الموجود الآن في إيران، فإن كل ما تقوله وتدعيه هذه الدول الكبيرة من حب للإنسان! ومن مناداة بحقوق الإنسان! هو رجز غير موزون. كل هذا الكلام الذي تقوله هذه الدول الكبيرة والجمعيات التي شكلوها لحقوق الإنسان وللأمن، والأمور الأخرى لا تهدف إلى مصلحة الإنسان فلا منظمات أمنهم تهدف لتحقيق الأمن للإنسان ولا منظمات حقوق الإنسان التي شكلوها تهدف إلى إحقاق حقوق الإنسان. كل ذلك من أجل أن ينهبوا هذه الشعوب الضعيفة. كل هذه المساعي التي ترونها، والتي تبذلها هذه القوى الكبرى لا تعدو كونها كلاما فارغا يراد منه إيجاد نظام يمهد السبيل أمامهم لنهب بلدان الشرق الضعيفة.

إن الأجانب مهتمون بالشرق لما فيه من الثروات النفطية^(١) فهناك احتياطي هائل من النفط في الشرق، كما هو الحال في الكويت^(٢) والحجاز^(٣) وإيران. والأجانب تعلقت أنظارهم بثرواتنا هذه. وهم ينهبونها ويأخذونها بالمجان. وإلا هل تتصورون أن أمريكا تعطي مالا لإيران؟ فأمريكا اتخذت من إيران قاعدة لها، وهذه الأسلحة التي يقولون إنهم باعوها لإيران، إنما أعطوها بدل النفط. وهي الأسلحة التي يريد أولئك لها أن تكون في إيران. لكي تكون قاعدة لهم يتخذونها في مواجهة الاتحاد السوفيتي أحيانا. لا هؤلاء أعطونا شيئا لنا. هؤلاء يتلاعبون بنا.

(١) الاحتياطي النفطي لدول الشرق عدا ما موجود في إيران والعربية السعودية والكويت هو كما يلي: العراق ٣١ مليار برميل في سنة ١٩٨٠. عمان ٢/٤ مليار برميل في سنة ١٩٨٠. قطر ٥/٦ مليار برميل. الإمارات العربية المتحدة ٣١/٣ مليار برميل في سنة ١٩٧٨. سوريا مليارات برميل في سنة ١٩٨٠. البحرين ٢٧٠ مليون برميل في سنة ١٩٧٨.

(٢) في الكويت حوالي ٢٠٪ من احتياط النفط في العالم. هذه الذخائر تستخرج بواسطة شركة النفط الوطنية الكويتية ٦٠٪ من أسهم هذه الشركة مملوكة للحكومة والباقي لشركات أمريكية وإنجليزية ويابانية، ويبلغ مقدار احتياطي النفط في هذا البلد ٦٥/٤ مليار برميل (في سنة ١٩٨٠)، وفي الكويت احتياطي كبير من الغاز الطبيعي أيضا الذي يعد ثروة عظيمة، ويعتمد ٧٥٪ من الاقتصاد الكويتي على النفط و١٥٪ يعتمد على الثروة والتجارة الخارجية وبقيّة ذلك يؤمن من الصناعات غير النفطية.

(٣) اكتشف النفط في الحجاز سنة ١٩٣٣ م وشرع في تصديره من سنة ١٩٣٨م. هذا البلد يستطيع أن يستخرج يوميا ١٢ مليون برميل، ويمكن أن يرفعه إلى ١٦ مليون برميل. في سنة ١٩٨٤م كان الإنتاج اليومي بين ٧ و ٨ ملايين برميل. وقد قدر احتياط النفط في الحجاز حوالي ١٦٠ مليار برميل وهي تمثل ربع الاحتياطي الموجود في العالم. وقد قدرت بعض الدراسات احتياطي النفط في هذا البلد ٢٥٠ مليار برميل. لمزيد من التوضيح راجع "أوبك والآثار التخريبية لقيمة النفط"، ص ٧٣.

هذه القوى الكبرى، من شيوعية إلى "ماوية" صينية إلى اشتراكية، كلها سموم. وكل ذلك أعدّ من أجل نهبنا. فهذه الصين التي يقال إنها شيوعية وكذا وإنما مع الجماهير ومع الشعب

رأيت جميعا كيف جاء قائدها إلى طهران أثناء المجزرة الكبيرة في طهران^(١)، والتي قيل إن ٢٠ ألفا قد قتلوا فيها - وان كانت هذه مبالغة فقد يكون سقط في تلك المجزرة حوالي ٤ آلاف - فقد قيل إنه دفن في مقبرة طهران حوالي هذا العدد^(٢)، فهذه القيادة التي يخطئ بعض شبابنا بتصور نفهم لمجتمعنا جاءت إلى إيران في نفس الوقت الذي وقعت فيه تلك المجزرة، وتضافح هذا القائد الشيوعي مع هذا الملك الغاصب ولم يقل كلمة اعتراض واحدة، بل أنه دعم موقف الملك، فهو لم يتساءل حتى لماذا يقتل هؤلاء؟!

ماذا فعل هؤلاء حتى يعاملوا هكذا؟ هؤلاء يقولون: نحن نريد الحرية. هؤلاء يقولون: نحن نريد أن نكون أحرارا، فكل ما نادوا به هو الحرية والاستقلال. لم يقل هذا الإنسان كلمة واحدة في أن هؤلاء بشر.. هؤلاء أناس... فلماذا يعاملون هكذا؟ ما ذنب الطفل الصغير من طلاب الابتدائية - يبدو أنهم يعجزون عن السيطرة على الكبار - فراحوا يقتلون الأطفال من تلاميذ الابتدائية وكل يوم تأتي لنا الأخبار بذلك، قتلوا طلاب الابتدائية. وفتيات المدارس الابتدائية، ١٢ ولدا بنات وأولادا أو بنات. في مكان ما تم قتلهم قبل يومين أو ثلاثة أيام^(٣). لم يقل هذا الإنسان كلمة واحدة لهذا الشقي، لم يسأله ماذا تعمل؟ جاء وتضافح معه والتقىا بصدر مفتوح وذهبا وضحكا على هذه الجماهير المسكينة. وشبابنا يخطئون حينما يتصورون أن هؤلاء مفيدون لهم^(٤) وأولئك الساكنين في قصر الكرملين أيضا. في ١٥ من خرداد - كما هو مشهور - فقد قتلوا ١٥ ألف شخص من الأبرياء^(٥) وقد أيدت صحف الاتحاد السوفيتي الملك. الآن أيضا هم يؤيدونه على ممارساته التي ترونها في إيران، يؤيدون حمامات الدم الدائرة في كل مكان وكل يوم في إيران، وكل ذلك من أجل الغاز الإيراني الذي سال له لعابهم في إيران. ذلك النفط وذلك الغاز الجميع يريدون أن يبقى هذا الشعب ضعيفا متخلفا، الجميع

(١) في ختام التظاهرات والمسيرات يوم الخميس، ١٦ من شهر يور ١٣٥٧ أعلن أن التظاهرات في اليوم التالي ستقام في ساحة الشهداء (جاله) وفي صباح يوم الجمعة تحرك الناس نحو هذه الساحة ووصل عدد المجتمعين إلى ١٠٠ ألف شخص في حوالي الساعة ٦ صباحا. إلا أن القوات لمسلحة حاصرت الساحة من جهاتها الأربع، ووجهت فوهات بنادقها نحو الناس من كل جانب. وفي تلك الساعة أعلنت الإذاعة - وبشكل غير متوقع الأحكام العرفية في طهران و١٠ مدن أخرى! وعلى الفور ابتدأت قوات الجيش برشق الناس بوابل رصاصها. وقد استشهد في هذا اليوم الذي عرف بـ"الجمعة السوداء" أكثر من ٤ آلاف شخص وجرح المئات. أعلن النظام الملكي أن عدد الشهداء ٥٨ شخصا والمجروحين ٢٥ شخصا فقط!!

(٢) دفنت أجساد بعض شهداء ١٧ شهريور في "جنة الزهراء" في قطعة بهذا الاسم "شهداء ١٧ شهريور".

(٣) للإطلاع أكثر على مشاركة طلاب المدارس في التظاهرات واشتباكهم مع مأموري الأحكام العرفية. راجع الصحف في تلك الأيام.

(٤) إشارة إلى الشباب غير الواعين الذين يتجهون إلى الشيوعية نتيجة الإعلام السياسي.

(٥) راجع هوية الخطاب رقم ١٢.

يريدون أن لا تتفتح عيونهم. هم دائما يبلغون ضد الدين وضد العلماء من أجل أن يفصلوا الناس عن تلك الشرعية. ومن أجل أن يفصلوا الناس عن الديانة وعن العلماء. يدفعونهم للنزاع فيما بينهم ليأخذوا هم ثرواتهم. نحن نعطي القتلى ومحمد رضا خان يستفيد وأسياده يستفيدون أكثر.

ماذا بقي لهذا الشعب؟ لم يبقَ لهذا الشعب غير أن يضربوه على رأسه ويطيع أحكام العسكر. أساسا إن الحكومة عسكرية في كل مكان من إيران. وهم يضربون ويقتلون أي شخص يُخرج رأسه من بيته وهو وضع خاص بإيران، ولكم أن تطالعوا وتلاحظوا هل هناك شبيه لذلك في العالم. هل هناك شبيه في العالم لما يحدث في إيران؟ هل رأيتم أن بلدا بأسره تعلن فيه الأحكام العرفية إلى أمد غير محدود؟ حسنا هم لا يستطيعون رفع الأحكام العرفية، لأن الناس وقفوا أمامهم. والآن ورغم الأحكام العرفية فإن الناس تقف بوجههم، ولكن ألا ينبغي أن يتساءلوا لماذا وقفوا بوجههم؟ وماذا يقولون؟ إن الناس وقفوا يقولون ذلك الكلام الذي قاله السيد "كارتر" بالأمس؟ فالسيد "كارتر" يقول: إن الملك يريد أن يعطي حريات واسعة، يريد أن يعطي حرية مطلقة، ويريد أن يبني بلداً متقدماً ومجتمعاً متقدماً. وهؤلاء الناس يعارضون ذلك!!^(١) فمعارضة الناس إذاً هي لأنهم لا يريدون الحرية التي يريد الملك أن يعطيها بالقوة والحرب!! (ضحك الحاضرون).

فالحرب ضرورية لضرب الناس على رؤوسهم وإجبارهم على التمتع بالحرية! الناس لا يريدون مجتمعاً متقدماً، والحرب جاءت لتقول لهم: يجب أن تقبلوا بالمجتمع المتقدم!! اطلبوا!! إن المرء ليحار في أمر "كارتر" هذا، ولا أعلم هل أن فهمه هو حقاً بهذا المقدار أم أن مكره بهذا المقدار؟ هل يريد الاستغفال؟ ومن يستغفل بهذا الكلام؟ ولعل الأمر يكون مفهوماً بالنسبة لأولئك الذين لا يعلمون ماذا يجري في إيران. ولكنكم أنتم تعلمون ماذا يحصل في إيران. نحن نعلم ماذا يحصل في إيران الآن؟، جميعنا نعلم ماذا يريد الناس وماذا يقول هؤلاء.

الناس يقولون: يا سيد نحن نريد أن يكون نفطنا لنا، نحن نريد أن تعود لبلدنا تلك الزراعة التي كانت فيها. لقد خربوا الزراعة يا أخي، هذا (الإصلاح الزراعي) كان بأمر الحكومة الأميركية، من أجل أن يهيئوا سوقاً لتصريف بضائعهم، فحينما يتم القضاء على زراعتنا نصبح محتاجين. والآن أنتم ترون أن كل ما نريده يجب أن

(١) نقلت صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ٢٣ مهر ١٣٥٧ قول كارتر: من الناحية الاستراتيجية فإن وجود علاقات حسنة مع إيران القوية المستقلة هو موضوع حيوي. ثم أشاد كارتر بالملك لإقامة قواعد الديمقراطية في إيران. فقال: نحن نعلن أن عدداً.. يعارض إقامة الديمقراطية. سبب هذه المعارضات للملك، هو إرساؤه لقواعد الديمقراطية في إيران. وأخيراً قام اليساريون والمحافظون بتظاهرات ضد الحكومة الإيرانية! وهكذا اعتبر كارتر أن سبب معارضة الشعب للملك هو "إعطاء الحرية". وقال الملك أيضاً في ٥٧/٣/١٧ في لقاء مع "مجموعة دراسة المسائل الإيرانية في ظل ثورة الملك والشعب": يجب أن يتحمل محبوب الوطن الضجة ويردون عليها في الوقت المناسب.. يقول البعض إن هذه الحريات أدت إلى الضجة والهجوم على البنوك وتخريب المنشآت، ولكننا نقول إن هذه قيمة يجب أن ندفعها للوصول إلى الهدف، أي الحد الأقصى من الحرية في حدود القوانين. راجع رستاخيز ١٧ خرداد ١٣٥٧ هـ.ش.

يأتي من الخارج. زراعتنا أصبحت هكذا، جعلوا زراعتنا بذلك الشكل. حسنا، جاء الناس، جاء أولئك المزارعين المساكين الذين لم يستطيعوا العيش هناك، جاؤوا إلى المدن، إلى طهران^(١)، وطهران الآن تكتظ بالمناطق السكنية المتشكلة من الأكواخ وبيوت الطين.

فهناك حوالي ٣٠ أو ٤٠ منطقة سكنية - كما كتبوا - تتشكل من الأكواخ وبيوت الطين مفتقرة إلى أية خدمة، ولذا فإن على العائلة المتكونة من ١٠ أفراد أن تعيش في خيمة صغيرة في هذا الشتاء البارد ودون ماء. وللحصول على الماء فإن عليهم أن يصعدوا ٥٠ أو ٦٠ درجة ليصلوا إلى حافة الشارع من منزلهم المنخفض ليصلوا إلى حافة ذلك الشارع يأخذوا الماء ويجلبوه من هناك وينزلوا من هذا السلم إلى أطفالهم. فماذا حصل إذًا؟ (إصلاح زراعي) الإصلاح الزراعي أدى إلى تدهور أوضاع الفلاحين. وعندما تتدهور أوضاعهم لا بد لهم أن يتجهوا إلى المدن. جاؤوا إلى المدن فواجهوا هذا المصير. وأصبح وضع هؤلاء المساكين هكذا. لقد تدهورت زراعتنا. فإيران التي كانت مركزا زراعيًا والتي كانت أذربيجان الإيرانية تكفيها، ويفيض منه ما يمكن تصديره أصبحت احتياطي إيران الآن بمقدار ما يكفي لشهر واحد أو ثلاثين يومًا، وثلاثة وثلاثين يومًا، وهذا ما يذكره المتخصصون فهم يقولون إن لدى إيران ما يكفيها لثلاثة وثلاثين يومًا، بعد ذلك عليهم أن يستوردوا ما يحتاجون من الخارج!!.

حسنا، هؤلاء الإيرانيون اجتمعوا وانطلق صوتهم، أن هناك إضرابا الآن في مختلف أنحاء إيران، ولو أنهم رفعوا هذه الأحكام العرفية والعسكرية، فإن الناس سيقضون على هذا الجهاز في ساعة واحدة وسيطردونهم جميعا، لأنهم رأوا سوءاً من هؤلاء. إن هؤلاء الناس عجبون فأولئك يريدون إعطاءهم الحرية لكنهم لا يحبون الرفاه!! لا يحبون الحياة الجيدة! يقولون يجب أن ننام على التراب! أو أنهم يرون أولئك وهم ينهبون ثرواتهم وهم مصرون على العيش في وضع مدقع؟ هذا صراخهم!! ماذا يقول السيد "كارتر" هذا؟ ماذا يقول هؤلاء؟ لماذا يأخذون نفطنا؟ لماذا يأخذونه مجانا. إن أولئك يأخذون نفطنا والسادة يقولون: إننا اشترينا أسلحة. ماذا تريد أن تفعل الأسلحة؟ الأسلحة التي اشتروها هي أسلحة لا يعرف هؤلاء كيفية الاستفادة منها، إيران لا معرفة لها

(١) قبل ما يسمى بالثورة البيضاء، كان ٢٥ ٪ من سكان إيران يسكنون في المدن، وبقية الناس كانوا يعملون في الزراعة وتربية المواشي في القرى والقصبات. وقد أدى إجراء قواعد الثورة البيضاء إلى وصول عدد سكان طهران من مليون و٣٠٠ ألف نسمة في سنة ١٩٥٤ إلى ٥ ملايين ونصف مليون نسمة سنة ١٩٥٧. وكان سبب هجرة القرويين هو أن الحكومة أخذت منهم الأراضي الزراعية، أسست شركات زراعية مساهمة. ولكن هذه الشركات لم تكن تتمتع بإمكانية ونشاط أشخاص من أهل التجربة والأخصائيين. وقد أخذت شركات الزراعة والصناعة ما تبقى من الأراضي الموزعة بين الفلاحين عن طريق مشاركة الرأسماليين الكبار في الداخل والخارج. وهكذا تدهورت أوضاع الفلاحين، ودفعهم الفقر والبؤس نحو المدن الكبيرة. وقد أدت جاذبية السكن في المدن وانحصار العمل في المعامل الصناعية المرتبطة ووسوسة الأشغال الكاذبة إلى هجوم القرويين نحو المدن الكبيرة ولكن هجرتهم لم تؤد إلى انهيار أساس الحياة في المدن فقط. بل أنها وجهت ضربة مهلكة إلى الزراعة في إيران، وخلال فترة قصيرة تبدل المجتمع الإيراني إلى مجتمع استهلاكي للبضائع الأجنبية. في هذا الصدد راجع ظهور وسقوط السلطنة البهلوية. مذكرات المشير السابق حسن فردوست، ج ١، ص ٢٧٣.

باستعمال هذه الأسلحة، هذه أسلحة صنعها هؤلاء ليتمكن شياطينهم من استعمالها. وإلا فإن هؤلاء لا يتمكنون من ذلك. المستشارون جاؤوا من أجل أن يظلوا هنا. فيصبح نظامنا نظاما طفيليا، وهو هكذا. وهنا يطالع المتخصصون للعثور على الطريقة المثلى لابتلاع هذه اللقمة الدسمة، بشكل أفضل والبقاء هكذا. أن يسعون لإبقاء هذا الشعب ساكنا. وإذا تكلم فهو شعب وحشي!! الشعب الوحشي يصرخ أيها السيد حررونا!! الشعب الوحشي يصرخ: أيها السيد لا تأكلوا مالنا!! أما أولئك فليسوا وحشين!! هؤلاء متقدمون! وينبغي أن يأكلوا مال الناس!! وينهبونه!!

لقد أطلق شعبنا - من طفله الصغير حتى شيخه الهرم - صرخته لأنه يرى أن بلده يسقط! ويتعرض للزوال، لقد رأوا أن عليهم إنقاذ هذا البلد، ولهذا ترون أنهم يضحون بالأنفس. فأطفالهم يقتلون وهم يصرون على الرفض ويتابعون سيرتهم. هذا وضع بلدنا إيران، وهذا وضع الدول الكبيرة معنا.

ونحن مسؤولون، نحن الموجودون هنا - أنتم الجالسون هنا وأنا - مكلفون بأن نضم صوتنا لصوتهم. يجب أن نساعدهم ما تمكنا من ذلك. وهي ليست مساعدة للغير، إنها مساعدة لأنفسكم. أولئك ثاروا من أجلكم. الشعب الإيراني يعطي الآن دمه من أجلكم، ومن أجلكم هم يضحون بأطفالهم وأولادهم، علينا أن نساعدهم. لا تتصوروا أننا - الموجودون هنا - ليس لدينا تكليف. كلنا مكلفون وجدانيا، شرعيا. لدينا تكليف عقلي أن نسير مع هؤلاء المظلومين الذين ثاروا ويريدون أن يأخذوا حقهم. حقهم ذلك الذي هو حقنا أيضا، لكن دعما لهم. فإذا كنا نستطيع أن نكتب مقالة فلنكتب، نستطيع أن نكتب شيئا في صحيفة فلنكتب.

لنسع ما استطعنا في هذه الجامعات التي ندرس فيها لتوضيح قضيتنا للناس، لنوضح للناس الموجودين هنا ما يحدث هناك. أوضحوا هذه المسائل. أخي انشر قضايا إيران، كل منكم، ليسع في هذا الاتجاه، في أية نقطة كنتم، ولو قولوا بتأوه قلب. صحفهم قد تكتب أحيانا ما يتعلق بقضيتنا، ولكن يجب أن تتحركوا أنتم، يجب أن تقوموا أنتم بالكتابة، يجب أن يتضح هذا الوضع المضطرب في إيران لجميع العالم.

وإذا وقف شعب وأراد حقه، فإن الحراب لا تستطيع منعه، الحراب لا تقدر أساسا أن تقف في مواجهة القبضات، وإن من الوهم أن نتصور أن القبضات لا يمكنها مواجهة الحراب. عندما يقول شعب: إنني لا أريد هذا الأمر، فإن جميع قوى العالم لو اجتمعت لا تستطيع أن تفرضه عليه. لا يستطيعون أن يفرضوا على إيران أن تقبل بالملك، لا يستطيعون. فقد وقف الملك هناك مدعوما من الغير. ولكن الناس لا يقبلونه. الناس يصرخون: لا نريد الملك. الناس لا يقبلوا به. الإيرانيون لم يقبلوا ولن يقبلوا بهذا العار، لأنهم رأوا أن هذا الإنسان ضيع جميع مصالح الإسلام ومصالح البلد، وفي نفس الوقت فهو يقول: نحن أعطينا الحرية، ولا أدري ماذا أعطينا، وأعطينا لإيران تقدما! تقدمهم هو هذا الذي ترونه، حريتهم هي هذه التي يفرضونها بالحراب، نحن مكلفون أن نخدم هؤلاء الناس، هؤلاء المساكين، هؤلاء القتلى من الشبان. نحن مكلفون بخدمة هؤلاء وخدمة أولئك تعني خدمة أنفسنا، أي أننا جميعا شركاء في ثروات إيران، وإذا أصبح بلدنا بلدا مستقلا غير تابع للغير، وإذا أصبح

بلدنا بلدا هادئا، وإذا صار بلدنا بلدا مرفها، فنحن جزء من ذلك البلد أيضا، نحن أيضا سنكون في رفاه. هؤلاء ثاروا ونحن يجب أن نكون من ورائهم، ولا يحق لنا أن نتعلل بأننا في أوروبا وفي أميركا وأن هؤلاء في إيران. هذا ليس عذرا. أنتم الموجودون في أميركا عليكم أن تقدموا ما استطعتم من العون، وأنتم الموجودون في باريس أيضا، عليكم تقديم ما يسعكم، وأنا الموجود هنا عليّ أن أقدم ما أستطيع، فأنا الآن التقيت بكم الآن وقلت لكم شيئا على قدر استطاعتي. وتكلمت بما أمكنني، أنتم أيضا اتفقوا مع أصدقائكم المتواجدين هنا في هذا المكان أو خارج هذا المكان وغيرهم. اتفقوا أن تساعدوا هذه النهضة الموجودة.

التاريخ لم يحدثنا عن نهضة شبيهة لتلك القائمة في إيران الآن. تاريخ إيران لم تمر به من هذه النهضة التي وقفت فيها كل إيران. الطفل يقول: الموت للملك. الرجل الكبير يقول: الموت للملك. لم تحدث لدينا مثل هذه النهضة في إيران. فلا تدعوا هذه النهضة تخمد حتى يزول هؤلاء. حتى تذهب هذه الهيئة الحاكمة، وتأتي هيئة حاكمة مستقيمة.

حفظكم الله جميعا إن شاء الله، موفقون. عسى الله أن ينجي المسلمين من شر هؤلاء، ويقطع شر هذه القوى الكبرى حتى لا يتسنى لها فرض مثل هؤلاء الخدم على بلاد المسلمين (الحاضرون: آمين) أحد الحاضرين: حفظكم الله. الإمام: موفقون.

هوية الخطاب رقم - ٣٣

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ١١ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الأبعاد الشاملة للإنسان في العقيدة الإسلامية.

المناسبة: إقرار الملك في ارتكاب مذابح عامة في أربعين شهداء ١٧ شهر بور.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائج

أعلن الإمام الخميني يوم الاثنين ٢٤ مهر ١٣٥٧ والذي يصادف أربعينية شهداء مذبحه ١٧ شهر بور حدادا عاما، ودعا الشعب^(١) إلى إقامة مراسم العزاء. وقد انتشرت شائعات في طهران قبل ذلك بيومين أو ثلاثة تفيد بأن قوات الدرك والجيش سوف تقمع التظاهرات بقسوة، وسوف تحوّل طهران إلى حمّامات دم. ومما عزز هذه الشائعات انتشار الناقلات المدرعة والشاحنات المحملة بالجنود واستقرارها في النقاط الحساسة من العاصمة، وكانت قوات الجيش تمنع من التجمع لعدة أشخاص.

(١) أصدر مراجع التقليد في قم بيانا أعلنوا فيه يوم الاثنين ٢٣ مهر ٥٧ حدادا عاما. جريدة "اطلاعات" ٥٧/٧/٢٣.

من جهة أخرى أعلنت حكومة البعث في العراق في بيان رسمي: أن آية الله العظمى الخميني، زعيم الشيعة في العالم، قد غادر الأراضي العراقية بناءً على رغبة منه. كما علّقت وكالة الأنباء العراقية: أن العراق سوف يستقبل آية الله الخميني مرة أخرى، بشرط احترامه لقوانين اللجوء السياسي والقوانين الدولية^(١). كما انتشرت أخبار حول عزم الحكومة الفرنسية التضييق على الإمام الخميني في باريس. وإثر ذلك أصدر تجار "البازار" بياناً أوردته صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية في تقريرها: "تجار طهران يهددون بمقاطعة البضائع الفرنسية إذا ما تعرض الإمام الخميني إلى المضايقات".

وأفادت التقارير حول استشهاد معلّم في إحدى مدن إقليم "لرستان" خلال التظاهرات. من جهة أخرى نفذت السجينات السياسيات في سجن "قصر" إضراباً عن الطعام وانضم الفريق الطبي إلى المضربين.

وقد تصاعدت حدة الشائعات حول عزم النظام في ارتكاب مذبحه مروعة على غرار مذبحه ١٧ شهريور، وكان أفراد مجهولون يتصلون بالصحف ويؤكدون على أن "واجبكم أن تكتبوا حول هذا الموضوع لمنع وقوع المذبحة. إن سمو الملك قد أصدر أوامره في قمع التظاهرات دون رحمة".

وتصل الأنباء إلى باريس ويعرب الإمام الخميني عن قلقه إزاء ذلك.

وكان المراقبون الغربيون ينتظرون مفاجآت يوم الاثنين المقبل التي قد تتمخض عن نداءات الإمام.

وقد شلّت الإضرابات الحياة في مدينة طهران وأغلق "البازار" أبوابه. وخرجت تظاهرات في مناطق متعددة من طهران وتعطلت الدراسة في أنحاء البلاد.

وقدم الدكتور "نهاوندي" (مسؤول مكتب فرح السابق ووزير التعليم العالي في حكومة شريف إمامي) استقالته.

والدكتور "أميني" يعلن موافقة على تشكيل حكومة جديدة بشروط، و"اللقاء مع آية الله الخميني مباشرة سوف يحل الكثير من المشكلات"، وتحولت مراسم الحداد إلى تظاهرات دامية في كثير من المدن. وأفادت تقارير المراسلين عن مصرع ١٢ شخصاً ومئات الجرحى.

وجلاوزة الملك يشعلون النار في مسجد كرمان وينهالون على الناس بالضرب وهم يهتفون "الخلود للملك".. كما أطلق الجنود غازات الإغماء، سلبت الناس القدرة في الدفاع عن النفس، وأعقب ذلك هجوم

(١) جاءت التصريحات العراقية استجابة لضغط الرأي العام، في حين تشير تقارير السافاك إلى زيارة وفد إيراني رفيع المستوى العراق أكثر من مرة ولقائه سعدون شاكراً حيث تم التنسيق بين النظامين حول السبل الكفيلة في شل نشاط الإمام الخميني (راجع مقدمة الكتاب). وقد صرح السفير الأميركي في طهران في ١٢ مهر ٥٧ "كان لقاء وزير الخارجية الأميركي - فانس مع نظيره الإيراني إفسار - مشمراً، وكان السيد إفسار قد تحدث مع العراقيين وكما يبدو فإن العلاقات بين البلدين تتجه نحو الأفضل!!" (فرازاهاي از تاريخ انقلاب به روايت اسناد ساواك وأمريكا من ١٥٦) قد تزامنت التصريحات في وقت وجد الإمام نفسه؟؟؟ لمغادرة النجف والتوجه إلى الكويت.

المرتزقة وبأيديهم العصي على المحلات في المدينة، وأضرمو النار في بعضها خاصة التي تحمل صورة الإمام الخميني.

وقد عم الغضب الشعبي إزاء هذه الجريمة.

وقد حمل الإمام الخميني في هذا الخطاب الحكومة الأميركية مسؤولية بقاء النظام واستمرار جرائمه.

كما تطرق الإمام في خطابه إلى شخصية الإنسان وشمولية الإسلام، وأن الفلاسفة والعرفاء المسلمين قد ركزوا على جانب واحد وغفلوا عن سائر الجوانب. وفي ختام الخطاب أشار الإمام إلى ما يجري في إيران وخطورة مسؤولية الإيرانيين المقيمين في خارج البلاد.

الخطاب رقم - ٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أطلعوني الآن على قرار الملك بارتكاب مذبة كبرى بحق المسلمين الذين سيضربون غداً احتجاجاً على المذابح.

لقد قلت مراراً بأن هذا الإنسان قد فقد السيطرة على أعصابه، وإنه الآن يعيش حالة من الجنون. ولأنه يشعر بانطواء عمره، فإنه يريد أن يتنقم من شعب إيران. لقد ارتكب ما مضى من الجرائم، ولأن الشعب ما يزال صامداً يطالبه بالرحيل. وقد أدرك بأن عليه أن يرحل، فإنه يريد أن يقوم بمذابح جنونية ضد الشعب، لقد ذكر ذلك في بعض أحاديثه: "إذا توجب علي الرحيل فإنني سأحوّل إيران إلى تلّ من تراب، نعم سأحوّل إيران إلى تلّ من تراب ثم أرحل".

وقد أصبح واضحاً أنه يروم ذلك، واليوم قد اطلعت، أعني اتصلوا هاتفياً من إيران حول استعدادات لارتكاب مذبة كبرى. نحن لا ندري ما الذي سنفعله إزاء هذا النظام. وأمتنا المظلومة قد ابتليت بإنسان مجنون، قد فقد عقله!! نعم لا ندري ماذا نفعل!؟

أنا أشعر بالحزن إذا حلّ الغد وظهرت صحة ما قيل، وذبح الشعب برصاص البنادق وقذائف المدافع وسحق الدبابات، ثم يرحل بعد أن يترك البلاد أرضاً بلا إنسان.

لقد ابتلينا بهكذا مخلوق، وإننا ندعو الله - ينبغي أن ندعو الله أن يمر ذلك بسلام فلو حدث ذلك فإن مصيبة كبرى ستحل بإيران، رغم أن زوال هذا سيجبر كل المصائب، ولكن لماذا نفسح له المجال ليرتكب ذلك؟ صحيح أنه مدعوم بينادق أميركا وأسلحتها، ولو كان غير ذلك لما أبقى عليه الشعب ولما أبقى على حكومته، ما يزال المستشارون الأميركيون وهذه أواخر عمره وأنه زائل لا محالة.

هذا ما وددت قوله للسادة المحترمين، وسأذكره غدا، وقبل هذا أود أن أوضح لكم أن مجلس الغد يشمل جميع الطلاب وغيرهم من الإيرانيين الذين يقيمون في خارج البلاد. إنه مجلس الجميع، وكما هو منزلي فإنه منزلكم جميعا، وأبوابه مفتوحة على الدوام. المجلس لا يخص أحد أبدا.. كلا إنه يخص الجميع وليس لأحد حق التدخل في ذلك.. الكل سواسية، وأنا أحبكم جميعا لا أميز بين أحد على آخر.. أنا أدعو لكم كلكم.. وأرجو ألا يتوهم البعض فيظنون بأنني صديق لطبقة خاصة، كلا.. أنا رفيق الجميع^(١).

ولو سمحت الظروف غدا فسأفصل الموضوع أكثر حتى لا تبقى شبهة عالقة.. إن مصيبة الإسلام، قديما وحديثا، هو أن الذين بحثوا فيه لم يفهموه على حقيقته وفي كل أبعاده.

كل فرد ينظر إليه من خلال إدراكه فيرى بعدا واحدا منه، وكل يجده في الإسلام وفي القرآن خاضع لتلك النظرة الأحادية.

فقد كان الكلاميون في القرون الماضية لا يفهمون الإسلام إلا من خلال إدراكهم ليكون ديننا مبنيا على قواعد الكلام. أما الفلاسفة فكانوا ينظرون إلى الإسلام كعقيدة فلسفية، فيما كان العرفاء يدركون الجانب العرفاني في الإسلام فقط فهو في رأيهم عقيدة عرفانية، ومن ذلك الوقت وإلى يومنا هذا والإسلام ما يزال مجهولا بعد.

فما تزال كل طائفة تنظر إلى بُعد واحد منه، ومن هنا فإنهم يبحثون الإسلام في ضوء إدراكهم وفهمهم. فهم ينظرون إلى آيات القرآن وأحاديث النبي (ص) والأئمة (ع) من خلال فهمهم الخاص. يأخذون من الإسلام ما يوافق حساباتهم، يتصفحون الأوراق ويقفون أمام الصفحة التي تتلاءم وذوقهم.

من أجل ذلك وعندما نريد أن ننظر إلى بُعد الإسلام الدنيوي، إلى الجانب الحكومي منه، فإننا لا نرى شيئا، نراه يزخر بالمسائل الفلسفية والعرفانية. أما الإسلام كدين للحياة، كيف يعيش الشعب وما هو شكل الحكومة الإسلامية؟ وما علاقة المجتمع بالطبيعة؟ عندما نريد أن نرى كل ذلك فإننا لن نجد شيئا.. كل ما هو موجود يهتم بما وراء الطبيعة.. مسائل العرفان وقضايا الفلسفة..

وحان دور المتأخرين.. وكان موقفهم رد فعل لمن سبقوهم.. فإذا كان الإسلام في نظر أولئك ديننا معنويا منحصر في شؤون الفلسفة ووسائل العرفان فإن هؤلاء نبذوا ذلك بعيدا وتوقفوا عند صفحته المادية، فإذا الإسلام في نظرهم مجرد عقيدة مادية.

(١) كان من المقرر عقد جلسة في "توفل لوشاتو" بمناسبة مرور أربعين يوما على مذبحه ١٧ شهريور وقد أعلنت كل من الجبهة الوطنية وحركة التحرر والطلاب - فرع أوروبا اختصاصهم بها. من جهة أخرى عقدت اتحادات الطلبة المسلمون في أوروبا جلسة في "باريس"، حالت الحكومة الفرنسية دون اشتراك الإمام فيها، ولهذا جاء حديث الإمام حول هذه المسألة وليضع حدا للخلاف.

ومثلما كان الإسلام في نظر أولئك عقيدة روحية انسلخت عن أصلها، فحتى الآيات التي تناقش مسألة القتال مع المشركين، فسروها صراعا مع النفس والغرائز. فإن هؤلاء ليقفوا موقفا مغايرا ليلائم العصر الذي يعيشون فيه عصر التقدم العلمي وعصر العلوم القريبة، فكان موقفهم متأثرا بالدعاية الغربية، وجاء فهمهم للإسلام فهما ماديا.

لقد غفل السابقون عن الطبيعة والحياة، ودعوا الناس إلى الباطن، وجاء هؤلاء فدعوا إلى المادية غافلين عن الجانب المعنوي. وكلا الطرفين على خطأ في الفهم.

إن الإسلام لا ينحصر في الجانب المعنوي فقط، إنه يحفل بكل ما هو معنوي، ولكنه لا يقتصر عليه فقط، والإسلام لا ينحصر بالمادة، إنه كذلك يزخر بالماديات ولكنه لا يتوقف عليها.

الإسلام عقيدة لصنع الإنسان.. والإنسان كما يصرح البعض ما يزال مجهولا، لم تُكتشف أبعاده كلها بعد.. فما هي أبعاد الإنسان وما هي حاجاته؟ والإسلام الذي جاء لصياغة الإنسان، ترى هل جاء لصياغة الجانب الحيواني فيه؟ أم الجانب المعنوي؟ أم جاء لصياغة الإنسان بما هو إنسان؟

الإنسان يمتاز على سائر الموجودات، الحيوانات مثلا تمتاز على النباتات والجماد بدرجة إدراكها، ولكن إدراكها هذا يبقى قاصدا في الطبيعة وفي ما وراء الطبيعة.

الإنسان وحده الذي يدرك الوجود بأسره، إنه موجود إلهي.. الإنسان وحده الذي يطوي الوجود من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة ومن وراء الطبيعة إلى الله. الإنسان موجود شامل، لا ينحصر ببعده واحد أو بعدين.

إن سائر الموجودات تتألف من بعد أو بعدين أو أكثر، ولكن شمولية الأبعاد لا توجد في سائر الموجودات. الإنسان وحده يمتاز بهذه الشمولية، ليست لأبعاده حدود، وكلل بُعد حاجاته لكي ينمو.

إن كل العقائد اليوم، والتي يزخر العالم بها، وباستثناء الإسلام وعقيدة التوحيد وعقيدة الأنبياء، هي عقائد مادية تنظر إلى الإنسان كحيوان، لا هم له سوى الأكل والنوم. الحيوانات تشاركنا في الأكل والنوم، ولكن هؤلاء يجعلون يدورون حول هذا الجانب، حول البعد المادي فيه، ثم يتبحّون بما يدعونه "الواقع" أو عالم الطبيعة، غافلين عن عوالم أخرى لا تدركها أذهانهم القاصرة.

وهي عوالم أكثر واقعية حتى من "الواقع"، إن عالم الطبيعة هو آخر العوالم في سلم الوجود. بل هو أخطر العوالم.

وليس الأمر كما يفهمون، والإنسان ليس موجود "طبيعي" أو موجود في عالم الطبيعة مقطوعا عن عوالم رفيعة، الإنسان له عوالم أسمى..

والذين حلّقوا إلى تلك العوالم بعيدا عن عوالم الطبيعة هم مخطئون.. كما أن الذين انشدوا إلى هذا العالم المادي غافلين عن عوالم ما وراء الطبيعة هم أيضا مخطئون.

الإسلام للإنسان الشمولي، من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة إلى عالم الألوهية... الإسلام له برنامج.. الإسلام يريد صنع الإنسان الشمولي.. كما هي فطرته التي يريد لها النمو المتكامل.. يلبي حظه من الطبيعة.. حظه من البرزخ.. حظه من الروح لكي تتكامل.. حظه من العقل ليكون أكثر إدراكا.. حظه من الألوهية لينمي في نفسه الجانب الألوهي.. وكل هذا أبعاد في داخل الإنسان، وهي ناقصة وتنشد الكمال، ومن أجل ذلك جاءت الأديان لترفع النقص وتضع الإنسان في طريق التكامل.. لقد جاءت لتنضج هذه الفاكهة.

وعلى السادة ألا يسقطوا في شرك الغرب الذي هو في شرك الطبيعة.. ليس هناك من أحد يفكر في ما وراء الطبيعة.. ليحذر السادة من الانخداع بهذه القواعد، عليهم ألا يتصوروا بأن الإنسان مجرد طعام ونوم ولا شيء سوى ذلك.

من الخطأ أن نفهم الآيات والروايات التي جاءت من أجل تكامل الإنسان أن نفهمها هكذا.. علينا أن نضع كل شيء في مكانه المناسب، الإنسان نموه الطبيعي المطلوب والممكن والصحيح.. وعلى أساس من موازين العفة والصلاح.. وهكذا في كل أبعاده إلى أن يصبح إنساناً.

أن يصير الإنسان إنساناً أمر صعب ولكنه ضروري. إن ما أريد أن أقوله هو أن الإسلام لم يأت ليربي حيواناً.. لم يأت ليوفر الطعام لهذا الحيوان أو يوفر له مكاناً للنوم.. هذا جانب واحد من المهمة تليه جوانب أخرى.. أبعاد أخرى تنتظر النمو.. الإسلام يريد أن يربي الإنسان أيضاً.. ومن هنا جاءت شريعة الإسلام، إنها لا تهتم في جانب أو بعد دون آخر.

للإسلام قانونه في الحكومة، وله قانون في الإدارة، وله قانونه في المجتمع وفي الحرب.. وله أيضاً طريقه في الوصول إلى ما وراء الطبيعة، كل هذا في الإسلام.

الإسلام لا ينطوي في بعد واحد.. لكي يدعي أحدهم بفهم الإسلام كاملاً عندما يفهم تاريخ الإسلام، وكيف عاش المجتمع الإسلامي أو فهم قانونه الطبيعي.

إن قضايا الإسلام أسمى وأعلى بكثير من هذا، إنه حافل بالأبعاد، وعلى من يريد معرفة الإسلام أن يتأمل جيداً في القرآن والمبدأ الأساس فيه.. القرآن ينطوي على كافة الأبعاد، عليه ألا يأخذ بعض آياته ويدع البعض الآخر، عليه ألا يأخذ الآيات التي تخص الحكومة في الإسلام ثم يرفض آيات القيامة والبعث والمعاد. والذين فعلوا هذا يتصورون أن آيات القيامة واليوم الآخر هو مجرد خيال، كلاً إنها عين الواقع بل إنها أكثر واقعية من الطبيعة التي نحيا فيها وكل ما في الأمر أننا لم ندرك ذلك بعد.

وعلى كل حال أسأل الله تعالى التوفيق لكل "الطلاب" في أوروبا، وفي أن لا يحصروا الإسلام في حقيبة تشبه الشيوعية والماركسية أو العقائد الأخرى. والذين لا يفهمون الإسلام يتصورون أنه يشبه سائر العقائد.

وأجد من واجبي أن أذكر موضوعاً آخر هو واجبنا جميعاً، إننا الآن في حالة استقرار، وإيران قلقة غير مستقرة، نحن قلقون إزاء مستقبل إيران، لا ندري ماذا سيحصل غداً في إيران، ينبغي أن نفكر، وهاجسي الآن هو ماذا علينا أن نفعل.

منذ عام وإيران مضطربة في كل زاوية منها ثورة، وفي كل مدينة إضراب، وقد عمت الإضرابات إيران بأسرها، كل المصانع والصحف، العمال أعلنوا جميعاً الإضراب، إننا نعيش حالة من الاستقرار ويتوجب علينا ألا ننسى أولئك علينا أن نمد لهم يد العون كل حسب طاقته، نساعدهم بأقلامنا، فالقلم سلاح، والصحافة تفضح الظلم الذي يحيق بأممتنا والنظام الذي يرتكب الجرائم بها، يمكننا أن نعكس كل ذلك في الصحافة.

وإذا لم يكن بمقدور أحد أن يفعل شيئاً فليدعوا الله أن يتخذ أولئك الذين ابتلوا بالنظام المنحط.

ليوفقكم الله جميعاً، وإذا سنحت الفرصة غداً سأحدث معكم إن شاء الله (صلوات الحاضرين) وأقدم اعتذاري للسادة إذا تأخرت في الحضور واختصرت الحديث، وهذه من علامات الشيخوخة، فأنا الآن في حدود الثمانين، وانتم والحمد لله ما تزالون شباباً، تملكون القوة في المقاومة، فاستمروا في اجتماعكم، واعتذر عن عجزني في المكوث بينكم (تكبير الحاضرين).

هوية الخطاب رقم - ٣٤

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ١٢ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: دراسة الاستعماريين لعادات وتقاليد الشرق.

المناسبة: وفود الطلاب المسلمين المجاهدين خارج البلاد إلى باريس.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

انتهت الرقابة على الصحف إلى حدٍّ ما. ونشرت مقالات وتقارير حول الأوضاع. إلا أن الصحف ما تزال مترددة في الكتابة عن جرائم الملك والأسرة الحاكمة. وكل ما يطبع هو في إطار تقارير تعكس استمرار الثورة.

فتقرأ مثلاً: "عشرات الآلاف يقيمون مراسم العزاء في مقبرة جنة الزهراء بمناسبة أربعين شهداء ١٧ شهر يور"

أو: "الإضراب يشل مؤسسات الفن والموانئ، مصافي آبادان، مصرف العمران، شركة "جنرال موتورز"،

مصانع (مقدم)، مديرية التسجيل العامة، وزارة التجارة ومصانع النداء.."

من جهة أخرى، ترددت الأنباء حول عزم الحكومة الفرنسية في التضييق على نشاط الإمام الخميني ومنعه من اللقاء مع المراسلين أو الإدلاء بالتصريحات^(١) والشعب الإيراني يطالب بمنح قائده الحرية الكاملة، والمحافل الدولية تعكس محافل الشعب الثائر^(٢).

وقد أبرقت جمعية الحقوقيين الإيرانيين إلى مجلس القضاء الفرنسي، وأكدت اعترافها على الإجراءات الفرنسية: "تأمل من المجلس الذي يمثل الأمة الفرنسية أن يعامل الإمام الخميني كضيف على الشعب الفرنسي، والاستفادة من هذه الفرصة في تعزيز أواصر الأحرار في العالم".^(٣)

وكان لقوة شخصية الإمام الخميني وقيادته الحازمة والتفاف عامة الشعب حوله، الأثر في انتفاء مشكلة الفراغ القيادي الذي يعد معضلة الثورات الشعبية.

وفي تلك المرحلة شهدت الساحة السياسية تجمع بعض الأحزاب والفصائل الصغيرة والهامشية حول بعضها تشغل مساحة أكبر، كما شهدت الساحة شعارات جديدة في الصراع مع الملك مثل سياسة الخطوة خطوة^(٤)... إلغاء الحكومة العسكرية.. إقرار الديمقراطية.. العودة إلى الدستور والنظام الدستوري وبعث الروح الوطنية، وقد روجت للمشروع أحزاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، بينما الشعب الإيراني يصرخ مدويا: "الاستقلال.. الحرية.. الجمهورية الإسلامية.. وشعارنا حسيني قائدنا الخميني".. كما شهدت تلك الفترة تشكيل حكومة الوفاق الوطني ولقاءات سرية وعلمية بين قادة الأحزاب وبعض الزعامات الدينية في محاولة لإنقاذ نظام الملك وحل الأزمة.

وكان الإمام الخميني واثقا من استمرار الثورة بمنأى عن الأعياب الساسة الذين بذلوا قصارى جهدهم لإنقاذ الحكم الملكي. وقد أضحت شعارات "انتصار الدم على السيف" ... "الموت للملك" نشيدا للشعب الإيراني.

(١) جريدة "اطلاعات" ١٣٥٧/٧/١٧، نقلا عن "وكالة الأنباء الفرنسية" و"الأسوشيتدبرس"، وقد أشارت "اطلاعات" أيضا وفي نفس العدد إلى المضايقات الفرنسية. إعلان علماء أندونيسيا والشعب الليبي والحكومة الجزائرية عن ترحيبهم بالإمام واستضافته في بلدانهم، كما أشارت الصحيفة عن غضب الشعب الكويتي إزاء موقف حكومته في منع دخول الإمام الكويت حيث خرجت مسيرة احتجاج على القرار الرسمي وذلك في ١٤ مهر. "اطلاعات" ١٣٥٧/٧/١٧.

(٢) أوردت "وكالة أنباء باريس" التقرير التالي: ٣٤٠ من أساتذة الجامعات في طهران وأصفهان وشيراز يوجهون نداء إلى جيسكار ديستان (رئيس الجمهورية الفرنسية) يطالبون فيه منح الإمام الخميني حرية التعبير عن رأيه خلال إقامته في فرنسا. (تقويم تاريخ انقلاب إسلامي إيران، ص ١٥٦).

(٣) جريدة "اطلاعات" ١٣٥٧/٧/١٧.

(٤) روجت "حركة الحرية" وبدعم من السيد شريعتمداري إلى شعار: النضال خطوة خطوة مقابل سياسة الإمام الحازمة. أنظر الهامش رقم ٢، ص ٤٠٩.

وكانت القاعدة الشعبية للثورة الإسلامية تتسع يوما بعد آخر وتشق طريقها نحو هدفها المنشود في الإطاحة بالنظام الملكي وتشكيل الحكومة الإسلامية، وكانت الصحف تعكس بجلاء ما يجري من حوادث يومية، ففي يوم ٢٦ مهر ١٣٥٧ أوردت تقارير الصحف ما يلي:

- جرح عدة معلمين في تظاهرات إقليم لارستان فارس، وجرح ثلاثة أشخاص في حوادث إطلاق النار في مدينة محلات.

- التحاق ثلاثة آلاف من العاملين في مصافي آبادان بالمضربين.

- شرطة الحكومة العسكرية توجه نيران أسلحتها نحو آلاف المتظاهرين في مدينة مشهد ومصرع ما لا يقل عن شخصين.

- السجناء السياسيون في تبريز يبدأون إضرابهم عن الطعام.

وقد أخفقت حكومة إمامي العسكرية في إعادة الهدوء إلى الشارع الإيراني بالرغم من الوسائل القمعية التي لم تزد الأوضاع إلا سوءاً، وتصاعدت حدة التظاهرات والصدامات وزادت وتيرة التشنج في أغلب مدن إيران.

كتب "ويليام سوليفان" السفير المؤقت للولايات المتحدة في إيران في كتابه "مهمة في إيران": أوفدت إنكلترا فريقاً صغيراً من خبراء مكافحة الشغب إلى طهران، وقد أوصى الفريق بالاستفادة من التجربة الإنكليزية في إيرلندا، واستيراد المعدات اللازمة من قبيل القذائف البلاستيكية. وكانت إيران قد استوردت كميات هائلة من الغازات المسيلة للدموع في وقت سابق. وقد كان الجنود في أغلب الأحيان يترددون في توجيه أسلحتهم مباشرة نحو الشعب، مما زاد من جرأة المتظاهرين، كما قامت الفتيات بنشر الزهور أو وضعها في فوهات البنادق على طريقة ثوار البرتغال كإعلان للمحبة والأخوة^(١).

كما كتب الجنرال "عباس قره باغي" حول عدم اكتراث الشعب بالحكم العسكري:.. تحدثت في إحدى الجلسات الوزارية وبصفتي وزيراً للداخلية، وقلت إن الأوضاع لم تتحسن في ظل الحكومة العسكرية، بل إنها ازدادت سوءاً. وإن منظمة أمن الإمبراطورية (السافاك) وقفت هي الأخرى عاجزة، كما أنها تبدو عاجزة أيضاً في التنبؤ ببعض الحوادث أو منع وقوعها، وفي رأيي أنه يجب البحث عن حل جزري يمكن أن يعيد الاستقرار إلى البلاد^(٢).

(١) كتاب "مهمة في إيران"، ص ١١٩ و ١٢٠.

(٢) كتاب "اعترافات جنرال"، ص ٢٦ و ٢٧.

وتزايدت أعداد المريدين للإمام في باريس، وكانت "نوفل لوشاتو" تكتظ بأعداد الوافدين للمشاركة في صلاة الجماعة التي كانت تقام ظهرا ومساءً، وكان عشرات المراسلين يراقبون بدهشة واحدة من أجل الظواهر الاجتماعية. وهكذا أصبحت "نوفل لوشاتو" من أمثل المراكز الخيرية في العالم نشاطا.

غير أن الحكومة الفرنسية ما تزال تواصل وضع العراقيل والتضييق على الإمام، وبالرغم من ذلك فقد التقى الإمام جموعا غفيرة من شعبه وفي طليعتهم الطلبة، وألقى فيهم خطابه في ٢٣ مهر ١٣٥٧ وذلك قبل صلاة الظهر.

جلس الإمام الخميني - قائد أعظم ثورة شعبية في العصر الحديث - إلى أفراد شعبه كأحدهم بكل تواضع ومحبة.. وراح يستعرض جانبا من تاريخ العالم الإسلامي والخطط الاستعمارية لإنكلترا وأميركا والدول الأخرى التي وضعت من أجل البحث عن كنوز العالم الإسلامي ونهبها.

ثم أشار إلى القدرات الهائلة التي ينطوي عليها العالم المسلم، وأن الثقافة الإسلامية وقيادة علماء الدين هما السد الهائل الذي يفكر المستعمرون بتدميره للانقضاض على الثروات الإسلامية.

ثم انتقل الإمام في خطابه ليناقد مسألة الدين والسياسة، أنهما كيان واحد لا يقبل الانفصال، وأشار إلى حكومة النبي (ص) وعلي، والأئمة المجاهدين من بعده وعلماء السلف الصالحين، وصمودهم بوجه الملك، واعتراضهم على التدخل الأميركي في الشؤون الإيرانية، وعدّ ذلك من أبرز واجباتهم الدينية.

كما أشار الإمام بعد ذلك إلى خيانة النظام البهلوي وبيع النفط في مقابل تعزيز القدرة التسلحية في القواعد العسكرية الأمريكية في التراب الإيراني، والامتيازات التي منحها إلى السوفيت على حساب استقلال البلاد.

الخطاب رقم - ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

يؤسفني ما أشعر به من عجز الحديث حينما ألتقي السادة الأفاضل، فأنا أولاً: شيخ يحول كبر سني دون إيصال صوتي إلى خطي معدودة، وثانياً: فإن الأوضاع المأساوية التي بها البلدان الإسلامية عموماً، وإيران خصوصاً، تسلب الإنسان الراحة وتفقده القدرة على عمل شيء.

كنت قد عقدت العزم في الحضور والتحدث إلى السادة المجتمعين حول بعض الأمور، والتعبير عن بعض الآلام التي تعترض قلبي، إلا أن بعض الأمور حالت دون ذلك^(١).

(١) كتبت صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٣٥٧/٧/٢٣ - وهو تاريخ هذا الخطاب - موضوعاً تحت عنوان "إلغاء لقاء"، فقالت: "كان من المقرر أن يلتقي سماحة الإمام بأنصاره، ولم يتم ذلك بسبب منع الحكومة الفرنسية، وقد ذكرت تفاصيل هذا الأمر في هوية الخطاب".

على أي حال فإن أوضاع البلدان الإسلامية، وخصوصا البلدان الغنية كإيران التي تصدر قائمة تلك البلدان، كانت موضعا للدراسة من قبل هذه القوى الكبرى. فإن تمعنتم في الأمور سترون أن هؤلاء الذين وفدوا إلى هذه البلدان تحت قناع السياحة - مثلا - كانوا سياسيين مكلفين بدراسة أوضاع بلدان الشرق، فقد كانوا يأتون لدراسة حتى الصحارى القاحلة متحملين في هذا السبيل أنواع المشاق والمتاعب، مسافرين على ظهور الإبل في القوافل لدراسة جغرافية تلك البلدان، مركزين أنظارهم على ما تختزنه تلك البلدان من ثروات مختلفة، كالذهب والماس والنفط والغاز وغير ذلك، فرسموا خرائط لكل ذلك، وحددوا أماكن تلك الثروات في جميع البلدان، بما فيها إيران، واحتفظوا بها لهم.

عموما، كانت بلداننا - بلدان الشرق محط أنظار هؤلاء وموضعا لدراساتهم منذ ثلاثة قرون أو أكثر، إلا أن تقدم الزمان زاد في سعة خبرة متخصصيهم، وجعلهم يدفعون بأعداد أكبر إلى تلك البلدان لدراسة أوضاعهم، وكانوا يجمعون المعلومات وينظمونها حتى بلغ علمهم بأهالي هذه البلدان درجة تفوق ما يعلمه أهالي هذه البلدان عن أنفسهم، فقد درسوا مثلا نفسية القبائل القاطنة لبعض أنحاء إيران، كالبختاريين والقشقائيين والشاهونيين وغيرهم، وذلك لكي يفهموا عن هذه الأقوام ما يساعدهم في تحقيق مآربهم في تلك البلدان. كما درسوا المدن والقرى الموجودة في إيران، بدءاً من القرى النائية والجبلية وحتى المدن الكبرى، درسوا كل ذلك، وأرسلوا خبراءهم ورسموا الخرائط وسجلوا عليها ملاحظاتهم، وحددوا الأماكن الغنية تهيؤا للنهب. وقد اختلف السلاطين والحكام وتفاوتوا في درجة عمالتهم لهؤلاء، فبعضهم لم يكن غارقا في الخيانة إلى أقصى حد، واستسلم البعض الآخر لهم استسلاما تاما.

كنت في همدان مرة، فأراني أحد الأصدقاء خريطة كبيرة لهمدان - لعل مساحتها متر مربع - وكانت خريطة مفصلة تماما ظهرت عليها جميع قرى وضواحي مدينة همدان - كما ذكر لي - وقد ظهر عليها عدد كبير من القرى والضواحي، والملفت أن بعض المناطق من المدينة لوّنت بلون معين، وقد فسر ذلك الشخص هذا الأمر، بأنهم يريدون تمييز المناطق التي تتمتع بثروات معينة، كالماس أو النفط أو غير ذلك، وهذه المناطق لم تستثمر لحد الآن، إلا أنهم يعلمون مكانها وما تحوي.

على أية حال، إن هؤلاء وفدوا إلى البلدان الإسلامية وهم يسرون طبقا لمخطط مرسوم حددوا فيه تفصيلا لأوضاع البلدان الإسلامية، وإيران - التي هي محط ابتلائنا - ثم أنهم قاموا بدراسات نفسية تمكنهم من تحقيق الاستيلاء على تلك الثروات الموجودة في تلك البلدان دون إزعاج ودون استشارة الناس واستفزازهم. لقد أعدوا في هذا المضممار دراسات مفصلة، وأدركوا في النتيجة أن وجود أمرين في البلدان الإسلامية يحول دون تحقيق مقاصدهم هما: الإسلام كدين، أولا: فلو أن الإسلام طُبّق على حقيقته وبالشكل الذي أراده الباري عز وجل فإن ذلك سيعرّض المستعمرين إلى هزيمة ساحقة. والثاني: هو علماء الإسلام، فلو تمتع هؤلاء بقوة ما ولو أنهم كانوا مقتدرين في تلك البلاد، وبالشكل الذي ينبغي، فإن ذلك سيكون مانعا من تحقيق أهدافهم وبالصورة

التي يطمحون إليها ويرتبط هذان الأمران بالشعب، ولو أن أحدهما حقق له موقعا بين أفراد الشعب فإن الشعب بأسره سيكون قويا، لذا فكروا أن يحطموا هذين السدين وبأيدي الشعوب ذاتها. أي أنهم سَعَوْا في دفع شعوب تلك البلدان، وفي أي موقع كانوا، إلى المبادرة إلى تحطيم هذين السدين. وقد انصبت جهودهم الإعلامية منذ القدم في هذا الاتجاه، للقضاء على هذين العنصرين الهامين، وهما بصدد الخطر الذي يهدد الاستعمار وأهدافه. وهما يمثلان أشدّ مكانن الخطر والباقي يهون بالنسبة لهما.

طبعاً، هناك أمر ثالث لا بد من ذكره، وهو نوع الثقافة التي تحملها المجتمعات، فقد أدرك هؤلاء بأن المجتمعات إذا امتلكت ثقافة مستقلة وصحيحة، أدت إلى ظهور تجمعات سياسية مستقلة وأمنية فإن ذلك سيعود بالضرر عليهم أيضاً، لهذا كانوا - من جانب - يرون بأن ما يشكل عائقا في طريقهم هو العلماء والإسلام بذاته. ومن جانب آخر كانت الثقافة هي الأمر الآخر الذي يتهدد مصالحهم بالخطر، فقد يؤدي ذلك إلى ظهور شبان ورجال أكفاء، وأن من المحتمل أن تقع مقدرات البلدان بأيدي هؤلاء، مما سيحول بالنتيجة دون تحقيق مطامعهم وآمالهم التي تتركز حول الثروات المدفونة في باطن أراضي تلك البلدان والثروات البشرية المتمثلة بأفراد تلك المجتمعات، وإن كانت الأولى هي الأهم بالنسبة لهم. لذا فقد فكروا مليا في القضاء على هذه الأمور الثلاثة.

أما فيما يتعلق بالإسلام فقد شرعوا بالترويج لمقولة أن الإسلام دين مرن - كان لا بد أن يتقدموا في خطتهم بشكل تدريجي - قالوا بأن الإسلام عقيدة تدور حول الدعاء والذكر، وتمثل نوعا من الارتباط بين الإنسان والخالق، وأن لا علاقة له بالسياسة ولا علاقة له بالحكومة، وقد بلغت مساعيهم الإعلامية في هذا المجال حدا ترك أثره على العلماء أيضا. لذا أصبح العديد من العلماء يتساءل ما هي العلاقة بين العالم والسياسة؟ وما هي علاقته بالحكومة؟ ما هي علاقته بنظام الحكم، فلينشغل العالم بالصلاة في المسجد وما شابه ذلك من الممارسات وليدرس ويبحث، وليشغل نفسه بتوضيح آداب الإسلام للناس.

لقد أدرك هؤلاء بأن ما يؤديه العلماء من صلاة فرضها الإسلام لا تمثل أي ضرر عليهم، فليصلّوا ما شاؤوا، ليقطعوا صلتهم بالنفط ثم ليصلوا ما شاؤوا، ليصلوا حتى تنقطع أنفاسهم، وليدرسوا ما طاب لهم، وليباحثوا حول دروسهم ما طاب لهم، لكن ليكفّوا أنفسهم عن التدخل ضد السياسات الاستعمارية وليدعواهم وشأنهم.

وقد روجوا لهذه المعاني إلى درجة جعلت السواد الأعظم من الناس يقتنع بصحة هذه الأمور. والآن يدور همس حول عدم أرجحية تدخل العلماء بالسياسة! فليس من شأن العلماء أن يدققوا النظر في طبيعة الحكومة، أو أن يطالعوا في ممارسات هؤلاء الظلمة من الناس، وأن على العلماء أن يهتموا بمدارسهم وإقامة صلاة الجماعة في الظهيرة والمساء، حتى أن الناس لا ينظرون إلى العالم في غير هذه الدائرة.

يزعمون أن الإسلام في الأساس لا علاقة له بالسياسة، فالدين لا علاقة له بالسياسة. السياسة لهم ولنا الدين، ومراكز القوة والنفوذ في أيديهم وما تبقى من مساجد مليئة بالعجزة فهي لنا، وتلك هي القسمة التي ارتضوها سابقا وما يزالون.

والذين تجرأوا قليل، نعتوهم بالرجعية، فالدين إنما جاء إلى البشر لكي يغفوا على أحلامه، هذا هو الدين في زعمهم! الدين هو نتاج أو وسيلة الأثرياء والأقوياء، لكي يحذروا به الناس، ومن ثم يصادرون حقهم ومقدراتهم. شيئا فشيئا راح الناس يصدقون مزاعمهم، حتى أنك لتجد بعض العلماء والمعممين يرددون وراءه: لا.. لا يمكن أبدا تطبيق الشريعة.. إنه أمر يعود إلى ١٤٠٠ سنة.

هكذا عرفوا الإسلام إلى المجتمعات الإسلامية، فالإسلام صلاة وصوم، ولا شأن له بحياة الشعوب، وأن العلماء يستخدمون الدين كأفيون للأمة، لكي تغفو وتنام وتضعف، لكي يسلبهم الدين قدرة الرفض والمقاومة إزاء غارات الناهبين، وأبواقهم تروج لكل هذا وذلك يصدقهم، حتى المتنورين دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في القرآن والسنة.

لا ينبغي لنا أن نصدق كل ما يقال أو يروج له بين الناس أنها من نوع من الأمراض.. المعدية، فالإنسان السليم لا ينقل موضوعا أو يعمل على نشره دون تفحص وتأمل.

ولا يلزمنا بحث عميق في القرآن، إن مجرد مطالعة ولو سطحية سترشدنا إلى أهداف الأنبياء.. ولماذا بعثهم الله إلى الناس جميعا.. وهل حقا أنهم جاؤوا يدعون الجماهير إلى النوم، وهل كانوا حقا عملاء للأقوياء.

وهل جاء القرآن للذكر والدعاء وكتابة الحروز؟^(١) هل طالعوا القرآن حقا؟ هل عرفوه؟ من يطالع القرآن يرى فيه آيات عن الحرب.. تدعو إلى حرب، حرب من؟ حرب الأقوياء - ليست آية أو آيتين إنما آيات عديدة تبحث في الحرب ولقد كان تاريخ الإسلام في عهد النبي (ص) تاريخ حرب مع الأقوياء، والقرآن كتاب (حركي) أكثر منه في شيء آخر. كتاب يدعو الشعوب إلى النهوض، إلى كسر الجمود والخنوع والصراع مع الطواغيت.

ومذ بُعث النبي في الحجاز، تصدى له الأقوياء وحاربوه، بعضهم كانوا تجارا أثرياء في مكة، وبعضهم "الطائف" كانوا من أصحاب النفوذ والقدرة والمال كأبي سفيان وغيره. إنهم يعيشون حياة البذخ والترف كالسلاطين لا يعوزهم شيء.

(١) تائم أو تعويذات.

وكان صراع النبي مع هؤلاء. وعندما هاجر إلى المدينة، عاش مع الفقراء لا مع الأثرياء، عاش مع الفقراء ليستيقظوا، ليهبوا من رقادهم ويواجهوا الأثرياء، الذين أسسوا ثراءهم على نهب الفقراء، ولقد كانت حروب النبي كثيرة وكانت كلها مع الأثرياء والظالمين.

ولنغص أكثر في التاريخ، فنقف عند سيدنا موسى (سلام الله عليه)، لقد حمل عصاه وواجه فرعون مصر..

إنه لم يقف إلى جانب فرعون ويدعو الناس إلى الاستسلام!! لقد هب موسى بعصاه وأعلن الدعوة إلى الله..

وإبراهيم الذي حمل فأسه ليحطم أصنام الطغاة، ووقف يتحدى الظالمين دفاعاً عن الجماهير، لقد كانوا يرون واجبهم في النهوض ضد الظلم الذي يصبّه الأقوياء على الأمم المغلوبة، فكيف يمكننا أن نقول إن الدين هو من صنع الأقوياء لكي تغفو عليه الشعوب؟ إنها دعايات الاستعمار التي يروجها من أجل إبعادكم عن القرآن والإسلام ليحطموا حقد السد المنيع.. وقد أفلحوا في ذلك، وتحطم هذا السد أمام أعين المسلمين، واستسلم المسلمون لنوم عميق، ثم دعّوهم لحرب الإسلام دون وعي، وهذا هو معنى ما يقوله البعض ويردده، ما هي علاقة الإسلام بالحياة، هذه المقولة حرب على الإسلام، جهل الإسلام.. ما هي علاقة الإسلام بالسياسة؟.. إنها تعني حرب على الإسلام يقوم بها المسلمون أنفسهم.

ينبغي علينا أن نرى مع من كان رسول الله يحارب؟ مع أقوياء مكة وطواغيت الحجاز.. علينا أن ننظر الخلفاء من بعده.. الذين تقبلهم أو لا تقبلهم ضد من كانوا يحاربون.. لقد حشدوا قواتهم ضد سلاطين إيران وسلاطين الروم وحاربوهم.

لقد دعّوا الشعوب إلى النهوض لا إلى النوم.. دعّوا المستضعفين إلى الثورة ضد ناهبيهم.. ولقد فتحوا إيران وبلاد الروم، وكانت حرباً من أجل الإسلام، ولم يكن هناك من يساوم السلاطين، وكان منطق الإسلام الحرب دون هوادة مع الطواغيت والأقوياء والناهبين. من أجل هذا حارب رسول الإسلام وخلفاؤه من بعده.

وفي عهد أمير المؤمنين (سلام الله عليه) الذي ابتلي بحرب داخلية، لو لم يتصدّ بحزم لزال الإسلام، ولقرأ معاوية عليه الفاتحة.

كان معاوية يعيش سلطاناً في الشام وكان له جيش لا يعرف غير الطاعة العمياء، وكان معاوية يمثل خط القوة، وكان علي يمثل خط الروح. ولقد نهض أمير المؤمنين بوجه معاوية الذي كان وجوده خطراً يهدد الإسلام بالفناء ومن ثم يستعبد العباد والبلاد.

هؤلاء هم أئمتنا (ع)، وقد قُتلوا جميعاً لأنهم نهضوا ضد الظلم، ولو كانوا يدعون إلى بني أمية أو بني العباس لوضعوهم فوق الرؤوس. ولكن أئمتنا الذين لم تكن لهم قوة يقاتلون بها، ولم تساعدهم الظروف على ذلك، كانوا يقاومون لنسف دعائم الظلم، لهذا كانوا يُسجنون ويُقتلون.

فهل سُبّح موسى بن جعفر لأنه يصلي ويصوم؟ هو كان يدعو لهارون الرشيد؟ هل كان يقول لناس لا تنفخوا بكلمة واحدة مهما صبّوا الظلم عليكم؟ أم أن الأمر غير ذلك!! أم أنهم رأوا فيه خطراً يهدد نفوذهم وحكومتهم ويعرّض وجودهم للزوال.

هوية الخطاب رقم - ٣٥

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٣ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: شمولية الإسلام.

المناسبة: نصح جمع من الشباب وحثهم على الجهاد في سبيل الله.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في يوم الثلاثاء ٢٤ مهر ١٣٥٧، ألقى الإمام الخميني (س) - وللمرة الثانية - خطاباً مهماً تزامن مع الإضراب الذي قام به الشعب الإيراني بمناسبة أربعينية شهداء الجمعة الدامية وإقامتهم لمراسيم متعددة، كما صادفت تلك الأيام الذكرى السنوية لاستشهاد نجل الإمام الشهيد السيد مصطفى الخميني، بالإضافة إلى أربعينية استشهاد مجموعة من المتظاهرين في ساحة "جالة"^(١). وقد اكتظت حينها روضة الشهداء بالحضور فيما كانت أمواج غفيرة أخرى من الجماهير تتجه صوبها دون أن تعير أية أهمية لتواجد القوات الحكومية والمدركات التي استقرت في المناطق الحساسة من العاصمة، وأيضاً دون اكتراثهم بالشائعات التي كان يروج لها عيون الملك والتي فحواها أن العسكر يعتزمون إطلاق النار على الجماهير أمثالاً للأوامر التي أصدرها شخص الملك. كما صادف ذلك اليوم قيام تظاهرة كبيرة في شارع أميرية (ولي العصر) في العاصمة طهران، والتي تدخل فيها رجال الشرطة والأمن ساعين إلى قمع المتظاهرين وتفرقتهم. فيما كان رجال الشرطة والمرور يفسحون الطرق لكثائب مؤلفة من الدبابات والمدركات والشاحنات المليئة بالجنود المدججين بالأسلحة الخفيفة، إضافة إلى طائرة "هيللي كوبر" كانت تقوم برصد الأحداث في المناطق الساخنة، كما تمركزت الدوريات العسكرية في الشوارع الرئيسية، وقامت بتطويق المراكز المهمة في العاصمة كساحة "سبه" (ساحة الإمام الخميني) وسائر الساحات الكبيرة والشوارع المكتظة بالناس. بثت وكالة أنباء "رويتر" حينها التقرير التالي: "فيما إذا انتهت مراسيم العزاء بسلام فسيوفر ذلك للحكومة فرصة تهدئة الأجواء السياسية المتشنجة وتحقيق الإصلاحات السياسية بما فيها إجراء الانتخابات البرلمانية الحرة وإلغاء الأحكام العرفية". ومن الأحداث التي شهدتها ذلك اليوم قيام رجال الأمن بتطويق السياج الخارجي لروضة الشهداء. فيما كان عدد الناس يتضاعف لحظة تلو لحظة، وآلاف الصبية والأطفال الذين ارتدوا ملابس الحداد ينشرون الورود على قبور الشهداء ويرشونها بالماء، إضافة إلى ذلك كان عشرات الألوف من الحاضرين يرددون شعارات تشجب جرائم النظام الملكي وإعلان تأييدهم للإمام الخميني

(١) جالة: الاسم السابق للساحة التي شهدت مظاهرات الشعب الإيراني المسلم في ٧ تير، ويطلق عليها حالياً اسم "ساحة الشهداء".

(س) وكانوا يوزعون الكاسيتات الصوتية التي كانت تحتوي على خطابات الإمام الخميني (س) وإرشاداته بنسخ كثيرة، كان دوي هتاف "الموت للملك" .. "تحية للإمام الخميني" قد ملأ فناء روضة الشهداء^(١).

وكان الإمام الخميني (س) حينها يتابع بدقة أحداث الثورة التي لم ينقطع عنها رغم السنين الطوال التي قضاها في المنفى والفاصلة المكانية التي تفصله عن الوطن آلاف الأميال. مع كل ذلك فقد أحبط الإمام الخميني (س) جميع الخدع والحيل التي وظفتها السلطة الحاكمة للحيلولة دون انتصار الثورة كاستعانتها بالتشكيلات والمؤسسات الأمنية والسياسية والخبراء الغربيين والشخصيات السياسية وبعض الوجوه الدينية. إلا أن جميع هذه الحيل لم تسعف النظام الحاكم ولم تخلصه من السقوط رغم تشبته بها، فبيانات وإرشادات الإمام الخميني (س) كانت تفضح كل هذه الخدع وتمهد للثورات القادمة.

إن إحدى خصائص الثورة الإسلامية المباركة في إيران، والتي كان يؤكد الإمام الخميني (س) عليها باستمرار منذ الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣ وإلى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة، هي التوجه إلى القيم المعنوية والأخلاقية للمجتمع الثورة. فقد كانت ثورة الإمام بمثابة أحداث ثورة حقيقية في القيم التي كانت سائدة في المجتمع قبل كونها حركة سياسية ضد نوع من الأنظمة الحاكمة.

إن سرعة سير أحداث الثورة منذ ١٩ دي ١٣٥٦ وفيما بعد، والموج المتصاعد لحركة الشباب المسلم وباقي شرائح المجتمع واهتمامهم البالغ بالأهداف السياسية للثورة، كان يحتمل أن ترافقه آفة خطيرة تتمثل بطغيان البعد السياسي على الأهداف السامية الأخرى كالقيم المعنوية، خاصة وأن تشكيلات سياسية عديدة لم تكن ملتزمة بالأسس العقائدية والأخلاقية للثورة، ولم تكن معتقدة بالأيديولوجية الإسلامية أساساً، وكانت ترصد الفرصة المناسبة لاستغلال ثورة الشعب الإيراني المسلم.

لذا كان الإمام الخميني (س) باعتباره يمثل القيادة السياسية للثورة، يحذر في كل فرصة مؤاتية من الانحرافات التي كانت تظهر في مسيرة الثورة والتي تضطلع بها التشكيلات غير الملتزمة بالأخلاق والآداب الإسلامية. وبموازاة ذلك كان يعدّ الإمام جيلاً مؤهلاً للقيام بمسؤولياته في المرحلة التي تتلو انتصار الثورة الإسلامية والحفاظ عليها.

لذا وفي ذروة الأحداث السياسية، جعل الإمام الخميني (س) الاهتمام بالمعنويات والقيم الأخلاقية محورا أساسيا في خطابه مشيراً إلى يقينية الحياة بعد الممات والمحاسبة الدقيقة التي سيحاسب بها الإنسان على جميع أعماله في يوم القيامة، بالإضافة إلى التجسد العيني للأعمال قائلًا: "إن لم تشوروا وتتفضوا منذ الآن ضد الشهوات الدنيئة فلن يكون بميسوركم مواجهتها. عمّروا عالم الدنيا دون أن تهملوا عالم الآخرة. لا تصرفوا جل طاقتكم على الشهوات - لا سمح الله - ولا تهدروا كل قواكم على هذه الدنيا".

ثم تطرق الإمام الخميني (س) إلى شمولية الرسالة الإسلامية واهتمامها بجميع المتطلبات المادية والمعنوية للإنسان. ثم أشار إلى حق الشعب الإيراني المسلم في تعيين مصيره، وضرورة تضامن الطلبة الجامعيين الإيرانيين في خارج البلاد مع هذا الشعب المجاهد.

(١) راجع الصحف الصادرة في يومي ٢٤ و ٢٥ مهر ٥٧. وتقويم الثورة الإسلامية في إيران، ص ١٥٦.

الخطاب رقم - ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن غاية العمل هو مصلحة المجتمع وتوجيه الشباب وإرشادهم. إن عمل كهذا لهو عمل روحاني، ستتجسد صورته في عالم الآخرة، وستدركون مظاهره في ذلك العالم الذي يفوق إدراكنا له، فهناك ستظهر جميع الأعمال ثانية، كما الصوت الذي يطلقه الإنسان فسيسمع صدها. جميع أعمالنا لها انعكاس وصدى كما الصوت، وحينما سنغادر الدنيا ستواجهنا أعمالنا.

تقول الآية القرآنية الكريمة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾^(١)، فإن عملا خيرا كهذا يظهر بمظهر حين يرافق الإنسان من بعد الموت حتى مستقره الأخير، ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾^(٢) أي أنه سيواجه نفسه بمظهر سيئ، أي أن الجنة والنار يترتبان على ضوء أعمالنا، بناء على ذلك لا تهدروا أعماركم الشريفة التي وهبها الله (تبارك وتعالى) في غير الأعمال الحسنة، خصوصا وأن الله (جل شأنه) هدانا جميعا إلى الأعمال الخيرة، ألا وهي خدمة المجتمع، فإنه عز وجل مطلع على حقائق جميع أعمالنا. إن كل شخص يقوم بعمل ما في الدنيا سيرى جزاءه في الآخرة. فكما تترك الأدوية والسموم آثارها على جسم الإنسان كل على حدة، فهكذا تترك الأعمال آثارها على عاقبة ومصير الإنسان، وبناء على ذلك يقتضي العقل أن لا يهدر الإنسان عمره القصير في مسلك الشر والسوء فتصبح أعماله وبالا على عاتقه يوم الجزاء. فإن أي عمل خير تقدمونه لأنفسكم ولمجتمعكم، سترون جزاءه حسنا عند الله - إن شاء الله تعالى- لا تؤجلوا القيام بالأعمال الحسنة إلى آخر أيام العمر، فإن ما يدعو الإنسان إلى ذلك ليس سوى الوهم الذي قد يسيطر على عقله، إضافة إلى كونه من الأوهام التي يسعى الشيطان إلى استدراج الإنسان إليها ليشل عنده القدرة على القيام بالأعمال الحسنة، فيخاطبه إنك الآن شاب فاستمتع قدر إمكانك بشبابك، وأطلق العنان لشهواتك وكل عمل قبيح تشتبهه، وإن شاء الله تتمكن أن تعوض عنها في أواخر حياتك، ولكن لن يتمكن الإنسان - فيما بعد - التعويض عن أعماله الشريرة، إن لم يثُر من الآن ضدها.

بالطبع، لم تحظر الرسالة الإسلامية جميع الرغبات، فثمة رغبات سليمة، وثمة رغبات دنيئة مرفوضة، لا تدعوا أقدامكم - لا سمح الله - تزل صوب الرغبات الدنيئة، كالتعدي على حقوق الآخرين أو السطو على أشياءهم وممتلكاتهم، خصوصا وأننا لن نحظى من الحياة سوى بأيام معدودة، فاقضوا أيامكم هذه بتجارة لن تبور.

(١) سورة الزلزلة، آية ٧.

(٢) سورة الزلزلة، آية ٨.

والآن وقد شرّعت جميع أبواب النعم الإلهية بوجهكم فاستثمروها بحرية لا تتنافى مع الشرع والسنن الإلهية، يتعين على جميع أعمالنا أن تكون موافقة للشرع الإلهي. ففي هذه الحال فقط سينال الإنسان رشدَه وكمالَه.

إن القانون الإلهي يغير القوانين الدنيوية التي سَتَّها الأنظمة الوضعية والتي ألغت الحياة الآخرة وجعلت جلَّ اهتمامها بالحياة الدنيا فقط، فجاءت محدودة ناقصة ضبابية المعالم، يجوب واضعوها أماكن عديدة ويجتازون الكثير من الحدود لسن قانون واحد، هو الآخر غير مبرأ من النقص، في حين أن القوانين والسنن الإلهية تشمل جميع مراحل حياة الإنسان، بل حتى لما قبل ولادته وتشكل نطفته.

فلنأخذ، على سبيل المثال، إنساناً لم يولد بعد، ففي بداية زواج والديه يتعيّن عليهما تهيئة ما يحتاجه الجنين ليولد سالماً، بل هناك مرحلة تسبق ذلك، هو كيفية انتخاب الزوج الملائم والشروط التي يجب توفرها في المرأة لتضمن كفاءتها في تربية الطفل، كل ذلك من أجل إعداد ثمرة جنين سالم، وثمة آداب أخرى يجب مراعاتها في عقد النطفة، وفي فترة حمل الأم تقوم بواجباتها تجاه طفلها وتربيته وطريقة التعامل معه، كلما كبر الطفل تضاعفت الواجبات الملقة على عاتق الوالدين وبذلك كل ما بوسعهما من أجل تربيته تربية سليمة، بعد ذلك يصل الطفل إلى مرحلة التعلّم التي لها هي الأخرى شروطها الخاصة بها كي يصبح إنساناً مستقلاً.

إن للإسلام قانوناً متكاملًا علينا أن نطبقه خطوة بخطوة، وإن قانونه في درجة من الكمال بحيث يأخذ بعين الاعتبار الحياة الدنيا وحياة ما بعد الموت، كما تطرق للبعد المعنوي للإنسان.

إن جميع الأنبياء (ع) أرسلوا من أجل تربية جميع الأبعاد الإنسانية، فهم الوحيدون القادرون على إنجاز هذه المهمة، فربما كان بميسور إنسان صالح أن يربي ابنه على نحو حسن في هذه الدنيا ويدير حياته بشكل جيد دون استطاعته إعدادة إعداداً جيداً للعالم الآخر، إذ تقع هذه المسؤولية على عاتق الأنبياء مسؤولية إعداد الإنسان لكلتا الحياتين: الدنيا والآخرة. فلا أحد جدير بذلك غير الأنبياء والرسل (ع) الذين يقومون بإبلاغ رسالات الله ببعدها الشمولي الذي يتضمن الحياتين الدنيا والآخرة، أتم الآن في رحلة الشباب والفتوة، ولديكم نعمة ثمينة. اسعوا أن تكونوا من أنفسكم أشخاصاً مؤثرين في الوسط الاجتماعي، خصوصاً وأنتم تكمّلون دراساتكم الأكاديمية، فحاولوا أن تكونوا أفراداً مفيدين لإخوانكم.. لمجتمعكم.. لشعبكم ولبلدكم، لا تهدروا هذا العمر عبثاً فتفقدوه دون فائدة، ولما تصلوا إلى سن متأخر من العمر كعمري أنا، حينها سيعيقكم عجزكم وشيخوختكم على تعويض ما فاتكم. هب أنكم أردتم أن تقوموا بأعمال إيجابية في أواخر أعماركم، لكن الشيخوخة وعوارضها ستعيقكم عن مرادكم آنذاك أن القدرة التي تتمتعون بها الآن والتي وهبها الله لكم جديرة بأن تبدلونها في طاعة الله. سيما وأنها أمانة وهبها الله تعالى لكم فابدلوها في سبيله، وسبيله هو خدمة المجتمع والبلاد الإسلامية. صبّوا قدراتكم في خدمة الإسلام وطرد أعداء الإسلام الذين وفدوا لاستغلال ثروات المسلمين ونهب خيرات الشعوب المسلمة.

وثمة سنن وآداب تتعلق بالحياة الأخروية، فامنعوها هي الأخرى أهمية فائقة، دون أن يعني ذلك - بالطبع - إهمال السنن والقوانين التي جاءت لتنظيم الحياة الدنيا، فاهتموا بتعمير كلتا الحياتين، فالإسلام يخالف المسيحية التي تؤكد على العزلة والزهد في الدنيا. إن كثيرا من المقولات لا تمت إلى السيد المسيح بأية صلة، إنما هي من وضع القساوسة الذين افترّوا عليه ونسبوا إليه. فكيف يمكن للمسيح (ع) أن يربي قومه على مقولات خاطئة - هو بريء منها- كالقول الذي ينسبونه إليه والذي فحواه: "إذا صفعك الظالم على أحد خديك فقدم له الخد الآخر".

إن كلاما كهذا لهو قول الشيطان، وليس بقول السيد المسيح (ع)، علما أن القساوسة ذاتهم لا يطبقون هذا القول، وإنما يعمّمونه على أتباعهم ومريديهم، وما أبعدهم عن المسيح (ع)!

واليوم، فقد غدت النظرية الإسلامية واضحة المعالم، فمن يتمعن بالأحكام الإسلامية سيلحظ شموليتها وتطرقها لجميع المستويات والصعد. تأملوا أحكام الحرب، على سبيل المثال، فسترون الكثير من الآيات القرآنية الكريمة تحث المسلمين على محاربة الكفار والمفسدين، إن لم يطوّعوا أنفسهم لأن تغدوا سليمة ويكفّوا عن سؤق البشرية نحو الفساد. فجردوا سيوفكم واقتلوا هذه الأعشاب الضارة.

نعم إن في القرآن الكريم آيات جمة تتحدث عن موضوعي الحرب والسلم، وكذلك عن البعد الأخلاقي والرياضة. وعبرة وجيزة: إن القرآن الكريم يتطرق لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته، وذلك لأن الإنسان كائن ذو متطلبات متعددة ومتنوعة، فيما ليس للحيوانات سوى احتياجات ذات بعد واحد ألا وهو البعد المادي، وكم هم مخطئون وبعيدون عن الصواب أولئك الذين يحصرّون احتياجات ومتطلبات الإنسان على الحياة الدنيا. حقا إنهم يسعون إلى تخليص الوجود الإنساني على البعد الحيواني فقط، ففي بلد يقدر سكانه بمليار نسمة يخاطبون أفرادهم: "كلوا وناموا كالحيوانات، فليس ثمة أكثر من هذا"، وبديهي أن هذا خطأ فادح، فالإنسان ليس بحيوان، إنه يمتاز بقوى كامنة في ذاته يسعى على الدوام إلى تفجيرها واستثمارها، بما فيها من طاقات فكرية ومعنوية يركز عليها الإسلام، فيما يؤكد الآخرون على الغرائز الحيوانية فقط كونها متلائمة مع الحياة الدنيوية.

إن الرسالة الإسلامية لا تهمل - البتة - الحياة الدنيا، ولكنها تؤكد على الدنيا السليمة لا الدنيا التي يستغل فيها البعض البعض الآخر، لا الدنيا التي يضطهد فيها بعضا وينهب أمواله، لا الدنيا التي يعتدي فيها البعض على أرواح غيرهم.

أما فيما يتعلق بالرغبات السليمة وكيفية الترفيه، فإن القرآن الكريم لم يعارض ولم يخالف الرغبات السليمة، إنما واجه سوق الناس صوب الفساد والشهوات الدنيئة، فلو سمعتم أن حديثا كدور ومستقبل السينما يدور في أوساط علماء الدين فإنما يقصد من ذلك السينما التي أفسدت شبابنا في زمن الطاغوت. فنحن نعارض هكذا نوع من السينما، أما السينما التي تسعى في تثقيف وتربية المجتمع وبث البرامج العلمية والأخلاقية فهي مصداق جيّد للسينما التي نطالب بها ونسعى إليها.

لقد غزا الاستعمار بلادنا وراح يروج لبرامجه ويث سمومه، بدءاً من المدرسة ومروراً بالسينما، ولا يجوز لنا أن نتخذ موقف الصمت إزاءه، كما لا يجوز لنا أن نسكت عن أولئك الذين جلبوا معهم من الخارج نماذج قذرة يسمونها "نجوم سينمائية" تسعى إلى إغواء شبابنا وإفسادهم. بعبارة أخرى، نحن نقف بوجه كل من يروج للفساد، فلو قام مسجد ما بهذا الدور لأُوصدنا أبوابه، أي لو أنه دعا للفساد أو أصبحت دعوته دعوة فساد وانحلال أخلاقي، فالرسول الأكرم (ص) هدم مسجد "ضرار"، المسجد الذي شيد للوقوف بوجه الرسول الأجد (ص) وقام بتحريض الناس ضد الرسالة المحمدية وإشاعة الأكاذيب. ولو أن مسجداً قام بنفس هذا الدور، اليوم ولم نتمكن من إصلاح أصحابه فسندهم بكل قوة وصلابة، وهذا ما سنقوم به بالنسبة للسينما التي تؤدي نفس الدور.

إن اعتراضنا ليس أصل السينما، وإنما على هذا النوع منها، فلو كانت السينما سينما أخلاقية تسعى إلى تربية شبابنا وإصلاحهم، وهذا طريق جديد في التربية كما المدرسة والمسجد .. لكانت بلادنا اليوم بلادا نموذجية يقتدي بها جميع المسلمين.

إن ناهبي النفط وخيرات المسلمين درسوا الشرق وتجولوا في جميع أرجائه فاکتشفوا أن لهم مصالح كثيرة، هم بأمس الحاجة إليها، فراحوا ينشرون برامجهم اللاأخلاقية والفساد، وكان للإعلام دور بارز في تربيتهم لشبابنا تربية منحرفة تسائر وتوافق مصالحهم الاستعمارية. لذا كانوا يقومون بإعداد عقول شبابنا على نحو ناقص، إنهم يحولون دون أن تقوم مدارسنا بتربية الإنسان تربية سليمة، إن جميع ما جاؤوا وأعدّوه محرّفاً على النحو الذي يقوم بإلحاق الضرر بشبابنا، أما ما كان يتضمن مصلحة لشبابنا ولمجتمعاتنا ويثبت ذلك عقليا فلن يعارضه أحد.

خلاصة القول: إن الاستعمار يسعى إلى نهب مقدار ممكن من منافعنا وخيراتنا، ولذا يروج اليوم أننا ضد السينما، إضافة إلى شائعات أخرى في النهب والسطو على ثرواتنا وممتلكاتنا.

اسعوا - أيها السادة - إضافة إلى تربية أنفسكم، أن تتضامنوا مع شعبكم وإخوانكم الشائرين. لقد ثارت بلادكم وقامت بثورة إنسانية - إسلامية، فسيروا مع أبناء شعبكم وابدلوا ما بوسعكم أينما كنتم. فعلى علمائنا أن يقدموا ما بوسعهم من أجل مساندة هذا الشعب المسلم الذي ثار من أجلنا ومن أجلكم، علّنا نوفق في قطع يد الناهبين، ونحافظ على ثروات شعبنا. إن هذا هو هدفنا وكل ما نسعى إليه. ولتكتب الصحف ما تريد من أراجيز وإشاعات، كقولهم أن الملاي يسعون إلى إعادة الناس إلى عصر البربرية. إن وسائل الإعلام التي تشيع هذا الكلام هي آلة بيد المستعمرين.. ناهبي الثروات.. ناهبي النفط.

انتبهوا جيدا.. اصغوا جيدا.. انهم يريدون نهب نفطنا، يريدون نهب ثروات الشرق. ولذا نوجه كلامنا للأمريكان، ونوجه كلامنا للاتحاد السوفييتي، للذين سرقوا الغاز والذين سرقوا النفط، إننا سنوقف سركاتكم ونهبكم إلى الأبد، وسنستثمر ثرواتنا ونستعملها لما يلبي مصالح شعبنا، نحن سنزيل من الوجود هذه العائلة البهلوية التي تخدمكم وتخوننا، وسنعيّن بأنفسنا الحاكم الذي يحكمنا، وإن أعلنتم لصحفكم خلاف ذلك.

أيها الإخوة المؤمنون... وفقكم الله وأيدكم وجعلكم خدما مخلصين للإسلام إن شاء الله تعالى.

هوية الخطاب رقم - ٣٦

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٣ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: السلطنة توأم الاستبداد الديكتاتورية والخطرة.

المناسبة: أربعين شهداء السابع عشر من شهر بور ٥٧ (الجمعة السوداء).

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في يوم الاثنين المصادف ٢٤ من شهر مهر ١٣٥٧، ألقى الإمام خطابه الثاني، وفي وقت كانت صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية قد نشرت تقريراً يشير إلى "تدابير أمنية مشددة في أطراف بيت الإمام"، كما سلم وفد من قصر "الإليزيه" رسالة إلى الإمام الخميني (س) أعربت فيها الحكومة الفرنسية عن مخالفتها لبقاء قائد الثورة الإسلامية على الأراضي الفرنسية. أما مبعوثو قصر رئاسة الجمهورية الفرنسية، فقد طالبوا الإمام بالتخلي عن القيام بأي تحرك سياسي، فأخبرهم الإمام باستحالة اتخاذ موقف الصمت، وإن أرغم على السفر فإنه سيتنقل بين المطارات الدولية ليعرف العالم بمشروعية ثورة الشعب الإيراني.

علماً أن جماهير كانت قد توجهت من إيران وباقي دول العالم إلى باريس لزيارة زعيم الثورة الإسلامية، مما سبب ذلك إحراجاً للحكومة الفرنسية التي كانت تُعدّ حليفة للحكومة الملك كباقي الحكومات الغربية الأخرى.

وفي ١٦ مهر ١٣٥٧ بعث حوالي مئة عالم ديني إيراني رسالة إلى "فاليري جيسكار ديستان" (رئيس جمهورية فرنسا آنذاك)، حذّروه من التعرض للإمام الخميني (س)، أو إعاقة نشاطه في فرنسا، كما كان الرأي العام العالمي يطالب بنفس الأمر. إلا أن الحكومة الفرنسية أصرت على حظر أي نشاط يقوم به الإمام، كنشر بيان أو إقامة صلاة الجماعة في مساجد باريس أو حضوره في الاجتماعات، لكن الإمام الخميني (س) بقي ثابتاً على ما انتهجه وعلى وفائه تعهد به أمام الله تعالى والقيام بمسؤولياته تجاه شعبه المضحي.

وقد كان من المقرر في ذلك اليوم أن يلقي السيد في مركز العاصمة الفرنسية محاضرة دعاه إليها اتحاد الطلبة الجامعيين في أوروبا، لكن الحكومة الفرنسية حالت دون ذلك، فيما استمر الإمام في توعية الشعب الإيراني المسلم وإطلاعه على أهم قضايا الثورة من خلال البيانات والمحاضرات التي كان يلقيها - كل يوم في جمع أصحابه.

من الأحداث المهمة آنذاك، هو الإضراب العام الذي ساد في جميع أرجاء البلاد وشمل الدوائر والمؤسسات الحكومية مما سبب تعطيل قسم منها، فيما استمرت باقي المؤسسات بممارسة نشاطها بإرباك ملحوظ.

ومن إفرازات الإضراب بروز اختلافات عميقة بين أعضاء الزمرة الحاكمة إذ لفها جو متشنج ومربك، وهذا ما اعترف به الجنرال "قره باغي"، والذي كان يشغل منصب وزير الداخلية في حكومة شريف إمامي، في كتابه الموسوم "اعترافات جنرال" إذ يكتب: "رغم إعلان الأحكام العرفية في البلد كانت رقعة المظاهرات تتسع يوماً بعد يوم، ووفقاً للتقارير التي كانت تصلني، فإن عدداً من المسؤولين الحكوميين، بل حتى بعض محافظي المدن، كانوا يشاركون في التظاهرات التي اتخذت بعداً جماهيرياً موسعاً في العاصمة طهران والمدن الأخرى، ونتيجة لعدم تطبيق العمل بالإجراءات المقررة من قبل الحكومة العسكرية - كما تؤكد التقارير - فإن عدداً كبيراً من الموظفين كانوا يشاركون في التظاهرات، بالإضافة إلى مسؤولين كبار يشغلون مناصب حساسة في الوزارات الحكومية".

وفد "أردشير زاهدي" نجل فضل الله زاهدي وأحد الأشخاص البارزين في انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ وسفير إيران في الولايات المتحدة الأميركية إلى طهران، وتذكر الأخبار أنه سلم تقاريره الرسمية إلى شخص الملك ثم التقى بعدها بالسيد كاظم شريعتمداري. في ٢٣ مهر ١٣٥٧ أوردت "كيهان أنترناشيونال" تقريراً عن سفر زاهدي ولقائه المطول مع الملك والذي استغرق ١٤ ساعة، ضمته صوراً للدكتور أميني وأردشير زاهدي والجنرال جم، وقد كُتبت تحت صورة كل منهم وبالترتيب عبارات: "مرشح الصباح" "مرشح بعد الظهر" "مرشح الليل" وبعكس هذا التقرير الإرباك الذي عصف آنذاك بالبيت الأبيض ونظام الملك وتخبطهم في التعامل مع الأحداث المستجدة.

جدير ذكره أن الإمام الخميني (س) كان قد أحبط جميع المخططات التي كانت تسعى الدوائر الأميركية والغربية من خلالها إلى إنقاذ الملك خصوصاً وقد انتفى أي تشابه - وفي مجمل الظروف بين أحداث الثورة الإسلامية من جهة وانقلاب مرداد ١٣٣٢ من جهة أخرى.

في الخطاب الثاني الذي ألقاه الإمام الخميني (س) في ٢٤ مهر ١٣٥٧، أعلن الإمام ذلك اليوم حداداً عاماً بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد شهداء ١٧ شهر يور، وابتدأ الإمام حديثه متطرقاً للأعمال البشعة التي ارتكبتها العائلة البهلوية الحاكمة على امتداد نصف قرن من الحكم، معلناً أن الملكية هي توأم الاستبداد والطغيان والديكتاتورية. كما أعلن مخالفته لأسس النظام الملكي ومعارضته لأنصاف الحلول الاستسلامية التي كان يدعو إليها القوميون، وأشار الإمام إلى الدعم الذي تحدث عنه الإمام في خطابه إلى الأوضاع التي تتعلق بإيران ونهب النفط طيلة سنوات الحكم الملكي، كما أكد على فشل المساعي الأميركية، كتغيير بعض رموز السلطة واستبدالها بآخرين، وبشر المقيمين في خارج الوطن بدورهم البالغ الأهمية في التكاتف مع ثورة شعبهم وإطلاع الرأي العام العالمي بأهداف الثورة الإسلامية^(١).

(١) ألقى الإمام الخميني (س) في ٢٤ مهر ثلاث محاضرات قمنا بتدوين اثنتين منها تحت عنوان رقم ٣٥ و٣٦، وحال ضعف تسجيل الخطاب الثالث دون استطاعتنا في تدوينه، وسنقوم بنشره في طبعة أخرى حال حصولنا على شريط واضح إن شاء الله.

الخطاب رقم - ٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

... إلا أن مكاننا هذا لا يسع جميع الحضور الكرام، لم يكن هذا المكان في الحسبان، لذا أعتذر من السادة الواقفين^(١)، وآمل أن تكونوا جميعاً أفراداً مفيدين لمجتمعكم، أينما كنتم، فمجتمعنا بأمرس الحاجة لطاقتكم مثلكم تمسك بزمام أموره في المستقبل القريب... نعم الاضطرابات الآن في جميع نقاط إيران وليس باستطاعة أميركا أن تسيطر على الأمور، ولا عميلها الملك، فهو أيضاً عاجز أن يهدئ الأمور. أية قوة أخرى لا يمكن لها أن تخمد أنفاس الشعب حتى ولو استعانت بالقوة العسكرية، كأن تقوم بانقلاب عسكري وتصل إلى سدة الحكم، أو تعين حكومة عسكرية ظالمة. إذ لن يكون بميسورها هي الأخرى السيطرة على الأوضاع المتفاقمة في إيران.. لا يمكن لأحد أن يخمد أنفاس الشعب بالحرب أو يرغمها على الصمت والاستسلام. فحكومة على هذه الشاكلة لن تلبث طويلاً ومصيرها الزوال. لقد شارف الحكم الإرهابي للعائلة البهلوية، والذي تسلط على رقاب شعبنا المسلم ٥٠ عاماً على نهايته واندحاره، فشعبنا لم يعد كما كان قبل ٢٠ عاماً، إذ وعى اليوم حقيقة النظام الظالم، فثارت جميع شرائح المجتمع ضد السلطة الحاكمة والتي تعدّ مصداقاً للاستبداد والديكتاتورية والطغيان.

بالطبع جميع السلطات الحاكمة تمارس نفس الدور تجاه شعوبها. في كل مكان تكون الملكية هي الحاكمة فإن أساس نشوئها هو وجود طواغيت مستبدين. ونوع الحكم هذا لا يخفى إيران فحسب بل يشمل بلداناً أخرى. إن ملوك وقيصرة روسيا قاموا بمظالم كثيرة وجرائم كبيرة ضد شعوبهم، لكن ملوك وسلطين إيران أسوأ من أولئك بكثير.. الآن تغير نوع الحكم في بلدان كثيرة وتحولت إلى جمهوريات، لكنها هي الأخرى تواجه مشكلات متعددة، لا تتصوروا وجود بلد تدير أموره حسب موازين العدالة، فأمركا - مثلاً - والتي هي من الدول الكبيرة التي تدار بحكم جمهوري، كما أنها وقعت على بيانية حقوق الإنسان وتدعي مطالبتها بحقوق الإنسان، ولكن ما تدعيه ينافي ممارستها. ففي أميركا ليس من صلاحيات رئيس الجمهورية أن يمارس العنف والقوة إلا بحدود، أما في بلداننا فرئيس الجمهورية ديكتاتور له مطلق الصلاحيات في ارتكاب المجازر. لقد زرعو في بلداننا مأجورين يحكموننا كيفما يشاؤون، يوفر لهم أدعاء حقوق الإنسان كامل الدعم والتأييد.

إن نوع الحكم في جميع البلدان لا يختلف بعضه عن بعضه الآخر سواء كان حكماً جمهورياً أو ملكياً أو ديكتاتورياً. كل يمارس الظلم ولا يتصف مطلقاً بالعدالة. إنهم لا يحكمون من أجل الشعوب. إن حكومات المنطقة تحكم حسب مصالح القوى الاستكبارية فيما نطالب نحن بحكومة تخدم الجماهير، ألا وهي الحكومة الإسلامية. إن استلمنا السلطة في إيران - إن شاء الله تعالى - فسنطبق هكذا نوع من الحكم، حكماً مبنياً على

(١) ألقى الإمام خطابه في خيمة بمساحة ٥٠ متراً مربعاً تقع في باحة البيت الذي كان يقيم فيه، ولم يسع المكان جميع الحاضرين فاضطر بعضهم الاستماع لخطاب الإمام وهم واقفين.

خدمة الشعب وسيكون قدوة ومثالا للجميع، كما سنطبق نوع الحكم الذي وضع شروطه الإسلام العظيم، فالإسلام هو الذي سيملي علينا نوع الحكم والموازن التي يجب أن تسود، وكل حاكم لا تتوفر فيه الشروط التي شرعها الدين الإسلامي سيكون منعزلا عن الحكم، لا يقدم استقالته، بل سيجد نفسه مقصيا عن الحكم تلقائيا، ويترتب على الشعب أيضا عزله. الشعوب أكبر من اختزالها بشعارات ساذجة ولا يعني هذا البتة اعتراضا على حقوق الإنسان.

إن الذين يكثر الحديث عن حقوق الإنسان، هم الأكثر تعديا على حقوق الإنسان، يصنعون الأسلحة الفتاكة ويشعلون نار الحروب بين البلدان ثم يرفعون شعار حقوق الإنسان ويوقعون على بيانية حقوق الإنسان. ألم توقع فرنسا على بيانية حقوق الإنسان؟ لكن ماذا فعلت بالجزائر؟^(١) لو استطاعوا الآن أيضا لكرروا نفس الجرائم. أميركا أيضا منهمكة باستغلال الشعوب، وكذلك الاتحاد السوفيتي، كلاهما منهما كان في استغلال الشعوب، لكن بأسماء مختلفة وطرق مختلفة، تنوع الأسماء - بحد ذاته - له دور فعال في خداع الشعوب. سابقا كانت شعوب الاتحاد السوفيتي تتصور أن هدف حكومتهم هو خدمة الجماهير لا لسبب سوى لأن حكومتهم حكومة شيوعية!! وعندما ندقق في الأحداث نرى أن هؤلاء الذين يزعمون العدالة ليسوا سوى طواغيت كبار يحتقرون الناس قدر إمكانهم. يقول أحد رؤساء الاتحاد السوفيتي^(٢): "ليأت من يشاء وليرى بأمر عينه أن كل فرد هنا يأكل بقدر عمله ونشاطه، إن من يأكل أكثر من مقدار جهده سنرميه في البحر" فهؤلاء هم أدياء العدالة^(٣) والحفاظ على حقوق الإنسان؟! إن هذه الشعارات تهدف إلى استغلالنا واللعب على عقولنا، وإن تنوعت أسماؤها وأشكالها. إن الغربيين يهدفون أن يستغلوا الشرقيين بهذه الخدع المتنوعة، وقد نجحوا في

(١) في عام ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر، لكنها واجهت مقاومة الشعب الجزائري، وكان يقود ثوار المقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، وقد استمر في محاربة الفرنسيين ١٧ عاما، لكنه خسر المعركة وأسرته المحتلون الفرنسيون. وفي عام ١٨٤٧ سيطرت القوات الفرنسية على معظم الأراضي الجزائرية واعتبروا هذا البلد مستعمرة لهم. وفي بدايات القرن العشرين تم احتلال الجزائر بكاملها إلا أن استمرار المقاومة الشعبية أجبر الرئيس الفرنسي ديغول أن يمنح هذا البلد الحكم الذاتي لكن إصرار الشعب الجزائري على الاستقلال الكامل واستمراره في الجهاد ضد المستعمرين أرغم ديغول أن يوقع على معاهدة "أوبان" إذ تضمنت الاستقلال الكامل للجزائر، حينها بدأ الجيش الفرنسي السري مخالفته لهذه المعاهدة فقام بمجازر وحشية ضد الشعب الجزائري المسلم. علما أن الشعب الجزائري المجاهد قدم مليون شهيد في سبيل تحرير وطنه من قبضة المحتلين.

(٢) لينين.

(٣) كان ستالين يردد دوما شعار "الموتى صامتون" وكان يتفوه دائما بعبارة: "سأطلق عليك النار" لكل من يخالفه. كما كان يعتقد بالإعدام كأفضل حل للمشاكل المستعصية. ولم يكن لينين أقل منه بشاعة، ففي "الإعدام الأحمر" الذي جاء بعد "الإعدام الأبيض" تم إعدام مجاميع غفيرة من الناس دون محاكمتهم. ويقال إن لينين رجع ووقع على قائمة أسماء المحكومين بالإعدام في لحظات قليلة، ولمزيد من التفصيل راجع كتاب "كج راهه" لمنظر الحزب الشيوعي الإيراني "إحسان طبري" (مصدر فارسي).

ذلك. وكما عبّر أحد المؤلفين^(١) لقد غدونا مستغربين فسلبوا منا حتى التفكير بحقيقة الغرب وما يفعله الغرب بحق الشرقيين... لقد تطور الغرب لكن تطوره هو تطور في القتل والإبادة.. إنه تقدم يسوق البشرية نحو الفناء.

إذاً، ما نطالب به يتلخص بـ حكومة عادلة ونظام عادل، تكون محط اطمئنان المجتمع وتقوم بخدمته، ولا تعتدي على أمواله وثرواته، ولا تقوم بنهب خيراته. فيما إذا استطعنا بعون الله أن نطبق حكماً بهذه الشروط فإن إيران تمتلك ثروات عظيمة إحداها الثروة النفطية.

سنقطع أيادي سارقي خيرات الشعب، ويجب حينئذ أن تكون كمية استخراج النفط وتصديره كمية معقولة، كما يجب أن يباع بسعر معقول. فيما إذا تحقق ذلك فسيتم إدارة البلاد بنحو حسن. ثمة آبار نفطية كثيرة في إيران، لكنهم (السلطة الحاكمة وأسيادها) ينهبونها، فتنفذ عائدات النفط بعد أن استحوذوا عليها وحدهم.

على أي حال، إن إيران اليوم غدت بلداً ثورياً، وأنا أخشى من أن تحصل مجزرة أخرى أو أن نضطر إلى إقامة أربعينية شهداء آخرين مثلما اجتمعنا اليوم لإحياء ذكرى شهداء الجمعة السوداء، أمل من الله تعالى أن لا تحصل مجزرة أخرى بحق شعبنا المجاهد، فالحكومة في إيران هي حكومة ظلم وعدوان... إنها حكومة حراب، والشعب لم يخضع ويستسلم لها، لقد تمرد الناس على السلطة الحاكمة وثاروا ضدها لأنهم لن يرضخوا أبداً لاعتداءاتها المتوالية.

لقد وضع الشعب أرواحه في أكفه وخرج إلى ساحات الجهاد، من الطفل الصغير إلى الرجل الطاعن في السن، وهتافهم جميعاً هو: الموت للملك، والموت لهذه الطغمة الحاكمة، إن ثورة شعبنا المجاهد هي خير استفتاء أعلن فيه الشعب رفضه للعائلة الحاكمة وعدم قانونيتها، ولا يمكن لأية قدرة أن تسحق إرادة الشعب بالحراب. ولن يتسنى لهؤلاء الوزراء، الذين يعلن عن منحهم المستعصية بيد شخص الملك إذ عليه أن يخرج من إيران، بخروجه فقط تهدأ الأوضاع... لأنه يؤمن أميركا مصالحها، ويعدّ أفضل خدم لها، فهي مستمرة بدعمها له، وإلا لاستغنت عنه.

أيها السادة الحضور، إن في عاتقكم مسؤولية يجب أن تؤدوها أينما كنتم.. نحن كلنا مسؤولون أن الضمير والعقل والشرع يحتم علينا أن ندعم شعبنا الذي يضحي بدمه، بأبنائه، أن نساعدهم إعلامياً.. بإمكان كل واحد منكم أن يتصل بجمع من الناس ويعرفهم بقضية الشعب الإيراني والأحداث التي تدور الآن في إيران، أن نطلعهم بمطالب الشعب، الشعب الإيراني لا يميل أبداً للشغب والعنف، انه يطالب بالأمن والاستقرار، ولا أمن واستقرار مع وجود هذه العصابة الحاكمة... الشعب الإيراني يطالب بزوال العائلة الحاكمة التي خانتته على مدى سنين طوال. أطلعوا الناس بهذه الحقائق، وإن تمكنتم فاعكسوا هذه الموضوعات في الصحف والمجلات التي تصدر عنا - في فرنسا - فشعبكم الآن يعاني من الإرهاب الذي يصدر من السلطة... في كل لحظة يحتمل أن تقع مجزرة كبيرة.. أنتم هؤلاء لا تعانون من هذه المخاطر فاسعوا إلى دعم وإعانة شعبكم قدر إمكانكم، ساعدوهم بكل ما تقدرون عليه. حفظكم ووفقكم الله جميعاً.

(١) يحتمل أن الإمام يقصد المؤلف جلال آل أحمد وكتابه التغرّب.

هوية الخطاب رقم - ٣٧

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٧ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الإسلام والعلماء سدان منيعان بوجه نفوذ الاستعمار.

المناسبة: تشديد الحملات الإعلامية ضد النهضة من قبل الأعداء في الداخل والخارج، والتصدي للموجة الإعلامية الغربية المعادية للنهضة.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

لقد أغلقت أكثرية الدوائر أبوابها بسبب إضراب الموظفين عن العمل، كما امتنع طلبة المدارس والجامعات عن الحضور إلى صفوف الدراسة.

ونقلت وكالة أنباء باريس الرسمية (الحكومية) من مشهد، أن عشرات الآلاف من الناس في مشهد خرجوا بمسيرة استنكارية بمناسبة ذكرى ولادة الإمام الثامن (ع) وانطلقوا من أمام دار آية الله الشيرازي متوجهين إلى مرقد الإمام الرضا (ع). وحصلت عدة اشتباكات أثناء المسيرة واستعملت قوى الأمن القنابل المسيلة للدموع من أجل تفريق المتظاهرين. ومن قم توجه المتظاهرون إلى الصحن القديم مستمرين في تظاهريهم حتى الساعة التاسعة مساء.

وفي مدينة ساري طالب ما يقارب الثلاثة آلاف شخص من الرجال والنساء من أعضاء نادي الثقافة، خلال مسيرة طويلة لهم، طالبوا بتحقيق مطالبهم. ومن جملة القضايا التي طالبوا بها: إلغاء الأحكام العرفية في البلاد وإطلاق الحياة الصحافية، وتأسيس اتحاد مستقل للمعلمين وإطلاق سراح الطلبة والمعلمين من السجون وحل الدوائر الأمنية في دوائر وزارة التربية.

وفي "رشت"، أضرب عن العمل ٢٧ ألف عامل وعاملة من القطاع الحكومي والخاص في محافظة كيلان. وفي التظاهرات التي خرجت في كرمان شاه (باختران) قبل أيام، تم إضرام النار في ما يقرب من ١٥ مصرفاً. ومن هنا فقد بادر المسؤولون إلى بناء جدار أمام زجاج وقضبان المصارف من أجل الحؤول دون تعرضها للأضرار.

وألقي القبض على سبعة أشخاص من المضربين عن العمل في مصفى عبادان من قبل رجال الأمن، كما وانضم عدد آخر من العاملين في المصفى إلى المضربين تعبيراً عن استيائهم من أعمال رجال الأمن، وبدأ السجناء السياسيون في كرمان شاه وأهواز وشيراز الإضراب عن الطعام منذ يوم ٢٥ مهر، وقد أقلق هذا الأمر أسر السجناء بشدة.

وتتحدث تقارير المراسلين الواردة من دزفول وأنديمشك وزنجان وميناب عن قمع التظاهرات الشعبية السلمية بشدة من قبل رجال أمن النظام، واستشهاد عدد كبير من الناس وعدد من طلبة المدارس^(١).

وفقدت الحكومة السيطرة على زمام الأمور. وفي معرض إشارته إلى خلافات الحكومة مع المشير أويسي، كتب قره باغي في كتابه "اعترافات جنرال" يقول:

"... قلت في جوابي لشريف إمامي، إن ما قلتموه صحيح، بحيث أنه قد تجمع في مركز بلدية طهران العسكرية نفر غير مسؤول وفساد ومشكوك بأمره، كما أفادني تقرير الدائرة العامة للشرطة في البلاد... بدلا من تنفيذ مقررات حكومة الأحكام العرفية بدقة، وإلقاء القبض على محركي ومدبري الاضطرابات.. أن الوضع الأمني في البلاد يسير نحو الأسوأ يوما بعد آخر، ولا أمل في أن يتحسن الوضع، ومن الضروري اتخاذ قرار حاسم بهذا الخصوص"^(٢).

إن تصريحات قره باغي تدل على أن زمام الأمور كان قد انفلت من يد الحكومة تماما، ولم تلق الجماهير الثائرة بالا إلى أي من وعود النظام، ولم تثق بتحليل وتبريرات محترفي السياسة ونواب المجلس الصوري، متأسية في ذلك بقائدها الإمام الخميني (س).

إن التقرير الآتي أدناه لهو نموذج واحد لحيرة الرجل الذي كان يعد نفسه "ملك الملوك" يوما ما:

"... استدعى الملك جميع قادة النظام - تقريبا - إلى قصر سعد آباد. وكان من بين الحضور شريف إمامي (رئيس الوزراء)، محمد باهري (وزير العدل)، هوشنك نهاوندي (وزير العلوم والتعليم العالي)، منوجهر آزمون (وزير الدولة للشؤون التنفيذية)، منوجهر كنجي (وزير التربية) وكاظم وديعي (وزير العمل والشؤون الاجتماعية)، والمشير أزهارى (رئيس الأركان)، المشير أويسي (قائد القوة البشرية)، حاكم طهران العسكري، الفريق ناصر مقدم (نائب رئيس الوزراء ومدير الأمن والاستخبارات) والمشير قره باغي (وزير الداخلية).

كما وكان الملك قد طلب إلى فرح (زوجته) أن تحضر هي الأخرى هذا الاجتماع. وشرعت المباحثات من الساعة ١٩ وتواصلت حتى الثانية بعد منتصف الليل... واقترح منوجهر آزمون، في معرض شرحه لأوضاع البلاد الخطيرة، تشكيل "مجلس للثورة"! من أجل إعدام الأشخاص الذين كانوا قد ارتكبوا مفاصد في الماضي وتسببوا في إثارة سخط الرأي العام، من خلال محاكمتهم في محكمة سريعة من قبيل المحاكم التي تقام في زمن

(١) انظر الجرائد الصادرة من ٢٥ إلى ٢٩ مهر ١٣٥٧.

(٢) كتاب "اعترافات جنرال"، ص ٣٥ و ٣٦.

الحرب! وعلى الفور قال الفريق مقدّم (رئيس السافاك) لو تمت المصادقة على اقتراح السيد آزمون، فإنه سيكون الشخص الأول الذي يجب أن ينال جزاءه! فضحك صاحب الجلالة وضحك معه الآخرون!..^(١).

ففي خطابه في ٢٨ مهر ١٣٥٧ أكد الإمام الخميني (س) أن المستعمرين سعوا على مر التاريخ، أن يحطموا الدين (الدين الإسلامي والعلماء باعتبارهم رعاة التعاليم الإسلامية) اللذين يقفان في طريق نفوذهم إلى البلدان الإسلامية، مبينا نبذة تاريخية عن تعامل رضا شاه العدائي مع العلماء بذكر نماذج معينة من نهضات العلماء.

وفي معرض شرحه لنهضات أنبياء عظام أمثال إبراهيم الخليل وعيسى بن مريم (ع) والنبي الأكرم (ص)، ووقوفهم بوجه الرأسماليين والسلطين، أبطل الإمام أقاويل الذين كانوا يعتبرون الدين أفيون الشعوب ويعدونه صنيع الرأسمالية، وقال: "لقد وقف الأنبياء بوجه الرأسماليين وعارضوهم.. ويقف العلماء ومختلف طبقات الشعب في إيران بوجه هؤلاء الرأسماليين الكبار والقوى الكبرى. وها هم يصرخون مطالبين بالحرية والاستقلال..".

وفي القسم الثاني من حديثه، أشار الإمام إلى الآيات القرآنية التي تدعو المسلمين إلى التصدي للرأسماليين والطواغيت معتبرا الإسلام والقرآن والعلماء سندا قويا وعاملا بارزا لاتحاد وتلاحم الشعب الإيراني في نهضته المعاصرة. وأوضح أن العلماء يعارضون مفاسد الحضارة واستعمار الجامعة والسينما والإذاعة التي تعمل في خدمة الاستعمار وليس مظاهر التحضر.

وخصص الإمام قسما آخر من حديثه لشرح أوضاع إيران الاقتصادية المتردية، وتوضيح أهداف النهضة الشعبية وتضحيات الجماهير، وتخطّط النظام في تعامله مع أبناء الشعب، وعرف في باريس من خلال فضحه باستمرار أفعال نظام العالم، وخصوصا الغربيين الذين كانوا قد سمعوا في سنوات عديدة أخبارا محرّفة بواسطة أجهزة النظام الإعلامية وتقارير حلفائه الغربيين، ويعتبرون إيران جزيرة الشباب ومهد الحرية والرفاه، عرفهم بحقيقة ما يجري في إيران وترك بذلك أثرا كبيرا في أذهانهم.

وفي ختام حديثه، ذكر الإمام - كالعادة - الإيرانيين المقيمين خارج البلاد برسالتهم، وقال: "إن واجبكم الآن هو أن تبدلوا جهودكم بالكلام على الأقل، كما يبذل الإيرانيون (في الداخل) الدماء... فلا الاتحاد السوفيتي ولا أميركا بإمكانهما الوقوف بوجه هذا السيل العارم، إن هذا حق" ووراؤه يد الله وليس بمقدور أحد أن يحول دونه".

(١) كتاب "اعترافات جنرال"، ص ٣٦ و ٣٨.

الخطاب رقم - ٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

... في هذه البلدان من حيث الثروة التي تملكها هذه البلدان ومصلحة هذه الطبقة... المطروحة في العالم وسائر المعادن التي تملكها هذه البلدان الشرقية... كيف يمكن أن ترتب هذه المعلومات في صحافة الفئات التي تعيش هنا؟ كيف يمكن أن يتركوه وراءهم في القضايا الحياتية؟! إن هؤلاء قد ذكروا معلومات كثيرة فيها، وانتَهَوْا إلى أن هناك قوة كبيرة في مواجهتهم يمكنها أن تحول دون مصالحهم الخاصة، سواء المادية منها أو المعنوية. وهكذا... إن هذه الجمعيات لعلها كانت من أجل أن يكون أولئك لهؤلاء كي يكون بإمكانهم الحصول على الفوائد التي يريدونها ومنتهم إلى أن القوة والسد الكبير الذي يمكن أن يقف بوجه الاستعمار ويعرض مصالحهم للخطر في البلدان الإسلامية هو الإسلام. وبعد أصل ماهية الإسلام. شَخَّصُوا أولئك الذين يبلِّغون للإسلام، أي العلماء، شَخَّصُوا أنه لو كان الإسلام بهذا المعنى الذي غير، علماء الإسلام بهذا المعنى الذي يجب أن يكونوا، وكانت هاتين القوتين على رأس الأمور، فإنهما لا تسمحان للمستعمرين والأجانب أن يحصلوا على ما يريدون الحصول عليه، وإن الرأي الذي عندهم هو عبارة عن إبقاء هذا البلدان متخلفة من أجل تأمين مصالحهم وفرض عملائهم فيها.

إن هاتين القوتين قوتان فكريتان ويجب القضاء عليهما من وجهة نظرهم. تسلب هاتان القوتان من يد الشرق كي ينفذ هؤلاء أعمالهم بسهولة. ففي زماننا، أي في ذلك الوقت الذي أتذكره وأنتم لم تكونوا موجودين، وإذا البعض من تلك الطبقة كان موجودا فإنه كان صغيرا وشابا، فعندما جاء رضا شاه إلى الحكم كان مكلفا بتنفيذ هذين الأمرين، أي تحطيم الإسلام حتى في نظر المسلمين، وتحطيم علماء الدين وإزالة هذين السدين - كما رأى الأجانب - عن الطريق.

جاء رضا وبدأ يعمل، وعطل جميع المجالس الدينية^(١)، فكنت ترى في وقت ما استحالة إقامة مجلس للخطابة والوعظ في أنحاء إيران بشكل علني، وكان رجال الأمن في ذلك الوقت أيضا يراقبون الأوضاع ويدهمون (الأمكن) ويعتقلون البعض. هكذا كان هذا الرجل يريد أن يمحو المظاهر الإسلامية كافة.

(١) أول عمل لرضا خان في بداية حكمه منع تدريس القرآن والتعاليم الدينية وإقامة صلاة الجمعة في المدارس. وتوقفت الشعائر الدينية في أنحاء إيران، وأزيلت مجالس التعزية وحتى مجالس الفاتحة قد حددت ووضعت لها مقررات معينة. وعطلت الحوزات العلمية الواحدة تلو الأخرى، وأسست بدلا منها حوزات تحت إشراف وإدارة وعاظ السلاطين، ومنها مدرسة "المعقول والمنقول" (في مدرسة سبهاالار سابقا)، وكانت "مؤسسة التربية الفكرية" هي المؤسسة الرسمية الوحيدة للنظام في الشؤون الدينية التي تأسست سنة ١٣٧١هـ بش رضا خان إلى الحكم كان وأصبحت مكانا لتجمع وعاظ السلاطين والمرزقة. واستنادا إلى إحصائية، فإن عدد المدارس العلمية قبل مجيء رضا خان إلى الحكم كان ٢٨٢ مدرسة وعدد الطلاب كان ما يقارب ٥٩٨٤ طالبا. وفي سنة ١٣٢٠ أي سنة نهاية حكمه انخفض عدد طلاب الحوزات العلمية إلى ١٧٨٤، أي أقل من ثمن العدد الذي كان عليه قبل ستة عشر عاما. راجع تاريخ إيران الحديث، ص ٨٦، خاطرات، ص ٣٧٨، تاريخ ٢٠ عاما... ج ٦ ص ٢٠٣، انتفاضة كوه رشاد، ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٠.

ومن هذه الجهة فعل مع علماء الدين، مما لا أستطيع أن أشرحه لكم^(١)، وخصوصاً أولئك الذين كانوا مؤثرين بنحو ما، من أمثال المرحوم "مدرّس" الذي كان واقفاً بوجهه. ماذا فعل معه؟.. وأخيراً قتله^(٢).

وجاءوا بجمع من العلماء من أنحاء البلاد إلى طهران، فمثلاً المرحوم آقازاده الذي كان شخصاً مؤثراً في خراسان، أسروه وجاءوا به إلى طهران، أي أن الشخص الذي كان يقال له "سلطان خراسان" قد جاءوا به إلى طهران^(٣). إنني شخصياً رأيته في دار خاضع للرقابة. لقد كان جالساً على كرسي، كانوا قد وضعوه له في الخارج لأنه مريض مثلاً! ونقل لي أنه قد اقتيد حاسر الرأس وبمعية عدد من الجنود والحراس إلى العدلية في ذلك الوقت من أجل محاكمته. أخذوه بهذا الوضع مشياً على الأقدام من الشارع إلى هناك كي يستنطقه المدعي العام مثلاً. وألقوا القبض على جميع علماء أذربيجان، من بينهم شخصيتين كبيرتين هما المرحوم حاجي صادق آقا والمرحوم أنكبجي^(٤) وأبقوهما في قرية هناك في كردستان على الظاهر^(٥). وعلماء أصفهان آذوهم هكذا أيضاً^(٦)، وضغطوا على الحوزات إلى درجة أن هؤلاء الذين كانوا في درس ما (عدد من الأشخاص) مثلاً، وأنا شخصياً كنت أعطي درسا في ذلك الوقت من أجل عدد من الأشخاص مثلاً، عندما ذهب في يوم ما، كان شخصاً واحداً! وقال إنهم هربوا جميعاً من غرفهم بين الطلوعين (فجراً) باتجاه البساتين، وسوف يأتون فيما بعد من البساتين بملابس أخرى بحيث لا يُعرفون ويدخلون إلى غرفهم. لقد كانوا يداهمون المدارس ويعتقلون السلطة وأهل العلم ويأمرونهم بالآل يعتمروا العمامة... وأن يذهبوا إلى الخدمة العسكرية.. وما إلى ذلك من المضايقات.

إن هذا الشخص كان مأموراً بهذا المعنى الذي كان هؤلاء قد أدركوه وهو وجوب أن تتحطم هاتين القوتين. ويجب أن يتحطم الإسلام والعلماء ومبْلَغِي الإسلام. هكذا كان سلوكه، وشيئاً فشيئاً رأى هؤلاء أن هذه الطريقة ليست مؤثرة كثيراً مثلاً، فاختاروا طريقة أخرى، أن يعرفوا الإسلام إلى الشعوب في الداخل والخارج وبالشكل الذي يسقطه في نظر الناس ويكون قضية خرافية، قضية قديمة. فباشروا بالدعاية في الخارج والداخل، نعم حتى ولو كان الإسلام شيئاً ما، فإنه يعود إلى ألف وأربعمئة عام ماضية، وذلك كان في وقت كان فيه هؤلاء العرب - مثلاً - أشخاصاً متوحشين، وهذه كانت تعاليم هؤلاء في ذلك الوقت وكانت مفيدة بالنسبة لهم. أما

(١) راجع الملحق ١٢، ص ٣٢٧.

(٢) راجع الملحق ٣٢، ص ١٥٦.

(٣) راجع الملحق ٤٠، ص ٣٠٩.

(٤) راجع الملحق ٤٣ و ٤٤، ص ٣١٠.

(٥) حوالى ستنديج.

(٦) راجع الملحق ٢٨، ص ٣٠٨.

الآن وقد ظهرت الحضارة وظهرت ما لا أعرف ماذا، فإن الإسلام أصبح قديما وغير ذي فائدة! وإن تعاليم الإسلام هي تعاليم تعارض التقدم، تعارض الحرية! لم يعد الناس في الإسلام أحرارا، النساء في الإسلام ليس لهن أدنى حرية، والتعليم في الإسلام ممنوع، وينبغي أن لا تتجدد أي من هذه الآثار!! فإذا ظهر الإسلام فليس بإمكانهم عند ذاك أن يستقلوا الطائرة - أيضا - ويجب عليكم أن لا تذهبوا إلى المدرسة أيضا، ويجب أن تخرج نساؤكم من بيوتهن عند ذاك!.. لقد روجوا لمثل هذا الكلام طويلا في العالم بشكل واسع.

ومن جهة أخرى كانوا يلصقون التهم بعلماء الإسلام، الذين كانوا يعملون على نشر الإسلام، مثل: هؤلاء أناس وضعهم البلاط أو القوى الرأسمالية في هذا المكان من أجل أن يخدروا الناس وينجز الرأسماليون أعمالهم. إن هؤلاء يدعون الناس، أن اسكتوا.. اسكتوا إذا ظلمكم أحد.. ولا تتحدّوا أحداً أخذ أموالكم.. هؤلاء جماعة غدرت الناس وتحذروهم وتهددتهم من أجل أن لا يتفوه أحد بشيء عندما يأتي أولئك الأشخاص من الخارج ويريدون أن يأخذوا أموالهم، إن الذين أرادوا أن يأخذوا أموالكم هم الذين روجوا لهذه الأشياء. وصل الأمر إلى درجة صدق - معها في وقت ما - هذه المسائل حتى الداخل الإيراني.

ففي زمن رضا خان أيضا كان الناس طبقة واحدة من الناس بالطبع، كانوا يعاملون العلماء بالشكل الذي ينسجم مع رغبات الجهاز (الحكم)، وكانوا يتعاملون هكذا بتبعه. وفيما بعد عندما بدأ الترويع، شرع بشكل آخر. ولعل اعتقاد البعض من الأشخاص، بعض طبقات الشعب أيضا، كان انعكاسا لهذه المعاني، وهي أن هؤلاء أناس مضرون بالمجتمع، بل أكثر من ذلك، كانوا يقولون إن الدين أفيون الشعوب منذ نشوئه، الدين كان من أجل تخدير الجماهير وتخدير أعصابهم، ليأخذ أولئك مصالحهم!

هذه هي الدعاية التي كانت قد شرعت في بدايتها قبل مئات السنين من أجل هذه الغاية وهي أن هاتين القوتين يمكن أن تشكلا خطرا لهؤلاء إلى هذه العصور التي وصلت فيها إلى ذروتها وأخذت الصحف والمجلات الداخلية والخارجية تروج لها بفعل الأموال التي كانت تصرف عليها.

هذه نتيجة القضية التي تعرّض لها الإسلام والعلماء إلى الآن. إلا أن المطلعين على الإسلام والذين طالعوا القرآن، الذي هو سند الإسلام، ونظروا إلى سيرة الأنبياء السابقين وإلى سيرة النبي الأكرم، الذي هو نبي الإسلام، يدركون بنظرة عابرة شيطانية هؤلاء وفساد رأيهم.

فلو أحطتم بشخص رسول الإسلام لوجدتم أنه - وليس هو وحسب وإنما أي نبي آخر - لم يحكم بالقوة، مثلا سلطنة، أو قوة رأسمالية، وبالضد من الشعب، قد غدر الشعب لكي الرأسماليين.. منذ بداية نهضتهم، نهض الأنبياء خلافا للسلطين. ففي ذلك الوقت انتفض إبراهيم الخليل، الذي هو من أنبياء السلف وبعيد عنا، إلا أن أخباره وصلت إلينا، وقد نقل القرآن شيئا من أخباره، انتفض في وجه السلاطين وأولئك العظام الذين كانوا يعبدون الأصنام ويجورون على الناس.

موسى (ع) الذي انتفض بعضا، كان راعيا، كان شخصيا يمتهن الرعي، يرعى الغنم. لقد انتفض هذا الراعي بعضاه بوجه فرعون، سلطان مصر الكبير.

والنبي الأكرم ولد في مكة وكان فيها، وإن لم يكن هناك سلطان إلا أنه كان هناك رأسماليون كبار جدا. وكان أهل الطائف وأهل الحجاز يملكون ثروات كبيرة جدا، رؤوس أموال طائلة، ويملكون بساتين كبيرة، ولم يكن شيء من قبيل أن يكون أحدهم على وفاق مع الرسول. إن هؤلاء جميعا كانوا معارضين، والرسول كان يستفيد من هذه الطبقة الضعيفة والمستضعفة لمواجهة هؤلاء الرأسماليين. وبذلك القدر كان مشغولا بالتبليغ السري في مكة. إن هذه الجماعة... الجماعة الفقيرة والمستضعفة كانت من طبقة الفقراء والمساكين. لقد كان يجمع هؤلاء حوله، وبعد ذلك أيضا توفرت الأرضية وجأؤوا من مكة إلى المدينة، وبعد أن جأؤوا إلى المدينة فإن الذين اجتمعوا حول النبي كانوا نفس هؤلاء الفقراء والمستضعفين، وشيئا فشيئا وصل إلى أن يلتحق به أولئك أيضا الذين كان لهم، مثلا، قبيلة وعشيرة.

وفي ذلك الوقت، كانت الثورة بوجه الرأسماليين الكبار من قريش، مثل أبي سفيان وأمثاله، وأهل الطائف الذين كانوا يتمتعون بالمال والثروات، ليس لمجرد أنهم أصحاب ثروات وحسب، لمجرد أن أصحاب الثروات يجورون على الضعفاء دائما، ويأكلون أموال الضعفاء ويظلمون الضعفاء. إن السلاطين منذ البداية، وكما معلوم عن حالهم، وإلى الآن، كانوا أشخاصا، أينما كانوا، مستبدين ومستهترين ينهبون أموال الناس وكل شيء، ويتنهبون أعراضهم والأنبياء أيضا منذ بدء مجيئهم واجهوا هؤلاء. ولم تكن سيرة الأنبياء التبرير للرأسماليين. لقد كان الأنبياء في مواجهة الرأسماليين. الأنبياء كانوا معارضين للرأسمالية، ولم يوجد لهم الرأسماليون من أجل إسكات صوت الضعفاء.

كلا، لقد كان الرأسماليون شيئا واحدا، جماعة واحدة، والأنبياء وهؤلاء الأشخاص الذين كانوا يبلّغون، كانوا أيضا جماعة معارضة، يهاجمون أولئك ويضربون ما بوسعهم. وعلى هذا فإن المنطق القائل "إن الدين أفيون الشعوب"!!... "والأنبياء خدمة للرأسماليين"!!... هو قضية واضحة البطلان^(١). كانوا ينظرون إلى وضع الأنبياء بشكل سطحي.. ولكن ما العمل؟! إن دعايتهم كبيرة. إن الدعاية واسعة إلى درجة نحن لا نستطيع مواجهتها لأننا

(١) بخصوص معنوية الإمام في التعامل مع المتمولين. فإن نجل الإمام السيد أحمد الخميني نقل خاطرة جديرة بالذكر. فقد كتب سماحته "إن متولي الروضة المقدسة في قم الحاج السيد أبي الفضل المصباح المعروف بالتولية، الذي كان هو الآخر أيضا قد تعرض إلى الإيذاء والمضايقة من قبل النظام الملكي وفصل من تولية الروضة المعصومة بسبب تأييده للإمام وكان من المتمولين. زار الإمام في باريس وقال: معي مبلغ ٨٤ مليون تومان وأريد أن أقدمه لكم، لأنني في أواخر عمري. وكان يبدو أن شخصا ما كان قد رغب بذلك لكي يتمكن الإمام من زيادة رواتب الطلبة. وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت كبيرا ومفيدا جدا. إلا أن الإمام لم يقبل وشكره. قلت للإمام متعجبا لم لم تقبل؟ قال: نحن لم نأخذ نقودا من الرأسماليين ويتهموننا ويتهمون نهضتنا بالارتباط بالرأسماليين والإقطاعيين. والويل إذا أخذ شيء من النقود منهم! وإلى جانب ذلك، إنه وبعد انتصار الثورة الإسلامية، إذا ما جاء شخص بمقدار كبير من النقود لم يقبله الإمام ويقول إن هؤلاء لم يدفعوا وجوههم الشرعية (حقوق الله وحقوق الناس) ويريدون بهذه الطريقة أن يهربوا من الحساب الشرعي".

لا نملك الوسائل!! إن لديهم جميع الوسائل، ونحن لا نملك أي وسيلة.. الراديو تحت أيديهم.. التلفزيون تحت أيديهم.. والمطبوعات تحت أيديهم.. كل شيء تحت أيديهم. المجالات الداخلية والخارجية تحت أيديهم. الرأسماليون ورؤوس الأموال الطائلة تحت أيديهم، من أجل أن يعطوها لهؤلاء ليعملوا بها ما شاؤوا من الدعاية. أما نحن فعندنا منطق واحد وقلم واحد ومقدار من الأوراق، لا نملك شيئاً آخر. نحن نريد أن نوقظ الشعب ونفهمه بما فعل به هؤلاء إلى الآن. هكذا أرادوا أن يعرفوا مذهبكم ودينكم إلى العالم.

والآن أيضاً تقال هذه المسائل في بعض الأوقات، مع أنه يجب أن لا تقال بعد الآن. والآن أيضاً حيث أن إيران، وعلماء إيران، ومختلف طبقات الشعب الإيراني، يقفون بوجه هؤلاء الرأسماليين الكبار والدول الكبرى الاستكبارية، ويهتفون مطالبين بالحرية والاستقلال.. ونجد في بعض الأحيان أن صحيفة ما في الخارج تروج لمثل هذه المسائل غير الحقيقية.

وأما بخصوص أصل العلماء الذي كان أساسه الأنبياء (عليهم السلام)، ويتبعه أيضاً أولئك الذين كانوا يتبعون الأنبياء، ولو أنني أردت أن أقول لكم إن الانتفاضات التي قامت ضد سلاطين إيران كانت عديدة من قبل العلماء، وإنني أتذكر عدداً منها، إن هذه الأشياء الآن لا يسعني أن أتحدث بها ولا بقي وقت للحديث عنها.

وأما بخصوص أصل الإسلام، فهذا بحاجة إلى مطالعة بسيطة للقرآن:

إن سند الإسلام هو القرآن. وبمطالعة للقرآن، أنظروا هل تجدون في القرآن مكاناً يدعو الناس إلى السكوت أمام هؤلاء الرأسماليين وهؤلاء السلاطين؟ إن هذا القرآن هو الذي فيه دعا الله (عز وجل) موسى (ع) أن انهض واذهب لدعوة فرعون عسى أن يقبل. وتحدث معه بلين بالطبع لكي يستجيب^(١)، هذا الله الذي يأمر موسى بأن يذهب ويعمل (يناهض) فرعون، وهذا الله الذي يرغب الرسول بقتال المشركين الرأسماليين والمنحرفين.

حسناً، إن الآيات الواردة في القرآن بشأن القتال، الواردة في القتال والحرب، ليست واحدة أو اثنتين، الآيات النازلة في الحرب، والأمر بأن اذهبوا وقاتلوا... واذهبوا وانتفضوا... اذهبوا وأوقفوا هؤلاء عند حدودهم.. قاتلوهم كافة.. وقاتلوا المنحرفين كافة.. هي أوامر سارية بالنسبة لنا أيضاً الآن.. إلا أنه ليس لدينا الآن أسباب القتال بذلك المعنى، لكن أسباب هذا المعنى هو أن نوقظ الشعوب، وتعرف الشعوب بوضع الإسلام وبوضع المسلمين، وبوضع العلماء، حسناً نحن نستطيع أن نفعل ذلك الآن، أو شيئاً فشيئاً.

على أية حال، إن هؤلاء أرادوا أن يعرضوا الإسلام بشكل سيئ، من أجل أن يجدوا من تفاعل المسلمين في الإسلام، ويظهروا العلماء بشكل سيئ، من أجل أن يمنعوا هذه الطبقة عن الناس. فإذا ما وضع الشعب العلماء الذين يهدونه، جانباً، ووضع القرآن - الذي هو كتابه الديني - جانباً، لم يعد باستطاعة الشعب أن يفعل

(١) إشارة إلى مضمون الآية ٤٤، سورة طه.

شيئا. فالشعب لا يستطيع أن ينشط بوجه هؤلاء المستهترين، ما لم يكن متحدا ومستندا إلى نقطة واحدة. ليس باستطاعة أحد أن يفعل شيئا بمفرده. ويجب أن يجدوا لهم مستندا يستندون إليه، والقرآن بين المسلمين هو نقطة السند الذي يجتمع حوله الجميع. العلماء مورد الاستناد الذي يجتمع حوله الجميع. والآن حيث انقضت إيران - بحمد الله - فإن نقطة الاستناد أيضا هي هؤلاء العلماء وهذا الإسلام. إن الجماهير جميعها تهتف بالإسلام وبالنظام الإسلامي.

ليس الأمر أنه إذا ما ساء النظام الإسلامي سيخرب حياة الناس. ولم نعد بحاجة إلى مدفع ودبابة ومثل هذه القضايا. ونريد أن نركب الدواب! إن هذا الحديث الذي يتحدثون به هراء^(١)، وهل يوجد مثل هذا الشيء؟ وأين صدر من العلماء مثل هذا الكلام؟ وقالوا: نحن نعارض مظاهر التجدد! إننا نعارض مظاهر الانحراف أيها السيد. إن الأشياء التي كانت مظاهر للتحضر في صورتها على أيدي هؤلاء الفاسدين والمستغلين عندما تقع بأيديهم. إن دور السينما التي يمكن أن تربي قطاعا من الناس أو شعبا بكامله. يجعلونها بالشكل الذي تفسد أبنائنا وتسفهمهم. نحن نعارض هذا الأمر. إننا لا نعارض أصل السينما إذا كانت النشاطات التي تقوم بها والأشياء التي تعرضها أشياء مفيدة للشعب، وتربي أبنائنا وتنميهم.

إننا نعارض مراكز الفساد، التي تسرق منا شبابنا، والتي ترون في إيران: من المخدرات، وتعاطي الخمر، كم يوجد في طهران، كم فيها من مراكز للفساد! وكم قد جرّوا من شبابنا إلى تعاطي المخدرات، وإعراض إلى الفساد! والأسوأ في إيران من المصانع التي تنتج الخمر!! إننا نعارض هذه الأشياء، التي تفسد شعوبنا. وإلا فهل نحن نعارض الكتاب، أو نعارض الجامعة؟ نحن نقول إنهم يجعلون جامعاتنا بالشكل الذي لا تستطيع أن تصنع إنسانا، ليس بإمكانها أن تصنع إنسانا يستطيع الوقوف مرفوع الهامة أمام الأجانب. إنهم يصنعون شكلا من الـ"أنكلي"! إن جامعاتنا جامعات استعمارية، أي بالشكل الذي يريدون صنعها، لا يدعونها تتقدم.

إننا نعارض هذه الأشياء. وإلا فهل نحن نعارض الجامعات إذا كان يجب أن يكون في إيران أطباء ومهندسون وعلماء؟! متى عارضنا ذلك؟ هل نحن نعارض الجامعة التي يجب أن تكون مركزا للعلم والتربية وتربي أبنائنا بالشكل الذي يجعلهم مستقلين وأحراراً وقادرين على تقدم وازدهار بلادهم؟ أم أننا نعارض مذياعكم الذي ما أن يُفتح حتى يوجد فيه إما الرقص والغناء الذي يفسد أبنائنا أو الترويج للـ"أريامهر"^(٢).

(١) قال الملك بتاريخ ٢٤ مهر ١٣٥٧: "... أن يرجعوا بلدنا ليس إلى ما قبل ثورة الملك وحسب بل إلى ألف سنة بل يرجعون البلاد إلى ما قبل ألفي سنة" صحيفة "اطلاعات" ٢٤ مهر ١٣٥٧.

(٢) لقب (آريامهر) الذي يعني الشمس ونور سلالة الآريين، فقد جاء به رضا زاده السناتور الأذربيجاني ووافق عليه أسد الله علم الذي كان قد طلب إلى الأدباء لقباً كبيراً للملك، وقد أعطى المجلس الوطني هذا اللقب للملك عام ١٣٣٤ هـ وهذا اللقب (آريامهر) يدل بشكل واضح على طبيعة النظام العنصرية وعدائه للمعتقدات الإسلامية.

آتوا لنا بشيء لنرى أن لديكم "برنامجاً" تربوياً وتعليمياً صحيحاً. حسناً، ليس لديكم. إننا نعارض المذيع الذي يفسد أولادنا، وليس "أصل" المذيع. أعطونا المذيع لكي نديره نحن، فإننا نؤيده كثيراً، إننا ندير المذيع أفضل منكم.

إن لديكم تلفازاً، إلا أن الصور التي لا بد أنكم تعرضونها، أقل ما يقال فيها إنها تضيّع شبابتنا، تفسد جيلاً بكامله. نحن نعارض هذه الأشياء وليس مظاهر التحضر. إننا نعارض مظاهر التخلف. إن هؤلاء يريدون أن يبقوننا متخلفين ونحن نعارض ذلك. فالعلماء إذا عارضوا فإنهم يعارضون هذه الأشياء. مَنْ قال من العلماء: إذا تحدث المذيع بحديث صحيح وتعاليم صحيحة إننا نعارضه؟ مَنْ قال من العلماء: إذا أعطى التلفاز تعاليم صحيحة لإنماء شعبنا إننا نعارضه؟ إننا نعارض هذه الأشياء الواقعة بيد هؤلاء، إننا نعارض هؤلاء الزعماء الذين يعملون على ضياع بلادنا؟ إننا نعارض هذا الملك. إننا نعارض هذا وأباه الذي جلب ويجلب الولايات إلى هذا الشعب، إن هؤلاء الآن يقضون - وقضوا - على جميع مصالحهم.

ستجدون أنفسكم لا تملكون نفطاً بعد مدة من الوقت إذا استمر بيع النفط مثلما يفعلون الآن^(١). كما وقد خربوا الزراعة أيضاً، وأوجدوا سوقاً لأمريكا. فكيف سيعيش الجيل الآتي بعد ثلاثين عاماً في هذا البلد؟ يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الجهات. هل يصح أن نذهب نحن وكفى؟ وإلا فإنني شخص في الثمانين، قريب الثمانين، ووجودي سنة أو ستة أشهر أخرى، إلا أننا مسؤولون أمام الإسلام.. أمام الشعب.. ويجب أن نوصل السائل إلى الشعب ونقول له ماذا يفعل هؤلاء به.

فعندما نقول ما يجب أن يكون، يؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى أن يعملوا من أجل أن لا يتمكن من البقاء في العراق، ولا تسمح لنا الكويت بدخولها ولا استطعنا إلى الآن أن نحصل من سوريا على موافقة، أو أننا لم نطلب منهم، إلا أنهم أيضاً لا يعطون هذه الأشياء. إنني رأيت البلدان الإسلامية لا يمكن أن نعيش فيها، أي أنني لا أستطيع أن أنفذ مقصدي في البلاد الإسلامية، فجئت إلى هنا^(٢)، وهنا أيضاً لا أجد ما ينبغي أن يكون.

إن هؤلاء^(٣) يعملون كل ما بوسعهم من أجل أن لا تصل كلمة حق واحدة إلى الشعب وإلى العالم. يعملون من أجل أن لا تصل هموم الجماهير إلى أسماع العالم، ومن أجل الحؤول دون (وصول أخبار) هذه المذاهب التي يقومون بها كل يوم. ولعلمهم يكونوا مشغولين بها الآن.. لا أدري الآن، إلا أن الوضع وصل إلى حد أن هذه المسائل تحصل يومياً. في كل مكان ترى، وفي أي وقت تطلعون الصحف التي أحياناً يكتبون كلمة

(١) طبقاً للإحصاءات الرسمية، فإن إنتاج النظام من النفط في عام ١٣٥٧هـ ش وقبل بدء الإضراب في الصناعات النفطية، كان خمسة ملايين وثلاثمائة ألف برميل في اليوم.

(٢) راجع الملحق ١، ص ٤٤٢.

(٣) النظام السابق.

منها، و تسمعون إلى الاذاعات الأجنبية، وهؤلاء هم الآخرون لا يكتبون كلمة. أيضا أينما تنظر ترى أنه لقي عدد من الأشخاص مصرعهم في مكان ما عدد من الأشخاص! قدر من ذلك يذكرونه هم. وبعد ذلك عندما يطلعوننا يقولون: أنتم أضربوا ذلك في عشرة! ليس عشرة أشخاص، بل مئة شخص، الذين لقوا مصرعهم. وهذه المأساة باقية يومية لهؤلاء.

حسنا، ماذا يريد هذا الشعب الذي يقدم كل هذه الضحايا؟ اسمعوا هذا الشعب من لسانه. إن تلك الأشياء المسجلة هناك عن هذا الشعب، هي تسجيل، وقد سجلوه، حسناً ليأت العالم ويسمع هذا الشعب من لسانه ماذا يريد، لماذا يعمل كل هذه الضوضاء؟ هل أعطي هذا الشعب الحرية وأخذ يصرخ كل هذا الصراخ؟!

أجأؤوا إلى هذا الشعب بـ "المدينة الكبيرة" من بوابة الحضارة الكبيرة وأخذ يصيح منها؟! هل أن صياحه هو أنكم تصنعون المدينة الكبيرة ونحن لا نريد؟ هل أن صياحه هو أنكم تصنعون الحرية وقد صنعتم رجالا ونساءً متحررين^(١) ونحن لا نريد؟ أم أنهم يهتفون يا سيد.. إننا نريد الحرية ونريد الاستقلال!.. ونريد حكومة الإسلام، إننا نريد حكومة العدل، إننا نريد أن يأتي شخص أو حكومة إلى السلطة أن لا يكون (أو تكون) لصاً على الأقل!.. في الأقل أن لا تكون الحكومة لصة.. أن لا يأخذوا بيت مال المسلمين ويشتروا به في الخارج أشياء لأنفسهم وأقاربهم، عليهم أن لا يشتروا كل هذا في البلدان الأخرى، وأن لا يضعوا أموال الناس في المصارف الأجنبية بأسمائهم. هكذا نحن نريد.

إن هذا الشعب يصرخ: إننا نريد الحرية، وهذا السيد يقول: إننا نريد الحرية^(٢) لماذا إذاً يصرخ إذا كنتم قد منحتموه؟! هل هذه هي حكومة الصلح التي جئتم بها وأخذت تقمع الشعب في إيران؟^(٣) هذا هو صلحكم! كيف إذن ستكون حربكم؟!..

وانتم أيضا أيها السادة الذين تقيمون في الخارج، يجب عليكم أن تتواصلوا مع اخوتكم في إيران. إن هؤلاء الإخوة قد انتفضوا من أجلكم، أي أن انتفاضتكم هي انتفاضة لا تختص بهم وحدهم، وأنتم أيضا

(١) بعد أحداث ١٥ من خرداد ١٣٤٢ استعدت الحكومة لإجراء انتخابات المجلس، وفي هذه الدورة عازمت الحكومة على التحويل دون وصول الأحزاب المعارضة إلى المجلس وإرسال عدد من الذين كانوا يعملون في "الإصلاحات الأرضية" وممثلي العمال "الأعضاء في السافاك" بدلا منهم. وبهذا القصد فقد أقيم مؤتمر تحت عنوان "النساء والرجال الأحرار" أداره حسن علي منصور. وقد جاء هذا التجمع الذي كان قد تشكل بتأييد من أميركا، ويعتبر نفسه نصيرا لمبادئ "ثورة والشعب" ونصيب وجوها جديدة في مقاعد المجلس، ومنهم حسن علي منصور وعباس روستا (الخياط الطهراني الثري) وحبوبي (أحد أبطال إيران المعروفين بالمصارعة)، ومجيد محسني (الممثل في الراديو والسينما) وعباس ميرزائي (ممثل عمال الدخانيات وعضو السافاك).

(٢) راجع الملحق ٩، ص ٣٢٠. والملحق ١٥، ص ٤٥٠.

(٣) شريف إمامي الذي تلتطخ بعار الجريمة المريعة في ١٧ شبهرير ١٣٥٧ (الجمعة السوداء) كان قد أطلق على حكومته اسم حكومة

"الحوار الوطني".

شركائهم. وفي توفيقكم أنتم أيضا. فالآن هناك الكثير من شبابنا لا يستطيعون العودة إلى بلادهم حتى لو كانوا قد تحدثوا بكلمة واحدة، أجل كلمة واحدة هنا.

أو أنهم قد عبروا عن آلامهم في وقت ما عند مجي الملك، وتظاهروا ضده، أعني هؤلاء أسماؤهم مسجلة إلى النهاية، وليس بإمكانهم العودة إلى بلدهم.

إن هذا الشعب الذي انتفض الآن، يقدم الضحايا من تلاميذ الابتدائية، وحتى الإعدادية والجامعة، ويقدم الضحايا من أبناء "البازار" والعلماء، ويتحمل الآلام كل من العالم وابن البازار والطالب الجامعي، ويهتف الجميع ويتظاهر ويهتف كل يوم أن الموت لهذا الشخص، الموت لمملكة بهلوي. إن هؤلاء يريدون أن تكون بلادهم بأيديهم ويديرونها بأنفسهم. إن لديهم شباباً وعلماء وكل شيء. إلا أن هؤلاء لا يسمعون، وهم يريدون عزل هذه الطبقة التي ترفض أن يتقدم بلدهم ويتربى شبابهم تربية صحيحة. وينصبوا حكومة العدل الإسلامي التي تفيد الناس. تلك الحكومة التي عندما يأتي حكمها وحاكمها إلى السلطة يقول إنني أخشى.. ويأكل هو خبز الشعير ويقول: أخشى أن يكون في المدينة الكذائية في الإمامة من يكون طعامه أقل من هذا ومثل هذا، نحن ليس بإمكاننا أن نكون مثله بالطبع، إلا أننا نريد شخصا لا يكون لصا على الأقل.

نحن مكلفون جميعا بأن نمد يد العون إلى إخواننا الإيرانيون ما وسعنا. وأنتم بإمكان كل واحد منكم أن يشرح لعدد من أولئك الأوروبيين الذين تلتقون بهم أن الإيرانيين الذين قد انتفضوا يقولون هكذا، وهكذا يريدون. قفوا قبالة هذه المجلات التي تنقل خلاف هذه المسائل. وإذا ما رأيتم أن مجلة ما قد كتبت شيئا خلافا للحقيقة. اعترضوا على الكاتب وقولوا له: إن القضية ليست هكذا. إن ذلك له تأثيره. لينور كل واحد منكم، إن استطاع، عشرة من هؤلاء الأوروبيين أو الأمريكان، ويفهمهم بأن قضيتنا هكذا. والآن حيث يعارض الشعب الإيراني ليس أنه شعب متوحش ناهض ولا يمكن إعطاؤه الحرية، وإذا أعطوه الحرية سيحرق الكل. وضّحوا لهم أنه كلا، إنهم حرقوا هؤلاء الذين يهتفون ولو لم يقفوا بوجههم سيهتفون.. إن هتافهم هو من أجل النار التي ابتلوا بها. لو أنكم وضّحتم - كل واحد منكم - لعشرة أشخاص أن عددكم كبير في أوروبا، فلو وضّحتم - كل واحد منكم - لعشرة أشخاص فلسوف يظهر موج من ذلك.

بلّغوا أيها السادة، أنتم الآن مكلفون بأن تعطوا بالكلام على الأقل كما يعطي الإيرانيون الدماء. بلّغوا أنتم على الأقل. لا تجلسوا في بيوتكم بدعوى أننا الآن هنا مرتاحون، وتظنون تسمعون أن ما جرى؟ وأين قتلوا؟ حسنا، أنتم يجب أن تتأسفوا لهذه الضحايا، إنهم قتلوا الطفل البالغ من العمر ثمانية أعوام وعشرة أعوام، قتلوا وأراقوا دماء الفتيات البالغة من العمر ثمانية وعشرة أعوام في المدارس الابتدائية. قولوا هذه الأشياء لأصحابكم. وبإمكانكم أن تكتبوا في الصحف الموجودة هنا، وأيضا كتم وتعرضوا هذه الأشياء. واذهبوا إلى الذين قد يكتبون أشياء تتنافى مع هذه الحقائق وقولوا لهم ليس الأمر هكذا، لماذا تكتبون هكذا؟ وعاتبوهم على ذلك،

عسى أن تخلقوا - إن شاء الله - موجاً أكبر من هذا الموجود، ويمكن أن أطمئنكم أن شعبنا يتقدم إن شاء الله، لأن النهضة الآن هي نهضة وطنية، نهضة شاملة.

وإذا سار سيل الشعب هذا باتجاه واحد، فإن الدبابات لا تتمكن - كما لم تتمكن - من الوقوف في طريقه. كما وليس باستطاعة أميركا أن تقف بوجهه أيضاً. إن هذا السيل العارم من الشعب، إن أي شعب، ومهما كان الشعب ضعيفاً، فإن ثلاثين مليوناً قد تحرك - باستثناء عدة مئات من الأشخاص العملاء الأجراء له - من أجل أن يزيد في عطاءاته لهم، وإذا لم يعطهم يوماً واحداً سوف ينقلبون عليه. إن هذا السيل قد تحرك الآن. وهذا السيل العارم لا يمكن أن توقفه لا أميركا ولا روسيا. إن هذا حق. إن تكن هذه فهي يد الله ولا يتمكن أحد أن يوقفها. إن المطلب مطلب حق واضح، يقولون: إننا نريد الحرية، إن شعباً يقول إننا نريد الحرية، ليس باستطاعة أحد أن يقول لا. إن هؤلاء أناس، وليس باستطاعتهم، وإن كان جداً صعباً بالنسبة لهم الآن، إلا أنه ليس باستطاعتهم أن يواجهوا بالحرب مثل هكذا منطق حق. ولا يمكن أن تكون حكومة عسكرية دائمة، وإن كانوا غير قادرين أن يعيشوا دون حكومة عسكرية دائمة.

على أية حال، اطحوا قضاياكم لهؤلاء الأجانب. وإذا كان لديكم أصدقاء قولوا لهم، تذهبون إلى المدارس، قولوا، تحدثوا إليهم، اشرحوا لهم، تحدثوا. اجمعوا عدداً من الأشخاص وسيزيد شيئاً فشيئاً، وتصيرون وعاظاً وخطباء. اشرحوا لهم مسائل إيران، وإذا فعلتم لسوف تخلقون موجة هنا، وإذا خلقتم موجة، سوف لا تستطيع المجالات أن تعمل بشكل يتنافى معه، لسوف يقف هؤلاء بوجههم.

إن هذه خدمة يمكننا أن نقدمها للإسلام خلال الأشهر التي نمضيها في الخارج. أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقكم ويحفظكم جميعاً. حفظكم الله جميعاً إن شاء الله، موفقون.

هوية الخطاب رقم - ٣٨

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٧ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: ليس لنهضة الشعب الإيراني المسلم مثل في التاريخ.

المناسبة: إشادة بأسر لشهداء النهضة الإسلامية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

سيل من الصحفيين الأجانب، من وكالات الأنباء العالمية المهمة يتقاطرون على طهران من أجل إعداد تقارير عن أحداث إيران: التظاهرات الشعبية وقمعها من قبل النظام، ومواجهة المتظاهرين من قبل رجال الحكومة العسكرية. كما وتتحدث الأنباء الواصلة من باريس عن حضور الصحفيين من شتى أنحاء العالم إلى محل إقامة الإمام الخميني (س) بشكل قلّ نظيره.

وفي الوقت الذي كان فيه الشعب الإيراني يواصل نهضته بكل قطاعاته ويهتف "عاش الخميني" و"الموت للملك". قال الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" في مؤتمر صحفي في معرض دعمه للملك في رأيه "أن الملك كان موفقا في تثبيت الديمقراطية في إيران!" وفي جوابه على سؤال أحد الصحفيين في هذا اللقاء، قال "كارتر": "إن موقع إيران الإستراتيجي المهم، يحتم وجود علاقات حسنة بيننا وبين إيران، ومن المهم جدا أن تكون لأميركا علاقات حسنة مع إيران مستقلة وقوية". وأضاف الرئيس الأمريكي بلغة دبلوماسية: "... ومع ذلك، لا تنوي الولايات المتحدة الأميركية التدخل في شؤون إيران الداخلية بأي حال من الأحوال!"

ومن ثم أضاف "كارتر" في معرض إشاداته بالملك: "إنني أعتقد أن الملك قد عمل بشكل حازم وسريع في سبيل تثبيت الديمقراطية في إيران، وهذا الأمر سبب الكثير من المعارضة التي واجهتها الحكومة الإيرانية مؤخرا من قبل المحافظين واليساريين".^(١)

وفي خطابه الأخير، يقول الإمام الخميني (س) في معرض إشارته إلى أسباب دعم الولايات المتحدة الأميركية للملك والنظام الملكي: "... بالطبع يجب أن يقول (كارتر) إن الملك قد منح حرية جيدة، وأعرض لكم، يصنع بلدا متقدما! فحسب منطق السيد كارتر، إن الحرية هي عبارة عن هذه المجازر التي ترتكب الآن في إيران باستمرار... أجل! إنه عمل جيد بالنسبة لكم، إنه لقمة دسمة بالنسبة للأجانب. إن نفط الشرق وإيران والحجاز، بالأخص، لقمة دسمة بالنسبة له، وبالطبع يجب أن يعلن دعمه!..."

(١) صحيفة "اطلاعات" ١٣٥٧/٧/٢٣، نقلا عن "رويتر" و"أسوشيتد برس" و"يونايتيد برس".

وإثر صدور بيان الحكومة القاضي برفع الرقابة عن الصحافة، قال منوچهر آزمون: "إن الحرية المطلقة للصحافة من الممكن أن توجه إلينا بعض الضربات، إلا أنه يجب علينا أن نتحمل هذه الضربات".

حل موسم الحج، وتوجه عشرات الآلاف من أبناء الشعب الإيراني إلى العربية السعودية من أجل أداء مناسك الحج. واغتنم الإمام الخميني (س) الفرصة، ووجه في ٢٦ مهر ١٣٥٧ رسالة مهمة إلى زوار بيت الله الحرام. وفي هذه الرسالة أكد سماحته في معرض شرحه لأوضاع إيران: "...والآن حيث استيقظ الشعب، في السنوات الأخيرة، ونهض من أجل إحقاق حقه وتعالص صيحاته المظلومة، فإنه يجاب بواسطة البندقية والدبابة والمدفع. إن المجازر البشرية التي ارتكبت خلال الأشهر الأخيرة في مدن إيران قد سودت وجه التاريخ: لقد انهال الملك بكل ما يملك من قوة جهنمية - بدعم من أميركا - على الشعب المظلوم. إن إيران تحولت إلى ما يشبه مقبرة، والإضراب يعم البلاد، ويريد الملك، في أنفاسه الأخيرة هذه، أن ينتقم من هذا الشعب المستضعف... إن أيا من البلاد الإسلامية لا تسمح لي بممارسة نشاطي الذي هو إيصال صوت مظلومية الشعب إلى أسماع العالم، ولأنني أرى أنه يجب عليّ أن أؤدي واجبي الشرعي والوجداني، لذا فإنني خرجت من البلاد الإسلامية عسى أن أستطيع شرح حقيقة ما يجري على الشعب الإيراني المظلوم إلى المجتمعات الإنسانية، ولأقيم في الخارج لحين إتاحة فرصة لمواصلة العمل في إحدى البلدان الإسلامية..."

وتحدثت تقارير المراسلين الإيرانيين من العربية السعودية عن توزيع عشرات الآلاف من نسخ رسالة الإمام بين مسلمي إيران والعالم، على الرغم من القيود الكثيرة التي فرضتها الحكومة السعودية، وتركت صدى واسعا بين زوار بيت الله الحرام.

يجب البحث عن سر شعبية ومحبوبة الإمام الخميني (س) في إخلاصه وتواضعه الكبير أمام جماهير الشعب. ففي بداية خطابه المذكور، يخاطب الإمام الجماهير بتواضع جم: "إن الشعور الدائم العالق في ذهني هو أنني لم أقدم شيئا أمام الشعب الإيراني الذي يضحي الآن بكل ما لديه في سبيل الإسلام، وأمام هؤلاء الآباء المفجوعين بأبنائهم... لم أستطع أم أؤدي الدين الذي عليّ لهؤلاء".

وفي جانب آخر من خطابه، يعتبر الإمام اشتراك جميع أجنحة وقطاعات الشعب في الثورة الإسلامية أمرا لا مثيل له وواحدا من الألفاظ الإلهية، مؤكدا أن الاستقلال ليس ممكنا دون إسقاط سلالة بهلوي. ويعتبر قائد الثورة في معرض تشديده على الشعارين المبدئين أي "الحرية" و "الاستقلال"، أن السبب الرئيسي للتخلف الاقتصادي والزراعي في البلاد ولنهب ثرواته النفطية يعود إلى ذيلية النظام الملكي لأميركا وعمالة رضا شاه، والتدخل الأجنبي في شؤون إيران، شارحا الخيانات التي ارتكبتها أسرة بهلوي على مختلف الأصعدة، ومن ثم يعرّي حقيقة "بوابة الحضارة الكبيرة" للملك أمام الرأي العام، والتي كان قد أيدها وأشاد بها "كارتر" أيضا في لقائه الصحفي الأخير، بشرحه الأوضاع المأساوية التي يعيشها سكنة الكهوف في طهران والمدن الأخرى.

الخطاب رقم - ٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إنني عندما أواجه هؤلاء الأشخاص الذين قدموا أغلى ما لديهم في سبيل الله، قدّموا شبابهم وتحملوا الآلام. إنني عندما أواجه هذه الصور الإنسانية، لا يسعني أن أقول شيئاً سوى الشعور بالحقارة. إن الشعور الدائم العالق في ذهني هو أنني لم أقدم شيئاً أمام الشعب الإيراني الذي يضحي الآن بكل ما لديه في سبيل الإسلام، وأمام هؤلاء الآباء المفجوعين بأبنائهم... لم أستطع أن أؤدي الدين الذي علي لهؤلاء، سوى أن ألتمس العذر من البارئ تعالى عن التقصير لأننا جميعاً عباده تعالى، ومسلمون لإرادته، ونفتدي أحكامه المقدسة بأرواحنا.

والشعب الإيراني نهض اليوم من أجل إحياء الإسلام وإحياء أحكام الإسلام. ولنهضته التي قام بها ليس لها مثيل في تاريخ الإسلام وإيران، هذه النهضة الأصيلة المبدئية. كما أن أبعاد هذه النهضة قد شملت جميع القطاعات، وهي ليست مختصة بفئة دون أخرى. ففي سابق الأيام، إذا ما حصلت نهضة ما.. وثبة ما مثلاً، كان العلماء مثلاً الأجنحة السياسية في الخارج، إنها كانت من قبل الأجنحة السياسية. الأجنحة الأخرى في الخارج، أو أن أصحاب البازار كانوا يطالبون بشيء ما، وكانت الأجنحة الأخرى لا تتفاعل معهم، أما اليوم فبإذن الله (تبارك وتعالى)، بإرادة الحق تعالى، فقد التحمت إيران بكافة أجنحتها: الأجنحة السياسية.. وأجنحة العلماء.. والبازار.. ومن تلامذة الابتدائية وحتى الجامعيين وطلاب الإعدادية.. تحركوا معاً جميعهم ونهضوا، والجميع يطالب بشيء واحد، ويهتفون جميعاً بقولهم: إننا نريد الحرية ونريد الاستقلال. إن مقدمة الحرية والاستقلال هي "إزالة" هذه السلالة الخبيثة التي لم تفعل شيئاً لإيران والإسلام، منذ مجيئها إلى الحكم وإلى الآن، فضلاً عن الأضرار التي تسببت بها، إننا لا نريدها. الجميع معاً، الأطفال الصغار الآن تسببت بها، إننا لا نريدها. الآن عندما يخرج هؤلاء الأطفال من مدارسهم الابتدائية أو الإعدادية ويسرون في الشوارع متجهين إلى بيوتهم، فإن شعارهم هو الموت للملك. وهذه ليست مسألة أن يستطيع بشر أن يجمع الناس هكذا ويجعل جميع الطبقات تتجه وجهة واحدة. إن هذه هي يد الغيب الإلهية التي يجب أن نتطلع إليها. وإنني لأتطلع أن يقلع هذا المجتمع - الذي تحرك كالسيل - كل ما يقف في طريقه ويقضي عليه.

أي قوة كانت مع قوة الشعب... إن الشعب إذا ما نهض وكانت مطالبه حقّة، أي أنه إذا ما عرضت هذه المطالب في أي من المجتمعات الإنسانية، الجميع يعطون الحق لهم، يقولون لهم: ماذا تريدون من الإضراب الذي قمتم به؟ ماذا تريدون من التضحية بشبابكم؟ ماذا تريدون... ويزجون بعلمائكم في السجون وينفونهم؟ ما الذي تفعلونه... ويعتقلون ساستكم ويسجنونهم ويضايقون رجال بازاركم ويعذبونهم؟ ماذا تريدون من وراء كل هذا الظعن الذي تقومون به؟ يقولون إننا نرفض أن نكون أسرى القوى الكبرى.. نحن نريد أن تكون بلادنا ملكنا نحن.. أن ندير بلادنا بأنفسنا... نحن نريد أن نكون أحراراً.. ليس مثل الحرية التي يعطيها لنا الملك.. إن هذه الحرية جيدة بالنسبة له ولأسرته... هذه هي الحرية!!

إن مثل هذه الحرية التي يمنحها "الملك" مثل هذا "الصلح" الذي تقوم به الحكومة... كله إراقة للدماء!...^(١) الحرية كلها سجن! وكلها إهانة!.. إن هؤلاء قد وضعوا يدا بيد وأخذوا يهتفون بصوت واحد: إننا نريد الحرية والاستقلال. نحن لا نريد عندما نذهب إلى الخدمة العسكرية، ونذهب إلى جيشنا يأتي الأمريكان ويديرونه.. ويصنعون جيشا حقيرا.. والمستشارون الإيرانيون يكونون تحت إشراف المستشارين الأمريكان.. والجيش الذي تُصرف عليه أموال إيران، ويكون تحت إشراف وتدريب المستشارين الأميركيين، ويراد له أن يعمل لأمركا. فعندما تنظر إلى نظامه ونجده مثل هذا النظام! وعندما تنظر إلى سيده الملك، هو أيضا قد جاء به الحلفاء ووضعوه هنا. هو الذي قال إن الحلفاء قد ارتأوا أن أكون أنا^(٢)، كما أن "إقبال" أيضا قد جاء به الإنكليز! كما أعلن ذلك راديو دلهي في ذلك الوقت. لقد أعلن راديو دلهي في الحرب العالمية هذه القضية، وهي أننا أتينا بـ"رضا شاه" ومن ثم خاننا، والآن نأخذه^(٣) وأخذوه إلى جزيرة موريس^(٤) وأرسلوه إلى الجحيم.

وعندما ننظر إلى ثقافته، نلاحظ أن ثقافته ثقافة استعمارية، أي صورية، أي أمروه. إنه يقول إنه أَلَف كتاب "مهمة في وطني"^(٥) صحيح يقول إن له "مهمة" في وطنه! وله مهمة من قبل الأميركيين أيضا! أن يضيق هذا

(١) في أوائل شهر يور ١٣٥٨ جاء ناصر مقدم (رئيس السافاك) برسالة إلى الملك من قبل أحد العلماء، طلب فيها من الملك أن يأمر بإجراء تغييرات أساسية ومنها تغيير الحكومة، من أجل الأوضاع والحفاظ على النظام (وهذا العالم كان شريعتمداري طبقا للوثائق الموجودة) فبادر الملك إلى تنصيب رئيس مجلس الشيوخ شريف، الذي كان من أسرة علمانية، على رأس الوزراء. وشكل شريف إمامي حكومة "المصالحة الوطنية" وعرف نفسه في كلمة في بداية تصديده، بأنه من عائلة علمانية ومتدينة أو من مقلدي شريعتمداري. ومن أجل تهدئة الأوضاع شرع الأخير بتنفيذ بعض الأعمال الإصلاحية في الظاهر وبعضها كانت عبارة عن ما يلي: إلغاء القيود المفروضة على نشاط الأحزاب السياسية، وإعادة التاريخ الملكي إلى التاريخ الهجري، وعزل واعتقال أشخاص مثل هزبر يزداني ونصيري وآخرين. وإغلاق الكازينوهات ومحلات القمار التي كان يديرها بنفسه قبل ذلك بيوم واحد باعتباره مديرا لـ"مؤسسة بهلوي" أو إلغاء الرقابة. والإجراءات التي كانت قد اتخذت من أجل إخراج الإمام من العراق الذي كان يطالب به العراق أيضا نتيجة اهتمام شيعة العراق بالإمام. ظنا منه أن اتصال الإمام بالشعب الإيراني سيقطع، وإجراءات أخرى من هذا القبيل. ولقد كان طرح شريف إمامي يهدف إلى تأميل المعارضة بالحصول على الامتيازات. إنه كان يقول إن هذه الامتيازات يجب أن تكون بالقدر الذي ترى فيها المعارضة أنها تستجيب لجميع مطالبهم. ولا تنفي لديهم ما يطلبونه. وهذا التكتيك الجديد للنظام أيضا قد فشل فشلا ذريعا. وتصاعدت هتافات "الموت للملك" من كل أنحاء إيران. فاضطر النظام أن يأتي بحكومة عسكرية إلى الحكم. لقد كان انتخاب شريف إمامي عملا محسوبا بدقة. إنه كان من أقوى شخصيات أجنحة الماسونية في إيران ونائبا لذكاء الملك فروغي، نجل أحد العلماء المعروفين "شريف العلماء الكلبايكاني" ومع أنه مرتبط بالأجنحة الإمبريالية، لم يكن عضوا في أحزاب إيران الجديدة والبعث، وأنه ساعد الملك في أزمة عام ١٣٣٠هـ، وشكل الحكومة بدلا من الدكتور إقبال، وقد كان من جملة الذين أخرجوا مئات الملايين من الدولارات من البلاد.

(٢) راجع الملحق ٣١، ص ٣٤٤.

(٣) راجع الملحق ١٠، ص ٣٢٦.

(٤) جزيرة من جزر المحيط الهندي، تقع في المياه الساحلية لجنوب شرق أفريقيا.

(٥) "مهمة من أجل وطني" كتاب منسوب إلى الملك.

الوطن وشبابه، أن يجعل هؤلاء متخلفين، أن يبقى البلاد في حالة من التخلف لئلا يحصل فيه نمو، على الأقل يحصل نمو في قطاع الشباب ويقف بوجه أميركا ويقول: ماذا تريد منا أيها السيد.

فعندما نلاحظ ثقافته، نرى منذ كم من الأعوام نملك المدارس! لقد مضى على عمر دار الفنون ما يقارب السبعين عاما تقريبا^(١)، ومنذ كم من السنين نحن نملك الجامعات، والآن عندما يريد الملك أو ابن الملك أن يجري عملية لوزتين لا زالوا^(٢) يأتون بالطبيب من أميركا أو مكان آخر، أو إذا استطاع أحد يذهب إلى الخارج ويجري العملية. إذا كان هناك مريض يذهب إلى الخارج لمعالجة مرضه، إذاً الواضح أننا لم نكن نملك، لم تكن لدينا جامعة. إذا كنا نملك لكان يجب أن نديرها بأنفسنا، يجب أن يكون الطبيب منا. كما وأنهم عندما يريدون أن يبنوا بناية ما، أو يقيموا سدا ما، وحتى تعبيد طريق ما، أو تخطيط شارع ما (يأتون) بالخبراء أيضا. إذا كنا نملك خبراء، إذاً لماذا تأتون من الخارج؟ إذا كنا نملك ولا تأتون بهم فإنكم ترتكبون خيانة أيضا، لأنكم ختمتم شعبنا حيث يجب بعد كل هذه السنين، أن نستعين بالخارج ونستورد الخبراء من أميركا أو أوروبا، إذا ما أردنا أن نبني بناية، أو نقيم سدا أو نبني مكانا لشيء ما.

لأي شيء منه شأن أن ننظر، ستجده يسير برجل واحدة. انظر إلى اقتصاده إنه كارثة، فكما يقول الخبراء: إن إيران تحتاج الآن إلى أن تؤمن غذاءها من الخارج لأحد عشر شهرا، أو أحد عشر شهرا إلا ثلاثة أيام (في السنة). وهذا يعني أن إيران لا تستطيع أن تعتمد على نفسها في مجال الزراعة لأكثر من ثلاثين أو ثلاث وثلاثين يوما، ويزيد عن ذلك يجب تأمينه من الخارج. وتظنون أنهم يأتون به من الخارج، إلى هنا انتهت "الإصلاحات الأرضية". يا سيدي حيث قد صنعت سوقا لأميركا لكي تباع لنا فيما الأشياء التي يجب إتلافها! إنهم يأخذون نفطنا هكذا، أو بعد ثلاثين عاما فإنه - وكما يقول الملك - سينفذ. ليس أن النفط سينفذ، انهم يعملون على نفاذه. انهم يعملون على استخراج وإرسال نفطنا إلى أميركا بواسطة هذه الأنابيب الضخمة بحجم هذه الغرفة، ولعل بعضها كان كبره وقطره بحجم قامة الإنسان. وفي مقابل ذلك، وبدلا من أن يعطونا ما يجب أن يعطونا، يأتون بالأسلحة التي تحتاجها أميركا لأنها تريد أن تبني قواعد (عسكرية) في إيران لمواجهة الاتحاد السوفيتي! كما ويجب أن يعطي لإيران شيئا ما، في حال سمح بذلك، حيث ينبغي أن لا يسمح. ولكن الآن قد ارتكب هذه الخيانة وأراد أن يسمح. يجب أن تعطي شيئا ما لنا أيضا من أجل أن تأتي وتبني قواعد. تأخذ منا نفطنا وتبني قواعد لها! إنها تعوضنا! التعويض يعني بناء قواعد للأميركان أولئك، الأسلحة الكبيرة. وحتى من

(١) تأسست مدرسة "دار الفنون" عام ١٢٦٨هـ ق وكان يدرس فيها اللغة والأدب الفرنسيين والطب والعلوم الطبيعية والهندسة والرياضيات والموسيقى والفنون العسكرية.

(٢) راجع الملحق ٤، ص ٤٤٦.

البلدان الأخرى، فرنسا، يشترون الأشياء التي لا تفيدنا، وتأخذ الأخرى النفط عوضاً عنها. انهم يريدون أن يأخذوا عوضاً عنه (النفط) الطائرات التي تبلغ أسعارها ٣٥٠ مليون دولار و ٥٥٠ مليون دولار.

بأي شخص تفكر في هذا البلد ستجد أن هذا الشخص، الذي هو أسوأ من أبيه، وأبوه كان أسوأ من شمر، قد أخرجنا كثيراً وفي كل المجالات، ابتداءً من الدين وحتى السياسة والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. إن هذا كان خائناً، ونحن نرفض هذه الملكية الخائنة. إن الملكية كانت خائنة بالأساس ومنذ البداية، وأخيارهم كانوا سيئين أيضاً. وأولئك الذين تدعون لهم أنتم أو الناس بواسطة الإعلام، كانوا خبثاء أيضاً. وهؤلاء هم أسوأ من أولئك.

إن ما ندعو إليه هو حكومة حريصة على الشعب. نحن نريد نظاماً عادلاً. وإذا درسنا جميع الأنظمة فلا نجد نظاماً عادلاً سوى النظام الإسلامي. الكل يعملون لأنفسهم، سوى أن هناك فئة هي الأهلون، وهناك فئة أكثر تشدداً. إن بلدنا هو من ذلك النوع الذي يريد تخريب البلاد بالتشدد والتسرع! واعلموا أنه لو بقي هذا الشخص - لا سمح الله - ولو بقي هذا النظام المنحوس والمنحط، وفي حال بقي هذا الجهاز الذي سادنا، فإن المستقبل لا يحمل لجيل المستقبل غير الفقر والحرمان. لأنهم يعطون نفطه وينهبونه، وكذلك يعطون الآن الغاز إلى الاتحاد السوفيتي^(١) وينهبونه، والمرايح والغابات والزراعة، كل هذه الأشياء أعطوها لهذا وذاك أتلّفوها، ونحن الآن لا نملك زراعة تستجيب لاحتياجات الناس، وبعد ثلاثين عاماً سوف لا يكون لهذا البلد أي من مصادر الثروة، لو بقي هذا النظام في السلطة ولسوف تتلف كل مصادر ثرواتكم.

إن نداءنا، نداء العلماء ونداء الساسة ونداء أولئك الحريصين على البلاد، هو أن دعوا هذا البلد يبقى للجيل القادم، ليتمكنهم العيش فيه. فبعد قرن آخر، أي بعد ثلاثين سنة أخرى^(٢) سوف لا يمكن العيش في هذا البلد، من حيث أن كل شيء فيه يخربونه ويجعلونه هباءً.

إنه قال إنني لو اضطرت يوماً - قال الملك في إحدى خطبه ولقاءاته - أن ارحل، فسأترك البلد تلاً من التراب^(٣). إنك موجود وحولته إلى تل من التراب وأسوأ، ألم تبقى لنا شيئاً. لم يبق لنا هذا الملك شيئاً. وأميركا يجب أن تساعد وتدعمه، لأنها أين يمكن أن تجد مثل هذا العميل الذي قدّم لها كل البلد! وهو يبني القواعد لها إزاء ذلك، ويدخل في جيها عوَضها ومعوَضها، النفط لها وثمر النفط لها. وبالطبع يجب أن تقول: إن الملك منح الحريات وهو يبني بلداً متقدماً! فبحسب منطق السيد "كارتر" أن الحرية هي عبارة عن هذه الأشياء التي

(١) راجع الملحق ١٩، ص ٤٢٥.

(٢) هذه الكلمة أصبحت اليوم تعني "مئة عام" وقبل ذلك كانت تعادل ٣٠ عاماً كما جاء في "تاريخ العالم" آراء العباس.

(٣) راجع الملحق ٣، ص ٤٦٧.

أصبحت من نصيبنا وانهارت جميع أبعادها. أجل، إنها شيء جميل جدا بالنسبة لكم، لقمة سائغة. للأجانب الآن نفط الشرق وإيران والحجاز بالخصوص لقمة سائغة لهؤلاء. بالطبع، يجب أن يعلن دعمه. والاتحاد السوفيتي أيضا يجب أن يعلن دعمه^(١) لأنه يأخذ الغاز. إن لهؤلاء مصالح. وفي حين علا صوت الشعب، يقول هؤلاء: إننا نريد تسيير مصالحنا بشكل معقول وصحيح، ونباع بشكل صحيح. إننا لا نريد أن نضع النفط في جيوبنا أو نشره، إننا نريد أن نبيعه! نعطيه لأي بلد يشتريه بأفضل، نعطيه له ونأخذ نقدا، عملة، لا أن نتسلم حديداً ولا طائرات لا نستفيد منها، نأخذها (التقد) لنصرفه على هذا الشعب المحروم من الماء أيها السيد! لا تنظروا إلى طهران وأعالي طهران فقط، دوروا في ضواحي طهران قليلا والقوا نظرة على سَكَنَة الخيام والكهوف لتروا كيف يعيشون! هذه طهران التي هي العاصمة وتعد أقرب إلى "بوابة الحضارة!"^(٢) اذهبوا في يوم ما ودوروا فيها، أعطوا قليلا من وقتكم ودوروا في ضواحي طهران. انظروا في كم مكان في طهران قد يُنبِت أزقة، بناها هؤلاء جيدا، لقد تعاونوا فيما بينهم وبنوا بيتا من الطين لأسرة ما.

لماذا تجمع هؤلاء هنا؟^(٣) لأجل "الإصلاحات الأرضية"^(٤) لقد أجروا الإصلاحات الأرضية، والناس لا يستطيعون البقاء في أريافهم. ارتبكت أحوالهم، لم يستطيعوا البقاء هناك، فتقاطروا على المدن، وقد جاء الأكثرية منهم إلى طهران، والآن جاء هؤلاء المساكين إلى طهران، ويعيشون في أوضاع صعبة للغاية. كما وانهم ليسوا شبابا جميعهم لكي ينصرفوا إلى الأعمال الشاقة، كالحمال أو العثور على عربة ما وبيع شيء ما عليها، فالكثير منهم كبار السن ومساكين وضعفاء، وهؤلاء الآن يعيشون في الكهوف، لقد وصلني أن ما يقارب الثلاثين زقاقا، لقد كتبوا لي: في طهران يعيش فيها من هؤلاء المساكين في ضواحي "حضرة عبد العظيم" وعدد منهم قد نزحوا من هناك وجاؤوا إلى هنا بسبب الإصلاحات الأرضية، ويحيون حياة يرثى لها، وليس لديهم لا ماء ولا كهرباء.. وهذه الأشياء من التي يفترض أن تكون لديهم. وكهرباء طهران أيضا وفي موارد أخرى أيضا لا يمتلكون الكهرباء. في كل يوم هناك أماكن عديدة مظلمة، ليس لديهم كهرباء، حياة، لا يملكون أي شيء، والبعض منهم يعيش في مستنقعات آسنة جدا، حيث يجب عليه أن يأتي بالماء، كوز من الماء، من الأعالي هذه هي الحياة التي صنعوها لهؤلاء.^(٥)

(١) راجع الملحق ٣، ص ٣.

(٢) راجع الملحق ٦، ص ٣٧٤.

(٣) راجع الملحق ٣، ص ٤٦٠.

(٤) راجع الملحق ٢٤، ص ١٥٠.

(٥) بعد استفتاء عام ٤١ قال الملك في ٨ بهمن: "إننا سنبنّي في هذه المنطقة، بإذن الله وهمّة الشعب الإيراني، بلدا يضاهاى أكثر بلدان العالم تطورا". وفي فرودين ١٣٤٢ قال: "سيتمكّن المجتمع الإيراني إذاً على أساس العدالة الاجتماعية في تقسيم الثروات.. وبضمان العيش لعامة

ففي قرية أبعد قليلا، إنني على اتصال بأهل تلك القرية يأتون ليأخذوا إذناً مني، يجب أن ندفع مقدارا من النقود، يضعوا مقدارا من نقودهم، يقول إن الفاصلة من المنطقة التي في مخزن الماء إلى المنطقة التي فيها القرية التي يتواجد فيها هؤلاء المساكين فرسخا من الطريق، ويجب أن يقطعوا مسافة فرسخ من الطريق من أجل المجيء بماء الشرب، وعند ذلك يأخذون نقودا ويصنعون مخزنا للماء من أجل أن يمتلئ عند هطول الأمطار ويستفيدوا منه عندما لا يكون هناك مطر. انظروا إلى هذه السيارات التي يستقلها أربعة أشخاص في طهران ماذا تصنع، كلا، البعض منهم الذين هم من هؤلاء، البعض منهم.. حسنا، حسنا جدا، ألقوا نظرة أيضا على سائر المدن والأرياف الإيرانية، وتلك الأماكن في طهران، في هذه الكهوف، لتروا ماذا يجري على هذا الشعب! النفط الذي يجب أن يديره الشعب، لو كنا نملك سلطة أمينة تستخرجه وتبيعه بشكل أمين وتصرفه على هذا الشعب، لما كان يجب أن يكون الشعب هكذا (وضعه). إن ما ننادي به هو طيب، لماذا يجب أن يكون هكذا بحيث هكذا تعيش جماعة مسكينة، تصرف جماعة خمسة ملايين دولار على "فيلة"!! لقد كتبوا لي أن واحدة من شقيقات الملك، قد صرفت على تزيين "فيلتها" بالزهور خمسة ملايين دولار^(١). من أين أتوا بذلك؟ لقد جاء رضا شاه إلى الحكم، بواسطة الانقلاب بأيد خالية^(٢)، اغتصب أموال الناس بالقوة ومن ثم رد قسماً منها فيما بعد.

من أين أتى بذلك هؤلاء؟ من أين أتت مؤسسة بهلوي هذه؟^(٣) ومن أين تُدار؟ من هؤلاء.. من مال الشعب. هكذا يجب أن يأخذوا من هذا الشعب نفطه وأشياء أخرى ويعيش هو بهذا الشكل، وفئة أخرى تعيش هكذا، وهكذا ينهبون الشعب. إن ما ننادي به هو أنه يجب أن لا يكون مثل هذا النهب، يجب تغيير هذا النظام كلياً. إننا سنتحدث إلى آخر نفس وعندما تنقطع أنفاسنا، حسنا سنكون معذورين، عند ذاك، عند البارئ (تبارك وتعالى).

الشعب، المجتمع السعيد الذي نرى مستقبله من الآن بوضوح" وقبل هذا كان قد قال في تاريخ ١٢ مهر ٣٨: "إن ما نسعى إليه هو طي جميع القواصل واستصحاب جميع أفراد البلد، سواء أبناء المدن أو الأرياف في قافلة التحضر" (عن كتاب "مختارات من كتابات وأحاديث الإمبراطور"). إن الملفت للنظر هو أنه وبعد مرور ١٦ عاماً على ما يسمى بالإصلاحات الملكية. كتبت صحيفة "اطلاعات" في تقرير لها بتاريخ ١٣٥٧/٢٣٧ ما يلي: "أمر رئيس الوزراء (جعفر شريف إمامي) بتاريخ ٢١ مهر ١٣٥٧، أثناء زيارته لمناطق جنوب طهران، والتي تأثر فيها من الوضع المزري لهذه المنطقة، أمر باتخاذ إجراءات فورية وسريعة في سبيل رفع المشكلات وتأمين احتياجات ومطالب سكنة جنوب طهران، خصوصاً في مجال تعبيد الشوارع وتأمين الماء والكهرباء!!". بالطبع إن الأوان كان قد فات وفهم الشعب الإيراني، وسكنة الجنوب بشكل خاص، أن سبب هذه الفوضى هو التدخل المستمر للولايات المتحدة الأميركية والسياسات الملكية.

(١) راجع الملحق ١٢، ص ٤٤٨.

(٢) راجع الملحق ٣، ص ٤١٩.

(٣) إن قسماً من النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه الملك كان يتم عن طريق مؤسسة باسم "مؤسسة بهلوي"، وكان يمتلك من هذه المؤسسة قسماً مستقلاً وآخر بالاشتراك مع أصحاب رؤوس الأموال في الداخل والخارج والبنوك الخصوصية في إيران، وأكثرية المصانع والشركات الإنتاجية المعمارية والغذائية والوحدات الزراعية والحيوانية والتجارية وعشرات الفنادق والمطاعم ودور القمار والنوادي الليلية. وكان يدير هذه المؤسسة لفترة طويلة المهندس شريف إمامي رئيس مجلس الشيوخ.

إنه واجبكم أنتم أيضا أيها السادة، إنها مصالح شعب.. شعب بكامله.. مصالح الإسلام. إنه واجبكم أنتم أيضا، أن تعملوا ما بوسعكم في التبليغ ضد هؤلاء، أي أن تشرحوا حقائق المسائل في إيران بوقائعها. اشرحوا ما يجري الآن على شعبكم وما يجري في الجامعات والكليات، وحتى ما يجري في المدارس الابتدائية. لقد قتلوا البنات الصغيرات. لقد وصل الدور إلى هذه البنات الصغيرات ذوات السبع أو الثماني سنوات!.. اشرحوا ما يجري في سجون إيران، ما يجري في إيران التي هي سجن بحد ذاتها. إن الواجب يحتم على كل واحد منكم أن يشرح ما يجري للذين يعرفهم، أنتم تدرسون في المدارس الموجودة هنا، وتعيشون في هذه الأوساط. فلو شرح كل واحد منكم قضايا إيران لعشرة أو عشرين شخصا لسوف تخلقون موجا (جوا)، هذه خدمة. إن أولئك يضحون بأنفسهم ويخدمونكم، وأنتم أيضا يجب أن تبلغوا، تحدثوا هنا. بإمكانكم أن تنشروا كلامكم في صحافتهم. وبإمكانكم أن تجروا لقاءات صحفية... اجروا لقاءات صحفية... قولوا ما لديكم من كلام... إنكم لستم ممنوعون من إجراء اللقاءات الصحفية مثلي^(١)، تحدثوا بما لديكم^(٢).

أسأل الله (تبارك وتعالى) أن يحفظكم جميعا. وآمل - إن شاء الله - أن يجرف هذا السيل البشري الإيراني، الذي يتجه وجهة واحدة، وباعتقادي أن يد البارئ وراءه (الشعب) لأن هذا العمل ليس بوسع البشر. آمل أن يجرف هذا السيل العارم، كل هذه الفضلات والأعلاف الزائدة ويرمي بها جانبا، ويكون بلدكم لكم وتديرونه بأنفسكم (الحضور: إن شاء الله) وفقكم الله، يؤيدون. التمسكم العذر من أن صحتي لا تسمح لي بالجلوس هنا والتحدث معكم. في أمان الله.

(١) بهذا الخصوص، كتب سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني يقول: "في بداية دخول سماحة الإمام إلى فرنسا، طلب المسؤولون الفرنسيون من الإمام أن لا يلقي الخطب ولا يجري اللقاءات الصحفية، ويمتنع عن الذهاب إلى المساجد وإقامة صلاة الجماعة، والاشتراك في الاجتماعات العامة، وقد كانت هناك منافسة شديدة بين صحيفتي "اللوموند" و"الفيغارو". وكان مراسلو "اللوموند" قد أجروا فيما مضى لقاء مع الإمام في النجف. وكان مدير صحيفة "الفيغارو" يصر على إجراء لقاء مع الإمام. ومن هنا فقد انتهزنا الفرصة وبعثنا بواسطة السيد قطب زادة، إلى مدير الصحيفة المذكورة، الذي كان من العناصر المؤثرة في الحكومة الفرنسية ومن المقربين إلى حكومة السيد جيسكار ديستان. بعثنا إليه أنه في حال إلغاء حظر اللقاءات الصحفية فإن صحيفتكم ستكون أول من يجري لقاء صحفيا مع الإمام في باريس. فبعث إلى مدير "الفيغارو": أنني ألتقي بالإمام وأنشر موضوع اللقاء في الصحيفة تحت عنوان (مذاكرة). فعكست الموضوع للإمام فوافق سماحته وحدد وقتا للقاء، وقال: لفرق بين المذاكرة واللقاء، إننا نقول ما لدينا". وحضر عند الإمام السيد قطب زادة ومدير "الفيغارو" وأنا، لقد كان لقاء مفصلا وقد نشر في الصحيفة تحت عنوان "مذاكرة". وإثر ذلك تعالت اعتراضات مدراء الصحف الفرنسية الأخرى أن لماذا تسمح الحكومة للصحف المرتبطة بها بإجراء اللقاءات وتمنعها عن الأخريات. وقد أدى هذا الأمر إلى أن يُلغى أمر الحظر على اللقاءات الصحفية عمليا، وبهذا فقد بدأت لقاءات الإمام الصحفية العديدة والتي لعبت دورا كبيرا في توضيح أهداف نهضة الإمام ومواجهة الدعايات المغرضة لوسائل الإعلام الغربية".

(٢) إن من الخصوصيات التي امتازت بها قيادة الإمام الخميني، والتي لم يوجد لها أثر عند الكثير من قادة الثورات في العالم، هي أنه (س) كان يعد نفسه لا شيء، ويرى أن كل شيء من الله ويستند بكلامه إلى هذا المضمون "إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد الثورة ونصرها".

هوية الخطاب رقم - ٣٩

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٨ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: التدخل الأميركي الشامل في شؤون إيران الداخلية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

يوم ٢٩ مهر ١٣٥٧ سافر السيدان مهدي بازركان وميانجي إلى باريس من أجل لقاء الإمام الخميني. وإليكم

تفصيلات اللقاء منقولة عن لسان وقلم نجل الإمام: (١)

"حضرنا عند الإمام، السادة بازركان وميانجي وإبراهيم يزدي وأنا، ومثل كل مرة، قال الإمام: يجب أن يرحل الملك، ويجب أن يسقط النظام الملكي، ويجب أن تتحقق الجمهورية الإسلامية، ويجب إخبار الشعب بهذه القضايا، بلا غموض وبشكل واضح، لئلا تنحرف هذه الثورة.

وقال السيد بازركان: إن النظام الملكي يقوم على ثلاثة أركان: الملك، والجيش، وأميركا، ونحن يجب أن نتبع سياسة الخطوة خطوة، ووفقا لهذا:

١- يبقى الملك دون الحكومة.

٢- أن نرشد الجيش والقوات المسلحة، بالشكل الذي يتدخل ضد الملك، في حال تدخل الأخير في شؤون البلاد.

٣- ومن ثم نعمل على تهديد أميركا، إذا رأينا المصلحة، من أجل إنهاء نفوذها في إيران.

فقال الإمام: إذا قلتم "يجب أن يبقى الملك" وهو فعل ذلك، وفترت حماسة الشعب، وتدخل مرة أخرى، فأى قوة عند ذلك تحرك الشعب؟ فلم يكن لديهم جواب على سؤال الإمام، إلا أنهم قالوا: كيف يمكن إسقاط الملك مع وجود الجيش؟ قال الإمام: الجيش من الشعب. يجب عزل الخونة وقادة الجيش، والبقية هم منا.

وأخيرا، بقي السيد بازركان مصرا على كلامه، وبعد هذا اللقاء توجه إلى لندن. وهناك أيضا أكد في لقاء صحفي على مواقفه، وكان حديثه في الجامعيين الإيرانيين بلندن قد لاقى اعتراضات أدت إلى التشاحن والمشاجرة. وبعد أيام عاد إلى باريس. فطلب الدكتور يزدي من الإمام أن يعين وقتا لاستقباله. فقال سماحة الإمام: يجب أن يقبل المطالب المذكورة ويوقعها ويعلن ذلك أولا، وعند ذلك نستقبله. ومضت أيام، وتكررت الطلبات، بالاستدلال على أنه إذا لم تستقبلوه فإن وجهته ستزول، ولم يرض الإمام. وبالطبع إن السيد بازركان

(١) السيد أحمد الخميني، نجل الإمام.

أيضا بقي على موقفه ولم يعدل عنه، وتوجه إلى طهران دون أن يلتقي بالإمام. وأصدر الجناح المتشدد في (حركة) "نهضة الحرية" من الخارج بيانا أيد فيه مواقف الإمام. إلا أنه أعلن في طهران أن هذا البيان ليس له علاقة بالمواقف الرسمية ل نهضة الحرية.

لا تسع هذه الأسطر الحديث عن أسباب مجيء السيد بازركان إلى السلطة كرئيس لحكومة الثورة الانتقالية. وبطبيعة الحال سيتم تناولها في هذه السلسلة (الكوثر) في مكانها. ونكتفي بالإشارة إلى هذه النكتة، وهي أن الإمام صرّح في أحد بياناته: "إنني اليوم، وبعد مرور عشرة أعوام على انتصار الثورة الإسلامية، أعترف كالمسابق بأن بعض القرارات التي اتخذت في بداية الثورة بخصوص إعطاء المناصب والشؤون المهمة في البلاد إلى جماعة لم يكن لها اعتقاد خالص وواقعي بالإسلام المحمدي الأصيل، كان خطأ لا يمكن زوال مرارة آثاره بسهولة، وإن كنت شخصا، في ذلك الوقت، غير راغب بتنصيبهم، وقبلت ذلك بفعل رأي وتأيد الأصدقاء".

لقد كان تحليل أصدقاء الإمام، في ذلك الوقت، هو أنه ومع الأخذ بعين الاعتبار الظروف السائدة، ليس هناك في الوقت الراهن من هو أكثر وجاهة منه.

لقد وضعت الحكومة الفرنسية بعض القيود على الإمام الخميني (س) في مجال إلقاء الخطابات وإرسال الرسائل، ومع كل هذه المضايقات، فقد أرسل الإمام في ٢٦ مهر ١٣٥٧ رسالة مهمة إلى زوار بيت الله الحرام أكد فيه: "... إن المجازر التي ارتكبت في المدن الإيرانية خلال الأشهر الأخيرة، قد سودت وجه التاريخ. ولقد بادر الملك إلى قمع الجماهير بكل ما أوتي من قوة جهنمية وبدعم من أميركا. وقد تحولت إيران الآن إلى ما يشبه مقبرة، وعمّ الإضراب أنحاء البلاد كافة. ويريد الملك، في أنفاسه الأخيرة هذه، أن يتقم من هذا الشعب المستضعف...".

وفي ٢٩ مهر ١٣٥٧، ألقى قائد الثورة خطابين مهمين سخر فيهما من تصريحات الرئيس الأميركي "كارتر"، الذي دعم فيها الملك قائلاً: إن المعارضة التي واجهها الملك مؤخراً، جاءت نتيجة تنفيذ الديمقراطية بشكل قوي وحازم في إيران.^(١)

وفي الوقت الذي أدلى فيه الرئيس كارتر بهذه التصريحات في مؤتمره الصحفي، كان سفيره الكبير في إيران "وليام سوليفان" يعتقد: أن حكومة كارتر تعتبر قضية حقوق الإنسان، بأنها واحدة من المعايير المبدئية لعلاقتها مع البلدان الأخرى، ولقد شخصت نظام الملك باعتباره نظاماً غير ديمقراطي ينتهك حقوق الإنسان.^(٢)

(١) صحيفة "اطلاعات"، ٢٣/٧/١٣٥٧.

(٢) كتاب "مهمة في إيران" مأموريت در ايران، ص ٨٧.

يشير الإمام الخميني (س) في خطابه الأول إلى كيفية وصول رضا خان إلى السلطة بواسطة الإنكليز، وبعده مجيء ابنه محمد رضا بأمر من الأجانب وقوات الحلفاء، ويسائل "كارتر"... في أي فترة من هذه الفترات التي أمضيها، وخصوصا الفترات الأخيرة التي تعامل فيها هذا السيد بديموقراطية شديدة، في أي فترة من هذه الفترات، كان هؤلاء النواب النواب الشعب؟

ففي "سلسلة وثائق وكر الجاسوسية الأميركي" التي نُشرت من قبل "الطلبة السائرون على نهج الإمام"، تم التأكيد على أنه: كان يكفي للانتخاب في طهران تأييد الحكومة والبلاط، إلا أنه لم يكن ضروريا الدعم الفعال... النواب المنتخبون كانوا ممن يرغب الملك في إدخاله الحكومة، وكانت عبارة عن النساء والعمال وأعضاء الأصناف والتجارة...

وقد جاء في مكان آخر... منذ أن حصل الملك على السلطة المطلقة، أصبح المجلس كالختم البلاستيكي في يد السلطان..^(١) لقد كان الإمام الخميني (س) يعلم جيدا بأن الرئيس الأميركي تصله تقارير مفصلة عن الأوضاع السياسية في إيران. ومن هنا فإنه يقول في خطابه... إن السيد "كارتر" يعلم هذا، وليس أنه لا يعلم أي إنسان (الملك) إنه يعلم شخصا أي إنسان هو، ويعلم أي إنسان كلف..

إن الرئيس "كارتر" يدعي، في مؤتمره الصحفي، أنه لا يتدخل في شؤون إيران الداخلية، في حين أن سفيره "وليام سوليفان" يقول - وخلافا لرئيسه - في كتابه الشهير "مهمة في إيران" ما يلي... لقد كان رجال السافاك، يتلقون تدريباتهم في بداية الأمر في الولايات المتحدة الأميركية، إلا أنه وفيما بعد أصبحت "إسرائيل" أيضا واحدة من المراكز التي يتلقى السافاك تدريباتهم فيها. ولقد كانت التدريبات التي يتلقاها رجال السافاك في الولايات المتحدة الأميركية و"إسرائيل" تشمل، إضافة إلى التدريبات البوليسية والاستخبارية العامة، على تدريبات خاصة في كيفية مكافحة أساليب التجسس الروسية وفك رموز التجسس المعقدة..^(٢)

وفي هذا الخطاب وفي معرض إشارته إلى بناء قواعد للتجسس الأميركي في إيران، يقول الإمام مخاطبا "كارتر"... القواعد التي بنيتوها في جبال إيران، من الذي بناها؟ لمن بنيتوها؟ أليس هذا تدخلا في شؤون بلادنا؟ أليس كلامك هذا تدخلا؟ ألسنت أنت الذي تُرغب الملك في أن يخرّب البلاد هكذا؟...

يقول "سوليفان"... إن ما كان يهم واشنطن كثيرا في تعاوننا الاستخباري مع إيران، هو أن توافق إيران على استقرار محطتين قويتين للتجسس واستراق الأخبار لما في شمال إيران. وبواسطة هاتين المحطتين، كنا نراقب جميع النشاطات الروسية في جمهوريات آسيا المركزية، وبالأخص تجاربهم الصاروخية. ولقد كانت الأجهزة الإلكترونية الدقيقة والبالغة الحساسية الموجودة في هاتين المحطتين، تلتقط جميع النداءات والاتصالات الروسية الإلكترونية في كل منطقة، إلى الخليج الفارسي، وتحلها. وقد وضعت هاتان المحطتان - اللتان كانتا تعملان في قلب الغابات النائية بشمال إيران ويديرهما عدد من الخبراء الفنيين من غير العسكريين - في اختيارنا معلومات عسكرية قيمة جدا من أجل مواجهة التهديد السوفيتي في هذه المنطقة الحساسة من العالم..^(٣)

(١) من الظهور حتى السقوط، ص ١٢٨ و ١٣٩.

(٢) مهمة في إيران - مأمورية در ايران، ص ٦٩.

(٣) مهمة في إيران - مأمورية در ايران، ص ٧٢.

يعتبر الرئيس "كارتر" في مؤتمره الصحفي، مؤيدي الملك "إصلاحيين" ومعارضيه "عدداً من الشيوعيين والرجعيين" ! فالإدارة الأميركية تدرك جيداً أنه في حال ساد النظام الإسلامي بقيادة الإمام الخميني (س) ستُزال قواعدها التجسسية من إيران، وتتضرر سرقاتها النفطية كثيراً. ولها الحق لو أنها اعتبرت الملك رجلاً يخطو بـ"الديموقراطية القوية والحازمة" في سبيل تقدم إيران!

ففي هذا الخطاب، يردّ الإمام الخميني (س) على ثلاثة محاور من حديث الرئيس الأميركي، مستنداً إلى الوقائع الجارية في إيران، وبخصوص ادعاء "كارتر": "إننا لا ننوي التدخل في شؤون إيران الداخلية"، يقول سماحته:.... أنتم لا تنوون التدخل؟ فهل أبقيتم شيئاً لم تتدخلوا به؟.. ماذا يعمل مستشاروكم في جيشنا؟.. إن جميع المصائب التي تجري على إيران وبلدان الشرق سببها رؤساء القوى العظمى...

الخطاب رقم - ٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الديموقراطية الشديدة.. إن هذا المعنى أدى إلى أن يبدأ اليسار واليمين معارضتهما. وقال أيضاً: إنني لا أنوي التدخل في شؤون إيران الداخلي^(١). وكان فيما سبق قد قال كذلك إنه صنع في إيران مجتمعاً متقدماً! إن حديث "كارتر" فيه عدة جمل... واحدة هي: "إن الملك قد أجرى في إيران ديموقراطية شديدة وحازمة" ! هذه جملة واحدة. وجملة: "إن الملك قد وضع أساساً لمجتمع متقدم في إيران"^(٢) جملة أخرى. جملته الثالثة هي: "إنني لا أنوي التدخل في شؤون إيران الداخلية". والآن يجب على الإيرانيين أن يحققوا بأنفسهم في هذه الجمل الثلاث التي تحدث بها، ليرَوْا ما إذا كانت موجهة إلى الإيرانيين، أو العالم الغربي، أو الأميركيين، أو إلى كوكب من الكواكب الأخرى التي لم ينزل ناسها إلى الأرض لحد الآن..!

(١) في بدايات شهر آذر ١٣٥٧ عارضت الحكومة السوفيتية أي شكل من أشكال التدخل في شؤون إيران الداخلية، وأعلنت أن أي شكل من أشكال التدخل وبالأخص التدخل العسكري في إيران ينظر إليه باعتباره عملاً معادياً لأمن الاتحاد السوفيتي. وقد جاء رد كارتر على التحذير السوفيتي على شكل بيان رسمي يؤكد أن الولايات المتحدة الأميركية لا تنوي التدخل في شؤون إيران بأي حال من الأحوال. وفي شهري دي وبهمن ١٣٥٧ أيضاً تكرر شعار "عدم التدخل في شؤون إيران"، وقد ورد تفصيل ذلك في هوية خطابات هذا الجزء.

(٢) في رسالته لمناسبة ٤ آبان (ولادة الملك) أعلن كارتر: أن إيران ستتجاوز المشكلات الحالية، وسيظهر الشعب الإيراني في ظل "برنامج التقدم السياسي" الذي ينفذه جلالته، على شكل شعب قوي. إن كارتر كان يقصد من "برنامج التقدم السياسي" الجناحان "التقدم" و"البناء" في حزب رستاخيز (البعث) الذي كان في الواقع مصيدة المعارضين. وفي مؤتمر صحفي آخر، كان "كارتر" قد أعرب عن أمله، في معرض دعمه للملك، في أن إيران ستصل في المستقبل القريب إلى نظام اجتماعي متقدم تسوده الديموقراطية في المؤسسات الحكومية. راجع الصحف المؤرخة في ١٣٥٧/٧/١٩ وانظر كذلك إلى حديث "كارتر" (المدرج في هوية الخطاب رقم ٣٨) الذي أدلى به في مؤتمره الصحفي في ١٣٥٧/٧/٢٢ والنقاط الثلاث (التي أشار إليها الإمام) التي دافع بها عن الملك.

طيب، إن الجملة الأولى - الآن - هي أن الملك قد أجرى ديموقراطية شديدة وحازمة في إيران! إن أوضاع إيران منذ أن فتح الملك عيناه (على الدنيا)، منذ أن كان في "القماط" وفتح عينيه في إيران وأبوه يعمل، ومنذ أن تسلم الملك بنفسه بأمر الأجانب والحلفاء، وإلى الآن حيث يعمل بالفعل في إيران، هل أن هذه الديموقراطية نفذها "بشدة وحزم"؟ هل هي عبارة عن هذه الأفعال التي قام بها فترة وجود الملك؟ ليأتوا وينظروا أيًا من هذه المجالس يحق فيها للشعب أن يقرر مصيره بنفسه بواسطتها، ما يسمى "المجلس الوطني" و"مجلس الشيوخ"، ليأتوا وينظروا، فمنذ أن جاءت هذه السلالة إلى الحكم، وأنا كنت منذ البداية، ورأيت - أي أنني أدركت منذ ذلك الوقت - منذ ذلك الوقت وإلى الآن، حيث نحن الآن هنا، وهؤلاء النواب - أيضا - يعملون في المجالس، لينظروا هل كانت لنا انتخابات صحيحة وحرّة، طيلة الفترات التي كان فيها هذان الشخصان في السلطة، بحيث تذهب الجماهير بنفسها إلى صناديق الاقتراع وتدلي بآرائها، في أي فترة من هذه الفترات التي أمضيناها، وخصوصا هذه الفترات الأخيرة التي يتعامل فيها هذا السيد (الديموقراطية الشديدة)؟ في أي فترة من هذه الفترات كان هؤلاء النواب، نواب للشعب؟ أعني أنه يأمر، إلا أن الناس يتصورون أنه بأمر الملك، والواقع هو أنه بأمر الأجانب أي "الجداول"!

الملك شخصا يقول في بعض أحاديثه: حسنا نحن لسنا كذلك الآن، ولكن الوضع كان هكذا بحيث كانت الجداول (تأتي) من السفارات، أسماء النواب، نوابهم هم. أي الذين كانوا يعملون لأولئك وليس للشعب. قال الملك: إن الجداول كانوا يأتون بها من السفارات، ونحن كنا مجبرين على العمل بها! إلا أنه يدعي أنه: لا، لم تعد موجودة الآن سلطة فوق سلطتنا! لينظروا هذا، واحد من الحقوق البديهية للشعب. إن هذا واحد من الحقوق التي يقول العالم أجمع إنه يجب أن يعطى للشعب. وأساس الديموقراطية هو أن يكون الشعب حرا في آرائه، وفي نوابه الذين يرسلهم إلى المجلس، وإن مصير بلد بيد النواب وهؤلاء، ويجب أن يكون مصير الشعب بيده، والدستور هذا حق للشعب. فهل أن هذه الديموقراطية الشديدة "الشدة والحزم" التي عمل بها الملك، بحسب منطق "كارتر"، هذا الحق البديهي المعروف الذي لا يمكن لأحدهم أن ينكر أن هذا الحق هو حق الشعب، منذ أن جاء هذا إلى الحكم، أو جيء به إلى الحكم، وإلى الآن هل كان لنا نواب؟ ليسألوا، من أي مدينة من مدن إيران شأؤوا! هذه ليست قضية مستورة، اذهبوا واسألوا في أي مدينة من مدن إيران: من يكون هذا النائب من قبلكم يا سيدي؟ أي إنسان هو؟ إن أكثر الناس لا يعرفون هؤلاء بالأساس!! ولا يعرفون من هم هؤلاء، هذا الشعب الذي يجب أن يقرر مصيره بنفسه ويعيّن نوابه بنفسه، أكثره لا يعرف من يكون هذا. وعندما يقولون اسمه لا يعرفه! هذا هو معنى "الديموقراطية الشديدة الحازمة" التي سلبها! هذا هو الحق المسلّم المعلوم لشعب ما!

مدينة واحدة ليأت هؤلاء ويقولوا المدينة الفلانية. حسنا ليكون مركز طهران، ليأتوا ويقولوا في طهران هذه التي هي المركز والأساس، وإذا كان مقررا أن تكون هنا حرية ما يجب أن تكون في طهران، أليست هي مركز

السياسة وأمثالهم على سبيل المثال. حسنا ليأتوا ويقولوا أي من هؤلاء النواب في طهران قد انتخبه الشعب بحرية عبر صناديق الاقتراع. وهذه ليست مسألة يمكن التستر عليها. لمن يدلي السيد "كارتر" بكلامه هذا؟ لكثرة المشتري؟ إن أولئك لم يأتوا إلى هنا وكانوا صمًا بكما؟ الشعوب.. العالم؟ أي من شعوب العالم لا يعرف هذا المعنى؟ أي من صحافة العالم لا تعرف هذا المعنى؟ بلى، فمن الممكن أن تكتب الكثير من الصحف لصالح السيد "كارتر".. الديموقراطية طليقة.. الشعب يتمتع بالحرية.. الجميع أدلوا بأرائهم.. وانتخبوا نوابهم بأنفسهم، يمكن أن يقولوا كذلك، إلا أنهم حتى ولو قالوا هكذا فإنهم يعلمون أنه خلاف (الحقائق)، وكذلك "كارتر" يعلم هذا. ليس "كارتر" لا يعلم، يعلم أي إنسان هو هذا^(١)، يعلم نفسه أي إنسان هو، يعلم أي إنسان كلف، يعلم أي ابتلاء يأخذ بتلابيب الشعب.

هذا بشأن قضية مسلّمة هي من أركان الحرية بين الناس. وأعرض لكم هي الديموقراطية. حسنا لنأت إلى الصحافة. إن قسما آخر هو قسم الصحافة. طيب، هذه الصحف الموجودة في إيران بالفعل، والتي كانت في ذلك الوقت كل ما تكتبه لا تخرج عن أقوال "صاحب الجلالة الآريامهر"، وكل ما كانت تقوله لا يعدو كونه مدحاً وثناءً عليه وتجاهلاً لآراء الشعب بالكامل. الآن إنهم يقولون: إننا لم نكن أحراراً! صحفهم هذه نفسها. نفس هؤلاء الذين هم منهم يقولون الآن: إننا لم نكن في هذه الأشياء، التي كنا نكتبها في ذلك الوقت، أحراراً. والآن أيضاً لا يدعونهم يكونوا أحراراً. هذا أيضاً أحد من الأشياء. طيب، أي صحيفة في زمن ملوكية هذا - بغض النظر عن ملوكية أبيه التي ليست محل ابتلائنا الآن، أو أسوأ من هذا كان أو مثل هذا - أي من هذه الصحف التي لدينا، الصحف التي نملكها، إنها في زمن ملوكية هذا، إنها ومنذ أن أعطى له الحلفاء الملوكية، وفرضوا هذا الشخص على الشعب وإلى الآن، ليأتوا ويروا أياً من هذه الصحف كانت حرة وتركها (صاحب الجلالة) حرة.

طيب، أضف أن (صاحب الجلالة) قد جعلها حرة الآن، حسنا، كيف كانت قبل ذلك بعام؟ يتضح (من ذلك) أنه لم تكن هناك هذه الحرية قبل عام من ذلك وهو قد منحها الآن. إذاً إنه مجرم.. إنه خائن.. وإنه خائن بحسب منطق "كارتر"! هذا الذي يريد أن ينظفه وينزهه! حسنا، إنه يقول إنه ينقذ الآن ديموقراطية شديدة وحازمة، ومن هنا فإنه يختلف معه. حسنا، إن هذه الديموقراطية الشديدة الحرية! ليس هناك أحد يقول له من تكون أنت يا سيدي لتريد أن تمنح الحرية؟ الحرية التي منحها الدستور للشعب، أنت تريد أن تمنحها؟ من أنت لكي تريد أن تمنح؟ أنت وعلى فرض أن سلطنتك كانت سلطنة قانونية، في حين أنها ليست كذلك، ويجب أن لا تحكم أبداً، أنت طيلة هذه المدة التي تربعت على كرسي السلطة مغتصبا إياها! حكمت باستمرار، ولم تكن هناك أبداً حكومة مخيرة بعمل ما وكل شيء فعلته أنت. إن كل الجرائم تقع تبعاتها على عاتقك. إذاً، فبمنطق

(١) الملك.

"كارتر" هذا الذي يقول إنه منح الحريات الآن ونفذ ديموقراطية شديدة وحازمة الآن، إن هذا يدل على أنه لم يمنح الحريات قبل هذا، ولم تكن هناك ديموقراطية في دولته، وأن الدولة تدار بالقوة، وهذا هو الجرم الذي يجب أن يحاكم عليه الملك. إن هذا الشخص يجب أن يحاكم طبقاً للقوانين. في ذلك الوقت لم يحاكموا الملك أن يحكم فقط ولا يكون مسؤولاً، الشخص الذي في عاتقه جميع المسؤوليات يجب أن يأتي عند الشعب، يجب أن يحاكم. وإذا أراد أن يذهب يجب أن يمسكوه من لحيته - إن كانت له لحية - وأن لا يدعوه يذهب لكي يحاكموه، لكي يجيب هذا الشخص عن كل هذه الدماء التي أراقها لكي يجيب عن كبتة هذا لحريات الشعب، هذا أيضاً باب صحافتهم.

حسناً، فإن واحداً من هذه الأشياء الإعلامية هو الإذاعة والتلفزيون، فأني من هذين المركزين استطاع أن ينطق بكلمة؟ إذا عمل الملك تخلفاً ما أو مذبحة ما ويقول إن الملك فعل ذلك؟! وأي من الصحف تجرأت الآن على القول إن ذلك بأمر الملك؟ كما والآن أيضاً يقولون الحكومة والشرطة والحكومة العسكرية والخ.. إن ذلك شعر أنه هذا الشخص. والآن حيث أنكر، فأيضاً أن من يقوم بهذه الأعمال في الخفاء هو هذا الشخص، وإلا فما يهم الشرطة أن يكون الشعب في مكان ما هكذا؟ طيب إنها مأمورة، الجميع يقولون إنها أوامر. إننا عندما كنا في قم في ذلك الوقت، وجأوا إلى المدرسة الفيضية، وعملوا ما عملوا فيها، وضربوا الطلاب، وقتلوا بعضهم وما إلى ذلك، فأني شخص كان يتم مراجعته يقول: إنها أوامر صاحب الجلالة. أي شخص. إن شرطة قم (كانت تقول): إنها أوامر صاحب الجلالة. أي شخص كان يراجع يقول: إنها كانت أوامر صاحب الجلالة. وهي كذلك كانت، وإلى الآن موجود صاحب الجلالة هذا، وليس هناك غير صاحب الجلالة من بيده شيء. وهذا أيضاً باب إذاعتهم وتلفزيونهم. هذه الأمثال هي باب إعلامهم.

فأني حرية يمتلك الشعب في هذا الإعلام؟ في هذا الإعلام الذي يقول إنه أعطى "الحرية الشديدة" و"الديموقراطية الشديدة"! أعطى الشعب حرية واسعة لم يتحملها الشعب وأخذ يصيح.. لأنها "شديدة" جداً! وأن اليسار واليمين يعترضان على الملك الآن! وأن خلافهم هو أنه يريد أن يمنح الحرية. إن هؤلاء جميعاً يعارضونه، لا يريدون...! إن هذه الاستغاثات والهتافات التي تهتف بها الجماهير في الشوارع (من قبيل): الحرية والاستقلال.. يقصدون من الحرية أننا لا نريد الحرية! إن الحرية والاستقلال تعنيان أننا لا نريد الحرية! ولا نريد الاستقلال! الملك يريد أن يمنح الحرية والاستقلال.. وهكذا عارضته الجماهير! إن منشأ هذا التعبير الموجود في الصحف أن "كارتر" قال إنه قد منح حرية شديدة وحازمة، فإن منشأ الخلاف الشعبي ومعارضة اليسار واليمين له هو هذا، حيث أنه منح الحرية بحزم. لأنه منح الحرية. لذا فإن هذه الأحزاب السياسية وما إلى ذلك والحزب الكذائي والكذائي ومختلف الجبهات تعارضه أن لماذا منحت الحرية! والشعب أيضاً يعارضه أن لماذا سمحت بالحريات! هذا هو منطق "كارتر" بشأن الحرية التي منحها هذا للشعب.

وأما "الدولة المتقدمة" حيث أنه بنى "مجتمعا متقدما" بنى "دولة متقدمة"! يسير ببلده نحو التقدم! إن منشأ المعارضة كان هناك، ففي تلك المرحلة السابقة، أن منشأ المعارضة أيضا هو هذا المعنى! ففي منطق السيد "كارتر" - "التقدم" معنى لا نستطيع نحن أن نفهمه! وإلا فالدولة التي أينما تضع يدك تجد خراباً، أنتم الآن في أي مكان من هذه الثورة البيضاء التي يتحدث عنها هذا، آتوا بأي مادة شئتم منها إلى المجتمعات الإنسانية ولتنتظروا ماذا فعل هذا بهذه الدولة، بعمله هذا الذي قام به الجيد وما إلى ذلك، فتلك القضية التي لم يعد فيها أرباب ورعايا! وانعدم، بالأساس، السيد والمسود^(١) الفلاحون والفلاحات أحرار^(٢)، إن هذه الكلمات التي كان يرددها باستمرار في ذلك الوقت. والآن أيضا لو تركوه قليلا لقال: طيب إن هؤلاء الفلاحين وهؤلاء المساكين هم أنفسهم الذين افتدوا كل ما يملكون. هذه "الإصلاحات الأرضية" هي سلب زراعة بلدنا كليا - بالأساس - أنتم الآن لم تعودوا تملكون زراعة بلدكم، وأن ما هو موجود يكفيك لثلاثين أو ثلاثة وثلاثين يوما فقط، والباقي يجب أن تأتوا به من الخارج.

وتلك الأشياء الأخرى، جيش التعليم مثلا^(٣)، وجيش ماذا؟^(٤) وجيش الدين^(٥)، فجميع الناس يعلمون لماذا ذهب جيش التعليم هذا إلى القرى والأرياف، إن هذه كلها من أجل الثناء على هذا، كلها من أجل الترويج للباطل، كلهم مأمورون بأن يُبقوا هذا الشعب متخلفا، ومن أجل أن يعملوا من أجل أن يكون هؤلاء الناس جميعا تابعين للملك و"سواء أمر الله أو أمر الملك" كان منطق الشعب^(٦). إن جميع الأعمال التي قام بها هذا السيد لهذا البلد، قد أرجع هؤلاء إلى الخلف، لا يسمح هؤلاء أن يظهر في بلدنا شخص مؤهل. إن هؤلاء يخشون من الإنسان، يخشون أن يظهر شخص مؤهل ويقف بوجههم أن لماذا، لماذا يفعلون هكذا؟ إنهم

(١) راجع الملحق ٩، ص ٤٨٨.

(٢) راجع الملحق ١٤، ص ٥٢٤.

(٣) جيش التعليم (عنوان المبدأ الثامن "الثورة البيضاء" قد تم تشكيله من أجل تعليم جميع الأميين في البلاد في الظاهر، إلا أنه وبعد مرور ١٥ عاما على نشاط هذا الجيش كان أكثر من ٧٠٪ من القرويين أميين! إن محتوى الكتب التعليمية والدروس التي كان يلقيها شباب هذا الجيش من خريجي الاعداديات، كان في واقع الأمر تروج لصالح النظام ووسيلة لإشاعة وترويج الأفكار التي تستهدف محو ما تبقى من إيمان القرويين.

(٤) من بين المبادئ التسعة عشر للثورة البيضاء، كانت هناك أربعة مبادئ تتعلق بتأسيس جيوش مختلفة، وبهذا الشكل كان المبدأ السادس (جيش التعليم) والمبدأ السابع (جيش الصحة) والمبدأ الثامن (جيش لترويج العمران) مبدأ آخر أيضا كان (جيش الدين).

(٥) لقد كان مبدأ تأسيس (جيش الدين) من المبادئ التي أضيفت إلى مبادئ (ثورة الملك والشعب) أو (الثورة البيضاء) وهذا الجيش كان يتألف من مجموعة من وعاظ السلاطين الذين كانوا موظفين في الأوقاف، وكان من المقرر أن يرسلوا إلى الأرياف، ونتيجة لوعي وبقطة الشعب والعلماء، لم ينجح النظام في تنفيذ هذه الخطة.

(٦) يشير إلى شهرة مصرع من شعر الفردوسي، حيث قال ما ترجمته: سواء أمر الله أو أمر الملك، حيث أن الله رب والملك أمير. وقد كان هذا المصرع يشاهد في أكثر كتب ولوحات أمين النظام.

يسمحون بأن يكون لنا نواب، من حيث أنه إذا ما امتلكتنا نواباً، سيقفون بوجههم ويسألونهم لماذا؟ وإذا أرادت الحكومة أن تتجاوز يستوضحونها، حتى إذا تجاوز الملك يسألونهم، يعترضون عليه، ويستوضحون منه، أنهم يعترضون عليه. بالطبع إنهم لا يدعون أن يرسل الشعب نواباً إلى المجلس.

هذا أيضاً لأن بلدنا قد تقدم، أي أن جميع أشياء منطقهم هو أنها تقدمت، الملك تقدم، أي أن كل ما يملكه هذا البلد قد سلّموه إلى السيد "كارتر"، وبالطبع إن "كارتر"، الذي هو نهّاب للنفط، يجب أن يقول مثل هذا الشيء، إنه يريد النفط، وهو ينهب نفطنا. وبالطبع يجب أن يقول مثل هذا الكلام.

ومطلبه الثالث أيضاً، بالطبع إنكم.. إن كلاً من هذه الأشياء يطول الحديث عنها، إلا أنكم تعلمون، مطلبه الثالث أيضاً، هو أننا لا ننوي التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد، في إيران، أن نتدخل. إنكم لا تنوون التدخل؟ ما الذي لم تتدخلوا به؟ ماذا يعمل مستشاروكم في جيشنا؟ ولماذا جاء هؤلاء المستشارون؟ ماذا يفعلون؟ أنتم الذين بنيتم القواعد في جبال إيران، من الذي بناها؟ ولمن بنيتموها؟ أليس هذا تدخل في شؤون بلدنا؟ أليس كلامك هذا تدخلاً؟ أليس الذي ترغّب الملك في أن يخرّب البلاد هكذا؟ أليس تدخل، بأي حال من الأحوال في البلد؟ إنه يقول - شخصياً - إنهم كانوا يرسلون لنا جداول (بالأسماء)، إلا أنه يدّعي الآن أن لا.. إنهم لم يعودوا يرسلون الآن! إنه يكذب، لا.. إنهم يرسلون الآن أيضاً، فالآن أيضاً إنه جدولهم. وليس هناك شيء آخر "إنني لا أتدخل!!" إنه بلد والشعب جميعه مطلع على وضع بلده، ويعرفون ما الذي أجروه ويجرونه عليهم. "إنني لا أتدخل" لماذا يقول هذا "إنني لا أتدخل"؟ طيب فالإيرانيون يعلمون أنك تتدخل، وصحافة العالم أيضاً تعرف أن السيد "كارتر" وكل من يصبح رئيساً للجمهورية في أميركا، يتدخل في شؤون بلدنا الداخلية، إنهم لا يدعون بلدنا يقف على قدميه. إننا الآن لا نتمتع لا بالاستقلال ولا بالحرية، ولا الناس يتمتعون بالحرية بأي حال من الأحوال، ولا الصحف تتمتع بالحرية. الآن أيضاً لا تمتع بالحرية، فالحكومة العسكرية لا تسمح لهم الآن في أن يتحدثوا. وهذه الصحف التي تدّعي الآن أنها حرة، طيب اكتبوا، أن الملك هكذا يفعل. لم لا تكتبوا؟ فلو بحثتم في جميع الصحف، فلا تجدون هذه الكلمة، وهي أن الذي يرتكب هذه الجرائم هو عبارة عن شخص الملك. إن هذه الجرائم كانت منذ البداية ولا زالت ترتكب إلى الآن. ففي اليوم الذي ينهار فيه هذا الصرح سيتحدثون، لا يجروون الآن، لأن الحكومة العسكرية موجودة الآن ويتعطل كل شيء. إن هؤلاء يغلفونها إذا تحدثت بمثل هذا الكلام، إنهم يعدمونهم.

كيف تدّعون أن هناك حرية وأن هناك تقدماً؟ أن ما هو مضحك في كلامه هو (قوله) لأنه قد منح الحرية للشعب، وسار بالبلد نحو التقدم، حصلت هذه الخلافات. وإن هذا الصخب الذي قام به الشعب في الشوارع، وهذه الهتافات التي يهتف بها، هي لأنه أعطى الحرية، والشعب يرفضها! أي كلام هذا الذي يتفوه به شخص، رئيس لجمهورية دولة؟! لقد أدرجوا ذلك في الصحف أيضاً دون أن يأتي على ذكره أحد بقول. هذه الأشياء

يجب أن يقال في.. إن هذه الكلمات قد تحدث بها هكذا، لا بأس، شاء أن يتحدث الآن، شاء أن يتحدث بذلك من أجل أن يُفرح (نفسه) كما يتوهم، وإلا من يجهل هذه المسائل.

إن جميع آلامنا هي من هؤلاء الرؤساء، رؤساء الدول هؤلاء. إن جميع المصائب التي تحل بإيران وبلدان الشرق، هي من هؤلاء رؤساء ما سمي القوى العظمى. إن هؤلاء الأقوياء يريدون أن يستخدموا الضعفاء، وسينهبون مصالح الضعفاء. أي أن يعمل الضعفاء ويسلموا (أتعابهم) لهم. أن يجوع الضعفاء وينهبون هم نفطهم، يأخذون معادنهم أو أنه يجوعون على معادن النفط هذه، هذه المعادن النفطية الكبيرة. أن يجلس الناس على هذه المعادن النفطية الكبيرة ويجوعوا. هذا هو منطق هذه القوى العظمى كالاتحاد السوفيتي وأميركا وأمثالها. هذا هو منطقهم، ونحن نريد أن لا يكون هذا الوضع.

إن خطوتنا الأولى هي أن هذا الوضع السائد في إيران الآن هو من وضع الملك وحكومته ووزرائه ونوابه. وكل هؤلاء، هذا هو وضعهم ومفروضون على هذا البلد، والشعب لم يعين نوابا، فنواب (مجلس) الشيوخ لم يعينهم الشعب كما ينبغي أن يعينوا. وعندما لم يكن المجلس للشعب، فإن الوزراء هم غير شرعيين، وعندما يكون الوزراء غير شرعيين، فإن جميع معاهداتهم هي غير شرعية. إن جميع المعاهدات التي يعقدها وزراء إيران مع البلدان الأخرى، سواء كانت أميركا أو سائر الدول تتنافى مع دستورنا، لأن قانوننا قد أمر الحكومة على أساس مصادقة المجلس، تصويت المجلس. إذاً، فالأساس هو المجلس، والمجلس هو مع الشعب بحسب الدستور، فما لم يعين الشعب مجلسا ما، فإنه ليس بمجلس، وإذا لم يكن هناك مجلس، فإن الوزير الذي يعينونه، ورئيس الوزراء الذي يعينونه، ليس برئيس وزراء. وإذا لم يكن الوزراء شرعيين، فإن الحكومة ليست شرعية، وإذا لم تكن الحكومة شرعية، فإن جميع المعاهدات التي أبرمها مع الدول الأخرى، أي معاهدة يريدون، معاهدة نفطية، هي باطلة. إن جميع المعاهدات تتنافى والدستور لأن أساسها غير شرعي..^(١)

(١) بعد هذا الحديث الذي أدلى به الإمام. تملكت الخشية الكثير من الشركات والجهات التي كانت طرفا في معاهدات كبيرة (مع إيران). كما وأخذت الوسائل الغربية توحى بأنه وفي حال انتصار الثورة، ستلغى جميع العقود حتى تلك التي أبرمت قبل إنذار الإمام هذا. إلا أن توضيحات أعضاء مكتب سماحة الإمام وبيته وبالأخص توضيحات سماحته، في خطبه ولقاءاته الصحفية اللاحقة قد أوضحت الموضوع.

هوية الخطاب رقم - ٤٠

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٨ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: مواجهة دعاية مرتزقة صحافة الملك والقوى الكبرى.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

إن خطاب الإمام الخميني (س) الثاني في ٢٩ مهر ١٣٥٧، هو في الواقع تكملة لخطابه الأول. ففي مثل هذا اليوم، وحيث كانت جامعة طهران تشهد تظاهرات واسعة من قبل الطلبة الجامعيين ومختلف فئات الشعب، تحدثت صحافة البلاد عن أن من الممكن أن يتوجه قائد الثورة إلى كشمير من أجل مواصلة كفاحه، نظرا للقيود الكثيرة التي تفرضها الحكومة الفرنسية على سماحته، ولهذا فقد وجه عدد من مسلمي كشمير الدعوة للإمام للتوجه إلى بلدهم.

ومن جهة أخرى، فإن الإضراب الواسع الذي شمل مختلف أقسام شركة النفط، ومنها مصفى عبادان، قد وضع حكومة شريف إمامي في موقف حرج للغاية. كما وبدأ موظفو وزارة الداخلية إضرابهم في نفس هذا اليوم. وبالنظر إلى أن المشير قره باغي، باعتباره وزيرا للداخلية، كان يعد موظفي الوزارة باستمرار بأنه سيوفر لهم حياة مرفهة، فإن إضرابهم كان يدل على أنه لا يحمل بعدا ماديا بأي حال من الأحوال. وكذلك ترك موظفي البنك الإيراني والبريطاني أعمالهم في هذا اليوم وتوجهوا إلى جامعة طهران حيث يجتمع المتظاهرون. كما وكان موظفو عدد آخر من البنوك قد أضربوا عن العمل قبل ذلك.

وفي هذا اليوم، توجه المهندس مهدي بازركان وناصر ميانجي إلى باريس، من طهران، من أجل لقاء الإمام الخميني (س) والتباحث معه. وعندما توجه مراسل صحيفة كيهان بالسؤال إلى بازركان عن أهداف سفره إلى باريس، اكتفى الأخير بالجواب التالي: "أذهب لزيارة سماحة آية الله من أجل أن نطلعه على أوضاع البلاد". إلا أن إحدى الصحف كتبت: "إن بازركان يذهب إلى باريس من أجل رفع بعض سوء الفهم الحاصل". ولم تشر هذه الصحيفة إلى طبيعة سوء الفهم هذا أبدا!

وفي الوقت الذي كان يرزح فيه عشرات آلاف من العلماء ومن طلبة العلوم الدينية ومختلف فئات الشعب المناضل في سجون النظام الملكي تحت التعذيب، أعلنت الحكومة في بيان لها: "أنها تبحث إمكانية إصدار عفو عام عن السجناء السياسيين"، كما وقد قال شريف إمامي (رئيس الوزراء) في خطاب له: "إن الحكومة تؤمن إيماننا راسخا بحرية الرأي والتعبير عنه". وفي الوقت الذي كان فيه شريف إمامي يدلي بهذا الخطاب، كان نواب المجلس الصوري، قد بدأوا بانتقاد عمل الحكومة الحالية والحكومات التي سبقتها، نفس أولئك النواب الذين

لم يكونوا قد نطقوا - منذ انتخابهم إلى ذلك اليوم - في المجلس بكلمة، حتى بما يخص مشكلات المناطق التي ينوبون عنها.

وبالرغم من إعلان الطوارئ في طهران وإحدى عشرة مدينة كبيرة، تواصلت المسيرات والتظاهرات، وخرج ألف من طلبة الجامعة الوطنية (الشهيد بهشتي) بتظاهرة معادية للنظام الملكي وهم يهتفون تأييدا للإمام الخميني (س).

إن أردشير زاهدي، سفير إيران في أميركا^(١)، الذي كان قد جاء إلى طهران وتباحث مع الملك ما مقداره ١٤ ساعة، أعلن أنه على استعداد لأن يذهب إلى باريس من أجل التباحث والتفاوض مع الإمام الخميني (س)، فأعلنت وكالات الأنباء أن الإمام يرفض التباحث مع أردشير زاهدي. كما وقد زار زاهدي، خلال إقامته في إيران، السيد شريعتمداري.

ومن جهة أخرى، فقد تحدثت وكالات الأنباء عن أن "لجنة محكمة راسل قد وصلت إلى طهران من أجل دراسة أوضاع إيران. وفي هذه الأثناء، قال الملك - أيضا - في كلمة له: "إن مكافحة الفساد يجب أن تكون سياسة مستمرة".

لقد كان الدعم الأميركي الشامل للملك، بالرغم من الرأي العام العالمي وانتفاضة الشعب الإيراني ضد النظام الملكي في كافة المناطق، موضع تركيز الإمام الخميني (س) في هذه الأيام. وقد وفرت هجرة الإمام إلى باريس الفرصة لكي يسمع العالم حقيقة ما يجري في إيران من لسان قائد الثورة.

كان يبدو أن "كارتر"، ومن أجل الحفاظ على مصالح الولايات الأميركية الإستراتيجية في إيران، لا يملك إلا أن يعلن دعمه الشامل للملك، على الرغم من الأخير كان يعد، في نظر الرأي العام العالمي، واحدا من أسوأ الحكام المستبدين لما ارتكبه من جرائم خلال سنين حكمه الأخيرة.

لقد وضع الإمام الخميني (س)، في خطابه الحاضر، الإصبع على أسباب الولايات التي حلت بإيران، أي تدخلات الولايات المتحدة الأميركية المتكررة ودعمها للملك، وفضح بيع النفط بشكل مفرط في مقابل تجهيز القواعد الأميركية التجسسية والعسكرية في إيران، وعدد النتائج التخريبية لسياسات النظام في المجالات الاقتصادية والزراعية والإصلاحات الأرضية، بذكر نماذج حسية وشاخصة بهذا الخصوص، وقال: "يجب أن

(١) كتب "وليام شوكراي" في كتابه "آخر سفر للملك"، ص ١٢٥، يقول: "في الأشهر التي كان يتجه الملك فيها نحو السقوط، خلع زاهدي لباس اللهو وأخذ يلعب وبالتعاون مع "بريجنسكي"، لعبة الأيام الأخيرة المعقدة. وسافر إلى طهران لمرتين. وقد طلب إليه "بريجنسكي" قبل سفره الثاني، أن يذهب إلى البيت الأبيض لمقابلة "كارتر" و"سايروس فانس" (وزير الخارجية) و"استانسفيلد ترنر" (رئيس السي آي إي). وقد تعهد له "كارتر" تعهدا ملفتا للنظر إلى حد ما، حيث قال له: لا تقلق من ناحية واشنطن، سأكون شخصيا سفيراً لإيران هنا! نقلا عن "سالينجر".

نُكف أيدي الخونة عن هذا البلد. نحن نقول: إن الذي ارتكب الخيانة الحقيقية بحق بلدنا هي أميركا. إن مواجهتنا الآن هي مع أميركا، وهؤلاء ليسوا الأغصان وأوراق لها، الملك غصن من أغصان أميركا، إن هذا عميل.. نحن نقول: يجب أن تذهب أميركا - أيضا - التي هي الأصل".

وفي جانب آخر من خطابه، هاجم الإمام في معرض إشارته إلى خطاب "كارتر" الأخير، اعتبر فيه الملك شخصا تقدميا ومؤيدا للحرية! هاجم المنطق الماكر لحقوق الإنسان الأميركي. وفي مقطع آخر من خطابه، أكد قائد الثورة على ضرورة التحول الثقافي في المجتمع، وعلى الوعي الإسلامي للشعب ومواصلة النهضة، ورسم الأهداف النهائية للنهضة على النحو الآتي:

".. لنضع يدا بيد ونحطم هذا السد، إن شاء الله، هذا السد الذي في مقدمته سد محمد رضا شاه، ومن ثم "كارتر"، لنحطم هذين، ففي تحطيمهما السعادة".

إن فضح السياسات الأميركية في إيران، والحملات المستمرة، التي كان يشنها الإمام وتعبّر عن أحاسيس ومشاعر الشعب الإيراني، في هذه الأيام، قد أدت إلى أن يصبح شعار "الموت لأميركا" هتافا لمتظاهرين في جميع أنحاء البلاد وبشكل واسع.

وكذلك دفع بالجماهير إلى أن يهتفوا، عند رؤيتهم لنماذج معينة من جرائم الملك: "هذه وثيقة إجرام أميركا". بالطبع لم تكن مواقف الإمام من أميركا، لتروق للفئات الوطنية التي كانت تجعل هدفها النهائي من النضال الوقوف بوجه الاستبداد الداخلي. كما وأن طروحات قضايا الإسلام العالمية وعلاقة ثورة إيران بمصائر الحركات الإسلامية الأخرى - وبالأخص فلسطين - أيضا بغض النظر عن الخلاف حول أساليب معارضة النظام وبقاء أو إزالة النظام الملكي الوراثي، كانت من نقاط الخلاف الأساسية بين أنصار الإمام والآخرين.

الخطاب رقم - ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

العدو مصاص دماء الجميع، وليس العدو مصاص دمي أنا^(١)، يحفظ الله أبناء الشعب كافة. دفع الله (شر) هذا العدو مصاص الدماء، هذا الذي هو عدو وجود البلد، عدو وجود بلدنا وعدو وجود الإسلام والمسلمين. إن هؤلاء قتلوا، قبل أيام، الأطفال من ذوي السبعة والثمانية أعوام، أطفال المدارس الابتدائية من البنات والبنين،

(١) إن بداية حديث الإمام الرد على مشاعر وهتافات الحضور والجامعيين الذين كانوا يهتفون ".. خميني حفظك الله... الموت، الموت

لعدوك مصاص دمك".

لقد قتلهم جلاوزة الملك^(١)، إنه ليس عدوي، إنه عدو الجميع عدو الإنسانية وعدو الشرف ويجب أن تضعوا يدا بيد، وتتضامنوا مع الذين هم في إيران، في البلد الذي يقف قاطبة بوجهه، وواجبنا نحن، أيضا، الذين نقيم في الخارج أن نضم أصواتنا إلى أصواتهم، أن يزول هذا العدو إن شاء الله. إن (هذا الأمر) قريب الآن، ولم يبقَ عليه إلا اليسير. لم يعد لديهم الآن ذاك الصخب الذي كانوا يقومون به سابقا. إن إيران تسير نحو المنعطف إن شاء الله. ولكن يجب أن لا نغفل نحن الذين نقيم في الخارج، عن أحوال إخوتنا الموجودين في البلاد. إن لنا واجبا (اتجاههم)، لنا واجب وجداني، إن واجبنا الديني أن ندعمهم ما وسعنا. أن ندعمهم إعلاميا، ندعمهم ما وسعنا هنا. باستطاعتنا أن نفعل ذلك في الصحافة. بإمكاننا أن نصدر البيانات في الإعلام الصحفي. أن نفعل كل ما نستطيع.

هناك بلد مبتلى، إن بلاد إيران بأكملها مبتلية بهذا الشخص^(٢). إن الشخص أيضا، مأمور في أن يجمع، وألاّ يسمح بأن تتعرض مصالح الأجنبي للخطر، ألاّ يسمح بأن يبقى نفطكم لكم. إنه مأمور، لقد جاؤوا به بالأساس لهذا العمل.

فعندما يقول: "من أجل وطني"، و"خدمة من أجل وطني"، و"مهمة" الوطني^(٣) فإن ذلك صحيح، إنه مأمور لوطنه ولكن من قبل أميركا! إنه مأمور من قبل أميركا أن يوصل هذا البلد إلى حافة اللاشيء، إنه مأمور بأن يعطي كل ما نملك من النفط إلى أميركا، ويشترى به، بثمانه، مقدارا من الحديد. إن هذه الأسلحة التي تشتري الآن، إن هذه التي يريد هؤلاء أن تكون في مركز ما لكي تكون لديهم أسلحة في مكان ما، إذا نشبت حرب ما

(١) بعد افتتاح المدارس في الأول من مهر ١٣٥٧، كانت المدارس هادئة إلى حد ما لعدة أيام. إلا أنه وبعد أيام، خصوصا منذ العاشر من مهر وانتشار بيانات الإمام الخميني (س) اندلعت التظاهرات والإضراب من قبل الطلبة والمعلمين. وبادر رجال الحكومة إلى مهاجمة المتظاهرين، تطورت القضية إلى اشتباكات. وفي يوم الخميني ١٣/٧/١٣ خرج طلبة المدارس في خرم آباد بتظاهرة، وإثر تدخل رجال الشرطة والدرك قتل اثنان من الطلبة وجرح ٤٨ شخصا واعتقل آخرون (كيهان ١٥/٧/١٣٥٧). وبتاريخ ١٥/٧/١٣٥٧ أقيمت تظاهرات في أنحاء البلاد كافة، وأدى إلى حصول اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة نتجت عنها سقوط عدد من القتلى وجرح عدد واعتقل آخرون. ويبدو أن الإمام يشير إلى هذه الحادثة. وفي نفس هذا اليوم أدت التظاهرات التي قام بها الطلبة في آمل إلى سقوط ٢٤ شخصا بين قتيل وجريح (كيهان العربي ١٦/٧/٥٧) وفي أصفهان تم اعتقال عدد من التلاميذ (كيهان ١٦/٧/٥٧) وفي سنج - أيضا - اعتقل عدد من التلاميذ (كيهان ١٦/٧/٤٧). وفي ١٦ و ١٧ من مهر كانت مدارس البلاد بشكل كامل وشبه كامل مغلقة. وفي تظاهرات طلبة سنج في ١٧ مهر، جرح ٢٠ شخصا. وفي ١٩/٧/٥٧ كانت غالبية المدارس في البلاد مغلقة بشكل كامل وشبه كامل. وقد هددت الحكومة العسكرية في قم في بيان لها أولياء أمور التلاميذ من مغبة إطلاق المناهضة للوطن (الموت للملك). وقد صدر هذا البيان إثر إطلاق تلاميذ قم بعد إغلاق المدارس، هتاف الموت للملك. ومن الجدير بالذكر أنه ومنذ هذا التاريخ. أخذ هتاف "الموت للملك.. الموت للملك.. الموت للملك" يجري على الألسنة في كافة أنحاء إيران بشكل منسق وجميل لا زال عالقا في أذهان الشعب الإيراني.

(٢) الملك.

(٣) يشير إلى كتاب "مهمة.." (أو) "مأمورية لوطني"، المنسوب إلى الملك.

بين أميركا والاتحاد السوفيتي، مثلا، إن إيران هي إحدى المراكز التي يريد أولئك أن تكون لهم فيها أسلحة. إنهم يأخذون نفطنا، ويأتون لأنفسهم بالسلاح إلى هنا إلى إيران، وبينون القواعد في إيران من أجل أن تكون لديهم هذه القواعد إذا ما نشبت حرب ما. لا تتصورا أنهم الآن يعطوننا أسلحة مقابل النفط. فما فائدة السلاح الذي لا نستطيع استخدامه؟! إنه سلاح في إيران ليس هناك من باستطاعته استخدامه^(١). إنها أسلحة يريد هؤلاء أن تكون هنا. وهي إذا لم يأخذوا النفط، فإنهم كانوا سيأتون بأسلحتهم إلى هنا ويعززون قواعدهم لئلا يهاجمهم الاتحاد السوفيتي في وقت ما. والآن كم هو أفضل أن يأخذوا نفطنا وقواعدنا، إنهم يريدون أن يجعلونا نستفيد فائدة ما في مقابل أخذهم لنفطنا! إنهم يبنون لأنفسهم قواعد في إيران. هذه هي الفائدة التي نجنيها نحن من النفط.

وعند ذاك، أي نفط يأخذون؟ فبعض الأشخاص الذين ذهبوا، كانوا قد ذهبوا في السابق - والآن لعله كان أكثر من هذه المسائل - وشاهدوا، قالوا إنه بإمكان الإنسان أن يدخل في هذه الأنابيب على طولها! أنايب بهذا الكبر! كم أصبحوا ذوي حق! إن السفن تملأ من النفط خلال دقائق وتخرج. هذا هو النفط الذي كان يفترض أن يعيش البلد من ورائه إلى الأخير. فالملك يقول إن هذا النفط سينفذ بعد عدة أعوام، بعد ثلاثين عاما، من الذي ينفذه؟ إنه ينفذ ولكن يجب أن نسأله من الذي ينفذ النفط؟ هذه الذخيرة التي يجب أن يعتاش من ورائها الشعب وتبقى البلاد مصانة وتعمر بواسطة أرباحها، يقول إنها ستنفذ بعد ثلاثين عاما. هذه حتى الثلاثين عاما! من الذي ينفذه؟ أنتم الذين تنفذونه. إن الملك هو الذي ينفذ هذه الذخائر الكبيرة التي وهبها الله لنا. طيب ما الفائدة التي تعود علينا منها؟ ما الذي يعود على الشعب؟ يجب أن نسأل ما الذي تأخذونه إزاء النفط؟ أتأخذون السلاح؟ لماذا تأخذون السلاح؟^(٢) أوتستطيعون أنتم محاربة الاتحاد السوفيتي؟ أوتستطيعون محاربة أميركا؟

(١) راجع الملحق ٧، ص ٤٤٦.

(٢) إن من أكبر الخدمات التي أسداها الملك لأميركا، هو دعمه لاقتصادها في الظروف المتأزمة. فقد كتب باحث أميركي يقول: "لقد أصيبت صناعة السلاح الأميركي بركون شديد بعد أن خفت حدة الحرب الأميركية في فيتنام. في أواخر عقد الستينات، وخروج الولايات المتحدة من ساحة الحرب، في أوائل ١٩٧٠م. ومن جهة أخرى فقد أدى ارتفاع أسعار النفط وخروج الدولار الأميركي من أجل استيراد النفط إلى اختلال شديد في التجارة الخارجية، وكان يجب المعالجة برفع مستوى الصادرات الأميركية" وكان تشغيل الصناعات التسلحية وتصدير السلاح واحد من السبل التي يمكن معالجة هذا الاختلال بالموازنة بواسطته. ومن هنا طلبت الولايات المتحدة الأميركية إلى الملك ورجعي المنطقة الأخرى أن يشتروا منها السلاح. وخلال الفترة الفاصلة بين أعوام ١٩٧٠ إلى ١٩٧٥ ارتفع ميزان الصادرات الأميركية من السلاح من مليار دولار إلى ١٠ مليار دولار! وكانت إيران والعربية السعودية على رأس الزبائن التي اشترت هذا السلاح، وكان "ريتشارد هالوك" (المبعوث الخاص لـ"سلة سين جر" وزير الدفاع الأميركي)، مكلفا بتنظيم قوائم السلاح والإشراف على الصفقات. وكانت الولايات المتحدة الأميركية بحاجة إلى مخزن كبير للأسلحة في المنطقة. في عقد السبعينات على أساس خطة استراتيجية. وكان لهذه الخطة عدة مراحل، ميزانية تنفيذ جميع هذه المراحل باستثناء خطة "أي بكس" قد صرفت من كيس الشعب الإيراني. وعلى أساس خطة "أي بكس" السرية، كان مقررا تأسيس نظام للمراقبة على طول الحدود الإيرانية، وأن تزداد محطات المراقبة في شمال إيران من ٢ إلى ١١ محطة، وقد تم اغتيال ثلاثة من خبراء شركة "راكول" الذين كانوا يعملون في هذا المشروع سنة ١٩٧٦ وتم توقيف تنفيذ المشروع في عهد الثورة.

إن ما لديكم من بنادق لهو كاف لقمع جماهير وطنكم، ولستم بحاجة إلى أن تستوردوا المزيد من أميركا. إن نفس هذه البنادق التي تملكونها فهي كافية لأن تقمع رجال البازار والشباب والجامعيين والبنات والبنين والسيدات والسادة. حسنا يكفي هذا.

فهذه الأجهزة الدقيقة هي التي تقول إنها تأتي إلى إيران في إزاء النفط.. أيعني هذا غير أنها قاعدة لأنفسهم؟ أي يأخذون النفط ويأخذون أرباحه لأنفسهم أيضا! إنهم يأخذون النفط وأرباحه معا! إنه ملكهم. نحن لا ندري ما هذا الذي يفعلونه هؤلاء بالبلد، لا نعرف. فلو ذهب هذا إن شاء الله، سيتاح للمطلعين أن يتحدثوا بما لديهم عن حقائق (أوضاع) إيران، وعن خيانات هذا الشخص، إنهم سيتحدثون بما لديهم عند ذلك. لكننا لا نعرف. وإن معلوماتنا السطحية هي أننا نرى أنه قد خرب الزراعة في إيران كليا باسم "الإصلاحات الأرضية"، وهل تتصورون أن إيران تملك الآن من نفسها شيئا من الزراعة؟ لقد قضى هذا على الزراعة، ويتحدث كثيرا عن المقادير المستوردة! إن هذا يدعو إلى الضحك حقا. إن بلدا كان يصدر هذه الأشياء، القمح والشعير وأشياء أخرى.. والآن يفتخرون أن كم نحن نستورد!^(١) إن هذا يدعو إلى العزاء وليس الافتخار من الذي قضى على زراعة إيران العظيمة التي كان (محصول) محافظة واحدة منها يكفي إيران؟ والآن يجب علينا أن نستورد كل أشياءنا من الخارج. لقد قضى هؤلاء على تربية الماشية بالكامل، واستولوا على مراتعنا التي كانت أماكن لتربية المواشي وجعلوها "وطنية" بحسب تعبيرهم. ومعنى "الوطنية" أيضا هو أنه نفسه الشعب! وأن الشعب كله - بالأساس - هو عبارة عن الملك وأسرته الملك! هذا هو الشيء الذي يقولون إنه أصبح وطنيا، أي نحن (فقط) الذين نأكل! وليس لدينا شعب، ليذهب الآخرون لأعمالهم، من يكون هؤلاء؟ حفنة من الناس هكذا ومن البازار والجامعة، ماذا يفيدون؟ الشعب يعني الملك وبطانة الملك! إن جعل المراتع وطنية، وجعل الغابات وطنية، جعل الغابات وطنية يعني لصالحهم هم. لقد منع هؤلاء الناس من أن تذهب مواشيتهم إلى هناك. لقد انتهى كل شيء لديهم. وقد منعوا الناس من أن يستفيدوا من الغابات. لقد أعطوا الغابات لهذا وذاك، باعوها لهؤلاء وأكلوا أرباحها أيضا، وتوجه إلى عمله. نحن لا ندري ما الذي يفعله هؤلاء. حسنا، إننا نشاهد زراعة إيران منذ هذه

(١) لقد كانت إيران تنتج منذ القدم، ما تحتاجه من الغذاء من داخل البلاد. وطبقا للتقارير والوثائق الموجودة، فإن أولى الصادرات الإيرانية، كانت المحاصيل الزراعية والحيوانية. وإثر الثورة السورية (الملك والشعب) وتنفيذ أصلها الأول، أي الإصلاحات الأرضية، اتجهت الزراعة في إيران نحو الاضمحلال، وخلال فترة قصيرة لم تفقد امتياز التصدير وحسب، بل عجزت عن توفير احتياجاته الداخلية أيضا، بحيث وصل الاستيراد من الغلة خلال علم ١٣٥١هـ إلى ١٣٥٦هـ من ٦/٨ مليار ريال إلى ٣٨/٥ مليار ريال! وإن غالبية المحاصيل التي كانت تدخل إلى البلاد، يمثل هذا النمو الاستيرادي، كانت في عداد المحاصيل التي لا يتعذر إنتاجها في الداخل إلى حد رفع الحاجة إليها، إلا أن السياسة التي كانت متبعة بشأن الزراعة، كانت تحول دون إنتاجها في داخل البلاد. وبعد مرور عدة أعوام، أدى النقص في القمح الإيراني إلى أن يخرج هذا البلد عن عداد البلدان المصدرة للقمح ويكون بحاجة إلى استيراده من الخارج. وفي عام ١٣٤٧هـ وصلت صادرات إيران من القمح، بالرغم من هبوطها، إلى ٢٥٤ ألف طن، إلا أنه وفي عام ١٣٤٩هـ، لم تنعدم صادرات القمح وحسب، بل أخذ القمح يدخل إلى إيران مستوردا! وفي عام ١٣٥٦هـ، وصل ميزان استيراد إيران من القمح إلى أكثر من مليون وأربعمئة طن! اقرأ "الدولة والحكومة في إيران، وتاريخ اقتصاد إيران".

الفترة التي أجرى فيها هؤلاء "الإصلاحات الأرضية" وإلى الآن. وقد انتهت الزراعة، وقضي عليها بالتمام. وعند ذاك ما كان ضررها؟ إن واحدا من أضرارها هو أننا أصبحنا سوقا لأميركا.

القمح يجب (من) أميركا، كل شيء يأتي من الخارج، والناس يعطون نقودهم في مقابل القمح الأميركي. فالشيء الذي كان من عندهم ومن بلدهم وكان يجب أن يستفيدوا منهم، أي أن يبيع أخاهم ويتسلمون ثمنه، فالآن يجب علينا أن نشترى القمح الأميركي، أو كل أشياءها، وحتى البيض يقال إنه يتم استيراده من "إسرائيل". وواحد آخر من أضرارها هو أن الرعية والفلاحين في هذه الأرياف لم يستطيعوا بعد ذلك البقاء في القرى، إنهم يتجهون إلى المدن، إلى طهران، تحركوا. والآن في ضواحي طهران يتجمع كما كتبوا لي بالتفصيل، وإنني الآن لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل، كان بالإجمال نحو عشرين أو ثلاثين مكانا أو أكثر - لا أستطيع أن أتذكر الآن - هناك محلات فيها عوائل - محلة محلة - وهذه المحلة هي في مستنقع يتجمع فيه الكثير. لقد صنع هؤلاء المساكن خيمة لهم. أعرض لكم بواسطة حسنة، شيئا، بنوا لأنفسهم شيئا يحفظهم، ويعيشون هنا هم وأطفالهم الصغار، والكبار في خيمة. ففي محلة واحدة، أي افترضوا أنهم يعيشون في ميتين، ثلاثئة، أو أربعئة خيمة؛ إن ثلاثئة من أمثال هذه الأشياء، وهؤلاء يعيشون هناك. إنهم لا يملكون كهرباء، ولا يملكون ماء، ولا يملكون طرقاً معبّدة، وفضلا عن هذا، فإذا أرادوا أن يجلبوا ماء لشرب آبائهم، يجب عليهم، كما نقلوا وكتبوا لنا، يجب على هذه المرأة المسكينة أن تأخذ كوزا وتصعد خمسين أو ستين قدما من هذا المستنقع حتى تصل إلى فوق حيث الطنبور الذي فيه ماء لتملأ الكوز، ولتنزل مرة أخرى خمسين أو ستين سلما أو أكثر من هناك. تصوروا أنتم شتاء طهران، حيث هطول الثلج والأمطار، هذه المرأة المسكينة يجب عليها أن تحمل من هنا كوز الماء لأطفالها وتحمل هذه المأساة وتصعد به إلى فوق، هناك من أجل ملئه، ومن ثم تنزل به خمسين سلما. فكم ستسقط على الأرض (خلال هذه العملية)؟ كم ستتأذى؟ الله هو الذي يعلم ذلك. ويا ليتها كانت محلة واحدة، إنها أربعين، خمسين، ثلاثين، أربعين، في أطراف المكان الكذائي والكذائي، كما كتبوا. لقد كتبوا لي بالتفصيل عن كل هذه الأماكن، وأين تقع هذه المحلات التي يعيش فيها هؤلاء الأشخاص الذين اضطرتهم "الإصلاحات الأرضية" وبوار الزراعة أن يتوجهوا إلى طهران، ومن الممكن أن يكونوا في مدن أخرى أيضا، إلا أن المهم فيه هي طهران. لقد جاؤوا إلى طهران، لجأوا إلى طهران، من أجل أن يرتزقوا هؤلاء المساكن. هذا هو الوضع الذي يعيش فيه هؤلاء المساكن في طهران. في مركز إلى أين وصلت فيه قصور هؤلاء؟^(١)، هذه هي حياة هؤلاء

(١) لقد بنى رجال البلاط في شمال طهران بساتين كبيرة وواسعة وإلى جانبها ساحات للتنس والغولف ومساح مياه باردة ودافئة وحمامات السونا. وقد كان الملك قد باع قصوره القديمة إلى مجلس الشيوخ والمجلس الوطني والوزارات المختلفة، ويعيش في قصور جديدة، وكانت قصور سعد آباد ومرمر ونيواران وكيش ونوشهر وكليستان أماكن لإقامة الملك في مختلف أوقات السنة. وقد دفع الملك للسويسريين ١٠ ملايين دولار من أجل قصره الشتوي في سويسرا الذي كان يقع على مرتفع يشرف على الجبال المغطاة بالثلوج، وكان قصرا "مرواريد" و"نو" خاصين بأشرف، كما وكانت أم الملك أيضا تسكن في قصر فخم للغاية. من أجل الإطلاع على فساد واختلاس البلاط والنظام البهلوي. راجع "اعترافات أقرب جلساء الملك"، الجنرال فردوست في كتاب "ظهور وسقوط مملكة بهلوي"، المجلد ١ الصفحات ٢١٦ و ٢٢٧ و ٢٦٢.

والعائلة، هذا السيد، أيضا، حياة حيث أنني قرأت قبل أيام - كتب في مكان ما - أنه قد وفر لإحدى شقيقاته فيلا في مكان بعدة ملايين من الدولارات، لا أذكر كم كان. إلا أن الذي أذكره هو أنه قد صرف، أيضا، خمسة ملايين دولار من أجل تزيين هذه الفيلا بالزهور! خمسة ملايين! أي خمسة وثلاثون مليون تومان المصروف! إنني لا أستطيع أن أتصور ماذا يعني! قالوا خمسة ملايين دولار صرفت لتزيين هذه الفيلا من أجل هذه المرأة^(١).

تلك حياة يعيشها الشعب، وهذه حياة!! من أين جاء؟ لقد جاء من حيث أنه قال بأمر أميركا: اعملوا "لإصلاح الأرض"، أي اصنعوا لنا سوقا! إن سلعنا كثيرة يجب أن نرمي إلى البحر، لنعطيها لكم ونأخذ عنها نقودا! ومن جهة أخرى، إن أرباح النفط هذه التي يحصل عليها أولئك بهذا القدر، سأعطي هؤلاء أيضا مقدارا منها ويأخذونه لصرفه على ملاهيهم.

إن منطقنا هو أن هذا الوضع يجب أن يزول، وأنه منطق كل شخص. و(منطق) كل إنسان يجب أن يكون هكذا، إن وضع بلدنا مبتلى بهذا الشكل على يد هذا الشخص، وحياة شعبنا أصبحت على هذا النحو في زمن السلطنة، من الأب وحتى هذا الولد. نحن نقول إن هذا الوضع يجب أن يزول. وليس لدينا كلام غير ذلك. وإن كلامنا هو أن هؤلاء قد خانوا بلدنا. وهم الآن أيضا منهمكون في خيانة بلدنا، ونحن يجب أن نكف أيدي الخونة عن هذا، يجب أن نكف أيدي الخونة عن هذا البلد. نحن نقول: إن الذي خان بلدنا بالأصل هو أميركا. والآن فإن حسابنا هو مع أميركا، وما هؤلاء سوى غصنها وفرعها. إن الملك هو من أجنحة أميركا، إنه عميل.. عميل.. والمأمور معذور، إنهم يهينونه، يجب أن يفعل. نحن نقول: يجب أن تذهب أميركا أيضا، فهي الأصل..

ويجب أن تذهب أيضا هذه الفروع الخائنة المرتزقة والمعتاشة على الفتات. إن البلد بلدنا، ونريد أن نديره بأنفسنا. ما عمل أميركا، أنتم لا تستطيعون أن تصلوا إلى النضج! إن هذا مضحك جدا.

لقد جاء والي اليوم بصحيفة، البارحة أيضا، كان يقول فيها "كارتر" في حديث له بأن الملك يعمل على أن يبني مجتمعا متقدما هناك^(٢)، ولأنه يريد أن يمنح الحرية للشعب لذا يعارضه الشعب^(٣). إن هذه الجماهير التي تعارضه كلها، وهذا الشعب الذي يعارضه، إنما يفعلون ذلك لأنهم يقولون: دعونا يا سيدي لكي نمنحهم الحرية! لقد علا صراخهم: إننا لا نريد الحرية! إن صياحه عال من ذلك الجانب، أبواق الملك، بحسب منطق السيد "كارتر"، الذي هو الأستاذ الأعظم، إن منطقته هو أن صياح أبواق الملك (يعني) اسمحو لي يا سيدي أن

(١) راجع الملحق ١٢، ص ٤٤٨.

(٢) راجع الملحق ٢، ص ٥٤٥.

(٣) راجع الملحق ٢٠، ص ٤٥٩.

أمنحكم حياة مرفهة! وهؤلاء يقولون: إننا لا نريد. نحن نريد أن نعيش في هذه الحفرة^(١). لقد قال السيد "كارتر"، حسنا، ماذا نفعل مع هذا الشعب؟ وماذا مع "كارتر" هذا؟ أي أسباب يستأمله هذا وينبغي عدم التفوه به أبدا؟ أقول: لا أدري، أكارتر لا يعلم؟ معقول هذا المعنى أن يكون "كارتر" غير مطلع، وعند ذاك نكون أنا وأنتم مطلعون؟ إن خبراءه يملأون كل مكان، موجودون في أعماق كل مكان، إذاً إنه يعلم. من الذي يريد أن يلعب؟ إنه يتحدث بهذا الكلام في المجتمع لا أدري كذا^(٢). إنه يتحدث بهذا الكلام وهو: أن جميع الخلافات الموجودة في إيران ناشئة من أن الملك يريد أن يفعل هكذا، أن يعطي الحرية، والجماهير تعارضه! حسنا لو قيل هذا في أي مكان كان لا يعرف الحقيقة، لقال: حسنا إن هؤلاء حفنة من المجانين في إيران، جميع أهل إيران مجانين، لأن الملك رؤوف إلى هذا الحد ويريد أن يمنحكم الحرية.

طيب، ألا تريدون أن تصبحوا أحرارا؟ إن هذا يريد أن يمنحكم حياة كريمة، فلم تعارضون الحياة الكريمة؟ ألا تحبون أن تكون لديكم سيارات؟ ألا تحبون أن تكون لكم حياة مرفهة؟ إنه يريد أن يعطي، إنه يمد إليكم يديه هكذا، تعال يا سيدي خذ، والآن تضربون يده أن اذهب نحن لا نريد؟ هذا هو منطق السيد "كارتر". منطق رئيس جمهورية أميركا! إنه يقول ذلك عن وعي وليس عن جهل. ليس بإمكاننا أن نقول إن "كارتر" غير واعٍ. إن "كارتر" الواعي يتفوه بهذا الكلام عسى أن يستغفل جماعة ما، على فرض عسى أن يستغفل جماعة ما، إنه ماكر.

إننا مبتلون بمثل هكذا موجودات في العالم. نحن الشعب المتخلف منطقنا هو أن مالنا نريد أن نصرفه نحن يا سيدي، نحن الشعب الذي تقولون عنه إنه متخلف، وأحيانا يقولون أيضا: إن هؤلاء ليسوا أهلا للحرية، إن الملك شخصا يقول مثل هذا وهو: إن بلدنا مواطنيه لا زالوا غير مؤهلين لأن يكونوا أحرارا. ولأن هؤلاء جميعا ليسوا مؤهلين يجب أن يكونوا في السجن. هؤلاء ليسوا مؤهلين لأننا نقول ألا تكونوا في السجن يا سيدي، ليسوا مؤهلين لأن نمنحهم الحرية؟ إن بلدنا مواطنوه ليسوا مؤهلين لأن نمنحهم الحرية، لماذا؟! لأنهم يهتفون ويصرخون الحرية يا سيدي.. نريد الحرية! هؤلاء غير مؤهلين؟!

انظروا إلى ذلك الطفل، لا علينا أنه تعلم من الكبار، إن هذا الطفل البالغ من العمر عدة سنوات يقول لي، ذو الأربع سنوات فما فوق: الاستقلال والحرية. إن هؤلاء يطالبون بالحرية وبالاستقلال. الجماهير كلها تهتف: إننا نطالب بالاستقلال، نطالب بالحرية. طيب لو أنهم كانوا يتمتعون بالحرية، فما الذي طالبوا به بعد؟ وإذا كان هذا يريد أن يمنح الحرية، فماذا يعني هتاف الشعب: الاستقلال والحرية؟ من الواضح أن المنطق يختلف. إن منطق الملك الذي يقول: "إن في دولتي حرية"، يعني أنهم جميعا يرزحون تحت التعذيب! هذا منطق! بحسب

(١) يقصد الكهوف التي كانت في جنوب مدينة طهران. وغالبية هذه المناطق كانت تقع في الأراضي غير القابلة للاستفادة، مثل الحفر المتروكة من بقايا البيوت القديمة.

(٢) أنظر هوية الخطاب رقم (٣٩).

هذا المنطق إن هؤلاء الموجودين في السجن الآن، والذين يعيشون في الاختناق والذين يعيشون في السجن، وفي التعذيب، هؤلاء قد منحتهم الحرية والاستقلال، أيضا، هو شيء آخر في منطق الملك. دولة كل شيء فيها مرتبط بالغير، دولة تابعة بكل أبعادها، وهو الذي جعلها تابعة.

هل تتصورون أن هؤلاء النواب الذين ينصبهم الملك بنفسه، دون أن يكون للشعب دخل في ذلك، هو الذي يفعل ذلك؟ كلا إن السفارات هي التي جاءت بأسماء هؤلاء إلى هنا وقالت أن يصبح هؤلاء نوابا. هذه القضية ليست وليدة اليوم، بل إنها كانت موجودة حتى في زمن رضا خان. من السفارات. إلا أن السفارة الإنكليزية كانت تقوم بهذا العمل في وقت ما^(١)، ولا بد أن السفارة الروسية قامت به سابقا، والآن السفارة الأميركية تقوم به. ولعلمهم كانوا معا. تفاهمت بريطانيا والاتحاد السوفيتي وأميركا فيما بينها.

فمن أجل نهب أموال الناس يتفاهمون أيضا^(٢)، هذا يأخذ غازه، وهذا يأخذ نفطه. إن نوابنا هؤلاء هم عملاء أميركا. فلو كان من الملك أيضا، للننا طيب، مهما يكن فإنه من أهل البلاد، مع أننا لا نريد شخصا من أهل البلاد يكون هكذا، ولكن حتى هذا لا يقول ذلك، إن هذا الأمر يأتي مكتوبا من هناك ويجب أن يصبح هؤلاء نوابا، وهو يرجعه إلى الأجهزة التنفيذية، كما يقول، ليصبح هؤلاء نوابا. من يكون الشعب؟ الشعب ماذا، ومالهم وللشعب هؤلاء؟! الشعب يجب ضربه على رأسه! الشعب يجب أن يعمل ولا يأكل شيئا! أن يعمل والغذاء.. الشيء الذي يحصل منه يذهب إلى جيبه، والزائد.. الزائد عن حاجة "كارتر" وأميركا، ليذهب إلى جيب أسرة الملك بهلوي. وما وضع الشعب؟ وضع الشعب الضرب. طيب يجب أن يأكل شيئا ما.. الضرب!!

إن كلامنا هو أن الوضع يجب أن يزول. لا يحتمل الوضع هكذا. لا يمكن أن يبقى بلد ذو ثلاثين مليون نسمة أو أكثر، تحت الضغط إلى الأبد. إن هذا لا يمكن، إن هذا لا يتطابق مع أي منطق، أن يكون ثلاثون مليون

(١) لقد أمر رضا خان قواته العسكرية أثناء الدورة السادسة لانتخابات المجلس، بالتدخل في الانتخابات بشكل مباشر وقد أصبح الأشخاص الذين كانت بريطانيا قد أرسلت قائمة بأسمائهم إلى رضا خان، نوابا في المجلس بقوة الحراب. وفي انتخابات الدورة السادسة عشرة كان هجير الذي كان وزيرا للبلاط، مسؤولا عن إدارة الانتخابات. وقد أعد قائمة بأسماء الموالين للنظام في بيت أحد أصدقائه بحضور الإنكليز "كلنل فلز" من أجل أن يصبحوا نوابا في المجلس. وفي انتخابات الدورة السابعة عشرة تم إرسال مجموعة من النواب إلى المجلس بتوصية من اللواء "كروزن" (رئيس هيئة أركان القوات البريطانية). راجع "تاريخ إيران العقدين الماضيين"، ج ٥، ص ٣٣-٣٨.

(٢) في معرض رده على قول وزير الخارجية البريطانية آنذاك، الذي قال: إن سقوط الملك سيؤدي إلى سيطرة القوى اليسارية الموالية لروسيا على إيران، قال رئيس جهاز المخابرات الأميركية (سي آي أي): من الممكن أن تكون لروسيا يد في أحداث إيران الأخيرة، إلا أنها لا تقوم بشيء من أجل تغيير النظام في إيران. نحن واثقون من ذلك، لا تقوم بشيء من أجل تغيير النظام في إيران، نحن واثقون من ذلك. لقد تفاهمنا مع الاتحاد السوفيتي. راجع "٢٥ عاما من تسلط أميركا على إيران"، ص ١٦٩.

نسمة تحت الضغط^(١)، وأن يعمل هذا الجمع دائما ويأخذ الآخرون محصول أتعابه. إن هذا الوضع يجب أن يصحح. إن هذا الوضع يجب أن يتم تصحيحه يا سيدي. إن هذا هو منطق الإسلام. ماذا يقول هؤلاء؟ أليدهم ما يقولونه مع هذا المنطق؟ تقولون إن الإسلام رجعي، ماذا يعنيكم؟ إنه "رجعي"، إن معنى رجعيته هو: أخرج أنت يا سيدي، إنني أريد أن أعيش حياتي بنفسي. هذا هو معنى الرجعية التي يتحدث عنها هؤلاء. "الإسلام رجعي" إن هذا يعني أن الإسلام يقول يجب أن لا يتسلط هؤلاء الغير عليكم. لقد حظر سيادة الآخرين عليكم. يجب عليكم أن تكونوا مستقلين. وبالطبع في منطق هؤلاء الاستقلال يعني الرجعية. وما لم تكونوا تابعين لأميركا ولم تكن جميع أسياننا تحت تصرفها، فإننا لا نكون متقدمين! إن هؤلاء يريدون أن يجعلونا متقدمين ويوصلونا إلى رابية الحضارة ومنطقهم هذا! هناك فرق بين منطق وآخر. إن مصطلحات الناس تختلف عن بعضها. إن منطق الوصول إلى "بوابة الحضارة" هو هذه (الأمر) التي ترَوْنها، هذه التي يحولها إلى الواقع العملي هنا هذا.

الآن حيث نحن جالسون هنا، تصوروا في كم مكان في إيران توجد مصادمات، رشاشات. نحن نقول: إننا لا نريد أن توصلونا إلى "بوابة الحضارة"، أخرجوا أنتم. نحن نعرف بأنفسنا. لتذهب أميركا، ليذهب المستشارون الأميركيان، فإذا ذهب المستشارون فإننا سندير حياتنا بأنفسنا سنديرها بأنفسنا. ماذا يعنيكم؟ كما أن الملك الذي يريد أن "ينمي" نحن لا نريد هذا النمو الذي يريد أن يعطيه إيانا. فإذا استطعنا أن ننمي أنفسنا بأنفسنا، وإذا لم نستطع فإننا نريد... نحن مجموعة من الفلاحين (رغبتي) نريد أن نزرع الحنطة والشعير على أرضنا ونأكله نحن. وأنت سيد أميركا الذي جئت من الجانب الآخر من الدنيا إلى هنا، ووضعت يدك وتأخذ كل ثروات إيران، الثورة النفطية والمعادن وكل شيء. الفولاذ وكل أشياء إيران.

ارفع يدك، فإننا نفعل ما نشاء. تقول إنك لا تستطيع! طيب ما يعنيك؟ إنني لا أستطيع أن ارتدي عباةتي جيدا، ما دخلك أنت؟ أتأتي وتأخذ عباةتي لأنني لا أستطيع ارتداؤها؟ في الوقت الذي تكذب، لا تسمح.

لقد مضى على امتلاكنا الجامعات ٧٠ عاما أو أكثر، لقد كنا نملك المدارس والجامعات منذ عهد أمير كبير وإلى الآن^(٢). لم تدع هذه الجامعات أن تدرس بالشكل الصحيح. إن ثقافتنا هي ثقافة استعمارية. هي الثقافة التي صنعها لنا أولئك. تأملوها، لا يدعون شبابنا يتعلمون. إنهم لا يدعوننا ننمو. ليرفع هؤلاء أيديهم، إن الإيراني ليس أقل من هؤلاء. فالإيراني أيضا ينمو. إلا أنكم لا تدعوننا ننمو. لأننا لو نمونا فإن مصالحكم ستكون في

(١) إن الرقم ٣٠ مليوناً يعود إلى تعداد سكان إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية. وبحسب إحصاء السكان لعام ١٣٦٥ هـ ش فقد أعلن أن تعداد سكان إيران يبلغ ما يقارب من ٥٠ مليون نسمة.

(٢) مركز باسم مركز التعليم العالي دار المعلمين، وجامعة طهران وقد تأسس الأول عام ١٢٩٧ هـ ش، والثاني عام ١٣١٣ هـ ش. إن النظام التعليمي في جامعة طهران، كان في غالبه تقليدا عن النظام الفرنسي، كما وكان أساتذتها القدماء خريجي فرنسا في غالبيتهم أيضا. وبعد انقلاب الثامن والعشرين من مرداد عام ١٣٣٢ وتزايد نفوذ أميركا في إيران، اقترب النظام التعليمي الجامعي في إيران أيضا إلى النماذج الأميركية بالتدرج، وقد احتل الماسونيون الكثير من المقاعد الحساسة فيها.

خطر. إنكم تريدون أن تأكلوا الشرق كله، وتبقوا الشرق كله متخلفا. إن الهدف من الإبقاء على التخلف هو أكل أموال الشرق. وأنتم تبقون على تخلف الشرق لتأكلوا كل ما يملكون. وقد وضعت في كل مكان مأمورا، في بلدنا أيضا "المأمور من أجل الوطن" هو الملك الذي ترون ما فعل وما يفعل.

إن منطقنا منطق الإسلام، هو أنه يجب أن لا يتسلط الغير عليكم. يجب أن لا تخضعوا لسلطة الغير. ونحن أيضا نريد أن لا نخضع لسلطة. وإن أصل كلامنا هو "يجب أن لا تكون أميركا". ليس لأميركا وحسب، فالاتحاد السوفيتي أيضا يجب أن لا يكون. يجب أن لا يكون الأجنيبي. إن منطقنا هو هذا، وهاتفنا أيضا هذا. إن كان لأحد كلام مع هذا المنطق ليقُلْ. إذا الأغصان والأوراق وفي هذه الصحف التي تروج، وبحسب ما يقولون إن الملك يدفع مئة مليون دولار من أجل الدعاية، من أجل الحفاظ على وجوده يصرف كل عام مئة مليون دولار^(١). بالطبع إن هذا الكلام يخرج في الصحف، أن المعممين كذا، رجعيون.. المعممون رجعيون، والمعممون كيت. هؤلاء المعممون. ومن ثم يذهبون إلى أن الإسلام هكذا. ويشوهون الإسلام والمعممين معا. لماذا؟ لأن الذي يمكن أن يقف في وجوههم هو الإسلام. وإن الذي يريد تحقيقه، هو المعمم. إنهم لا يريدون أن يتحقق هذا الأمر. إنهم يريدون أن يشوهوا الإسلام. وأن يرجعوا الجماهير عن الإسلام، ولينزوي المعمم أيضا جانبا، وليبقوا هم ومن يشاؤون.

هكذا صنعوا بجامعاتنا أيضا. إنهم لا يتركونهم يتعلمون بالشكل الصحيح. ونتيجة للضغوط التي يعملونها، ونتيجة لأفعالهم، لا تستطيع الآن لا الحوزات العلمية ولا الجامعة مواصلة الدروس. فالجامعة تعيش الإضراب دائما^(٢)، في سنة ترى أنهم في حالة إضراب.

لا يستطيعون أن يعملوا، لا بد من عونهم. أو أنهم يداهمونها وينهالون على النساء والرجال بالضرب وأعرض (لکم) يجرحونهم. أو إنهم يلقون عليهم القبض ويرمونهم في السجون. وكذلك هو الحال في مدارسنا نحن أيضا. إنهم يداهمونها ويفعلون ما يشاؤون. بين فترة وأخرى يداهمون هذه المدرسة، وينهالون على الطلاب بالضرب وما إلى ذلك. طيب إنهم لا يستطيعون. فنحن لا نملك الآن أجواء هادئة كي ينصرف فيها طلبة العلوم الدينية والجامعيون إلى دروسهم، وحتى المدارس الابتدائية أيضا هذه هي حالها الآن.

(١) راجع الملحق ٣، ص ١١٢.

(٢) في ١٥ مهر ١٣٥٧ شرعت مجموعة من الجامعات بالدوام. بعد فترة من التأخير. إلا أنه وفي نفس اليوم أضربت غالبية الجامعات عن العمل وأغلقت أبوابها. وقد أضربت جامعة تأهيل المعلم عن العمل بعد يوم واحد على افتتاحها، وأعلن طلبة جامعة تبريز الحرة. في عصر ١٥ مهر في بيان لهم أنهم سوف يمتنعون عن الحضور إلى الدروس حتى إلغاء الحكومة العسكرية. ولم تفتح، بالأساس، جامعات فردوسي في مشهد وجامعة كرمان وجامعة أصفهان وجامعة شيراز وجامعة أمير كبير وجامعة رضائية لم تفتح هذه الجامعات أبوابها. كما وأعلن طلبة إعداد المعلمين ومدرسة العلوم العليا في اراك، إنهم سوف لا يحضرون إلى صفوف الدراسة. (راجع صحف مهر ١٣٥٧).

إنهم يضربون الآن حتى أطفال المدارس الابتدائية، وقد قتلوهم. لقد أخبرونا اليوم أن عددا من البنات الصغيرات بالأمس واليوم، وعددا من الأطفال الصغار، قتلوهم في المكان الكذائي^(١).

إن وضع الحياة في إيران، بالأساس، وضع نموذجي. ومن جهة أخرى، أيضا، نموذج أعلى من ذلك هو وضع معنوية الشعب الإيراني في هذا الوقت. إن الشعب يتمتع بمعنويات قوية بحيث أنه، بالرغم من الدبابات وحراب الجنود، يقاوم ويتقدم بقبضة محكمة بالأحجار والأخشاب. يسقط هذا أرضا ويموت ويأتي الآخر ليملا مكانه. ولن يتراجعوا وهذه هي المعنوية التي سوف تجعلهم يتراجعون والآن قد أنزلهم.

هذه معنوية حزب "روستاخيز (البعث)" الذي أشاد به كل هذه الإشادة وأصر كل هذا الإصرار، أن من لم يدخل في هذا الحزب يجب أن يرحل، وأنه ليس بإيراني، ولم يعد له وطن، ويجب أن يرحل من هنا، وما إلى ذلك^(٢). ومن ثم عاد إلى أنه حسناً إن حزب "روستاخيز" كذا! والآن يقول: حزب "روستاخيز" ماذا. إنه كسائر الأحزاب، يمكن أن يكون، ويمكن أن لا يكون! إنه يقول أمرا وأحيانا يصبر هكذا. والآن هؤلاء الناس.. هم الذين قاموا بذلك. إن هؤلاء الناس هم الذين أوصلوا العمل إلى هنا حيث (قال) إن حزب "روستاخيز" هذا كذا، أصبح لا شيء! كان فارغا، منذ البداية لم يستطيعوا. إنني قلت منذ اليوم الأول: إن هذا ليس حزبا، هذا كلام يتحدث به. إن حزب "روستاخيز" الذي كان بكل ذلك.. هم الذين يقولون الآن، الحزب لا الحزب! وسائر أعمالهم أيضا هي هكذا. وبعد ذلك يقول، شيئا فشيئا، الإصلاح الأرضي... لأن ذلك لم يكن إصلاحا، إنه كان إفسادا. إن الإصلاح الأرضي ليس هذا أصله، حيث جيش العلم، وجيش الكذا، وجيش... أي عمل هذا الذي يقوم به هؤلاء، سوى أن يذهبوا ويشيدوا بكم. أو أن يذهبوا بالإلزام من أجل الثناء عليكم والترويج لذلك. فالآن الجماهير واقفة في الأرياف وحتى المدن المركزية تقول: نحن لا نريد هذا^(٣).

استفتاء أفضل من هذا؟ بلد بأكمله يقول: لا نريد هذا. حسنا، ماذا تقول أميركا؟ بلدنا ولا نريد هذا. واحد آخر. ليذهب. لا يعينكم أنتم. نحن الذين نعين. إن مصير كل بلد بيد أهله. إننا لا نريد هذا، ليذهب. إننا نعين

(١) بتاريخ ١٣٥٧/٧/٢٦ تعرضت إعدادية "عبرت" للبنات لهجوم رجال الشرطة. وقد أصيب من جراء ذلك عدد من الطالبات بجروح واعتقلت أخريات. وكذلك تدخل الجيش والشرطة من أجل إنهاء إضراب طلبة إعدادية نازي آباد، مما أدى إلى إصابة عدد من الطلبة بجروح. كما وقد شب حريق في إعدادية الهلي في أحداث التظاهرات. حاصر الحريق عدد من الطلاب، واستشهد اثر هجوم رجال السلطة في هذا اليوم في الأحداث المذكورة والوقائع المتشابهة لها، عدد من الطلبة والطالبات.

(٢) راجع الملحق ١٩، ص ٣٨٤.

(٣) في لقاء صحفي له بمناسبة ٢٨ مرداد قال الملك: في ذلك الوقت قلنا إن الحزب شامل، أي ليأتي كل من شاء، والآن نرى ومع سياسة ما يسمى بالأبواب المفتوحة والحريات الكبيرة، لم نعد نتوقع أن يأتي الشعب ١٠٠٪/ ويدخل هذا الحزب. كلا، ف شخص ما لا يجد - لسبب ما - فكراً آخر، سيكون بإمكانه، والآن أيضا يستطيع، ولكن فيما بعد سيكون بإمكانه، وفقا لقوانين العالم المتحضر، أن يقول أو يكتب ما يشاء. راجع صحف ٢٨ و ٢٩ مرداد ١٣٥٧.

واحداً بأنفسنا. إن مقدراتنا هذه يجب أن تكون بيد أشخاص وفقا للموازين، الموازين العقلية والعقلانية، ووفقا للقوانين.

على أية حال، فإن واجبنا نحن الذين هنا وأنتم الذين تتواجدون في الخارج، هو أن ندعم الإيرانيين. إن الإيراني نهض، وانتفض، أي أنه قد مضى على عمر النهضة ١٥ عاما، إلا أنها (النهضة) قد تصاعدت بشكل قوي منذ عام، أي أخذت تشط بشكل صحيح.

والآن نمر بتاريخ حساس. ولعل إيران لم تكن قد امتلكت مثل هكذا تاريخ. لم تكن في تاريخ إيران مثل كذا تاريخ حساس، هذا الوضع الذي أصبحت عليه إيران الآن، أي هذا الوضع الذي يتظاهر فيه أطفال المدارس الابتدائية البالغين من العمر سبع أو ثمان سنوات. ويقولون: نحن لا نريد الملك، الموت للملك! أطفال بهذا العمر ويأتون جلاوزة الملك ويقتلونهم. يقتلون هذا الطفل، ويأتي الآخر ليملاً مكانه ويهتف بنفس الهتاف، الأكبر منه كلامه نفس هذا الكلام. في الجامعة أيضا، نفس هذا الكلام. وإذا ذهبت إلى المدارس العلمية أيضا، ستجد نفس هذا الكلام. ولو ذهبت إلى المدارس القديمة لوجدت أيضا، نفس هذا الكلام. ولو ذهبت إلى المدارس الجديدة أيضا، لوجدت الأمر كذلك. أينما ذهبت الآن يدور نفس الكلام. وعندما تذهب إلى السوق، يواجهك نفس هذا الحديث أيضا. وفي المسجد أيضا الحديث هذا. نحن لم نكن نملك في وقت ما، أن اتفقت كلمة الإيرانيين على قضية ما بهذا الشكل. كلا أنا لا أذكر، والتاريخ لا يذكر، كلا لم يذكر تاريخ إيران (مثل هذا)، ولا تاريخ أي مكان يذكر أن الجميع اتفقت كلمتهم هكذا وقالوا: نحن لا نريد. علموا أنه لو أزيلت هذه الحرية الأميركية، فإن الجيش أيضا سوف يرفضه. إلا أن الحرية الأميركية. إن أميركا تقف خلفه. إن كل مصائبنا جاءت من أميركا. فلو زالت هذه الحرية، فإن الجيش أيضا لا يريد هذا. لا أحد يريد هذا. حسنا، هذا ما يدور في إيران الآن. وإنني لأتطلع بتفاؤل إلى هذا الاتفاق (في الكلمة) وآمل أن يعطي ثماره.

لا يمكن ترك شعب هكذا إلى ما لا نهاية بحيث لا يستطيع أن يعيش دون الحكم العسكري. والآن، ومع أنهم يعيشون في ظل الحكومة العسكرية لا يستطيعون أيضا. لا يمكن وضع حكومة عسكرية على رأس بلد ما إلى الأبد!! بقوة الحراب دائما. ليس هذا علاجا سوى أن يؤدي إلى انهيار الوضع. ليس هناك أي علاج. أي ما أراد السيد "كارتر" أيضا، وإنه يقول الآن، ليقبل ما يشاء، كلا، إن ما يحصل هو من أجل الحرية! إنه يقوم بذلك لأنه يهدف إلى إنضاج الشعب! ليقبل هذا ما يشاء. ولكن الوضع الآن قد أصبح بالشكل الذي عليه الوضع الآن في إيران، يسير نحو التطور، يلزمه بالضرورة. ولكن واجبنا نحن هنا أن نقدم الدعم له، أي أنني أستطيع أن أتحدث، هكذا أتحدث بلسان قاصر، أنتم أيضا تستطيعون أن تتحدثوا لإخوانكم الآخرين، أن تقولوا ماذا تفعلون. انشروا كل ما تستطيعون. إنني لا أعرف كيف هو الوضع هنا، ولكن ادموا ما استطعتم رفاقكم، اخوتكم هؤلاء الذين انتفضوا ويعطون الدماء. إنهم يقدمون الآن الأطفال والصغار والكبار، يجب علينا أن نكتب ونتحرك ونتحدث و... ونضع يدا بيد من أجل أن نحطم هذا السد إن شاء الله، هذا السد الذي أمامه محمد رضا

شاه، ووراء سد "كارتر". لكي يتحطم هذا. ففي تحطيمه السعادة. ففي تحطيم جانبه ذاك، سعادتك جميعا وسعادة شعبكم. وأسأل الباري (تبارك وتعالى) لكم التوفيق. إنني أدعو لكم. أرجو أن تكونوا بخير جميعا، وتجدون إن شاء الله، لكي تكونوا أشخاصا مفيدين لبلدكم، وأن لا تكونوا مثل هذا النظام الحاكم إن شاء الله. حفظكم الله جميعا.

هوية الخطاب رقم - ٤١

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١٩ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الدجل الإعلامي الاستكباري الهادف إلى قمع الإسلام والمسلمين.

المناسبة: مواصلة الدعاية المعادية للإسلام والقرآن عامة.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في ٣٠ مهر ١٣٥٧، ألقى الإمام الخميني (س) خطابين مهمين أيضا. وفي خطابه الأول أشار سماحته إلى معاناة الشعب الإيراني وإلى قضية مجيء رضا خان إلى الحكم وتبوّنه الملك. وأكد: "...نحن جميعا نعلم أن الشعب الإيراني قد رزح تحت سيطرة أسرة بهلوي لأكثر من ٥٠ عاما. وقد كان رضا خان عميلا للإنكليز منذ البداية. وهم الذين جاؤوا إلى الحكم، وأخيرا هذا الولد الخلف أيضا، هو عميل لأميركا. هو الذي قال إن الحلفاء رأوا من الصالح أن أكون أنا على رأس الحكم...".

وفي كتاب "عشرين عاما من تاريخ إيران"، نطالع: "... إن وزارة الخارجية البريطانية تعترف بصراحة: إننا نتدخل في شؤون إيران، ونحن الذين أنينا بمحمد رضا بهلوي. وقد أوجدت وزارة الخارجية البريطانية جهازا كبيرا لها، من أجل أن تسيّر سياسة نفوذها الخفي بنجاح تام. ولا نغالي إذا قلنا إنه كان لهذا الجهاز الغامض نفوذ تام في كافة شؤون البلاد السياسية والاجتماعية والإدارية والأخلاقية، وهو كان من المهارة في القيام بالواجبات الملقاة عليه إلى الحد الذي لا يمكن تصوره...".^(١)

وعندما انتصر الحلفاء، الذين كانوا يتألفون من بريطانيا وأميركا وروسيا، في الحرب العالمية الثانية، أجبرت بريطانيا رضا خان، الذي كانت هي التي قد أتت به إلى الحكم، أجبرته على الاستقالة ونفته إلى جزيرة موريس. مع أن إيران كانت (أثناء الحرب) قد اكتسبت لقب "جر الانتصار" أعلنت، في الظاهر، حيادها.

(١) كتاب "عشرون عاما من تاريخ إيران"، ج ٢، ص ١٥.

وفي ٢٥ شهر يور ١٣٢٠، "استقال رضا خان نتيجة صرفه كل قواه على البلاد، خلال عدة أعوام، أصبح عاجزا، فقد غادر قصر سعد آباد، من الصباح الباكر، آتيا إلى قصر المدينة، ومن هنا جمع رحاه وتم تنظيم كتابة الاستقالة ووقع. ومن ثم توجه الملك إلى أصفهان".^(١)

لم يرَ الحلفاء شخصا مناسبا يحل مكان رضا خان أفضل من ابنه محمد رضا شاه. لذا جاء الأخير إلى السلطة كما أراد الحلفاء. سوى أن محمد رضا قد تربع على العرش هذه المرة بواسطة الحلفاء المتصرين ونتيجة إصرار الرئيس الأميركي "روزفلت"، آنذاك، الخلاف المرة الأولى التي جاء فيها رضا خان إلى السلطة بأمر الإمبراطورية البريطانية، من قيادة قوات قزوين، وبواسطة "أبرون سايد" الجاسوس البريطاني.

وهذا هو الموضوع الذي يشير إليه الإمام الخميني (س) في خطابه الأخير في ٢٩ مهر ١٣٥٧، ومن ثم يحتج الإمام بشدة على زيارة الزعيم الصيني، قبل مجزرة ١٧ شهر يور في ميدان جاله بأيام. وفي معرض شرحه لأهداف مؤتمر طهران (المؤلف من: رئيس الوزراء البريطاني "ونستون تشرشل" والرئيس الأميركي "فرانكلين روزفلت" والزعيم السوفيتي "جوزيف ستالين") يدعو الشباب المقيمين في البلدان الأجنبية إلى أن يوصلوا صوت مظلومية شعبهم إلى أسماع العالم: "... بإمكانكم أن تبلغوا أن لهذا العمل قيمته، وأنتم مسؤولون أمام الله. لا تتصوروا أننا الآن هنا والحمد لله براحة. كلا، فأنتم مسؤولون أمام الله، كل منكم مسؤول - أينما تكونوا - أن تقولوا ما لديكم للذين تلتقون بهم..".

ففي الوقت الذي كانت فيه الجماهير المتظاهرة تهتف في كافة أنحاء البلاد، بشعارات "الله أكبر - خميني قائد"، وتطالب بـ "الاستقلال. الحرية. الجمهورية الإسلامية"، ويبحث المراسلون الصحفيون بتقاريرهم التي تحتوي على هذه الشعارات إلى وكالات الأنباء العالمية الكبيرة، فإن وزير الخارجية البريطانية "دايفيد أوين" أعلن في مؤتمر صحفي في لندن، من أجل دعم الملك وتأييد أقواله: "إذا انهار النظام الإيراني فإن الشيوعيين سيصلون إلى السلطة".^(٢)

إن السياسي المخضرم الدكتور علي أميني، الذي لم يكن يرى إلى قبل أيام جدوى من إعلان حالة الطوارئ، غير موقفه فجأة بتاريخ ٣٠ مهر ١٣٥٧، خلافا لتوقعات الجماهير التي كانت تعتبره عميلا أميركيا صرفا، وقال: "... إنني لست عضوا في C.I.A وعميلا لأميركا. وعندما تتطلب الضرورة أؤيد حكومة الطوارئ، ولكن دون قتل ومذابح!". وكان الدكتور أميني قد قال ذلك: "إنني أقبل رئاسة الوزراء بشروط، ولسوف تحلّ مفاوضاتي مع الإمام الخميني، جميع المشكلات".

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٧ و ص ٥٢٩.

(٢) كيهان ٢٩ مهر ١٣٥٧.

لا شك أن السيد أميني، الذي أنكر عضويته في C.I.A بشدة، لم يكن ليحتمل أن تقع بعد عام بالضبط، وثائق وكر التجسس الأميركي في إيران بأيدي معارضي النظام، وينشر سلسلة من الوثائق التي تثبت ارتباطه وعلاقاته القديمة بجهاز C.I.A الأميركي تحت عنوان "الخط الوسط".

أضرب قضاة وموظفي المحكمة عن العمل بشكل كامل. غادر رجال حكومة الطوارئ، الذين كانوا يحتلون قصر المحكمة إلى اليوم. غادروا مبنى المحكمة، نتيجة شكوى رفعها عدد من القضاة إلى وزير العدل. كما وأعلن وزير التربية والتعليم أن ١٦٧ مدرسة أغلقت أبوابها على مستوى البلاد، هذا في الوقت الذي تحدث فيه تقارير المراسلين من المدن أن غالبية المدارس معطلة، وأن الطلبة، وبدلاً من أن يتوجهوا إلى صفوفهم الدراسية، منهمكون بالتظاهر في الشوارع بشكل متفرق.

وقد أدى إضراب سائقي الشاحنات واستمرار عمال مخازن النفط في الري في الإضراب، إلى أن تواجه إيران نقصاً في النفط والوقود بشكل محسوس، وكان يشاهد أمام محطات تعبئة الوقود صفوف طويلة من السيارات، وقد شكل الناس أمام محلات بيع النفط صفوفاً طويلة من أجل الحصول على النفط لمنازلهم. لم يكن جو طهران بارداً كثيراً. وكان الناس يقولون: "لن نتعبنا النواقص، والنهضة ستستمر".

وفي الإذاعة والتلفزيون التي كانت إلى قبل أيام في خدمة النظام بشكل كامل وتبث بيانات حكومة الطوارئ، طالب عدد كبير من الموظفين، في بيان لهم، بالحياد السياسي التام للإذاعة والتلفزيون. هذا في الوقت الذي كانت فيه السيارات المزودة بالرشاشات والمدركات تحاصر ساحة الإذاعة والتلفزيون بشكل كامل.

وقد شهدت جامعة طهران الصناعية التي تُعرف الآن بـ "جامعة شريف" تظاهرات قل نظيرها للطلبة الجامعيين، الذين كانوا يهتفون في ساحة الجامعة: "الموت للملك" و "عاش الخميني".

وذكر مراسل "كيهان" في تقرير له من أصفهان أن التظاهرات الهادئة التي قامت بها جماهير أصفهان قد تطورت إلى العنف نتيجة أوامر اللواء ناجي، الحاكم العسكري للمدينة، وقد فرق الجيش المعادي للشعب المتظاهرين مستخدماً القنابل المسيلة للدموع بواسطة طائرات الهيلوكبتر. وإن التظاهرات التي انطلقت من مدينة قم المقدسة في ١٩ من شهر دي (٥٧)، والتي تعد بداية انتفاضة الشعب الإيراني، وكانت لا تزال تتواصل بلا توقف. وقد كتبت صحيفة الـ "فيغارو" تقول: "لقد تحولت مدينة قم المقدسة التي تبعد عن طهران ١٥٠ كيلومتراً، مرة أخرى إلى مقر لمعارضي الحكومة الإيرانية.. إن رجال الدين، الذين هم الآن مستغرقون في الصلاة والدعاء والسياسة، أدركوا شيئين: الأول لا توجد هناك قوة معارضة أخرى سوى رجال الدين. وأن تعداد الشيوعيين والليبراليين لا يتجاوزون أصابع اليدين، وهم يعيشون في الغالب في المنفى. ومنذ أكثر من شهر يبدو أن

الحكومة قد استسلمت على كافة الجهات. إلا أنه عندما يتحول المرء يستطيع أن يدرك منهم النضال إلى النفس الأخير..".^(١)

إن المحور الأساسي لكلام الإمام في خطابه الحاضر، هو الرد على دعايات وسائل الإعلام الغربية وبعض الفئات اليسارية والمتغربة في الداخل، التي كانت تسعى في تلك الأيام إلى التقليل من شأن الانتصارات المتواصلة لجماهير الشعب في ميادين المواجهة، وإظهار اليساريين وكأن لهم الدور المؤثر فيها، وذلك من خلال التهجم على الإسلام وعلى علماء الدين. فالإمام (في خطابه هذا) يقارن بين نماذج تاريخية معينة من سيطرة الأنبياء والعلماء، وبين سلوك زعماء المدارس المادية والقوى العظمى، ويدافع عن حقانية الطريق الذي انتخبه الشعب الإيراني، وينتقد شدة السياسات اللإنسانية لزعماء أميركا والصين والاتحاد السوفيتي. وفي مقطع آخر من خطابه، يعتبر سماحته حديث "كارتر" الأخير في دعم النظام الملكي^(٢)، بأنه خداع. وفي الختام يبشر (الحاضرين) في معرض تأكيده على "صرخة شعبنا هي: أن هذا الخائن يجب أن يرحل، والموت للملكية، وإن شاء الله سيرحل، وإذا ما أراد الشعب شيئاً فسوف يحصل إن شاء الله".

الخطاب رقم - ٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

البعض من السادة يقول: نحن مستعدون للاستجابة لما تأمر به^(٣). ليعلم السادة أنه ليس لي أمر، الأمر ليس أمري أنا، فالأمر الذي نحن جميعاً مبتلون به الآن ويجب أن نستجيب له هو أمر الله، الذي نحن عباده وتنعم بنعمائه.

الشعب الإيراني شعب مستضعف، شعب مسلم، هو شعب يعيش في ظل عناية الله. ونحن عباد الله يجب أن نعيه أينما كنا، وبكل ما نستطيع. والقضية ليست قضية أمر ونهي وقيادة وغير قيادة، هذه الأشياء ليست مطروحة البتة، ليس مطروحة أن يصبح أحد قائداً، وآخر آمراً أو موجّهاً. فالآن جميع فئات الشعب يعلمون ما هو مطلوب من الشباب، بل ومن أطفال المدارس الابتدائية، وإلى الشباب الجامعيين وطلبة العلوم الإسلامية، وكذلك أهل السوق والمزارعين، وهم لم يعودوا الآن بحاجة إلى من يوجههم.

(١) صحيفة "الفيغارو" ١٨ أكتوبر ١٩٧٧.

(٢) صحيفة "اطلاعات" ٥٧/٧/٢٣ مؤتمر صحفي للرئيس الأميركي "جيمي كارتر".

(٣) حديث الإمام جواب على مشاعر الحاضرين الذين كانوا يهتفون: "الويل لو أفتى الخميني بالجهاد، فلسوف لا تستطيع جيوش العالم كلها أن تردعني" و"الخميني قائدنا ما دام في شراييننا دماء" و"نحن جندك يا خميني نتظر أمرك يا خميني".

فالآن يعلم الجميع ما هو البلاء الذي يواجهه المسلمون ويواجهه الشعب الإيراني، الشعب المسلم، وبماذا هو مبتلي الإسلام، ومَن هو سبب مشكلاتنا، وأن السبيل لرفع هذه المشكلات واضح عند الجميع إلى حد ما إن شاء. كلنا نعلم أن الشعب الإيراني رزح تحت سيطرة أسرة بهلوي لأكثر من ٥٠ سنة، وفعلوا به ما شاؤوا من مظالم، وهم أيضا كانوا عملاء للأجانب. في البداية كان رضا خان عميلا للإنكليز، وهم الذين جاؤوا به إلى الحكم^(١)، وأخيرا أصبح ولده هذا أيضا عميلا لأميركا. هو الذي قال: إن الحلفاء رأوا من الصالح أن أكون أنا في الحكم! إن ذلك كان اعترافا صريحاً به هو، ومن ثم يبدو أنهم رأوا فيما بعد.. رأوا فاضحة جدا فألغوها إلا أنه قال هذا^(٢).

إن أساس ابتلائنا هم الأجانب، وهذا ليس ابتلاءً جديداً عرفناه للتو، إن لهذا تاريخ قديم منذ أن اهتمدوا (الأجانب) إلى إيران وإلى الشرق ودرسوا أحوال الشرق. ومنذ ذلك الوقت، أدركوا أن للشرق لقمة دسمة، وفيه ثروات ومعادن يجب الاستيلاء عليها وأخذها بأي وسيلة كانت، وعدم السماح لشعوبه بالاستفادة منها. وإن خبراء معادتنا كلهم يعلمون أين تقع مختلف المعادن^(٣).

إنني كنت في همدان، وقد أراني أحد العلماء هناك، ممن كان قد تحول إلى المسائل الأخرى فيما بعد، أراني خارطة كبيرة كانت تضم، كما قال، أسماء جميع القرى في همدان. وكانت فيها نقاط كثيرة، وسألت ما هذه؟ فقال إنها الأماكن التي يوجد فيها شيء ما، يوجد تحت أرضها شيء ما، النفط أو سائر الأشياء، الغاز مثلاً، إنه قال: لقد جاء الخبراء إلى هنا وخططوا وسجلوا الموارد التي فيها شيء ما. ولم يتوقف ذلك على تلك المنطقة، وقد داروا وفتشوا، على الجمال، في الصحراء الإيرانية، عندما كانت وسائل التنقل الجمال، وسجلوا عندهم كل ما لدينا من أجل الاستفادة منه.

كما وتمكنوا أن يزيلوا عن طريقه، خلال هذه الأعوام المئتين أو الثلاثمئة، تمكنوا أن يزيلوا الموانع عن طريقهم، واحداً من هذه الموانع هو الإسلام. لقد عملوا خلال هذه السنين المتتالية من أجل تحطيم هذا السد. لقد شخصوا الإسلام بأنه السد الكبير الذي يحول دون مصالحهم ويمنع الأجانب من الاستغلال. وجدّ مروجوهم، ورغّبهم خبراءهم، وأخذ مروجوهم يروجون ضد الإسلام. لم يعرفوا الإسلام كما هو. لقد قالوا إن

(١) راجع الملحق ٣، ص ٤١٩، والملحق ٨، ص ٣٢٦.

(٢) راجع الملحق ٣١، ص ٢٤٤.

(٣) مع تشكيل الحكومة الصفوية في إيران، اتجه اهتمام بعض الدول الأوروبية إلى فتح القارات الأخرى وخصوصاً آسيا، بهدف استعمار شعوبها. وقد لفتت إيران اهتمامهم نتيجة لعوامل كثيرة، منها أن علاقات وتحالف الدول الأوروبية مع إيران كان يجعلها أقوى أمام الأتراك العثمانيين. كما وأن هذا التحالف كان يتيح لهم أن يتزودوا بالمواد الأولية والمصادر التي يحتاجون إليها عن طريق إيران. ولذا فقد سعى الغربيون منذ بداية علاقاتهم مع إيران إلى أن يتعرفوا على المصادر والمعادن الموجودة في إيران.

الإسلام كسائر الأديان، هو مجرد مخدر. لقد حسبوا الدين، بالأساس، على أنه أفيون الشعوب، وأن هذا الإسلام أو سائر الأديان هو مجرد تخدير للناس من أجل أن لا ينبسوا بيت شفة مهما سلب منهم. هكذا عرفوا الإسلام، أي أن هذا الشيء كان يكرره هؤلاء مروّجي النفعيين والاستعماريين، على مدى هذه الأزمنة الطويلة باستمرار.

إن شبابنا الذين لا يعلمون الإسلام، الشباب الذين لا يعرفون بالأساس - أكثرهم - ما هو القرآن، ما هو محتوى القرآن، وإلى ماذا يدعو القرآن، وما هو برنامج القرآن فيما يخص قضايا العصر، ليس لديهم أدنى معرفة. وإن أولئك الذين أجبروا فقط على أن يعرضوا الإسلام بشكل آخر، لقد سمع هؤلاء بذلك دون أن يفهموا ما هي القضية بالضبط، ما هي جذورها. لقد صدق هؤلاء وخدعوا.

والآن يرى الإنسان في خارج إيران، وفي داخل إيران أيضا في بعض الأحيان، يرى بعض الأشخاص بانحرافاتهم التي سببها أولئك، ولا أن يكون فردا ذو اتجاه سياسي، هذه الاتجاهات التي عرضوها على شبابنا، لا أن يكون ذا اتجاه فكري، اتجاه علمي أو سياسي بالمعنى الحقيقي للاتجاه الفكري السياسي، بل اتجاهات موضوعية. لقد صنعوا اتجاهات، وأخذوا يعملون من خلالها من أجل أن يحرفوا الناس عن الإسلام. ورأوا أن الناس إذا عرفوا الإسلام كما هو، فسوف لا يبقى أمامهم سبيل للاستغلال والاستعمار. لم يبقَ لهم الإسلام سبيلا. وإذا درس هؤلاء القرآن جيدا، فالقرآن ليس كتابا مخدرا، القرآن كتاب محرك. إنه الكتاب الذي حرك هؤلاء الأعراب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا في ذلك الوقت، وجعلهم ينتصرون على الإمبراطوريات الكبيرة الظالمة. ولو كان القرآن والتعاليم الإسلامية مجرد شيء مخدر لما شمل العالم كله وتغلب على الإمبراطوريات.

الحروب التي كانت تدور دائما، بين الإسلام أو مؤسسي الإسلام، أو مؤسسي سائر الأديان الإلهية والموحدة، إن حروبنا كانت بين الأنبياء والجماهير ضد السلاطين. إن موسى (ع) يحمل عصاه الذي يرعى بها غنمه ويتوجه إلى قصر فرعون. يريد أن يحطم قصر فرعون، وليس فرعون هو الذي جاء بموسى من أجل تخدير الناس ليستمر فرعون في ظلمه. إنه حمل عصاه وقلب عليه بساط ظلمه. وإن نبي الإسلام (ص) الذي بُعث، هو أيضا. حسنا، يجب على المرء أن يحسب، أن ينظر إلى التاريخ ليرى هل أن النبي (ص) عمل لصالح الأثرياء في الحجاز والطائف ومكة.. وخدر الناس لكي يأكل هؤلاء.. أم لا؟ إنه حرك الضعفاء والمستضعفين والحفاة ضد هؤلاء الأثرياء، وخاض الحروب بهؤلاء إلى أن انتصر عليهم وهدى بعضهم.

هكذا هؤلاء، شبابنا، هكذا عندما يستمعون مسألة دون أن يفكروا، ودون أن يلاحظوا ماذا يقول هؤلاء، وهدفهم هو الترويج للفكر الماركسي مثلا، وما هو الهدف؟ إن هدف هؤلاء هو أن يعرضوا الإسلام إلى المسلمين بالشكل الذي يجعلهم يُعرضون عن الإسلام. وليرضوا أن الإسلام، جاء من أجل أن يركب هؤلاء الأشراف والأعيان الناس ولا ينبس الناس بكلمة. طيب إنهم لم يطالعوا القرآن ليرَوْا لماذا جاء الإسلام. إن كل هذه الآيات الكثيرة الواردة في القتال، إسلام القتال. لقد أعلن الإسلام الحرب على هؤلاء الأثرياء وهؤلاء الكبار وهؤلاء الملوك والسلاطين..

لقد عارض علماء الإسلام ونبي الإسلام وأئمة الإسلام على الدوام هؤلاء السلاطين في عصورهم. لقد كان في عصورهم أيضا سلاطين. هؤلاء السلاطين الذين كانوا يحكمون باسم الخلفاء، وهل حُبس الإمام موسى بن جعفر (ع) خمسة عشر عاما، أو عشرة أعوام، لأنه كان يصلي؟ هو نفسه كان يصلي. إن هارون والمأمون نفسيهما كانا يصليان، ويؤمنان الجماعة أيضا، ويؤمنان الجمعة كذلك، فهل حدث ذلك لأنه يصلي؟ وهل اعتقلوه لأنه سيد من أبناء رسول الله أم أنه إمام؟ لأجل هذه الأشياء؟ كلا، لأن الإمام موسى بن جعفر (ع) كان يعارض النظام، يعارض النظام الطاغوتي. وإن أسباب ابتلاءاته كانت معارضته للنظام، وليس لأنه كان يقيم الصلاة واعتقلوه. ولأنه كان شخصا طيبا، ولأنه كان ابن رسول الله. إنهم كانوا ينادون بالنبي في آذانهم ويشنون عليه، ولكنهم عندما يرون هذا الشخص يعارض النظام يعتقلونه ويرمون به في السجن.

لقد ثار علمائنا، منذ الصدر الأول وإلى الآن وفي كل العصور، والتاريخ يوضح أن هؤلاء كانوا يثورون ويخفقون دائما. وفي زمن الأئمة كان أولاد الأئمة يثورون وبتشجيع من الأئمة أنفسهم، ليس دون علم الأئمة^(١). وأحيانا كان الإمام (ع) يقول شيئا ما أيضا، لحفظه من الجهات الأخرى، إلا أنه وبحسب الواقع، كان هؤلاء وأولئك وقد ثاروا من أجل الأئمة (ع). كم أثنوا على زيد لثورته تلك! فإذا كان زيد قد عمل بخلاف رغبة (الإمام) إذا لماذا أشاد به الأئمة (ع)؟ ولماذا أسفوا عليه كل هذا^(٢) نحن في عصرنا لدينا عدة ثورات قام بها العلماء، هؤلاء العلماء الذين يقول عنهم هؤلاء إنهم علماء البلاط، والعلماء الذين أعرضوا في خدمتكم، يقول عنهم اليساريون إنهم من علماء البلاط^(٣) حسنا، إن هؤلاء لم يقرؤوا، كما أن أعمارهم لا تتيح لهم هذا المقدار، وأسماعهم أيضا ليست مفتوحة إلى الحد الذي يسمعون كم مرة ثار هؤلاء العلماء في زمن رضا شاه إلى زمن محمد رضا شاه ضد بهلوي الذي كان يخنق الأنفاس في الصدور. إن الذي نهض وثار كان علماء أصفهان مرة وعلماء أذربيجان مرة، وعلماء مشهد وقم مرة حيث اجتمعوا وأعلنوا معارضتهم^(٤).

متى كان هؤلاء علماء البلاط؟ بالطبع يوجد بين العلماء نفر من المنحرفين يعملون لصالح البلاط، ونحن أيضا يوجد بيننا مثل هذا الشيء. إلا أنه ليس صحيحا أن هذا الدين هو دين من أجل التخدير. أو أن القائمين

(١) لقد ذكر كتاب "مقاتل الطالبين" أسماء أكثر من ١٤٠ شخصا من أولاد الأئمة (ع) الذين خرجوا على سلاطين زمانهم (أمويين وعباسيين) واستشهدوا. ومن أشهرهم ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع)، وثورة يحيى بن زيد ضد الأمويين، وثورة محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن والحسين بن علي (شهيد الفخ) ضد بني العباس.

(٢) حديث الإمام وعلى بعض العلماء الذين كانوا يقولون، من أجل الفرار من ميادين المواجهة: إن الجهاد دون حضور الإمام (عج) حرام، ويجب انتظار ظهور الإمام (عج).

(٣) راجع الملحق ٢٥، ص ٧٥.

(٤) راجع الملحق ٣٨، ص ٣٠٨. والملحق ٣٩، ص ٣٠٩. والملحق ٤٢، ص ٣٠٩.

عليه كانوا من أعوان الظلمة وأنوار السلاطين؟ كلا، لم يكن الأمر هكذا. هذا ترويج، إنهم ألقوا في أذهانكم هذا، أي أن ناهبي النفط هؤلاء هم الذين روجوا أن فلاناً كان إنكليزياً، أنه يريد تحطيمه. إن الإنكليزي نفسه يوحى بأن يقولوا.

لأنه يعلم كم هو سافل، وإذا نسب أحد إليه يصبح سافلاً. هذا، كلا إنه إنكليزي، هذه المرة أميركا لها علاقات. ماذا في العلاقات؟ وهكذا، واحداً واحداً.. هكذا عرفوهم. وشبابنا أولئك الذين هم حسنو النيات، خدعوهم. إن هؤلاء قد لعبوا بهذه الأفكار. لقد لعبوا يا سيدي. لا تتصوروا أن هذا فكر. فكر التوحيد هو الفكر.

ألقوا نظرة إلى زعماء هذه الأفكار، إننا عندما ننظر إلى النبي الذي جاء بهذا الفكر، وإلى حياته كيف هي، إلى أمير المؤمنين، الذي هو خليفة النبي بحق، انظر كيف كانت حياته. إنه كان حاكماً، وحكمه كان واسعاً جداً، أكبر من إيران بأضعاف، من الحجاز وحتى أفريقيا وكذا، لقد كان حكمه يمتد إلى كل مكان، عند ذاك لننظر إلى حياته كيف هي، وكيف كان يقضي يومه، وكيف كان يقضي ليله، وكيف كان يعيش، وكيف وضعه، وكيف كانت عبادته، وكيف كان اهتمامه بالناس، وكيف كان يعامل الضعفاء!! لقد كان يتألم.. إنني آكل خبز الشعير.. وأخشى أن يكون هناك في الحدود الكذائية.. في الإمامة، في أين.. من لا يجد كفافه، لا يجد كفافه من الأكل. إن هؤلاء الرؤساء الذين تنخدعون بهم أنتم، يأكلون إلى الحد الذي يصابون بالتخمة^(١) فذلك الرئيس، الزعيم الصيني، عندما يرد إلى إيران، يسير فوق قتلتانا، إن هذا المحب للإنسانية، هذا القائد الشعبي يسير فوق إنساننا وقتلتانا. ففي الأيام القليلة الماضية، عندما جاء إلى إيران كان يعرف القضية. والملك لم يستطع أن يأخذه من الشوارع، لأن هتافات الجماهير التي تقول: الموت لكذا، لم تدع أن يأخذه. وهو أيضاً، كان يعرف ما هي الحكاية. لقد حملوه بالمروحة وأخذوه وأوصلوه إلى مكانه^(٢). إن هذا الشخص الذي يدعي أننا الشيوعيين كذا ومع الجماهير كذا ومع الشعب كذا. يرى هذا الشعب يُقتل هكذا فوجاً فوجاً. ومع ذلك يأتي ويصافح (الملك) ويدعو شقيقه أيضاً، أعرض في خدمتكم، إلى هناك حيث كانت قبل ذلك وما إلى ذلك.

إن هؤلاء يلعبون بكم يا سيدي! فذلك الرئيس الشيوعي في الحرب العالمية، إنني أتذكر جيداً، ولعلكم لا تتذكرون أنتم، إنني أتذكر عندما جاء رؤساء الحلفاء إلى إيران^(٣)، فقد جاء "تشرشل"^(٤) بسيارته الخاصة وذهب إلى هناك، كما وقد جاء "روزفلت"^(٥) أيضاً، بترتيب عادي، إلا أن "ستالين"^(٦) قد جيء معه ببقرته

(١) ألم المعدة الناتج من التخمة.

(٢) راجع الملحق ٢١، ص ٤٢٥.

(٣) راجع الملحق ٣٢، ص ٣٣٢.

(٤) وينستون تشرشل السياسي الإنكليزي الشهير (١٨٧٤-١٩٦٤م).

(٥) فرانكلين روزفلت (١٨٨٢-١٩٤٥م) الرئيس الأمريكي آنذاك.

(٦) راجع الملحق ٣٣، ص ٣٣٢.

أيضا، لئلا يشرب في وقت ما، حليبا يكون فيه إشكال! لقد جاؤوا معه ببقرته أيضا! إنني أرى ذلك شخصا. وكان ذلك من المسموعات الذي اشتهر في ذلك الوقت بأنه قد جيء معه ببقرته.

إنني رأيت شخصا أن جيشه، أي الأشياء التي كانوا قد أرسلوها، وأن جيوشهم (من وسط طريق خراسان تقريبا إلى آخر خراسان وأطرافها) كانت للاتحاد السوفيتي. إنني شخصا رأيتهم يستجدون من أجل سيجارة واحدة. في ذلك الوقت كان يقال لأولئك "قارداش" أخ! أخ! أي أخ؟ الأخ الذي يريد بهذه الفكرة، أن ينيم هؤلاء المساكين ويأكل منهم. الشيوعية أفيون، وليس القرآن. القرآن الذي لم يحارب رؤساؤه إلا الظالمين، وهو عندما يعيش، يعيش حياة عادلة وأقل من الناس ليست عادلة، بل يعيش دون الناس، هذا الفكر فكري، وليس ذلك الفكر الذي يأتي (رئيسه) معه ببقرته ويريد أن يشرب حليبه، ويريد أن يتلع الناس وظلمه أكثر من الجميع! إن السيد "لينين" قد طرح إطارا، قالوا إنه قد وضع إطارا، أن من كل الأفراد، كل من ينتج بمقدار مصاريفه له حق العيش، ومن ينتج أقل اقتلوه! ارموه في البحر^(١)، هذه هي أطروحة هذا المحب للإنسانية المربي للشعوب! ما لهذا لذاك الفكر الذي يهتم بالضعفاء أكثر من الأغنياء وبالمساكين أولئك الذين لا يستطيعون أن يعملوا، ويريد أن يدير شؤونهم ويعطيهم من مصاريفه.

إنهم يلعبون بكم يا سيدي، الله شاهد أنهم يلعبون بكم. لقد لعبوا بأبنائنا هؤلاء الذين جاؤوا من الخارج. إن أولئك الموجودين في إيران ليسوا شيوعيين، فأولئك أيضا، يلعبون بكم. إن أولئك الموجودين في إيران أعضاء في جهاز الأمن، والكثير منهم هنا أيضا، هم كذلك، إن هؤلاء يعملون في جهاز الأمن. ولهذا ذهبوا إلى جنة الزهراء (مقبرة "بهشت زهراء")، ورددوا شعارات شيوعية، أمسكهم الناس من أيديهم وأخرجوهم أن أنكم جئتم من جهاز الأمن إلى هنا! إنهم يريدون أن يرسلوا إلى داخل الجامعة مجموعة من هؤلاء الذين يعملون في جهاز الأمن، ليرددوا شعارات شيوعية. هؤلاء ليسوا شيوعيين، إن جهاز الأمن هو الذي صنع هؤلاء من أجل أن يخيف الناس ويقول لهم: إذا ما رحل صاحب الجلالة، فسوف تنقلب الدنيا، وتصبح شيوعية^(٢). كلا ليرحل هذا، وسوف تتحسن إيران كثيرا. أي أنه سيكون بذلك قد رحل الذي يضيقها، وسوف تدير نفسها بنفسها. إن مطلب الشعب الإيراني الآن ليس أننا نمتلك قائدا واحدا وموجها واحدا، الكل قادر، الكل، والكل يعلمون القضية. إن كلام الشعب الإيراني هو أننا (لا نريد) مثل هكذا نظام أوقع علينا، منذ بدايته كل هذا الظلم، ونهب كل ما لدينا، وأعطى نفطنا بالمجان، ليته كان بالمجان يعطي نفطنا لينا له قواعد! أي بدلا من أن يعطونا شيئا ما، يعطونا سلاحا لينا قواعد في إيران. يأخذون النفط ويبنون قواعد أيضا، لأنفسهم! إن الشعب الإيراني

(١) راجع الملحق ٣، ص ٥٠٨.

(٢) في شهر أرميهشت ١٣٥٧ قال الملك في حديث صحفي أنه لا يستطيع أن يتحمل، بأي حال من الأحوال. وضعا يؤدي بالنتيجة إلى تسلط الشيوعية على إيران. راجع الملحق ٢٨، ص ٤٢٧.

يتعالى صوته، كبيره وصغيره، أن يا سيدي: الموت لهذا النظام الذي جلب الويلات علينا. إنهم يهتفون أن يا سيدي نحن نطالب بالحرية. خمسون عاما، لم تكن لدينا حرية في أي شيء، لا صحافتنا كانت حرة، ولا خطباؤنا كانوا يمتلكون حرية، ولا علماؤنا كانوا يمتلكون حرية، ولا جامعتنا كانت جامعة، لم يكن هناك شيء نحن نريد الحرية، ونريد الاستقلال. يجب أن تبقى كل أشتاتنا مرتبطة بالآخرين. يجب أن ندير بلدنا أنفسنا بأنفسنا مستقلين. إن استغاثات هؤلاء هي من أجل الحصول على الحرية.

لقد طالعت ذلك في الصحيفة أمس، وقبل ذلك أيضا كان ذلك. إن السيد "كارتر" يقول: "إن الملك قد منح الشعب ديموقراطية شديدة"، لأنه منحهم ديموقراطية شديدة، إن الشعب يضح كل هذا الضحيج، أي أنه منح الشعب حرية شديدة والشعب لا يستطيع أن يتحمل هذه الحرية. إن ما يقوله هو السبب لأن، لقد كان ذلك في صحيفة أمس "اطلاعات" أو "كيهان"، هذا هو السبب، لهذا فالناس يعارضونه. وإن معارضة اليسار واليمين له هي بسبب إعطائه الشعب حرية شديدة! إن كل هؤلاء الناس يطالبون بالحرية، يقصدون لا تعطنا الحرية يا سيدي! كل هذه الحرية أجل، إن هذه الحرية التي أعطاها هذا السيد نحن جميعا نقول لا تعطي! الحرية هذه التي يعلم جميع السادة الآن أن علماءنا وساستنا وتجارنا ومجاميع من الفتيان والبنين والنساء والرجال، والكل يزرع الآن في سجون هؤلاء. ما الذي قالوه وحصل هذا؟ قالوا كلمة واحدة مثلا، فوق عينيه يا سيدي حاجب. هذه هي حريتنا! إن تلك الحرية التي يتحدث عنها السيد "كارتر" بأنه قد أعطى حرية شديدة، وبني الملك بلدا ومجتمعا متقدمين وسبب معارضة الشعب له أن الشعب يقول: نحن لا نريد أن نتقدم. نحن نريد أن نركب الحمير! إنه السيد "كارتر" هكذا يعتقد! لا يعتقد هكذا، مكره هكذا. إنه يتصور أن هذا المكر يجوز على الجماهير، ليعلم السيد "كارتر" أن الشعب أدرك القضية ولم تعد الحيل والألاعيب لتجوز عليه.

على أية حال، إنني أعلنت هذا للسادة الذين التقيتهم وقلت: نحن جميعا مكلفون، أي أنا طالب العلوم الدينية الذي أجلس هنا، وذلك السيد الجالس هناك، وأنتم أينما تكونون وعلى أي حال، مكلفون الآن، أي مكلفون بأن تشاركوا في انتفاضة الشعب الإيراني القائمة الآن. أنتم موجودون في أوروبا ولا تستطيعون، لا توجد ساحة للمواجهة لتدخلوها، (وفي إيران هناك) ساحة يجاهدون فيها ويتلقون الضربات، وأعرض في خدمتكم، يعطون قتلى ودماء. الأمر ليس كذلك هنا، فبإمكانكم بنشاطكم الإعلامي أن تشرحوا القضية، كل واحد منكم لعشرة لعشرين شخصا من هؤلاء الأوروبيين الذين تعرفونهم وتتعاملون معهم. إن هؤلاء بلغوا ضد إيران وضد الإسلام. اشرحوا لهم القضية، وقولوا إن مسألتنا ليست حول إعطائهم الحرية لنا ورفضنا إياها. إن مطلب جميع الشعب الإيراني هو أننا نطالب بالحرية ولا نمتلكها. لقد ارتكبوا خيانة بحقنا. إنهم يعطون أموالنا لأميركا، يعطون نفطنا لأميركا. وأكثر من هذا إنهم يعطونهم من النفط الكثير مما يجعل النفط ينفد لدينا، كما يقول الملك، بعد ثلاثين عاما. ينفذ يا سيدي! من الذي جاء لنا بهذا "النفاذ"؟ إنه هذا. إن نفطنا يذهب هدرًا، من الذي هدره؟ لأنه يرسل منه بلا حساب، إنه يرسل منه أكثر من حاجة البلاد، كلا لا يعود أي شيء منه على

البلاد. إن الجماهير تتحدث عن هذه الخيانات وترفض هؤلاء الخونة. وإنها تقول: إن هؤلاء خونة، ونحن نرفضهم. هذا هو نداء الجماهير.

أنتم الجماهير الموجودة هنا، وأنا طالب العلوم الدينية الجالس هنا، وأنتم أيها السادة الجالسين هنا، وذلك الجامعي وطالب المعهد وطالب الإعدادية والرجال والنساء جميعا، بإمكانكم أن تشرحوا قضايا إيران، كل من موقعه، للذين تتصلون بهم. فلو شرح آلاف الإيرانيين المتواجدين هنا، لو شرح كل واحد منكم لعشرة أو عشرين شخصا فلسوف يخلق جوا مفيدا. ليس من الضروري أن نتوجه إلى إيران. البعض يسألني باستمرار أن أذهب إلى هناك.

كلا، افعلوا ما تقدرون عليه، وهذا بحد ذاته دور تلعبونه أنتم المتواجدين في هذا البلد، في فرنسا وفي ألمانيا وفي أي مكان، في أميركا ليشرح كل منكم في المدرسة التي يذهب إليها وفي المؤسسة التي يداوم فيها، ليشرح للذين يلتقي بهم، تحدثوا إليهم أنكم تعرفون لغتهم، وبإمكانكم أن تتحدثوا إليهم، ويجب أن تشرحوا لهم وتقولوا كيف هو الوضع في إيران الآن وما هي مشكلات الشعب، المشكلات التي سببها "كارتر" وأمثاله، سببها الاتحاد السوفيتي...

هذا يأخذ غازنا، وذاك يأخذ النفط، إنهم ينهبونا. قولوا هذه الأشياء للناس، إذا كان للإعلام تأثير، عسى أن تستطيعوا بعد فترة.. بعد فترة قصيرة، أن توصلوا مطالبكم إلى هؤلاء عبر الشعب الذين من الممكن أن يكون الإعلام قد حرفهم.

إن جمهورا كبيرا بإمكانه، إن هذه الجماهير الكبيرة (ستكون) داعمة لكم، إنهم أيضا أناس. فعندما يكون لشعب ما، لمظلوم.. أنه قد خرب زراعتنا ونفطنا، أيضا، يذهب الآن، وسنكون بعد عدة أعوام بلا زراعة وبلا نفط، فكيف سيعيش هذا الشعب؟ إن نداء شعبنا هو أن هذا الخائن يجب أن يرحل، والموت لهذه الملكية، ولسوف يرحل إن شاء الله. وإذا أراد الشعب شيئا، فسيحقق إن شاء الله.

بإمكانكم أن تنشطوا إعلاميا، وإن لهذا العمل قيمة ومسؤولية أمام الله. كل منكم مسؤول أن يتحدث ويشرح للذين يلتقي بهم، كل من موقعه، بغض النظر عن ما إذا قبلوا أو رفضوا. انشطوا إعلاميا، فللإعلام تأثيره، وستخلقون شيئا فشيئا جوا داعما للإيرانيين في أوروبا، ومن الممكن أن يجبر رؤسائهم أيضا، في وقت ما، على التراجع عن التعرض لنا.

وفقكم الله إن شاء تبارك وتعالى، (شكر الحضور) مؤيدون. (أرجو) أن تكونوا أشخاصا مفيدون لإيران وللإسلام (تأييد الحضور)، اجتهدوا لأن تكونوا خداما لهذه الجماهير، التي تبذل الدماء وترزح في السجون من كافة الطبقات في سبيلكم، وفي سبيل مصالح بلدكم، قدموا لهم الدعم وادعوا لهم. واسعوا أنتم أيضا، لأن تكونوا حملة قيم، لئلا تأتوا غدا إلى هناك وتصبحوا هكذا مثل هذه التركيبة الحاكمة إذا ما تسلمتم منصبا ما.

ففي الغالب نحن عندما لا يكون في يدنا شيء ما، أجل نكون جيدين وما إلى ذلك، وإذا صار في يدنا شيء لا يكون الأمر كذلك! كلا، يجب أن تجدوا أن تهذبوا أنفسكم وتمسكوا بالإسلام، وتطابقوا أعمالكم مع الأحكام الإسلامية. كونوا أشخاصا مفيدين حيث نأمل إن شاء الله، أن تقع مقدرات البلاد بأيدي أهل البلاد في المستقبل القريب. ولتدخلوا أيضا، إلى بلدكم وتساهموا في إدارته. وإنني أتمس العذر من السادة لصغر دارنا وضيقه، ولكن على أية حال هذا هو ويجب أن تتكيفوا معه (صلوات الحضور).

هوية الخطاب رقم - ٤٢

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ١٩ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: وجوب القيام لله بوجه مظالم وخيانات أسرة بهلوي.

المناسبة: نقل قسم من المجوهرات الملكية إلى أميركا من قبل الملك.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائج

في الوقت الذي كان الإمام يلقي خطابه هذا، أرسل المراسلون تقاريرهم عن التظاهرات الشعبية العارمة في همدان وطهران. وقد شارك في هذه التظاهرات عشرات الآلاف من الرجال والنساء وهتفوا بشعارات معادية للنظام الملكي ومؤيدة للإمام الخميني (س). وفي هذه الأثناء هاجم رجال الشرطة بمعية مجموعة من مرتزقة النظام المتظاهرين. وإثر المصادمات التي حدثت استشهد عدد من الأشخاص، لم يعرف عددهم، وجرح آخرون.^(١)

وإثر هذه المجزرة، تحصن العلماء ورجال الدين في أحد مساجد المدينة، وطالبوا في برقية لهم مراجع الدين في قم والجهات المسؤولة بحث القضية. وخرجت الجماهير في خرم آباد فور سماعها نبأ مجزرة النظام في همدان، إلى الشوارع في تظاهرة استنكارية قمعت هي الأخرى من قبل رجال الشرطة.^(٢)

(١) صحيفة اطلاعات ٥٧/٨/١ اعتبرت في تقارير مثيرة لها مع صور، تظاهرات أمس (٣٠ مهر) بأنها من أكثر مشاهد الصدمات الأخيرة دموية في البلاد، وقالت إن عدد القتلى فيه كان ٧ أشخاص بحسب المصادر المسؤولة، أكثر من ذلك بكثير حسب شهود العيان واستنادا إلى البث المنقول إلى المستشفيات. كما وقالت وكالة "رويتر" في تقرير لها في ٣٠ مهر أن عدد القتلى هو ٣٠ إلى ٤٠ شخصا. كما وقد تم إضرام النار في هذا اليوم، بمسجد كرمان من قبل جلاوزة الملك.

(٢) صحيفة اطلاعات نشرت في الأول من آبان تقارير مفصلة عن أخبار التظاهرات في كرمان وسمنان وشاهي (قائم شهر) ومهشهر وتبريز وآراك وأردكان يزد وعلي آباد كركان ورشت ومهاباد وشوشتر ولاهيجان وخرم آباد وعبادان وبوشهر.

وقد وضعت صلوات الجماعة في المساجد على مستوى واسع، وإلقاء الخطب والكلمات الثورية الشديدة للهجمة من قبل الوعاظ، وتوزيع بيانات الإمام الخميني (س) وسائر المراجع، وضعت النظام في وضع محرج، ودفعت إلى البحث عن طريقة يحول بواسطتها دون تفاقم الأوضاع أكثر من ذلك. تصدرت الصفحات الرئيسية للصحف في هذه الأيام، التقارير التي كانت تتحدث عن التظاهرات والصدامات الدامية في كافة أنحاء البلاد، والإضرابات المتواصلة في مختلف الدوائر الحكومية.^(١)

بالإضافة إلى مراسلي الصحافة المحلية، فقد كان يتواجد في أوساط التجمعات الشعبية الشعارات من المراسلين الأجانب أيضاً، في مختلف مناطق طهران، وهم يعملون في إعداد التقارير والصور عن الأحداث إلى وكالاتهم وصحفهم.

وكانت جامعة طهران قد تحولت إلى مركز ضخيم لاجتماع الجماهير في طهران. فقد كانت الكلمات تتوالى من قبل الخطباء حول جرائم النظام الملكي، وتتردد صدى هتافات "الموت للملك" و"عاش الخميني" مدوية في سماء الجامعة.

وأعلن علماء كرمان اليوم السابع لمهاجمة جلاوزة الملك مسجد كرمان، حدادا عاما في المدينة، وامتنع الناس عن التوجه إلى أعمالهم. وفي بيان له حول فاجعة مسجد كرمان، قال علماء كرمان: "... في يوم الاثنين ٢٤ من شهر مهر الجاري، أغلقت جميع المحلات في كرمان أبوابها، واجتمع ما يقارب العشرين ألف شخص في المسجد الجامع في مأتم عزاء أقيم لشهداء ميدان جاله بطهران. وفي الساعة الحادية عشرة، وحيث كان المجتمعون يجلسون في المسجد بهدوء تام ودون ترديد أي نوع من الشعارات، بادرت شلة من المرتزقة بمجرد أن شرع الخطيب بالكلام، إلى إحراق السيارات والدراجات النارية والهوائية العائدة للناس خارج المسجد. وهاجموا المسجد من الباب والسطوح، وانهالوا على الناس العزل بالضرب بالعصي والأعواد والأسلحة النارية وقذفوا في أوساطهم القنابل المسيلة للدموع، ولم يرحموا حتى الأطفال الصغار والرضع. وقد أسمعوا علماء الإسلام وطلبة العلوم الدينية والنساء والرجال أفزع الكلمات البذيئة والسباب، وحطموا زجاج وأبواب المسجد وأضرموا فيه النار، وحتى عندما كان الناس يخرجون من المسجد هارين لم يكفوا عن ضربهم بشكل مبرح، وانتزاع العباءات من رؤوس النساء، وقد وصلت إهانتهم للنساء المسلمات إلى الحد الذي بقيت عدة منهن دون عباءة، وأجبرن على ارتداء عباءات العلماء والفرار من المكان. وقد سقط في هذه الواقعة من

(١) صحيفة اطلاعات ٣٠ مهر ٥٧ نشرت أخباراً عن إضراب المعلمين في مدارس طهران، ومناطق من دوائر التربية وموظفي دوائر جامعة طهران ومؤسسة باستور ومنظمة الضمان الاجتماعي ومصفى طهران ومركز التدريب المهني ومنظمة الطاقة وكلية التغذية ومركز الطب النفسي والحضانة في نوك، ودائرة التسجيل العقاري ومركز العلاج الطبيعي في يافت آباد ومعه التدريب العالي في الري وشركة فنمان أميد وكانت الرسمية، ووزارة الداخلية وجامعة شيراز (بهلوي) وعوائل السجناء السياسيين وسائقي شركات نقل الركاب ومعامل سيتروين وسايبا، ومؤسسة الصناعات الكيماوية ووزارة المالية. وهذه هي نماذج فقط من الإضرابات في كافة أنحاء البلاد هذه الأيام.

الأشخاص من بين قتيل وجريح. وبعد انتهائهم من مهاجمة المسجد، خرج المهاجمون إلى الشوارع والأسواق، ونهبوا المحلات وأضرموا فيها النيران تحت رعاية وحماية جلاوزة النظام..".

وفي بيانات أصدرت مجموعة من علماء ووعاظ طهران أيضا، حول فاجعة كرمان، أكدوا فيها أن: "... لقد ضاق الشعب المحروم والمستضعفين ذرعا، ونهض بتضامن كل قطاعاته ورفع صوته مستنكرا وصمم بشكل حازم على كف يد أعداء الشعب وناهبي ثرواته من اللصوص والمفضوحين والمتلاعبين بمقدرات الشعب والبلاد حتى تحقيق الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية تحت لواء الإسلام بالاستلهاهم من قيادة العلماء الواعين، خصوصا المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام الخميني (س)..".

وفي ابتكار ملفت للنظر بادر العاملون في محطات الكهرباء إلى قطع التيار الكهربائي بطريقة محسوبة لمدة ساعتين في الليل، وقت بث نشرة الأخبار في التلفزيون، من أجل شل إعلام النظام.

وفي خطابه يوم ٣٠ مهر ١٣٥٧، الذي ابتدأه بالآية الكريمة " قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثني وفرادي " اعتبر الإمام الخميني (س) القيام من ثم أشار إلى إبدال التاريخ الهجري القمري بالتاريخ الملكي، وتأسيس حزب "رستاخيز" (البعث) وتراجع النظام عن ذلك فيما بعد، وفي معرض شرحه أحداث هروب رضا شاه من إيران، حذر سماحته من خروج المجوهرات الملكية وأموال الشعب المنهوبة (إلى خارج إيران) على أعتاب انهيار النظام الملكي.

ومن الشائعات التي كانت يروج لها المحللون الأجانب ووسائل الإعلام الغربية في هذه الأيام. هي مقولة إنه "في حال رحيل الملك، ستتدخل الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي بشكل مباشر، وسيؤدي ذلك إلى تقسيم إيران". فاعتبر الإمام في بياناته هذه التهديدات بأنها لا أساس لها. وبخصوص شائعة تدخل الشيوعيين في تقرير مصير الثورة الإسلامية، قال سماحته في معرض تفنيده هذه الشائعة، قبل عشرة أعوام على انهيار الشيوعية الدولية، قال: "الشيوعية نظرية فشلت في العالم، فشلت من الأساس.. وهي ليست جديدة بالاهتمام".

وقد تركز حديث الإمام في خطابه هذا على الأوضاع المعيشية المؤسفة لغالبية أبناء الشعب الإيراني وانتفاضته الدامية، ومواصلة النظام الملكي لجرائمه وعلى ضرورة تضامن الإيرانيين المقيمين في الخارج وتواصلهم مع النهضة الشعبية.

الخطاب رقم - ٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثني وفردى"^(١) لقد عيّن البارئ تعالى لنا تكليفنا. يقول للرسول الأكرم: قل للناس إنني أعظكم بموعظة واحدة فقط، الواعظ هو الله تعالى، والرسول الأكرم واسطة التبليغ، موعظة واحدة فقط. إنما، أقول لكم موعظة واحدة فقط / الأسماع صائنة لسماع موعظة واحدة، بهذه الأهمية يريد الله أن يقولها وأمر الرسول بها، والموعظة واحدة: أن تقوموا لله. الموعظة هي أن تنهضوا من أجل الله. مثني وفردى. تلك الموعظة هي أنه تعالى، يأمر الأمة بواسطة الرسول (ص) أن تقوموا لله: قوموا وانهضوا لله، شخصين، شخصين على الأقل، أقل الجمع اثنين، اثنين بشكل فردي أيضا، هو وسيلة أن يذهب بنفسه لدعوة فرعون، ذلك الفرعون بكل جبروته، لقد كان لفرعون سطوة أكبر من فرعوننا^(٢). ومن اهرامات مصر يتضح أنه كان يمتلك جهازا جبارا^(٣)، وكان يدعى أيضا الألوهية. لقد أمر (موسى) بأن يذهب بمفرده ويدعو فرعون! فطلب موسى (ع) ليكون معي أخي أيضا.. ليشد أزرى. وجاء الأمر أن اذهب أنتما الاثنين معا. اذهبوا إلى فرعون وادعوا، عسى أن يعود إلى رشده، عسى.. أن يخشى.^(٤)

هذه المثني والفرادى هنا.. لقد كان موسى (ع) في بداية الأمر (فردى) وجاء الأمر أن يذهب، ومن ثم طلب إلى الله تبارك وتعالى (ليكون أخي معي) فاستجاب له (تعالى) فيما بعد أن اذهبوا معا أنتما الاثنين، اذهبوا إلى فرعون وادعوا إلى الحق. ليس صحيحا أن تنتظرونا من أجل القيام.. القيام لله.. إلى أن تتوفر الوسائل والمال الوفير، والقنابل والدبابات وما إلى ذلك، إذا كان القيام لله، هو بعين الله، والمهم هو أن يكون لله. ليكون قيامكم ونهضتكم للحق تعالى، ولمصلحة المسلمين.

هذا هو الشيء الذي يريده الله تبارك وتعالى، وهو أن يهتم المرء بأمور المسلمين^(٥). من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين ليس بمسلم. فالمسلم هو من يهتم بمصالح المسلمين والقضية الآن قضية أمة وليست هي قضية شخصية. كأنه يريد شخصا أن يفعل شيئا ما لمصلحته الشخصية، المصلحة مصلحة الإسلام الذي هو أعز من كل شيء. المصلحة مصلحة أمة تبلغ ثلاثين مليونا ونيف تتعرض للضغوط كل يوم، وتتعرض إلى القتل

(١) سورة سبأ، الآية ٤٦.

(٢) الملك.

(٣) أهرامات مصر من عجائب الدنيا السبع.

(٤) الادعاء.

(٥) راجع الملحق ١٤، ص ٣٤٥. والملحق ٨، ص ٤٢٠.

والسجن كل يوم. فالآن حيث نجلس نحن هنا، لا نعرف ما يجري الآن في إيران. تصلنا يوميا (أخبار) عن انتفاضة الجماهير في المدينة الكذائية والمدينة الكذائية والمدرسة الكذائية والجامعة الكذائية وعن التظاهرات الشعبية. لم تأت التظاهرات اعتباطا، إنها نتيجة الضغوط، هذه الضغوط المتراكمة في قلوب الشعب منذ خمسين عاما^(١)، يفرغها الآن بوحدة كلمته وبالعامل من أجل فك هذه العقد التي مضى عليها خمسون عاما.

وإن هذا القيام هو قيام الله، لمصلحة المسلمين للإسلام. انظروا أي جريمة كبرى هذه. إن كل الجرائم التي ارتكبتها هذا الرجل، وكل الخيانات التي ارتكبتها هذا الرجل، من إعطائه النفط إلى الخارج ومن تخريبه أوضاعنا الزراعية وتخریب ثقافتنا، وفقدان كرامة نظامنا، ضعوا كل هذه الأشياء جانبا، وقضية تغيير التاريخ جانبا^(٢). تغيير تاريخ الإسلام وإبداله بتاريخ المجوس لو وضعتموها في كفة واحدة من الميزان، وخیانات هذا الشخص وجرائمه وكل الأشياء الأخرى التي فقدناها بسببه في كفة أخرى، لرجحت أهمية ذلك. لا تتصوروا أنه كان سيكتفي بهذا لولا وقوف الشعب بوجهه. إن هذا هو الذي كتب إليه الزرادشتيون، بحسب تلك الأزمنة، كتبوا إلى الملك. لم يوجد إلى الآن من خدم مذهبنا بقدر ما خدمته أنت! مذهب الزرادشتيون^(٣). خدم عبدة النار! هذه كانت خطواته الأولى، غير فيها التاريخ، وكانت له خطوات أخرى أوقفه الشعب عند حده بحمد الله. وحتى أنه أرجع التاريخ إلى ما كان عليه. إن هذه الضربة التي تلقاها الآن من الشعب هي في طريقها إلى أن تحطم هذه الركائز التي رفعها إلى الآن. الواحدة بعد الأخرى. يجب أن تصبروا وتحملوا، ولسوف تنهار وتحطم هذه (الركائز) الواحدة بعد الأخرى. وقضية حزب "رستاخيز" (البعث) الذي نفخ فيه وطبل له كثيرا خلال الأعوام الماضية، رغم أنه كان غير قانوني أيضا، ولكن على أية حال فعل، لأنه لا يفهم القانون. وأعلن أن من انضم إلى حزب "رستاخيز" (البعث) فيها، ومن لم ينضم عليه أن يأخذ تذكرة سفره ويرحل عن البلد. لأنه لا يعد من أهل البلد، وإن هذه القضية الكبيرة في رأيه انهارت دفعة واحدة، والآن أصبح (الناس) يقولون عن حزب "رستاخيز" حزب اللاشيء... لا يعترفون به!^(٤)

إن هذه الركائز هي في طريقها إلى الانهيار. هكذا غير التاريخ مرة أخرى وأعاد التاريخ الأول. وزال حزبه أيضا، من الوجود. ولكن الخطر الحالي الآن هو قضية نقل أموال الشعب إلى الخارج^(٥)، لقد أفادني اليوم شخصان أخبارا من إيران، كما أن أحد السادة هنا أخبرني بما لديه من معلومات. أخبروا من إيران بواسطة

(١) راجع الملحق ٢٦، ص ٤٠٣.

(٢) راجع الملحق ١٤، ص ٣٤٥. والملحق ٨، ص ٤٢٠.

(٣) إشارة إلى المجوس.

(٤) راجع الملحق ١٩، ص ٣٨٤.

(٥) راجع الملحق ٣٣٠، ص ٣٦٠.

بعض السادة قالوا إن البارحة أخذوا كل الذهب والمجوهرات الملكية وغيرها، وحولوها إلى أميركا على ما يبدو^(١). إن أباه أيضا هو الآخر فعل ذلك، عندما جاء الحلفاء وأخرجوه من إيران، إن ذلك حكاية طويلة... في كل هذه الحكايات.. لقد اجتاحت البلاد ثلاث قوى كبيرة، بريطانيا والاتحاد السوفيتي وأميركا في الحرب العالمية من ثلاثة محاور، وهذا النظام الذي كان رضا خان يقول: نحن لم نعد كذا، نفس الكلام هذا تحدث به ولكن هذا أقوى قليلا، والآن يقول إن تضامنا هو كذا ونحن لم نعد الدول كذا وما إلى ذلك من كلام فارغ، ولم يقيموا حتى لعله ساعة واحدة وذهبوا.^(٢)

لقد جاؤوا، طيب، إن هذه مصيبة قد حلت بالشعب ودخل الأجانب إلى بلده. حدث هذا ودخلوا في حال الحرب وأرادوا أن يعبروا، أي أن يستقروا، وليكون هنا جر انتصارهم في حربهم من ألمانيا، وبدلا من أن يكون بلدنا وشعبنا حزيننا، يعلم الله أنه فرح! الآن رضا خان قد تم إخراجهم.

هكذا كان (محبوبا) هذا! مثلما هو محبوب الآن هذا الآخر! والشعب الإيراني (محب للملك) هكذا كان حبهم للملك، حيث أنه ومع أن ثلاثة دول قد دخلت جيوشها إلى البلاد وسيطرت عليه بالكامل، وكان الخطر يحدق بكل شيء، فرح الناس أن حسنا حصل جاء هؤلاء وذهب هذا الرجل (الملك)! أخذوه وخلصونا من شروره، دون أن يعلموا أن الحلفاء لا شغل لهم معه إنما يقومون بأعمالهم. هكذا كان وضع الناس في عهد ذلك الشخص. ولو لم تكن نهضة الشعب تلك ونهضة المسلمين والإيرانيين الأخيرة هذه، نصرهم الله تبارك وتعالى. لو لم يكن هذا الأمر، لم يكن كلامه هذا. لقد كان هؤلاء مخططات كثيرة. فعندما جاؤوا في ذلك الوقت وأخرجوا رضا خان، حدثني آنذاك أحد المطلعين نقلا عن أحد المسؤولين ممن كان قد رافقه إلى مكان ما، إلى بحر ما مثلا أو إلى جزيرة موريس، قال نقلا عنه: إن السفينة التي حملته كانت تحمل حقائب كثيرة جدا من المجوهرات الملكية الإيرانية معه، هذه المجوهرات (الملكية) ليست ملك الملك. إن المجوهرات الملكية هي ملك شعبنا وذخائره ويحملها هؤلاء معهم لحمل الدواب، أي خاصة بحمل الحيوانات، وكان فيها حيوانات. إنني أنقل هذه القصة عن شخص سمعها من أحد المسؤولين ممن كان يرافقه، جاؤوا وأوصلوها بالسفينة التي كان فيها هذا الحيوان! ومن ثم قالوا له انهض إلى هنا! حسنا لقد كانوا مأمورين وأخذوه من هذه السفينة إلى.. حسنا جدا. هناك أشياء لنا أيضا، الحقائب. قالوا تأتي بها. أخذوه إلى هناك (إلى السفينة الأخرى) وأخذوا الحقائب أيضا. أخذوها لأنفسهم. وهكذا آخر بلدنا هذا في ذلك الوقت. وأخيرا أخذوه وذهب ومع ذلك فعل بنا

(١) لقد تم إخراج مقادير كبيرة من الذهب والمجوهرات والأشياء الأثرية إلى خارج البلاد بواسطة القريبين من البلاط بشكل سري، إضافة إلى ما سرقته الأسرة المالكة وعلى رأسها الملك وأخته من مجوهرات ثمينة.

(٢) راجع الملحق ٣٠، ص ١٣٨.

هذا حيث حمل معه عدة حقائب من المجوهرات الملكية^(١)، وهبت... لقد اتصلوا اليوم، وقالوا إنه قد^(٢) أخذ المجوهرات الملكية والذهب الملكي.. أخذها وحولها إلى أميركا. ولا ندري ما إذا كانت ستصبح من نصيبه هو أو ستأخذها الحكومة الأميركية، لا ندري. لقد ذهبت من كيس شعبنا. لم يستطع شعبنا أن يمنعه. ويجب أن لا يدعوه هو يذهب لا يمكن منع هذا الشخص المؤذي، يجب أن يوقفوه ويأخذوا منه هذه الأشياء إن شاء الله.

والخبر الثاني الواصل، والذي أطلعني عليه أحد السادة المطلعين هنا، هو أنه (الملك) قد باع إلى شركة النفط جميع الأشياء الموجودة في تلك الجزيرة التي بناها للعب القمار وصرف عليها مبالغ طائلة، من أجل أن يأتي إليها اللوطيون من مختلف أنحاء العالم للعب القمار. والتي بناها من أموال (مؤسسة بهلوي)، أي من أموال الشعب والأشياء الأخرى العائدة كلها لبلدنا، قال إنه باعها إلى شركة النفط واستلم ثمنها... إن هؤلاء، الذين يرون قرب رحيلهم يأخذون أموال بلدنا، وأكلوا إلى الآن ما أكلوا (من أموال الشعب) وأخذوا ما أخذوا، وهم الآن يحملون تمة ما تبقى إلى مكان آخر. هذا هو وضع بلدنا الآن. وبعض السادة كانوا يقولون: دعوه يرحل بنفسه، وليعمل ما شاء، ليأخذ هذه الأشياء، يستحق رحيله هو غرض النظر عن هذه الأشياء، ويستحق رحيله حتى إذا افترضنا أنه يأخذ هذه الأشياء معه.

إن شعبنا قد نهض اليوم نهضة لا مثيل لها. إنني لا أقول "نهضة" نادرة، إنها نهضة لا مثيل لها في تاريخ إيران. لا يوجد في تاريخ إيران أن ينهض الشعب كله في سبيل هدف ما. وإن كانت هناك نهضات، فهي كانت في طهران حركة الدستور في تبريز ورشت، وشيئا فشيئا تحققت المطالب وبعض المدن الأخرى التحقت بها أيضا، أما النهضة الشاملة القائمة الآن والتي تصلنا أخبارها كل مرة من المدن التي إلى الآن - سمعنا بنهوضها أو لم نسمع - تخرج في تلك المدن التظاهرات ويقتل فيها أشخاص، يقتلون فيها أشخاص وما إلى ذلك ومتى ما سألت تجد أن مطلبهم واحد وهو "الموت لنظام بهلوي هذا" لا تجدون مثل هذا الشيء (في تاريخكم). إن النهضات التي حدثت في إيران هي كثيرة، وقد حدثت في إيران ثورات إلا أن مثل هذه الثورة العارمة الشاملة في كل أنحاء البلاد والتي تطالب بشيء واحد لم تحدث إلى الآن. لقد حصل هذا بإرادة الحق تعالى، ليس باستطاعة البشر أن يقوم لوحده بمثل هذا العمل. ليقولوا من فعل ذلك، ليست موجودة هذه المسألة، إن الله (تبارك وتعالى) هو الذي فعل هذا، وإرادة البارئ حصل.

(١) لقد أشيع خبر سرقة المجوهرات الملكية، أثناء نفي رضا خان إلى الحد الذي اضطر نواب المجلس الوطني إلى أن يستجوبوا الحكومة بشكل رسمي بهذا الخصوص. ولم يستطع نفي السيد كلشانيان وزير المالية آنذاك في اجتماع المجلس الوطني في ٢٢ شهر بور ١٣٢٠ وتأيد ناظر البنت (مؤيد أحمدي) لم يستطع إخفاء الحقيقة التي كان الكثيرون قد شهدوها. انظر مباحثات المجلس الوطني في جلسته يوم ٢٢ شهر بور ١٣٣٠ وكذلك كتاب اطلاعات خلال ربع قرن.

(٢) يشير الإمام إلى جزيرة كيش. كان الملك قد بنى عدة قصور فخمة وفندقاً من عدة طوابق (شايدكان) ومطاراً خاصاً وكازينو كبير للعب القمار في هذه الجزيرة.

فعندما يطلب شعب ما بأجمعه بشيء واحد، لا يمكن الوقوف بوجهه وثنيه بواسطة إعلان حالة الطوارئ والانقلاب العسكري وما إلى ذلك من الأشياء، لقد تحرك الشعب كالسيل العارم من أجل اجتثاث أساس بهلوي. وسيحصل ذلك. لا يوهمكم الخوف من أميركا قوة عظمى.. والاتحاد السوفيتي قوة عظمى.. وما إلى ذلك، لا تخافوا من ذلك، لا يحدث مثل هذا الشيء، بخلاف مطلب شعب بأكمله.. مطلب مشروع وصحيح. اسألوا مَنْ هؤلاء جميعاً؟ طيب ماذا تريدون؟ ولماذا يرحل هذا الشخص؟ يقولون إن هذا الشخص قد خاننا. لقد أمضينا خمسين عاماً نعيش تحت نير الاستبداد والكبت، ونريد أن نتحرر. إن الحرية واحدة من الأمور التي هي حق الإنسان، حق طبيعي للإنسان يجب أن تحصل عليه. أن يكون حراً في آرائه وفي أعماله وحراً في بلده.

هوية الخطاب رقم - ٤٣

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٢١ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الإطاحة بالأسرة البهلوية واجب إلهي.

المناسبة: مشروع اتفاق بين الجناح المعتدل والمجلس الملكي.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

الأمة الإيرانية واستجابة منها لتوجيهات الإمام الخميني (س) القائد الحقيقي لها، لا تصغي لأي من الوعود الكاذبة البراقة التي أطلقتها الحكومة حول زيادة في مرتبات الموظفين، وتخفيف (الضرائب عن العاملين) وتوفير الرفاهية، وتجعل نصب أعينها مذبحه ١٧ شهريور المروعة، وإشعال النار في مسجد كرمان، والمذابح الدامية بحق الشعب في مدن إيران الأخرى، إنها تنشُد هدفاً واحداً هو، تفويض النظام الملكي وتشكيل حكومة العدل الإسلامية.

إنها ما تزال تمضي قدماً في طريقها الدامي تدوي، فإنها الخالدة، غير مكترثة لما يجري خلف الكواليس من اتصالات مشبوهة، حيث يؤكد بعض السياسيين على ضرورة وصنع حل نهائي للأزمة.

وفي تلك الأيام كان السياسيون العريقون في السياسة منهمكين في دبلجة المقالات حول مشاريع حل واقتراحات لمحاكمة بعض المجرمين.

المجموعات السياسية تقدم شهاداتها حول نضالها السابق، والدكتور أميني يوافق على رئاسة الحكومة في الظروف الفعلية.

والسيد بازركان وميناجي يتوجهان إلى باريس للقاء الإمام الخميني (س)، والسياسيون يقترحون بداية عهد جديد حيث الملك يملك ولا يحكم.^(١)

وفي خطابه الأخير أعلن الإمام رفضه لكل هذه الاقتراحات والحلول: يقول بعض السادة المقربين، من الأفضل الإبقاء على أصل النظام ومع رحيل هذا الشخص... ويصرح البعض الآخر دون مواربة: أن من الممكن الإبقاء عليه أيضا وتقييده بالدستور فيبقى يملك ولا يحكم، وهذا أحد الأخطاء...

من جهة أخرى، وفي خطوات تكتيكية جدية وذلك في أوائل شهر آبان ١٣٥٧، وتحت ضغط الرأي العام، أقدمت الحكومة على الإفراج عن ١١٢٦ سجيناً سياسياً، وكان من بين السجناء من أمضى ٢٠ سنة في معتقلات نظام الملك.

ودوى في شوارع طهران شعار ".. يحيا السجناء الأبطال"، وكانت الحكومة تواجه مصاعب شديدة كل يوم، فقد:

- بدأ الطلبة إضراباً عن الطعام في جامعة "أبو علي سينا" في همدان لمدة ثلاثة أيام.
- تصاعدت حدة الانتقادات للنظام وللملك نفسه في أروقة مجلس الشورى الوطني.
- كما ونفذ سائقو شاحنات النفط في تبريز وعمال الكهرباء في كرمانشاه إضراباً عاماً وطالبوا بإلغاء الحكومة العسكرية ومنح حرية الرأي لإيقاف المذابح بحق الناس الأبرياء.
- فيما انهى عمال دائرة البريد إضرابهم اعتباراً من اليوم واستئناف عملهم خدمة للشعب^(٢)
- وقد بث الشعب نداء قائده الإمام، وانتهزت التنظيمات والأحزاب الفرصة لتعلن عن وجودها أو لتندمج مع بعضها لتشكيل وجودات أكبر، (والثوريون) من دعاة الغرب والشرق الذين انزوا أيام الاختناق والعهد الأسود ينهون عزلتهم، والذين فروا إلى الخارج أو الذين تعاونوا مع الحكم يعودون إلى صفوف الأمة.
- وأدرك البيت الأبيض أيضاً أن عرش الملك يهتز بعنف وأنه عاجز عن حماية المصالح الأميركية. لهذا أوفدت أميركا بعثة بقيادة "تشارلز وانكن" (وكيل وزارة الدفاع) والجنرال "أرنست كريفز" (مدير مبيعات الأسلحة في البنتاغون) إلى طهران.

(١) شعار الجبهة الوطنية خلال حكومة مصدق.

(٢) اتصل المضربون بسماحة السيد أحمد الخميني في باريس وأوضحوا أن الأحزاب سوف تعرقل توزيع نداءات الإمام بين صفوف الشعب في المدن والمحافظات، وقد أطلع السيد أحمد والده على ذلك حيث وافق الإمام على عودة العاملين في البريد إلى دوائرهم حيث استأنفوا نشاطهم وكان لهم دور بارز ومؤثر في استمرار الثورة.

وقد ذكرت رويتر: أن مفاوضات الوفد مع الملك دارت حول تخفيض محتمل في ميزان المبيعات يبلغ عدة مليارات من الدولارات. وخلال الزيارة أعلن "تشارلز وانكن" دعم الإدارة الأميركية للحكومة العسكرية في إيران.

علقت وكالات الأنباء الأجنبية، دون اطلاع على أي من نصوص المفاوضات التي دارت بين المهندس بازركان والدكتور سنجابي مع الإمام الخميني. وتحدثت عن "تأثير المفاوضات في الأزمة الإيرانية"، كما تحدثت بعض الوكالات حول "محاولات جديدة تبذل لإقناع الإمام الخميني في العودة إلى إيران". غير أن الإمام وضع حداً للشائعات في تصريحاته قائلاً: "إن من لا يتفق معنا في هذا الموضوع (ضرورة رحيل الملك) إما أحمق أو خبيث النيات.. إنها خيانة للأمة التي وهبت دماءها.. كلا لا بد من رحيله.. يجب الاستئذان على هذه السلالة.. إيران لا تريد هذه السلالة..". وكانت تصريحات الإمام بمثابة صفة يوجهها لتيار المحافظين الذين ينادون "الملك يملك ولا يحكم".

الخطاب رقم - ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سوء صحتي لا تسمح لي أن أطيل الحديث مع الحضور الكرام. فأوضاع إيران تؤلمنا، ففي كل يوم ثمة مجزرة. ولا زال هذا النظام المنحط.. هذا النظام المجرم يهاجم الناس ويرتكب إبادة جماعية تلو الإبادة، لكن رغم هذه المجازر فإن الأوضاع مرضية، فهي تشير إلى تردي النظام نحو اليأس الكامل. إنه يأس إزاء هذه الأحداث، وها هو يفصح عن يأسه^(١)، ولا بد أن يكون يائساً^(٢)، لكنه في نفس الوقت يقوم بتهريب أموال الشعب إلى خارج البلاد، ويقال إنهم نقلوا المجوهرات الملكية بواسطة طائرة إلى خارج إيران. كما ذكر البعض أن تلك الجزيرة التي خصصت للفساد والأعمال القبيحة وشيدت فيها مؤسسات كثيرة^(٣) قام الملك ببيعها إلى

(١) الملك.

(٢) في مقال نشره عن لقائه مع الملك في أيام الثورة، في صحيفة "فيغارو"، كتب تيري دي جاردن ما يلي: "كان الملك نحيفاً، شاحب اللون ومهزوماً، كرر كلمة (يأس) ما يقرب من عشرين مرة..". وفي ١٩٧٨/١١/٥ (١٤ آبان ١٣٥٧) ذكرت أكثر الصحف الصباحية الصادرة في لندن أن الملك فقد السيطرة على نفسه، وأعصابه متوترة جداً. فيما كتبت صحيفة "التايم" في الرابع من أيلول: "أن الملك مصاب بجنون السلطة منذ سنة ١٩٧٣ وكان كلامه يعكس جنونه..". أما صحيفة "انترناسيونال هيرالد تريبون" فقد كتبت في ١٩٨٠/٧/٢٨ بشأن معنويات الملك: "كان الملك مستكبراً ومصاباً بجنون العظمة، وكان مدحه لنفسه ناشئاً من حقارات متراكمة وفشل سابق وعقدة حقارة داخلية..". و١٩٨٠/٧/٢٩ كتبت "اللوموند": "كان الملك مصاباً برعب وقلق دائم..".

(٣) المقصود هو جزيرة كيش الواقعة في جنوب إيران في منطقة ساحلية قرب ميناء (النجة)، وقد اعتبرها الأخصائيون الأميركيون في سنة ١٢٤٩هـ موقعاً مناسباً يقضي فيها مسؤولي النظام وأسيادهم الأجانب أوقات فراغهم للترفيه. وفي عام ١٣٥١هـ ش تأسست (لجنة بناء كيش) برئاسة أمير أسد الله علم (وزير بلاط الملك)، وقد خصص لها عشرة مليارات ريال كقسط أولي، ٨٠٪ من المبلغ قام جهاز السافاك

شركة النفط وهرّب أموالها إلى الخارج أيضا. ولأنه يقوم حاليا بارتكاب المجازر البشعة دون أن يرحم أحداً^(١)، ويجب على الشعب الإيراني أن لا يمنحه أية فرصة يجب أن يعزله.. أن يقطع يده ويحرمه من التسلط على رقاب الشعب.

فإن حصلت أية فرصة فستحل الكوارث بالشعب. أحيانا يقترح بعض الأشخاص المحترمين ممن يفتقدون الدقة في النظر إلى الأحداث والتعامل معها بالنحو السليم، اقتراحات خاطئة كأن يبقى أصل النظام ويعزل شخص الملك فقط، فيما يصرح ببقاء الملك شرط أن ينحصر دوره على المهام التي أقرها له الدستور، وأن لا يتجاوز الصلاحيات التي أنيطت به، كأن يبقى ملكا ولكن دون كلام، ويطلبون منا حينها أن نوافق. نحن أيضا، ببقائه مجردا من السلطة^(٢)، وبعد ذلك نمارس نشاطنا خطوة فخطوة ونحقق أهدافنا ضمن هذا المخطط. هذه أخطاء فاحشة يتصف بها بعض السادة، بعض أصحاب هذه الاقتراحات يخشون سوء نياتهم، ويتغنون ديمومة حكم هذا النظام المجرم، كي يتسنى له فيما بعد إجراء مخططاته، أما ذوو النيات الحسنة فهم أيضا مخطئون. فهذا الشخص (الملك) الذي قام بكل هذه الجرائم بحق الشعب الإيراني، والذي سبب للشعب المصائب تلو المصائب منذ ٣٠ عاما من حكمه الجائر، كما في هذه السنة الأخيرة حيث قتل جمع غفير من الناس بأمر منه، وبعد كل هذا القتل وبعد أن منح للآخرين مخازننا ونفطنا ولما لدينا من ثروات من مراتع وغابات، وقضى على الثروة النفطية، وأباد الزراعة تماما، وأوصل الشعب إلى هذا الوضع المأساوي، حيث لن يمتلك الشعب بعد مضي عدة سنوات شيئا. شخص ظالم كهذا لا يمكننا القول له: حسنا تفضل وترجع على عرش الملوكية واقض أوقاتك باللهو والفساد، واحذر التدخل في شؤون الحكم. إن الشعب الذي قدم كل هذا الدم لا يمكن له أن يقتنع ويشق بهذه الحكومة، أو أن يقول للملك، مارس نفس سلطتك السابقة واعفُ عما حدث.

بتسديده، فيما سدد بنك العمران ٢٠٪ منه، كما سدد البنك المركزي مبلغ ٦٠ مليار ريال كقرض للجنة بناء كيش لغرض إنشاء قصور وفنادق وأندية ومقاه ومطار خاص، على أن يكتمل المشروع عام ١٣٥٥هـ ش، وتم بناء مجموعة قصور في حي (عاشه) بعد أن تم تشريد أهالي المنطقة بالقوة، ووقع عقدا مع شركة أ.ر.سي. أي الأميركية لنصب محطة إذاعية/تلفزيونية في الجزيرة. كما تم التعاقد مع إحدى الشركات الإسرائيلية التي سبق لها أن نفذت للقوة لجوية الإيرانية مشروع إنشاء مصاف ضخمة لتحلية المياه في بندر عباس وجاسك وميناء لنجة وبوشهر.. وتم التعاقد معها للقيام بتحلية المياه المحيطة بالجزيرة. ومن المشاريع الأخرى التي أقيمت في جزيرة كيش بناء قصر الملك وقصر لولي العهد وقصرين آخرين لكل من هويدا وعلم وكذلك بناء مقهى فخم للقمار وملاعب الغولف وكرة المضرب وأحواض ماء حلوة و١٣ ناد للترفيه ومطار خاص تتمكن طائرات الكونكورد للهبوط فيه. يجدر الإشارة إلى أن ٩٥٪ من عمليات إنشاء هذا المشروع الكبير كان بعهددة شركة (مركوري) التابعة لـ"فرجينيا"، وهي فرنسية متزوجة من محمود منصّف المدير المنفذ للمشروع.

(١) تزامنا مع هذا الخطاب شهدت إيران أحداثاً عارمة شملت جميع البلاد (راجع هوية هذا الخطاب)، وقد استشهد جمع كبير من الناس كما جرح آخرون في التظاهرات التي خرجت في طهران وكرمان ودزفول وأنديمشك وزنجان وميناب وعدة مدن أخرى، وكانت أكبر فاجعة هي مجزرة المسجد الجامع في كرمان التي قام بها أزام النظام.

(٢) راجع هوية هذا الخطاب، إذ شهدت تلك الفترة الزمنية تيارات فكرية مختلفة تسعى إلى الحد من الحركة السريعة للثورة الإسلامية بمواقف استسلامية، وهذا ما دفع قائد الثورة الإسلامية إلى كشف هويتها وأهدافها.

حسنا، أي مسلم منا يمكن أن يقبل هذا الاقتراح؟ أي إنسان منصف يرتضي أن يقتل هذا السفاك المجرم الأطفال والشباب والفتيان، وهو نفسه الذي تصدى بشخصه وبذاته لما حدث في ١٥ من خرداد وحسب ما ذكر فإن ١٥ ألف إنسان قتلوا بأمر منه، ولا يمكن أن تكون مجزرة بهذا الحجم دون أوامر صدرت عنه. فلا أحد يتجرأ أن يدعي أن أطلق النار من تلقاء نفسه دون أن يكون هناك قرار صدر من الملك ينص على قتل المتظاهرين، والملك نفسه لا يمكن له أن يدعي أن لا دخل له في تلك المجزرة، إذ أنها جريمة مكشوفة للجميع، وإن هذا الطاغية الذي ارتكب كل هذه المجازر ضد شعبنا، وقام بخيانة الشعب طيلة فترة حكمه وأراق دم أطفال وأبناء هذا البلد، لا يجوز لنا أن نغض النظر عن جرائمه هذه ونقول: حسنا ليبقى حاليا في الحكم كي تهدأ الأوضاع وتستقر!! أي ليكن سلطانا والآخرين خدماً له!! أي شعب يمكن أن يقبل بملك كهذا؟ أي إنسان مؤمن بالله والإسلام يمكن أن يوافق على هذا المخطط؟ إلا المخطئ، ونحن نقول لكل أولئك المخطئين الذين يروجون لمثل هذه المخططات أن اخرجوا من أخطائكم. وثانيا يجب عليهم أن يدركوا أن الشعب إذا أمهل هذا المجرم وارتضى أن يكون ملكا دون أن يحكم فإنه سيوافق (الآن)، وقد أعرب بنفسه (الملك) في البرلمان: أن القانون حدد لي مسؤولية وصلاحيات أوافق عليها. إلا أنه يريد أن يتلاعب بكم، يتلاعب بالجماهير ويروم أن يخدعها، فشعار هذه الثورة وجميع الثائرين هو "الموت للملك" و"الموت للسلطة المستبدة الحاكمة"، وفيما إذا أخدمت الثورة، فلن تكرر لها الظروف الميدانية كما هي عليه الآن، أي أن هذه الثورة بجميع المشاق والصعوبات التي تحملتها في مسيرتها ومكنتها من الوصول إلى ذروتها إلى اشغالهم فسيبادر حينها الملك بقتل الناس، من جديد، وقتل جميع المعارضين له بصورة أفجع من الآن.

أي إنسان عاقل يسمح أن تجري الأمور هكذا؟ أي أننا على مشارف دحر عدو الشعب وسوقه إلى قبره ثم منحه الفرصة في أن يستعيد قواه فيما نقوم بعد انجاز مهامنا خطوة اثر خطوة؟ يتعين علينا أن نحسم هذه المسألة، أن نقتلع جذور هذه الحلول الاستسلامية.. أن نساهم جميعا في هذا الأمر. جميع شرائح المجتمع يجب أن تشترك في هذا الموضوع وإذا لم يتفق معنا أحد فهو إما يخبي سوء نية أو أنه إنسان لا يفهم جاهل، وإذا كان جاهلا فيجب توعيته. أما إذا كان سيئ النية فيجب محاورته بغضب وقوة حتى يتخلى عن سوء نيّاته. إنها لخيانة أن نقول لشعب قدّم كل هذا الدم: أن تخلى عن دورك الآن عسى أن نخطو فيما بعد ببطء وتأنٍ. وأن تكون خطوتنا الأولى هي تثبيت الملك، ثانية، أن يكون ملكا علينا^(١). أو أن يغادر الملك البلاد وتحل فرح

(١) في زمان إلقاء هذا الخطاب، كان جمع من "الوطنيين" يدافعون عن هذا الشعار وهو: "يجب أن تكون للملك السلطنة لا الحكومة". وقد وردت توضيحات أكثر بهذا الصدد في هويات الخطابات اللاحقة، خاصة الجزء الثاني من هذه المجموعة. إضافة إلى مباحث حول هذا النمط من التفكير، مروجيه واتباعه.

محلّه، أي أن تصبح فرح سلطانا علينا^(١). ثم يتولى الشورى الملكي وإدارة البلد، ثم نقول له في الخطوة الثانية، كلا، عد أيها السيد إلى الحكم، يجب أن يتولى شخصكم إدارة البلد، وهذا هو خطأ كبير. يجب أن يتحرك الشعب الآن في تحطيم جميع أسس هذا النظام، الواحدة بعد الأخرى، كالسيل العارم. يجب أن يسقط جميع أساس الملك إلى أن يغادر إيران، يجب أن يرحل هذا الخائن ثم تتولى نحن إدارة بلدنا الآن، لا فيما بعد، يجب أن نقطع جميع الأيادي التي تسلطت على بلادنا، وهي التي سرقت ذخائرنا بالقوة والظلم. نعم يجب أن تقطع هذه الأيادي وتزاح، ونحن نريد أن ندير البلد بأنفسنا، لا نريد المستشار الأميركي وأحدهم ينهب ذخائر الغاز، وآخر يسرق غازنا والبقية يسرقون غاباتنا وخيرات أراضينا. ماذا ألقى الملك لبلادنا؟ وهذا هو خلاصة كلامنا وهو ليس كلامي الشخصي، الذي بإمكانني أن أتنازل عنه، بل أنه حق إلهي، وهذا الحكم الذي نطالب به هو حكم الله. المسألة هي مسألة تكليف شرعي لا يمكن لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه.

فالشخص الذي كله ظلم، من رأسه إلى أخمص قدميه، يجب إزاحته واقتلاع جذوره لأنه يسوق مسلمي إيران نحو الإبادة والفناء. يجب إزاحته واسقاطه كي يكون بميسور الناس استنشاق الهواء. فمنذ ٥٠ سنة والشعب يعاني من الظلم والتعسف وقد ضحوا بأبنائهم، سواء في فترة حكم الأب^(٢) أو الابن. والآن وقد وصل الشعب إلى هذا المرحلة وقام بثورة شجاعة، نسمع بحدوث ضجة في إيران، فالآن حيث نجلس سوية هنا، تحكي الأخبار عن دوي صوت البنادق في قم، وفي همدان ثورة عارمة ويحتمل حدوث نفس الشيء في كرمان، وفي طهران فدوما ثمة أحداث ساخنة. والآن جميع الناس مستعدون لمواصلة المسيرة وتحمل جميع مشاقها ومصاعبها من أجل الإسلام ومن أجل شعبهم. فهل يصح أن نطل عليهم بقولنا ليق الملك مؤقتا؟ أفرضوا أننا وافقنا على هذا الطرح وان يبقى الملك ملكا دون حكومة، وأرجأنا القيام بمسؤولياتنا تدريجيا إلى

(١) كانت فرح تتولى منصب نائبة السلطنة. وقد أثبت لقاء مجلة "شبيغل" في اللقاء الذي أجرته معها ومع الملك أن فرح استفادت من جميع صلاحياتها لصيانة العرش الملكي. وعندما كان الملك عاجزا عن اتخاذ القرارات كانت تتولى القيام بتلك الأعمال بنفسها. يقول الملك في هذا اللقاء: "... يريدون إرسالني أنا وفرح لقضاء عطلة خلاف رغبتنا، ولو كان الاختيار لي لذهبت في أواسط الخريف. لقد أرغمتني زوجتي على البقاء". وسأل الصحفي فرح إن كانت قد منعت خروج الملك من البلد؟ فرمقت زوجها بنظرة غاضبة وقالت: "... إنها كانت تختلف معه بخصوص موعد السفر فقط...". إذ كانت فرح تريد أن لا يقرر (قانون الشارع) موعد سفرهما. ولما سألتها الصحفي هل تعتقدين أن سفركما سيكون بلا رجعة، أجابت: "... آه كلا.. كلا بدون شك وترديد.. أنا أفكر بعطلة طويلة فقط إلى أن نخمد فورة الشارع وينجو تاج وكرسي البلد.. الناس يصرون أن نغادر البلد، حسنا سنذهب ولكن ليعلم الناس أن ذهابنا ليس من دون عودة!" ثم سألتها الصحفي، هل كنتم تتوقعون من الشعب كل هذا الرفض؟ فأجابت: "... أبدا لقد تحيرت كثيرا..". وعندما وجه مراسل صحيفة شبيغل سؤالا للملك عن إحساسه وشعوره في هذا الحال فقال الملك: "... حزن شديد يسيطر علي أنني متعب للغاية...". ويمكن أن نستنتج من هذا اللقاء مقدار اليأس الذي أصاب الملك من استحالة بقاءه في السلطة وحتمية مغادرته لإيران. إلا أن فرح كانت مصممة على البقاء وإخماد الثورة بأية طريقة ممكنة، فقد كانت تحاول في الأيام الأخيرة، وحينما كان الظلم في إيران يتزلزل أن تتغلب على (قانون الشارع) بأنواع الدسائس والمخططات واللقاءات مع شخصيات سياسية غربية بارزة. فيما يتعلق بشخصية فرح راجع كتاب (ظهور وسقوط السلطنة البهلوية) مذكرات حسيني فردوست ج ١ ص ٢١٠.

(٢) رضا شاه.

ما بعد. فيا له من كلام لا معنى له! أي شعب يمكن له أن يوافق على اتفاق كهذا؟ كلا، يجب أن يرحل، يجب أن تنقرض هذه السلسلة. إيران كلها لا تريد هذه الزمرة، من طفلها الصغير ذي السبع سنين إلى شيخها الهرم ذي الثمانين عاما.

إن المرحلة التي نعيشها الآن تملي علينا أن نتكاتف ونتعاضد. وأنتم أيها السادة، الموجودين خارج البلد، ساعدوا شعبكم ووطنكم بكل ما أوتيتم من قوة، أعينوا وطنكم وشعبكم، فهم يضحون بالدم، وأنتم اسعوا بالقلم وبكل ما تعرفون من سبل لإنقاذ شعبكم. أخطبوا في شعوب هذه البلدان، حدثوهم عن قضايا وطنكم وأطلعوهم عما يجري في إيران وعن المصائب التي تعيشها.. عن الاضطهاد والظلم الذي يتعرض له أبناء شعبكم، فعلى الشعوب الأخرى أن تستيقظ، إن شاء الله، وتقف إلى جانبكم، فيقال الآن إن الشعب الفرنسي يوافق على خروج الملك من إيران، وهم صادقون في ذلك.^(١) ولكن يجب توعيتهم أكثر فأكثر، يجب التحدث معهم، فهناك نداءات كثيرة للشعب الإيراني يمكنكم أن تعكسوها من خلال الإعلام والصحف. وربما أن الكثير من شعوب البلدان الغربية يجهلون مطالب الشعب الإيراني. أما "كارتر" الذي يدعي أن الملك منح شعبه حرية أكثر من الحد اللازم فسبب ذلك معارضة الشعب له والثورة عليه، فيقول قولاً جازفاً. فهل يمكن أن يطالب الناس بحرية منحت لهم؟ الشعب مستاء لأن الملك جعله عبداً له وللسيادة. وقاد البلاد إلى حافة الهلاك والدمار. وفيما إذا بقي في الحكم، لا سمح الله، فإنه سيقضي بعده عدة سنوات على النفط، ولن يبقى لديكم من النفط شيئاً، لأنهم فتحوا كافة أنابيب النفط لصالح أسيادهم، كما سيدمر الزراعة بكاملها، فماذا سيبقى لنا إن نضب النفط ودمرت الزراعة؟ لا شيء. إنني أؤكد إن بقي هذا الشخص سنوات أخرى فسيؤدي بنا إلى الهلاك وسيبىد الشعب.

علينا الآن أن نتكاتف، أن نضع أيادينا بأيادي البعض الآخر ونقطع جذر هذا الطاغوت، فالبلاد بلادنا والحق معنا ونحن نمتلك المشاريع السليمة والرجال الصالحون لإدارة البلد. لدينا أفراد ذوي كفاءات عالية في أوروبا وأميركا لكنهم لا يتمكنون أساساً من العودة إلى الوطن، فهناك سيتعرضون إلى الزجر والحبس والإعدام وما شاكل، وهؤلاء سيعودون إلى الوطن، إن شاء الله، ويعيشون هناك ويدفرون بلادهم.

إن الادعاء بأن خروج الملك من إيران سيجعل إيران بلداً شيوعياً هو كلام فارغ، ليس هناك ما يرتبط بالشيوعية، إيران ليست بلداً شيوعياً، كل ما في الأمر هو وجود أربعة أطفال يتلاعب بعقولهم البعض، وفيما إذا كف أولئك عن التلاعب بعقولهم فسيعود هؤلاء إلى رشدكم. إن وجود هؤلاء لا يشكل القضية التي يترتب على أساسها بقاء الملك. إن البلد الذي يبلغ عدد سكانه ٣٠ مليون نسمة وقد رفعوا جميعهم راياتهم ويهتفون: نعم

(١) كان لحضور الإمام في باريس ورسائله ومحاضراته المتوالية، أثر جيد إذ قامت بعض الصحف الصادرة في باريس بإجراء استفتاء للرأي العام في هذا البلد وكانت الأكثرية الساحقة من الشعب الفرنسي تقف لجانب الإمام والشعب الإيراني المسلم وتؤيده في عزمه على أن يغادر الملك إيران. لكم المفارقة المدهشة أن الليبراليين وبعض الشخصيات العلمية في إيران تدعو في تلك الظروف بضرورة بقاء الملك واستمرار الدستور الملكي.

للإسلام.. نعم للإسلام.. لا يمكن أن يكون بلدا شيوعيا. فيما يدعي مريدو الملك أنهم يريدون القضاء على الشيوعية! فهل يصدق أمر كهذا؟ إن منشأ هذه الإشاعات هي صحف الملك، وهو أيضا يروج لها على مستمر في الحياة بضع أيام أخرى، إنه لكلام فارغ قوله: إن لم أبق في إيران سيصبح البلد شيوعيا. ونحن نقول له: أنت أسوأ من الشيوعية.

على كل حال، فنحن أيها السادة الحضور، مطالبون جميعا أن نعين اخواننا في إيران، ومساعدتنا لهم هنا، في البلدان الغربية، هي أن نوظف الإعلام لصالح قضايانا المحقة، أي أن يصبح كل منكم مبلغا وخطيبا، فحينما تذهبون إلى مدارسكم وتجدون هناك بعض الجهلة، حدثوهم عن أوضاع بلدكم وما يطالب به شعبكم. أخبروهم بالجرائم التي يرتكبها هذا المجرم السفاح. فأنتم ممن لهم الدراية الكافية بالأحداث. وفقكم الله جميعا وحفظكم وسلمكم إن شاء الله، وأعدوا أنفسكم لوطنكم، فستدخلونه إن شاء الله، سوية سالمين، وسيكون البلد زاهيا بوجودكم. (الحاضرون يرددون الصلوات).

هوية الخطاب رقم - ٤٤

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢١ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: أسباب رفض الجماهير للملك وزمرته الحاكمة.

المناسبة: تعازيم نسبة قتل الأبرياء في إيران، ومحاولات جديدة للسفاح إلى إشاعة شعارات منافية للإسلام.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

شملت الاضطرابات المدارس والجامعات، وغدت المدارس في إيران شبه معطلة. ففي خرم آباد قام طلاب المدارس بتظاهرات واسعة تم مواجهتها بهجوم عنيف من قبل رجال الأمن والشرطة. وقد أسفرت هذه التظاهرات عن استشهاد ثلاثة من الطلاب وجرح مجموعة منهم، كما أصبحت المدارس في طهران محلا للاشتباكات بين الطلاب وقوات الأمن. علاوة على ذلك، فقد شهدت جامعة طهران تظاهرة ضخمة أسفرت عن مواجهة شديدة بين الطلبة الجامعيين والجماهير من جهة، وقوات الأمن من جهة أخرى، أصيب فيها عدد غفير من المتظاهرين بجروح شديدة.

ومع كل يوم كان عدد المتظاهرين والمضربين يتضاعف، خصوصا بعد أن انضم إلى المتظاهرين العاملون في بلدية "جهارمحال" و"شهرکرد" وشركة نقل الركاب في مشهد. وبينما كانت المظاهرات ضد الملك تسود جميع أنحاء إيران، هاجم "دايفيد أوين" وزير الخارجية البريطاني، ثورة الشعب الإيراني المسلم، وذلك ضمن

دعمه وتأييده للملك، إذ قال: الآن هو الوقت الذي فيه يتعين علينا دعم الحكومة الإيرانية لنثبت لها مصداقية صداقتنا لها!

وقد تزامن خطاب وزير الخارجية البريطاني مع الرفض الجماهيري العام للنظام الملكي والذي كان يريد النظام الحاكم إطلاق الرصاص عليه، إذ شهدت شوارع كل من دزفول وقم وجرجان وهمدان روافد من دماء المتظاهرين الأبرياء.

كما امتنع طلاب المدارس عن الذهاب إلى مدارسهم وقاموا بمسيرات ضخمة باتجاه جامعة طهران، حيث انضموا هناك إلى صفوف المتظاهرين.

من جهة أخرى، كانت أعداد زائري الإمام الذين كانوا يتوافدون من جميع أنحاء العالم لزيارة قائد الثورة الإسلامية في مقره بـ"نوفل لوشاتو" يتضاعف يوما بعد يوم رغم المصاعب والإمكانيات القليلة التي تتيح لهم السفر. وكان من المتوقع تنظيم مسيرة كبيرة في طهران وجميع المدن الإيرانية في يوم الأحد تزامنا مع الذكرى السنوية لاستشهاد نجل الإمام، وفي تلك الظروف نفت الحكومة الهندية وكذبت الخبر الذي روجت له وكالات الأنباء الأجنبية، والذي يزعم أن الإمام الخميني ينوي الإقامة في كشمير.

في خطابه، قام الإمام الخميني (س) بتحليل جذور ثورة الشعب الإيراني، وأشار إلى التصريح الذي أدلى به وزير الخارجية البريطاني والذي أكد فيه على دعم الحكومة البريطانية للملك. كما شجب الإمام (س) تدخل الاتحاد السوفيتي وأميركا وإنكلترا في الشأن الإيراني. وردا على ما قاله الملك الذي وصف رفض الإمام لنظامه بأنه ناجم من اختلاف شخصي، قال قائد الثورة الإسلامية: "لن يكون لدينا أي اختلاف شخصي أو عائلي معك، وقولك إن للخميني اختلافًا شخصيًا معي هو قول بلا معنى.. وأي اختلاف شخصي لي معك؟.. إنني أخطب الشعب نحن أصحاب قضية جماهيرية محقة وليست بقضية شخصية، ونزاعنا من أجل الشعب، من أجل الإسلام.. فالملك يبذل جميع الثروات ويمنحها للآخرين. ونحن نرفض ذلك..".

وفي كلمته تطرق الإمام (س) لغدر وخيانة الملك للشعب، وحذر الشباب من المحاولات الأخيرة للسافاك في إشاعة شعارات منافية للإسلام.. الشعارات التي كان يرددها عدد من المغفلين والمخدوعين من قبل الحركات اليسارية.

وفي الختام، أكد الإمام على ضرورة توظيف كافة السبل والإمكانيات لإيصال أخبار الثورة الإسلامية في إيران إلى إسماع العالم، واصفا هذه المهمة بأنها تكليف شرعي وواجب وطني.

الخطاب رقم - ٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد غدونا نشهد يوميا أحداثا كنا نتوقع أن تحصل كل شهر أو عشرين يوما مرة واحدة. فسابقا كانوا يمهلون الشعب أسبوعا بين مجزرة وأخرى. أما اليوم فأوضاع إيران متشنجة للغاية، ففي نفس الوقت الذي أتحدث فيه معكم الآن، هناك اضطرابات في همدان. ومنذ ثلاثة أيام إلى يومنا هذا توجد اشتباكات بين الناس والعسكر.

إن قضية رفض الجماهير للملك ولحكومته لا تحدّ من جانب واحد أو من جانبيين، فالشعب يشهد ظلم هذا النظام على جميع الصعد. لقد قاد هذا النظام الظالم، وعلى رأسه الملك وأسياده الأميركان والسوفيت، كل الأجهزة التي كان بالإمكان أن يستثمرها الشعب قادوها إلى الإبادة والزوال. والشعب بحاجة إلى الثقافة ويتمكن بثقافته أن يعيش حياة سياسية سليمة. لكن الثقافة التي روج لها النظام الحاكم هي ثقافة تفتقد للاستقلال وليس لها أي ارتباط وصلة مع الجماهير، إذ يتم إدارتها بأيادي الأجانب. وتنظم بأوامرهم، ولذا فهم لا يقدمون لنا ثقافة سليمة، لا يقدمون لنا مثقفين حقيقيين. فأساتذة الجامعات لم يتمكنوا أن يواصلوا عملهم كما ينبغي ولا طلبة الجامعات يواصلون دراساتهم على النحو المطلوب. فقد أصبحت جميع المؤسسات مؤسسات مدح وتملق للملك. ويطالبون الشعب أن يكون صوتا واحدا يخضع للظلم ويقبل به. الشعب يساق نحو ثقافة مشلولة، ثقافة لا تثمر أبدا. ثقافة ليس لها أي دور في تقدم الشعب. وحينما ننظر إلى الجيش نرى أنه جيش متطفل. يديره ستون ألف مستشار أجنبي، وأغلب هؤلاء المستشارين الذين أمسكوا بزمام أمور الجيش يحملون الجنسية الأميركية. الجيش لا يأخذ الأوامر من الشعب، ولا يعمل من أجل شعبه. لقد جندوا كل قوى الجيش لقمع هذا الشعب بأوامر من الملك ومن الأجهزة المرتبطة به. الملك ينفذ كل هذه الكوارث على أيدي أعوانه. وكثير من هؤلاء لا يريدون ولا يرغبون القيام بهذه الأعمال. لكن هناك قوة ترغمهم على ذلك وهي سلطة المستشارين الأميركان الذين يأمرهم ويعملون من أجل الحفاظ على الملك وبقائه على دفة الحكم رغم كل جرائمه البشعة.

في الأمس صرّح وزير الخارجية البريطاني ما فحواه: "لدينا مصالح هناك في إيران. ولا يمكننا عدم تقديم الدعم لشخص يؤمن مصالحنا". شخص يؤمن مصالحهم! نحن أيضا نعلن أن الملك بقي في الحكم كل هذه الفترة من أجل تأمين المصالح الأميركية والبريطاني، وهو ذاته قد صرّح مرة بذلك حينما قال: "إن الحلفاء طلبوا منا البقاء وأن نتولى زمام الأمور". أي أن تبقى عائلة بهلوي هي الحاكمة في إيران. فليعلن الله هؤلاء الحلفاء الذين سلطوا علينا هذا الوحش.

وما نريد قوله قريب لما صرح به وزير الخارجية البريطاني، إن آلامنا ومعاناتنا نابعة من نفس هذه المقولة، وهي أن بلدنا يدار من قبل شخص جلّ اهتمامه هو أن يؤمن مصالح الأجانب، وأن يتلف ويبدد كل ما لدينا من

خيرات لصالحهم^(١)، فيعطيتكم نفطنا ومعادننا ويضحى من أجلكم بثقافتنا، ويسعى باستمرار إلى إجهاض كل ثقافة سليمة تسعى إلى مواجهةكم، كما يقوم عميلكم بتهميش الإسلام ولا يسمح أن يظهر الإسلام بالشكل الصحيح لأنه يعارض أهدافكم المشؤومة، إنه يضعف من قدرة علماء الإسلام ولا يسمح لهم أن يتصلوا بالجماهير كي لا يفضحوا جرائمهم... يجمع التيارات السياسية.. لا يسمح لأحد من الناس أن يبدي رأيه.. لا من الكسبة ولا الطلبة الجامعيين ولا..

وفيما إذا ارتفع صوت من مكان ما، فإنهم يقمعونونه بقواتهم الخاصة ومرتزقتهم. انظروا ماذا جرى في همدان؟ قالت الجماهير كلمتها وأبدت رأيها، ولكن رجال الأمن واجهوا الأحداث باعتقال الناس بما فيهم الفتيات. ويقال إن إحدى الفتيات قد انتحرت بعد أن تم اغتصابها من قبل قوات الأمن، كما أدت الأحداث إلى استشهاد أكثر من ٥٠ شخصا لحد الآن. لأن الناس أرادوا أن يعلنوا عن وجودهم وآرائهم.

وهذه الأمور كنت قد توقعت حدوثها سابقا، ربما قبل سنتين أو ثلاث سنوات، حينما أعلنت أن علينا أن نحذر من هؤلاء الطغاة في أيامهم الأخيرة من العمر، لأنهم في هذه الأيام يجن جنونهم، فـ"محمد خان القاجار" أصبح مجنونا في أواخر عمره، كذلك نادر شاه وبعضهم الآخر كانوا مجانين منذ البداية كمحمد رضا شاه، فهو مجنون منذ أيامه الأولى، ويعيش اليوم بحالة هستيريا وعصبية، ولا يعي ما يقول في اللقاءات التي يجرونها معه. فالشخص الذي أجرى حوارا معه أمس أو أول أمس يقول: إنني كنت أتحدث مع الملك فيما كان يحاور نفسه باستمرار. وقد اطلعت اليوم على هذا الحوار، يقول الصحفي الفرنسي: إن الملك كان يكرر باستمرار "ماذا قلت؟"، ويتشاجر مع نفسه، وكان يشكو لنفسه. كما يضيف هذا الصحفي: أن الملك كرر هذه العبارة وهي "ما الحل؟ ماذا نعمل الآن؟ ماذا يجب أن نفعل؟" أكثر من عشرين مرة أثناء الحوار.

حسنا، إن الحل الوحيد هو أن تغادر البلاد، أن ترفع يديك عن هذا الشعب، شفاء هذا الشعب يتحقق بمغادرتك، لكنك لا تزال تنهب الذهب والمجوهرات^(٢). أعلمت أمس أن طائرة قامت قبل يومين بنقل حمولة من المجوهرات من إيران إلى خارج البلاد. والده أيضا قام بنفس هذه السرقات، وهنا تكمن مصيبة الشعب، وهي أن من يحكمه لا يشجع من الجرائم والنهب.

(١) هنا يوجه الإمام خطابه لوزير الخارجية البريطاني "ديفيد أوبن"، الذي صرح في لقاء عرضته شبكة التلفزة البريطانية في ٣ مهر ١٣٥٧، ما يلي: "أثبت الملك أنه رجل مرن فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وفي هذا الصدد يجب القول إنه إضافة لكونه شخصا مناسبا لتأمين المصالح البريطانية فإننا نفضل حكومته على حكومة الماللي.. أو الشيوعيين.. لقد حان الوقت لدعم الحكومة الإيرانية وأن نثبت لها مصداقية صداقتنا المتينة".

(٢) يوجه الإمام خطابه في هذا المقطع للملك.

بالطبع ليس لي أي خلاف شخصي أو عائلي معك، ولا صحة لادعائك: "...إن للخميني خلافا شخصيا معي".
فأي خلاف لي معك؟ إنني أخطب الشعب، وأشارك آلام ومعاناة شعب اضطهدته أنت وأبوك، فكم كثيرة هي
الجرائم التي ارتكبتها بحق هذا الشعب!

فليس هناك من خلاف شخصي بيننا، إن صراعنا ضدك هو من أجل الإسلام، فأنت تبدد جميع ثروات
إيران وتقدمها للأجانب، ونحن نرفض ونقول: يجب أن لا يحصل هذا الأمر. يجب أن يتنعم الشعب بثرواته،
يجب أن تصرف هذه الثروات لإشباع جياح الشعب، إذ أن هدفنا الأول هو إشباع هؤلاء المعذرين الذين
يجولون الأزقة والشوارع ولا يملكون سوى المعاناة والآلام. ماذا قدمتم للفلاحين الذين بشرتموهم بإجراء
(مشروع الإصلاح الزراعي)؟ كان هدف ذلك المشروع هو تأمين المصالح الأميركية والحفاظ عليها، فأنجزتم
من خلالها مهمة أوكلتها إليكم أميركا، وجعلتم البلد محتاجا لأميركا وللأجانب في كل شيء.

إن معاناة الشعب الذي يدوي هتافه الآن، وإن جميع شعاراته تطالب بالحرية والاستقلال. نحن لا نريد أن
تجف منابع ثرواتنا بعد عشرين عاما ونكون حينها بلا نفط، لقد أيدت زراعتنا ولا ثروة لنا الآن. فكيف سيعيش
شعب بلا ثروات؟ وكيف ستعيش الأجيال القادمة؟ نحن مسؤولون تجاه الأجيال القادمة. يجب أن نوظف كامل
قوانا لقطع أيدي هؤلاء عن مخازن الشعب، وكى نحافظ على النفط للأجيال القادمة. بالطبع يوجد النفط في
إيران بكثرة لكنهم ينهبونه ويقدمونه لأسيادهم مجانا. وبلايت اكتفى أسيادهم بأخذه مجانا، لكنهم يشيدون
عوضا عنه قواعد عسكرية تضمن مصالحهم. يعطوننا الأسلحة ويبنون قاعدة عسكرية لهم في جبال كردستان.
إن جميع هذه الأسلحة لا تنفعنا. فما جدوى أسلحة لا يعرف الجيش كيف يستخدمها. إن المعادلة التي تدور
ضمن قواعدنا هي كالتالي: ينهبون منا النفط ويقدمون لنا عوضا عنه أسلحة لا تنفعنا، أسلحة تضمن معالمهم
وتخدم أغراضهم وأهدافهم في المنطقة. ويدعون أنهم يشيدون هذه القواعد لمواجهة الخطر الشيوعي ونفوذ
الاتحاد السوفيتي في المنطقة. أما عملاؤهم في إيران فيبررون كل هذه الكوارث بحجة أن بلدنا بحاجة للتقدم
والتطور وأن تكون قدرته العسكرية متفوقة في المنطقة، ولذا فهم، بزعمهم، يوافقون على هذه المشاريع في
حين أن الملك صرح بنفسه قبل عدة سنوات: "...إننا لا نحتاج إلى أسلحة.. نحن لدينا أسلحة بمقدار يكفي
لإدارة شؤوننا" فهل نصدق؟ إنه يريد توظيف هذه الأسلحة لقتل الناس ولإبادةهم فهذه الرشاشات التي
استوردوها سابقا، يقتلون اليوم أبناء الشعب. فليس للملك من عمل آخر غير قتل الناس وإراقة دمائهم. وعقد
صفقة كبيرة لشراء الأسلحة فيما بعد بأمر من أميركا، وقال: "إن لأسلحة العراق قدرة فائقة تمكننا من القيام
بأعمال خارقة في يوم واحد". وقوله هذا محض كذب، إذ أن شراء الأسلحة كان مفروضا عليه من قبل أميركا
التي تعزز موقعها العسكري في إيران عن طريق بناء قواعد عسكرية لها في هذا البلد ووجود مستشاريها
العسكريين وكميات كبيرة من الأسلحة لا خبرة للجيش الإيراني في استخدامها. وأميركا لا تفصح بالطبع عن

حجم قواعدها العسكرية في إيران، إذ يسبب ذلك لها معارضة الاتحاد السوفيتي، وقد يؤول الأمر إلى صراع بينها.

وبحجة أنهم يعوضون النفط الإيراني ببضاعتهم، يصدرون لنا الأسلحة ويبنون لأنفسهم قواعد عسكرية في أراضينا. إن معاناة شعب تكمن في وجود حاكم خائن ابن خائن. أبوه أيضا كان خائنا. لقد ضجر الشعب الآن من هذا الديكتاتور ولم يعد يطيق وجوده.

فالجُميع، من الأطفال إلى الرجال المسنين، يقولون اليوم إنه ليس بملك. فالملك هو من يوافق الشعب على وجوده^(١)، وحينما يرفضه جميع الشعب فكيف يمكن أن يكون ملكا؟! والمجلس أيضا ليس بمجلس. ولم يحمل مصداقية منذ تأسيسه. إنني على اطلاع تام بتاريخ هؤلاء^(٢) وأتذكر الأحداث منذ مجيء رضا خان إلى الحكم عبر انقلاب آنذاك وإلى الآن.

إنني أتذكر جميع تلك الأحداث. أتذكر المجلس التأسيسي الذي تم تأسيسه بالحرب^(٣)، هذا المجلس المزعوم لم يكن مجلسا حقيقيا ولا في يوم واحد على الإطلاق. فمنذ زمان رضا شاه إلى يومنا هذا لم يكن لدينا مجلس حقيقي كي يذهب الناس باختيارهم إلى صناديق الاقتراع.

(١) تنص المادة ٣٥ من تمة الدستور السابق على ما يلي: السلطنة هي وديعة فوضت إلى الملك من قبل الشعب.

(٢) ولد سماحة الإمام في زمان سلطنة مظفر الدين شاه قاجار (١٣٢٠هـ-ش). وقد وقعت في حياته جملة من الحوادث، كإقرار دستور المشروطة (١٢٨٤هـ-ش)، وموت مظفر الدين شاه، وتولي محمد علي شاه الحكم في نفس العام، وإقالة محمد علي شاه ونفيه (١٢٨٧هـ-ش)، ثم تولي أحمد شاه الحكم وهو في ١٢ من عمره، وتولي رضا خان الحكم بعد أن أقام أحمد شاه (١٣٠٤هـ-ش) وسقوط حكومة رضا خان بانقلاب دبّره ابنه محمد رضا عام ١٣٢٠هـ-ش. ويشير حديث الإمام إلى فترة حكم رضا خان وتأسيس مجلس الشعب في هذه الفترة الزمنية. ويوجد كراس شعري يرجع تاريخه لفترة شباب الإمام يدل على المكانة البارزة التي كانت تتبوأها عائلة الإمام ومعرفة سماحته - وهو في بداية عمره الشريف - بالحياة السياسية آنذاك. وقد نظم قصائد هذا الكراس أشهر الشعراء الإيرانيين، وتطرق في قصائد للأوضاع السياسية والاجتماعية المتأزمة. وقد أعاد الإمام كتابة هذه القصائد وهو بين التاسعة والعاشر من العمر. وكان موضوع إحدى القصائد هو احتلال جزء من الأراضي الإيرانية من قبل إنكلترا وروسيا، وحث الإيرانيين على الثورة ومواجهة الأعداء. يذكر أن العقيدة هي من نظم الشاعر الإيراني محمد تقي بهار الملقب بملك الشعراء.

(٣) بعد المصادقة على المادة الأولى من دستور "مجلس الشورى الوطني" في عام ١٢٠٤هـ-ش أجريت انتخابات مجلس المؤسسين لنقل السلطة من السلسلة القاجارية إلى العائلة البهلوية. وكان يحق انتخاب الأشخاص الذين وافقوا سابقا، على الحكم البهلوي في منزل قائد القوات، ولكن القوات العسكرية كانت تقود الناس بالقوة إلى صناديق الاقتراع ويقدمون لهم قائمة يرغمون الناس على وضعها في الصندوق. كما تمت الموافقة على المادة الأولى التي أعدت في منزل قائد القوات وكان مضمونها كما يلي: يعلن مجلس الشورى الوطني باسم الشعب انقراض السلسلة القاجارية وأن تستلم الحكومة المؤقتة شؤون الحكم وتعمل ضمن الدستور والقوانين المسنّة، ويرأس السيد رضا بهلوي الحكومة المؤقتة، كما أوكل في هذه المادة تعيين المصير النهائي للحكومة إلى رأي المجلس التأسيسي، والذي يعتبر مسؤولا عن إعادة النظر في المواد المتممة للدستور ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠. وبعد المصادقة على المادة التي تقرر إقالة أحمد شاه وقبيل تشكيل المجلس كان من المقرر أن ينتخب الشعب قائد القوات حاكما مدى الحياة وأن يعين مجلس الشعب نائبا له فيما بعد. ولكن بعد أن بدأ مجلس الشعب ممارسة حكمه التي أوكلت إليه نقض رضا خان المادة الأولى من الدستور وحصر الحكم إرثا في سلالته. وأخيرا أمر مجلس المؤسسين المادة الأولى من الدستور ووافق على أن يستلم الحكم في إيران رضا بهلوي وعائلته. يذكر أن مجلس المؤسسين حرّف المواد ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ من متمم الدستور.

إن جميع أعضاء المجلس خونة، ولكننا نعلم أنهم ذهبوا إلى المجلس بأمر من الملك ودون أن يطلع الشعب على سير أعمالهم. إن أول إشكال يرد على أعضاء المجلس أنهم كانوا مطلعين على مجرى الأمور. إذ لا يمكن القول إنهم لم يكونوا ضمن المساهمين في صياغة الأحداث أو أنهم جاؤوا من وراء الضباب، فهم مطلعون أكثر من الشعب ويعلمون أن حضورهم في مقر المجلس لم يكن بانتخاب الشعب لهم، لقد تم إعداد قائمة من إحدى السفارات وتم تعيينكم على ضوءها. وأنتم تعلمون بذلك ورغم ذلك حضرتم في مقر المجلس.

إن الإشكال الذي يرد على هؤلاء والذين يدعون الآن الوطنية هو سبب ذهابهم إلى المجلس. سيقولون كنا مرغمين على ذلك، لكن لم يجبركم أحد أن تحضروا في المجلس. لقد كنتم مجرد مرشحين لكنكم ذهبتم ووافقتم على جميع الأعمال. واليوم تقدمون تبريرات واهية، كنتم تريدون أن توفروا لأنفسكم مكانة ووجاهة.

إن الإشكال الجوهرى الذي يرد عليكم هو حضوركم في مجلس هو في أساسه يخالف الدستور الذي يصر على أن يكون أعضاءه من الذين انتخبهم الشعب. إذ منح الدستور للناس حرية الانتخاب ولا يحق لأية سلطة أن تسلب الناس هذه الحرية.

والملك مجرم حسب الدستور، ومقال عن جميع مناصبه. إن الملك خائن ويجب عزل الخائن. فالملك يعمل خلافا لمصالح الشعب وخلافا للصلاحيات التي أوكلها له الدستور، وهو أساسا ليس بملك، فهو غاصب وناهب، وهو الآن يعارض أن يقال من مناصبه، في حين يجب علينا أن نعزله لأنه خائن وناهب ثروات الشعب.

وإن هدفنا هو فضح هذا السارق الذي نصبه الأجانب علينا. فأمركا تؤيده من جانب، كما يؤيده كل من الصين والاتحاد السوفيتي لأجل الدفاع عن مصالحهم إذ ليس هناك من خادم أكثر حماقة منه ولا يوجد من يضاهيه في منحهم ثروات الشعب بالمجان. فالغاز الطبيعي الذي هو ملك الشعب الإيراني، ينهبه الاتحاد السوفيتي فيما تتقاسم أميركا وإنكلترا حصتها من النفط. كما غدت أراضي الخصب هدية لملكة إنكلترا وأشخاص آخرين. والمعلومات التي وصلتنا قريبا تشير إلى أن الملك منح غاباته الشخصية إلى شركة أجنبية.

لقد أصبحت الثروات كفريسة تحيطها الكلاب من كل صوب، كل يجرها إلى جهته، وهكذا أصبحت إيران كفريسة يحاصرها المستغلون. وكل يحاول أن يضمن حصته من النفط بواسطة سلطة إجرائية تنفيذية يطلق عليها اسم (العائلة البهلوية).

نحن نعارض هذا الوضع المؤلم، ومن المؤلم أيضا أن بعضهم راح يصرح أن الملك منح لشعبه حرية في غير محلها، تسرع في منح الحرية للشعب! لكن أية حرية يدعونها وهم الذين خططوا لأبشع الجرائم في همدان، من منا لا يعلم بجرائمهم التي ارتكبوها قبل عدة أيام في كرمان. لقد شاع قتل الناس على أيدي أعوان السلطة في كل إيران. وقد جن الملك وانهارت أعصابه، ولذا فهو يشكل خطرا كبيرا على الشعب الإيراني ويجب أن يخلعه الشعب بسرعة ويتخلص منه.

وأنا أستغرب من الجيش كل الاستغراب، ومن بعض شبابنا الذين يعيشون الخطأ. فالملك قد أساء لسمعة الجيش من أجل أهدافه الشخصية، من أجل أهداف أسياده الأجانب. فللجيش الآن سمعة سيئة الصيت، فهو ينفذ ما يخطط له الأجانب وعميلهم الملك. كما أن الملك يجمع الشعب بقوة الجيش كما حدث ذلك في الخامس عشر من خرداد ١٣٤٢ أو بواسطة قوات الكوماندو وهؤلاء جميعاً أساءوا لسمعتهم من أجل مصالح هذا المجرم وأسياده الأجانب. وإنها لمسألة تثير التعجب أن يرتكب شخص من أبناء هذا الشعب جرائم بحق إخوانه وأهله من أجل الملك رغم علمه أن الملك شخص خائن يسعى لإدامة حياته الخيانية بضعة أيام أخرى.

وأستغرب من بعض شبابنا الذين خدعهم جهاز الأمن الملكي بأشكال وحيل مختلفة، لقد ورط الكبار هؤلاء الشباب أن يرددوا في الجامعات شعارات تنافي الإسلام والوطنية، ويثو بين الناس ما يثير مخاوفهم فيما إذا غادر الملك البلاد. كأن ستصبح إيران بلداً شيوعياً.

لقد أصبح هؤلاء الشباب أداة ولعبة بيد كبار رجال المخابرات، وهؤلاء المتنفذون في جهاز (السافاك) ليسوا شيوعيين إنما يدعون الشيوعية حيث تقضي الظروف أن يؤديوا هذه اللعبة، وبالنتيجة فهم يرغمون شبابنا على ترديد شعارات شيوعية تمكن أميركا من الادعاءات مغادرة الملك لإيران سيجر إيران نحو المعسكر الاشتراكي. ويتصور البعض خطأ أن لهذه القضية صلة بالشيوعية وبحزب "توده"، وإنني لأستغرب من هؤلاء، إذ بات جميع الشعب الإيراني من أطفاله وكسبته وجميع الطبقات يعلم بحقيقة الثورة فلماذا ينخدع هؤلاء الشباب، إنها لحماقة ترتكب لصالح نظام الملك ولن يسمح المسلمون أن يستثمر بها النظام الملكي.

وأنا أتوقع منكم أنتم أيها السادة الأفاضل وعلى اعتباركم شريحة واعية ومثقفة أن تنقذوا شبابنا الذين خدعهم وورطهم رجال النظام. لقد أخطأوا، لم يقرأوا الأحكام الإسلامية ولا يعلمون أن القرآن يبني الإنسان ويسمو هذه المسائل، ولا إطلاع لديهم على الاقتصاد الإسلامي. ولقد شاركوا في الأحداث بعيون وآذان مغفلة. وقد خدعهم أشخاص يفتقدون لأبسط المعلومات عن الإسلام والعقائد الإسلامية. إن أسيادهم يكثرون الحديث عن الخطر الشيوعي وهم بدورهم يخدعون الشباب بهذه الأكاذيب. وأنتم أيها السادة الحضور أشخاص مثقفون ومسلمون ووطنيون، فانقذوا أبناءنا لا تتركوهم يسقطون في فخ أولئك المجرمين، إنه فخ مدبر من قبل رجال الأمن وليس فخ الشيوعية، إنهم يقضون على شبابنا بهذه الشعارات ويرغمونهم عليها، ثم يقومون بنفسمهم باعتقال الشباب بتهمة ترديد شعارات شيوعية.

لا تدعوا الأحداث تجري لصالح الملك ولصالح أميركا والاتحاد السوفيتي وسائر القوى. أنقذوا الشباب. وثمة تكليف آخر مطالبون نحن به، نحن الذين نعيش في الخارج، وهو أن للشعب حقاً علينا، فهو الآن يسكب دمه من أجلنا ويضحى بشبابه، الآن نعم الاضطرابات كل أرجاء إيران. هناك ثورة حقيقية، والشعب يخرج مطالباً بالحرية ويعلن عن رفضه السلطة البهلوية الحاكمة، إذ أن هذه العائلة الظالمة نهبت ثرواتنا وسلمتها بيد الأجانب. ونحن الذين نعيش في خارج إيران مدينون لأولئك الذين يضحون بالغالي والنفيس، نحن مسؤولون

عند الله تعالى ومطالبون بالقيام بدورنا تجاه شعبنا. يجب أن نمد يد العون لأبناء شعبنا، إن الدعم الذي يمكننا أن نقدمه لشعبنا هو أن نعرف العالم بقضيته المحقة. ففي الجامعات والمعاهد التي تدرسون فيها، لكم أصدقاء كثير، وإذا رأيتم عشرة أشخاص مجتمعين فحدثوهم عن أوضاع إيران لأن المجتمع متشوق للاستماع لأخبار إيران. أطلعوهم على حقيقة الملك والجرائم والمجازر التي يرتكبها باستمرار. أطلعوهم على معاناة الشعب الإيراني.. إنها تكمن في وجود الملك، وأن الحل الوحيد هو أن يغادر البلاد. وإن العلاج الأفضل للأحداث هو أن ترفع أيادي "كارتر" وزعماء وقادة الكريملين وإنكلترا عن أمور الشعب. أي أن يحصل الشعب على حريته في تقرير مصيره. فماذا يعني أن تأتي من أقصى العالم أياد أجنبية لنهب نفطنا مجاناً. بل أسوأ من المجان! أفصحوا عن هذه الأمور لجميع الأشخاص الذين تلتقونهم سواء في أميركا أو في أوروبا. أخبروا الطلبة الجامعيين الذين تلتقونهم بأهداف شعبكم. إن كل شخص ستحدثونه بهذه الأمور سيقوم بدوره في إطلاع عشرة أشخاص آخرين. وبعدها سيساهم هذا العدد في إيجاد تيار واع بحقيقة ما يحدث في إيران. ستخدم هذه الجهود قضية الشعب الإيراني.

وإنني أدعوكم ثانية أن تطلبوا من كل من تلتقونه ليتضامن مع الشعب الإيراني بعد إطلاعه على الأحداث، إن المواقف الحاصلة في هذا الشأن ستجعل الشعب الأميركي يتضامن مع الشعب الإيراني ويكتشف الوجه الحقيقي لحكومته والممارسات البشعة التي ارتكبها ضد الشعب الإيراني. وسيعرف الصورة السيئة للحكومة الأميركية في أذهان الشعب الإيراني. وهذا انجاز عظيم نسعى لتحقيقه بالتدريج.

ووفقكم الله جميعاً وحفظكم لخدمة الإسلام وشعبكم المسلم، وسيتحقق بعون الله ذلك اليوم الذي تديرون فيه بلدكم وتخدمون أبناء شعبكم وطرد الأجانب المستغلين. (الحاضرون: إن شاء الله).

هوية الخطاب رقم - ٤٥

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٢ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: التوضيح في سبيل الله وسيرة الأنبياء وطريق الأولياء.

المناسبة: إطلاق سراح عدد من السجناء السياسيين.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في ٣ آبان ١٣٥٧ أطلع الإمام الخميني على خبر إطلاق سراح عدد من السجناء السياسيين^(١) الذين لاقوا أصناف التعذيب على أيدي مجرمي السافاك. وقد خصص الإمام جزءاً من خطابه لهذا الموضوع، قائلاً: "حسنًا الآن يهدرون خمس سنوات أو أكثر من عمر إنسان مسلم في السجون والزنايات المظلمة. يهدرون خمس أو عشر سنين أو أكثر من عمر الإنسان ثم لا يعتبرون ذلك بشيء مهم. كأن يقولون له: أنت الآن حر، وانتهت المشكلة بكل بساطة!! ويريدون من الشعب أن يهدأ وأن يتصالح معهم بعد أن قاموا بإطلاق سراح سجناء لم يكن لهم أي ذنب، يريدون أن يتصالح معهم الشعب بعد أن أطلقوا سراح السجناء!!".

وقد اطلع الإمام الخميني على خبر إطلاق سراح السجناء من جهة وعلى مجرى الأحداث الأخيرة في إيران من جهة أخرى، والتي مفادها أن قوات حكومة "المصالحة الوطنية" واجهت بعنف التظاهرات السلمية، وقد استشهد عدد كبير من المتظاهرين في كل من همدان وقم وكركان. وإلى الحد الذي لم تستوعب مستشفيات المدن عدد جرحى الحوادث الأخيرة^(٢)، وأشارت أخبار أخرى إلى وجود مظاهرة كبيرة تكونت من ثلاثة آلاف من عمال مصانع السيارات في مدينة آراك، العمال الذين لم يتجرأوا على المطالبة بحقوقهم لسنين طويلة. وفيما إذا طالب أحد العمال بحقوقه المشروعة فكان نصيبه الإعتقال والتعذيب في السجون على أيدي قوات الأمن الملكي، الأمر الذي اضطر العمال لاتخاذ موقف الصمت.

وقد قام المتظاهرون بقطع المسافة الواقعة من معاملهم إلى مدخل المدينة وهم يرددون شعارات يطالبون فيها بحقوقهم. واشتبكوا مع الشرطة في مدخل المدينة. كما هاجمت الجماهير الغاضبة في "رشت" مقر حزب "رستاخيز"، والذي كان مركزاً يتواجد فيه رجال الأمن لاتخاذ القرارات الظالمة بحق الشعب.

(١) راجع الهامش (١) من هذا الخطاب، علماً أن صحيفة "اطلاعات" نشرت أسماء مئات الأشخاص الذين أطلق سراحهم في ٣ من آبان

١٣٥٧.

(٢) راجع الصحف الصادرة بتاريخ الثاني والثالث من شهر آبان ١٣٥٧.

ومن الأحداث الهامة في تلك الأيام، تصريح وزير الخارجية البريطاني الذي توقع فيه أن انهيار النظام الملكي سيوجه ضربة قوية لمصالح بريطانيا وأميركا. ففي لقاء صحفي معه أعلن وزير الخارجية البريطاني أن بعد سقوط حكومة شريف إمامي ستولى الجناح المتشدد زمام الأمور ثم يسيطر الشيوعيون على الحكم. وكان وزير الخارجية البريطاني يتجاهل شعارات الشعب ومطالبه المتمثلة بالاستقلال.. والحرية.. والجمهورية الإسلامية.. وإطاعته لقيادة الإمام الخميني.

كان العالم يعيش في حيرة جراء أحداث الثورة الإسلامية. أما وكالة المخابرات المركزية الأميركية (C.I.A) والتي كان من المشاع عنها أنها تتنبأ بالثورات في كل بقاع العالم، أو لديها اطلاع كامل على جذور الثورات والنهضات، على الأقل، كانت هي الأخرى قد أصيبت بالحيرة. ففي الجواب الذي قدمه وكيل المخابرات الأميركية على سؤال استفسر فيه بعض الصحفيين عن سبب معارضة الشعب الإيراني للشاه، قال: "... إن السبب الرئيسي في أحداث إيران هي العناصر المحافظة (المعتدلة) دون أن يوضح من يقصد بالمعتدلين أو إلى أية شرعية ينتمون" فيما يعلم الجميع أن الثورة الإيرانية هي ثورة جميع الذين ثاروا ضد الظلم الملكي الذي دام خمسين سنة، وهي ثورة أولئك الذين يسعون بتظاهراتهم وتضحياتهم لعزل الملك وطرده من إيران وضرب التدخل الأميركي وإقامة حكومة قوامها العدل والأسس الإسلامية الرفيعة.

وفيما كنت الثورة الإسلامية في إيران تقترب كل يوم من ذروتها وتحقيق أهدافها، اجتمع رؤساء جمهورية مصر و"إسرائيل" في "كامب دايفيد" وعقدوا معاهدة السلام، بعد أن صافح بعضهم الآخر، وبعد أن تجاهلوا حقوق ملايين الفلسطينيين، وقد كان واضحاً الارتباط الوثيق والمصير المشترك بين الثورة الإسلامية وبقية الشعوب المسلمة، خاصة الشعب الفلسطيني، وهذا ما أفصحت عنه الشعارات التي كان يرددتها المتظاهرون في جامعة طهران حيث هتفوا هناك: "الموت لهؤلاء المفسدين الثلاثة كارتر والسادات وبيغن".

وفي تلك الأيام وصل حسني مبارك، نائب رئيس الجمهورية المصرية حينها، إلى طهران وأطلع الملك على نتائج "اتفاقية كامب دايفيد"، ثم غادر طهران بعد عدة ساعات.

لقد كان للحضور الفعال للإمام الخميني وإرشاداته وتوجيهاته القيمة دور بارز وكبير في إحباط جميع المؤامرات التي كان يخطط لها الأعداء ضد الثورة الإسلامية، إذ كان الإمام الخميني (س) يوصل صوت الشعب الإيراني إلى مسامع جميع الشعوب المسلمة التي راحت تتضامن مع الشعب الإيراني المسلم وقضيته العادلة. وكان الشعب الفلسطيني أول من قام بتظاهرات واسعة لدعم الثورة الإسلامية، وقد بثت وكالات الأنباء العالمية خبر هذه التظاهرات الكبيرة^(١). من جهة أخرى استمرت إقامة مجالس الفاتحة على أرواح شهداء مجزرة كرمان، وذلك في طهران وباقي المدن الإيرانية، وسلط الخطباء الضوء على هذه المجزرة وسائر جرائم نظام

(١) راجع الصحف الصادرة بتاريخ ١ آبان ١٣٥٧، والصفحتين ٢٠٥ و ٢٠٧ من كتاب دو سال آخر (مصدر فارسي).

الملك. وفي محاولة يائسة قام بها النظام عله يوفق للسيطرة على الأوضاع، أعلن وزير الإعلام والسياحة عاملي طهراني أن هناك تقييما شاملا يخص فاجعة كرمان ستقدم في تقرير يسلم قريبا إلى رئيس الوزراء.

أما التحصيل الدراسي فقد شارف التعطيل التام في جامعات طهران، إذ راح الطلبة الجامعيون يجتمعون كل يوم في ساحة الجامعة وقيمون هناك صلاة الجماعة ثم يرددون شعارات ضد النظام الملكي الظالم.

على صعيد آخر، قام أهالي كركان بترتيب مظاهرة واسعة ضد النظام وهجموا على مقر قوات الأمن في مركز المدينة ثم تفرقوا بعد أن فتح أزالام النظام النار عليهم من نفس المبنى في طوق رجال الشرطة الشوارع المحيطة بالمبنى.

أما بخصوص ما يسمى بالمجلس الوطني فكان يباشر أعماله المضحكة بإقامة جلسات تقرأ بها البيانات الفارغة. وفي برنامج مضحك مدبر سلفا شكل الأعضاء مجاميع أكثرية وأقلية، وهاجموا الحكومة، فيما أصر بعضهم الآخر أن يدعم الحكومة رغم رفض الجماهير لها.

أما حكومة شريف إمامي فكانت تتخبط في مواقفها السياسية المتقلبة، فأحيانا تعد الجماهير بإجراء إصلاحات وتأمين حقوق الموظفين ومعاقبة جميع الخونة، وأحيانا تلجأ إلى التهديد والتخويف وإراقة الدماء.

وفيما كانت الدول الكبرى كأمركا وإنكلترا^(١)، تعلن دعمها لسياسة الملك، كان للإمام الخميني الكلمة الحاسمة التي هي في الحقيقة كلمة الجماهير المسلمة. وكان قائد الثورة الإسلامية يحبط كل المخططات الاستكبارية من مقره الذي هو بيت بسيط في قرية نائية بفرنسا. من أقوال الإمام (س) في ذلك الحين: "نحن نريد أن نحقق للشعب استقلالية، نريد أن نتحرر من هيمنة أميركا وإنكلترا وروسيا، وبالطبع لا يتحقق هذا الأمر إلا بالتضحية بالأرواح.. ولا خوف، لدينا من السجون، ومهما قدمت الدول الكبرى دعمها لهذا النظام المجرم، سيعمد بوجههم ومعلنا رفضه لهم ولعملهم الملك. أن يقول الشعب "كلا"، فهذا ما لا تستطيع لا المدافع ولا الدبابات أن تقف بوجهه أو أن تقلل من عزمه. إن شعار الشعب هو "لا تأثير للمدفع والدبابة والرشاشة بعد اليوم..".

(١) أعلنت إذاعة موسكو الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الحاكم في الاتحاد السوفيتي أن المخابرات الأميركية تسعى إلى إيصال حكومة عسكرية في إيران، علما أن السياسة السوفيتية قد اتخذت موقف الحياد من أحداث إيران في الوقت الذي كانت فيه الدماء تراق في جميع أنحاء المدن الإيرانية. وفي ذات الوقت الذي كانت السلطة الملكية على وشك السقوط كانت إذاعة موسكو تؤكد على استمرارها في المواقف السابقة للاتحاد السوفيتي تجاه إيران. وكان هذا الموقف بمثابة إعطاء الضوء الأخضر للأميركان ليقوموا بجرائم أكثر وأكثر. لمزيد من التفصيل راجع الصفحة الأولى من جريدة "اطلاعات" الصادرة بتاريخ ٣ آبان ١٣٥٧.

الخطاب رقم - ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلن اليوم عن إطلاق سراح بعض السجناء السياسيين. ومن المقرر أن يتم الإفراج عن بعضهم الآخر^(١).

لنتفحص هذا العمل. وهل بإمكانه أن يقلل من جرائمهم؟.. ماذا يعني أن يسجنوا شخصا لمدة خمس أو عشر سنوات أو ما يزيد عن ذلك أو ينقص، ويعذبونه كل أنواع التعذيب ويسلبون منه حريته، ثم يقولون له بعد ذلك، أخرج أنت الآن حراً! وكأن شيئاً مهماً لم يحصل!!^(٢)

يريدون منا أن لا نعترض على جرائمهم بعد أن أطلقوا سراح عدد من العلماء وآخرين من مختلف الشرائح. كما يريدون من الشعب أن يهدأ وأن يتصالح معهم. في الحقيقة إن الأوضاع لا تسمح لهم اليوم أن يمارسوا شتى أصناف التعذيب وأنهم يتشبثون اليوم بكل شيء لإنقاذ أنفسهم، فقد تكاتف واتحد جميع الشعب ضدهم. إن مجرد إطلاق سراح السجناء السياسيين لا يمكن أن يعوض عن هذه الجرائم التي ارتكبها الملك ضد أبناء شعبنا المسلم. فهذا الملك الذي يحكم إيران منذ ثلاثين سنة قد أعاد إلى الأذهان حكم جنكيز خان، إذ قتل عددا كبيرا من المسلمين وسلب من الناس حقوقهم الطبيعية وحرّمهم من مطالبهم المشروعة. ويقول الآن: "حسنا لقد أطلقنا سراح السجناء السياسيين فبماذا تطالبوننا من بعد الآن؟".

إنهم يطالبونك ببعض سنوات من العمر، فبإمكانك أن تعوض واحدا منهم بالسنوات التي سلبتها منه؟ وجعلته يقضيها في الزنانات المظلمة؟^(٣).

(١) كتبت صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٣٥٧/٨/١ ما يلي: "بمناسبة الرابع من آبان، يوم ميلاد الملك، سيطلق سراح ١١٢٦ شخصا من السجناء الذين تم اعتقالهم بتهمة الإخلال بأمن البلاد". وكان كل من آية الله الطالقاني وآية الله منتظري من بين السجناء الذين أفرج عنهم. وذكرت هذه الصحيفة بتاريخ ١٣٥٧/٨/١٠ نقلا عن رئيس المخابرات (السافاك) قوله إن هناك ٦٠٠ شخص من السجناء السياسيين سيتم الإفراج عنهم حتى التاسع عشر من شهر آذر ١٣٥٧.

(٢) عام ١٣٣٥ هـ أمر الملك بتأسيس منظمة تعنى بأمن البلاد وقد أطلق عليها (السافاك). وفي عام ١٣٣٥ تم تشكيل منظمة مشتركة من السافاك والشرطة، بأمر من الملك، وكان أعضاء هذه المنظمة يعتقلون معارضي النظام وينقلونهم إلى السجون السياسية ويذيقون السجناء شتى أنواع التعذيب الجسدي والروحي كالشتم والضرب والاستجوابات الطويلة المستمرة، ومنع السجناء من النوم لعدة أيام، وإجلاسهم على منقل كهربائي، وتكسير الأيدي والأرجل، إضافة إلى قلع الأظافر، وتعريضهم للصعقة الكهربائية، وشد الأرجل بالسقف، وإسماع السجناء أصوات التعذيب بواسطة آلات تسجيل الصوت. ومن الأعمال الوحشية الأخرى التي كان يرتكبها جلادو السافاك أنهم كانوا يدخلون أقدام السجين في قدر مملوء بالزيت المغلي.. ومئات الأنواع الأخرى من الأعمال القبيحة اللاإنسانية.

(٣) المقصود هنا هو الزنانات الانفرادية الضيقة (مساحة أقل من مترين مربعين) والتي كانت تفتقد إلى الضوء وأبسط الإمكانيات الصحية. حيث أن السجناء كانوا يضطرون لأن يناموا فيها نصف واقفين بسبب ضيق المكان. وقد قضى بعض السجناء السياسيين سنوات طويلة من عمرهم فيها.

سلبت منهم عمرا أرادوا أن يقضوه في خدمة شعبهم. ضيعت عشرات السنين من أعمار أبناء الشعب والآن تطلق سراحهم وتقول ماذا تريدون أكثر من هذا؟

نطالبك بالتعويض عن السنين التي سلبتها من أبناء الشعب دون أي جرم ارتكبه. الشعب أيضا يريد منك أن تعوض عن الأعوام التي هدرتها من عمر أبنائه، وهذا التعويض لا يمكن في هذه الدنيا.

إن إحدى الأدلة البينة التي تثبت أن الله (تبارك وتعالى) يجازي ويعاقب هؤلاء الظالمين في العالم الآخر، هو عدم حصول الظالم على جزائه بالنحو الكامل في هذه الدنيا. فافرضوا أنكم اجتمعتم وقمتم بتقطيع محمد رضا شاه إربا إربا، فإنكم حينذاك قتلتم إنسانا حقيرا ظالما واحدا، في حين أنه قام بقتل الآلاف من الناس الشرفاء، قتل الكثير من شبابنا! فلو أن إنسانا ما قتل شخصا آخر، فجزاء القاتل أن يقتل هو الآخر. فماذا لو كان قد قتل عددا كبيرا من الناس؟ يجب أن نعاقبه بالطبع بأشد الجزاء، ولكننا مع ذلك، لا نكون قد عوضنا عن جميع جرائمه. إن قتله لأقل ما قام به من مجازر. وإنه لو كان قد قتل عائلة شريفة واحدة فإن إجراء القصاص عليه لن يكون بحجم جريمته، فكيف به وقد قتل عوائل شريفة. وكيف يمكن لنا أن نفرح أنه قد أصدر عفوا؟! إن الذين اعتقلوهم هم أناس لا يهتمون بعفوك ولا يعيرونه أية أهمية^(١).

ليست القضية قضية عفو، وكأنه تفضل منك على الشعب. إنما أنت مرغم على إطلاق سراحهم. فكثير من المسجونين كانت قد انتهت المدة المقررة، بشكل غير قانوني، أن يقضوها في السجن، ولكنكم احتجتموه لمدة أكثر بلا أي سبب، ومددتم فترة الحكم بالسجن.

لقد قام جلاوزة السافاك بفتح أبواب السجن، وهم أنفسهم الذين ارتكبوا كل هذه الجرائم البشعة، لقد أخرجوا هؤلاء الأبرياء من الزنانات بأمر من الخائن، ويدعون أن المشكلة قد انتهت، وليس هناك من مبرر لثورة الشعب!! في حين أننا في بداية القضية، فيجب أن يحاكم الشعب هؤلاء الجلاوزة، وأن يعاقب المجرم الأول أي الملك. ولو فرضنا أن الشعب قد أجرى عليهم حكم الإعدام فإن هذا الحكم لا يعبر عن الجزاء المتكافئ الذي تستحقونه، فلو فرضنا أننا طبقنا عليهم الحكم فإن كل مئة شخص من هؤلاء العملاء قد قتلوا الآلاف من أبناء الشعب. فقط في إحدى مجازرهم في طهران قتلوا ما يزيد عن أربعة أو خمسة آلاف شخص^(٢) وفي الثورة الأخيرة التي شهدتها همدان يقال إنهم قتلوا أكثر من مئة شخص، وذلك في يوم أمس أو أمس

(١) المخاطب هنا هو الملك المجرم.

(٢) المقصود مجزرة الجمعة السوداء التي حدثت في ١٧ شهر بور ١٣٥٧، حيث تعرض فيها عدد كبير من الناس الذين اجتمعوا في ساحة الشهداء (جاله سابقا) لهجوم العسكر واستشهد آلاف الأشخاص منهم.

الأول، وتعيش هذه المدينة الآن أوضاعا مضطربة^(١). ومنذ الأمس وحتى يومنا هذا تشهد مدينة قم أحداثا عنيفة، حيث دوي الرصاص يعم جميع أرجاء المدينة^(٢) وإلى هذه اللحظة لم يعلم بعد عدد الشهداء.

وفي زنجان أيضا تحدث نفس الأمور^(٣)، كما في كرمان وسائر المدن الإيرانية الأخرى. كما اطلعت جميعا على الأحداث الأخيرة في كرمان. في كل مكان في إيران ثمة مجازر وجرائم مستمرة. والجريمة التي حدثت أخيرا هي جريمة إصدار عفو عن المسجونين، يرتكبون كل الحماقات ثم يصدرون عفوا! وفي الحقيقة أنهم مرغمون على إطلاق سراح السجناء، فلولا الثورة لجمهورية، ولولا ما أبداه الشعب من تكاتف واتحاد وتضحية، لما أصدر هؤلاء ما يسمونه عفوا. إن إجراء القصاص بحق هؤلاء المجرمين لا يمكن أن يتم بالقدر ذاته الذي ارتكبوا فيه الجرائم. فكيف يمكن أن يكون القصاص متعادلا بإعدام شخص قام بقتل الآلاف من الناس؟ وهذا الأمر يدل على وجود عالم آخر يعذب فيه المجرمون ويعاقبون على قدر جرائمهم.

إن الأوضاع في إيران مضطربة للغاية، ولكنها في نفس الوقت تبشرنا بالأمل، فليس من الصحيح أن نوقف جهادنا وأن نكتفي بالتساؤل ماذا نفعل إزاء وضع مضطرب كهذا رغم أننا نرى أن الملك يقوم حاليا بتصرفات جنونية؟..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) كانت الأوضاع متوترة في همدان في شهري مهر وآبان ١٣٥٧، ففي ٣٠ مهر فتح مرتزقة الملك النار على المتظاهرين وقد استشهد جمع غفير من المتظاهرين. لمزيد من التفاصيل راجع صحيفة "اطلاعات" ١٣٥٧/٨/١.

(٢) شهدت مدينة قم في ٢ آبان ١٣٥٧ أكثر الأيام اضطرابا منذ ١٧ شهريور. بدأت التظاهرات في الساعة الثامنة والنصف صباح ذلك اليوم وخلال ساعات قليلة احتشدت الجماهير الغاضبة في الشوارع واشتبكت مع قوات الأمن والشرطة وأسفرت عن جرح بعض المتظاهرين. وفي ٣ آبان ١٣٥٧ كانت قم أكثر المدن الإيرانية اضطرابا. فقد استشهد في تظاهرات ذلك اليوم أكثر من ثلاثين شخصا بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى. (لمزيد من المعلومات راجع صحيفة "اطلاعات" تاريخ ٣ و٤ آبان ١٣٥٧) علما أن قم عاشت أحداثا ساخنة طيلة أيام الثورة إذ كانت ساحاتها وشوارعها محلا لاشتباك الجماهير الثائرة مع رجال النظام. خاصة في شوارع آذر وجهارمردان والحي الذي يقع فيه بيت الإمام القائد المعروف بحي "خجل قاضي".

(٣) في ٢٢ مهر ١٣٥٧ اجتمع المعلمون وجميع العاملين في وزارة التربية والتعليم بالإضافة إلى طلاب المدارس أمام المديرية العامة للتربية والتعليم في زنجان وقرأوا بيانا من ٢٦ فقرة ثم قاموا بمسيرة في شوارع المدينة.

هوية الخطاب رقم - ٤٦

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٢٣ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الملك هو أساس جميع الجرائم.

المناسبة: الرابع من آبان المصادف لتاريخ ولادة الملك المشؤومة.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في الرابع من آبان من كل عام يحتفل النظام بذكرى ولادة الملك، وقيم مراسم مفتعلة تصحبها ضجة إعلامية مكثفة وصرف أموال طائلة تقدر بمليارات الريالات. ويفرض على الدوائر الحكومية الرسمية أن تحتفل بهذه المناسبة. كما كان رجال الشرطة، وفي كل عام، يجبرون أهالي وكسبة المدن والنواحي والقرى على نصب صورة الملك والعلم الرسمي على أبواب متاجرهم. في الرابع من آبان ١٣٥٧ لم يحصل أي من هذه البرامج.

وقد أظهر عدد كبير من شباب طهران استياءهم في هذا اليوم من نظام الملك، وذلك في برنامج منظم ومنسجم. ارتدوا فيه ملابس الحداد وشاركهم في المظاهرات السجناء السياسيون الذين تم إطلاق سراحهم مؤخرا. وقد ارتدوا هم الآخرون ملابس سوداء وحملوا باقات الورد تكريما لدماء الشهداء واتجهوا صوب "روضة الزهراء". كما حضر بعض الموظفين وعمال الإذاعة والتلفزيون في محل عملهم مرتدين ملابس الحداد. ومن أحداث ذلك اليوم أن جنديا مكلفا شجاعا يدعى حسن فرد أسدي نفذ حكم الإعدام الثوري بحق الحاكم العسكري لمدينة جهرم "نادور". ويذكر أن "نادور" كان يتصرف بمتهى القسوة ضد أهالي هذه المدينة، وذلك خلال فترة الأحكام العرفية. كما كان قد قام هذا المجرم (نادور) بإعطاء أوامر للقوات العسكرية بفتح النار على المتظاهرين مرارا، وللأسف تم اعتقال منفذ هذا العمل البطولي.

كما أفادت الأخبار التي أرسلها الصحفيون عن قيام تظاهرات واسعة استشهد وجرح فيها عدد غفير من الأبرياء وذلك في دزفول وإقليم فارس في جنوب البلاد. أما زنجان فقد شهدت تظاهرات دامية أحرق فيها المتظاهرون مراكز الفساد والبنوك والمؤسسات الحكومية، وذلك في أكثر من نقطة في المدينة. ولم يعلن عن عدد الشهداء والمجروحين في تلك الأحداث. ومن جهة أخرى كانت جامعة طهران ساحة لتظاهرات الطلبة الجامعيين، وقد فتح جلاوزة النظام النار على الطلبة الذين جرح عدد منهم نتيجة لإصابتهم بالرصاص. وقد قام طلبة آخرون بإخراج الجرحى ونقلهم فورا إلى المستشفيات.

أما الحاكم العسكري لمدينة أصفهان (الفريق ناجي) فقد كان يأمر القوات التي يرأسها بإطلاق النار على المتظاهرين في هذه المدينة. ونتيجة لهذه الجريمة فقد استشهد وجرح عدد كبير من أهالي أصفهان وسالت الدماء في الشوارع.

ولم يحدد عدد الشهداء في ذلك اليوم، لكن مستشفيات المدينة كانت تطالب الناس التبرع بالدم. وحسب التقارير الصحفية فإن ما شهدته أصفهان في ذلك اليوم من أحداث دامية كان يمثل أكثر الأحداث دموية في تاريخ هذه المدينة ما بعد الإعلان عن حالة الطوارئ.

وفي قم ومشهد وآباده وكركان ورضائية (ارومية) وشاه آباد غرب (إسلام آباد) وبهبهان ويزد وإيلام ورودسر ومياندوآب وفيروز آباد فارس، إنتهت المظاهرات الجماهيرية باشتباكات مع جلاوزة النظام، وأسفرت عن استشهاد وجرح عدد كبير من المتظاهرين.

ومن أحداث هذا اليوم الإفراج عن عدد من المعتقلين السياسيين، وقد استقبلهم الناس بحفاوة وتقدير وتوجّوهم بباقات من الزهور. وقد عاد السجناء إلى عائلاتهم من بعد سنين طوال قضوها في السجون ولاقوا فيها شتى أنواع التعذيب على أيدي رجال السافاك المجرمين.

وعلى صعيد آخر، قامت في طهران تظاهرات موسعة وشملت مناطق عديدة في هذه المدينة الشائرة. وذكرت التقارير الصحفية أن ستة من المتظاهرين استشهدوا برصاص القوات الحكومية ونقل الجرحى إلى مستشفيات متعددة. وفي مساهمة لإنقاذ الجرحى رتب بعض الشباب مسيرة وهم مستقلون الدراجات النارية وراحوا يجوبون شوارع طهران مطالبين الناس بالتبرع بالدم. اثار ذلك اجتمعت طوابير من الناس أمام المستشفيات واهدوا مقادير من دمهم ولم يتركوا أماكنهم رغم تهديد رجال الشرطة.

أما مدينة قم فقد كانت تشهد تظاهرات وأحداث ساخنة في الخامس عشر من خرداد ومرورا بالسابع عشر من شهر دي ١٣٥٦. وكان للمدينة في الرابع من آبان ١٣٥٧ وجهها جذابا إذ ارتدى أغلب الناس ملابس الحداد ونصبوا الأعلام السوداء على أبواب متاجرهم وبيوتهم، علما أن ارتداء الملابس السوداء قد أشيع بواسطة البيانات الخطية التي كتبها جمع من العلماء المجاهدين في قم، ووزعت هذا البيانات في جميع أرجاء إيران بما فيها العاصمة طهران، وقد حظيت هذه الفكرة بقبول الجماهير. وقد أرسل مراسلو وكالات الأنباء هذا الخبر على اعتباره حدثا فريدا.

وفي التظاهرات التي عمت جميع المدن الإيرانية في هذا اليوم كان شعار "الموت للشاه" .. "تحية للخميني" .. مدويا، خصوصا وأن الجماهير كانت تزداد عزيمة يوما بعد يوم معلنة رفضها للنظام الحاكم.

وفي مراسم الاحتفال بولادة الملك، قال رئيس الوزراء جعفر إمامي: "يتقرر الرابع من آبان من هذا العام مع التنفيذ التام لحرية الرأي والمعتقد". وأشار الملك في هذا الاحتفال إلى بعض المسائل قائلا: "من المؤكد أنه قد

حصلت بعض الأخطاء. كما من المؤكد أيضا أن عددا من الناس قد انصرفوا عن الطريق الصحيح، كما كانت هناك أمور غير منظمة، ولكن هذه أمور يمكن تلافيها وإصلاحها". وفي مقطع آخر من حديثه أضاف الملك: "لقد حصلت بعض الأخطاء ولكن يجب على البلد أن يتماسك ونحن من المعتقدين بالحرية والانفتاح السياسي ولا بد من الحرية. وأنتم ترون أن الصحف تتطرق لكل الأمور وهذا مؤشر واضح على وجود الحرية".

واعترف الملك بوجود آلاف السجناء وقال: (تم الإفراج عن آلاف الأشخاص الذين كانوا معتقلين في السجون. وقد قمنا بهذا العمل الآن وسنكرره في أقرب فرصة مؤاتية وسترون بأعينكم الانفتاح السياسي والتعددية"^(١)).

من جهة أخرى، كانت الولايات المتحدة الأميركية تأمل بقاء الملك على دفة الحكم وتسعى إلى ذلك بشتى الطرق. ولذا قال "كارتر" في رسالة بعثها إلى الملك بمناسبة الرابع من آبان: "... إن المشكلات الراهنة ستزول عن قريب وسوف يظهر الشعب الإيراني قويا في ظل التقدم السياسي الذي تقومون بإجرائه وتطبيقه. وإنني أستاذنكم لأؤكد لكم مرة أخرى أن الولايات المتحدة الأميركية تولي أهمية فائقة لروابطها الراسخة والقديمة مع إيران"^(٢).

كما بعث كل من "فالتشل" رئيس جمهورية ألمانيا الغربية، و"هاكوفنك" زعيم الصين، برقيات تبريك للشاه بمناسبة ذكرى ولادته. ولا بد من الإشارة أن "هاكوفنك" هو الشخصية الوحيدة التي وفدت إلى طهران آنذاك وحل ضيفا رسميا على الملك وذلك في ١٧ شهر يور ١٣٥٧، وهو اليوم الذي شهد استشهاد آلاف الأشخاص في طهران والمدن الأخرى على أيدي جلاوزة الملك. وبعد انتشار الثورة الإسلامية بعث "هاكوفنك" رسالة إلى مسؤولي الجمهورية الإسلامية اعتذر فيها رسميا على زيارته للشاه في تلك الأيام المتأزمة.

إضافة إلى "كارتر" و"هاكوفنك" فقد بعث كل من "بريجنيف" زعيم الاتحاد السوفيتي، وملوك ورؤساء جمهوريات كندا والمغرب ومالطا وسوريا وأندونيسيا وهولندا وبنغلادش وغينيا وكوريا الشمالية وجنوب أفريقيا وقطر والبحرين والكويت والسنغال وبلغاريا وموريس وألمانيا الغربية وتونس وعمان وفيتنام وألبانيا وفرنسا، برقيات إلى الملك يهنئونه فيها بعيد ميلاده. وقد ساهمت هذه البرقيات في استمرار حكم الملك ومجازه لعدة أيام أخرى.

في ٤ آبان ١٣٥٧ ألقى الإمام الخميني (س) كلمة مهمة في جمع من الطلبة الجامعيين والإيرانيين المقيمين في الخارج وفي محل إقامته في "نوفل لوشاتو" بباريس، أشار فيها إلى جرائم الملك والبرامج الإعلامية

(١) صحيفة "كيهان" ٥ آبان ١٣٥٧.

(٢) صحيفة "كيهان" ٥ آبان ١٣٥٧.

المعرضة للنظام والمعادية للإسلام، كما تطرق إلى الإعتداء الصارخ على المسجد الجامع في كرمان. ودعا الإمام جميع شرائح المجتمع إلى الوحدة من أجل مواصلة الجهاد ضد الطغمة الحاكمة.

وبمناسبة ٤ آبان ١٣٥٧، ذكرى الولادة المشؤومة للشاه، أعلن الإمام الخميني هذا اليوم حدادا عاما وأكد قائلا: "إن يوم الرابع من آبان هو يوم حداد الشعب وبداية بؤس الشعب الإيراني المظلوم، ويجب أن يسلب شعبنا المظلوم وجميع الحركات والتيارات الوفية للإسلام قدرة التفكير من العدو وإسقاط حكومته الظالمة".

الخطاب رقم - ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

صادف الرابع من آبان^(١) في إيران، وكما ذكرت إذاعة إيران، تظاهرات واسعة واستياء جماهيرياً مشهوداً من السلطة الحاكمة وذلك في جميع المدن الإيرانية. ووفقاً للأخبار المنتشرة فقد ارتدى أهالي قم وشمال طهران وبعض المناطق الأخرى ملابس الحداد ونصبوا الرايات السوداء على أبواب البيوت والمتاجر^(٢).

إن الولادات مختلفة، فهناك ولادة بداية إشراقة الخير والبركات. بداية تحطيم أركان الظلم ومقارعته. وبداية تحطيم معابد الأوثان والنار كولادة الرسول الأكرم (ص)، حيث قيل إن معبد النار (بارس) قد انطفأ وانهارت أعمدة طاق كسرى، والتاريخ يؤكد هذه الأحداث.

سابقاً كانت هناك قوتان إحداهما تتمثل بقوة حكومة جائرة، والأخرى هي سلطة عبدة النار. وبحلول الولادة المباركة للرسول الأكرم (ص) بدأ اندحار هاتين القدرتين، فقد انهارت أعمدة طاق كسرى التي تمثل قدرة السلطة الحاكمة. أما القول بعدالة "أنوشيروان" والذي لُقّب بـ "أنوشيروان" العادل فهو قول جزافاً يتنافى والحقيقة، إذ كان رجلاً ظالماً سفاكاً للدماء. ولكن حينما يقارن مع السلاطين الذين سبقوه في الحكم يكون "أنوشيروان" أهون شراً، وإلا فأين العدالة عند "أنوشيروان"؟^(٣)

(١) كان النظام الحاكم يأمر في ٤ آبان من كل عام (الذكرى السنوية لولادة الملك) بإضاءة شوارع المدن، وكان الكسبة مرغمين على نصب علم البلد على أبواب متاجرهم. كما كان النظام يأمر الطلاب بالذهاب إلى القاعات الرياضية وأداء عروض مبتذلة كالرقص واستعراضات رياضية. ويحضر الملك وعائلته في ملعب أمجدية (ملعب الشهيد شيرودي حالياً) ويشاهدون البرامج التي تجربها بعض الفتيات والأولاد، بما فيهم طلاب المدارس والرياضيون المحليين وطلبة جامعة الشرطة. وفي ختام الاحتفال كانت تقام مراسم اللعب بالنار. وفي النهاية كان الملك يستقبل الوزراء وكبار مسؤولي النظام والسفراء الأجانب الذين وفدوا. وقد احتفل الملك بآخر ذكرى سنوية لولادته في قصره، وفي أجواء متأزمة، اثر ثورة الشعب الإيراني المسلم الذي راح يهتف ضد الملك ويلعن ولادته المشؤومة.

(٢) فيما يتعلق بأحداث إيران في هذا اليوم راجع هوية هذا الخطاب.

(٣) خسرو الأول الملقب بـ "أنوشيروان العادل" من ملوك السلالة الساسانية. جلس على العرش عام ٥٣١ م، وقتل في بداية حكمه جميع إخوانه وأولادهم الذكور. كما قتل في يوم واحد جميع أتباع مزدك، ويقال إن عددهم كان يزيد عن ٨٠ ألف شخص. ومن أعماله الظالمة أيضاً قتل "بزرگمهر" وزيره المالي. لمزيد من التفاصيل راجع "دائرة المعارف زرين"، ص ١٠٥٤، وقاموس معين، وكتاب فروغ أبدیت (مصادر فارسية).

وهناك ولادة على عكس ولادة الرسول (ص) كولادة الملك في ٤ آبان. وأنا أعتذر من الرسول الأمجد (ص) حينما أقارن بين ولادته وولادة الملك الظالم. ولكنني أذكر ولادة الملك على اعتبارها نقيضا لولادة النور المتمثلة بولادة الرسول الأكرم (ص). إذ أن ولادة الملك المشؤومة تمثل انتشار عبادة النار وإحياء طقوس عبدة النار.

كما رسخ أسس الظلم، خصوصا وأن عدد عبدة النار يتضاعف يوما بعد يوم، وفي بلدنا على وجه الخصوص. ففي يزد^(١) وأطرافها يوجد عدد كبير منهم. وقد كتب أخيرا عدد من الزرادشتيين المقيمين في أميركا رسالة إلى الملك، حسب ما تناقلته الصحف، شكروا الملك فيها معلنين أنه لم يوجد شخص قبله يكرم دينهم ويدعمهم مثله.

وشاء الله أن يثور شعبنا وأن لا يمنح هذا الظالم فرصة تحقيق أهدافه وتسيير أمور البلاد حسب ما يفرضه عليه زرادشتيو أميركا وأثريائهم. ولو كان الشعب قد وافق على وجود الملك واستمراره في الحكم فإن الملك سيكون قد سبب الكثير من المصائب والكوارث التي يصعب تلافيها، والتي قد لا تخطر على ذهن أحد.

إن أول ما شرع به الملك هو تعزيز مكانة عبدة النار وحذف التاريخ الإسلامي واستبداله بتاريخ الزرادشتيين، وهذه جريمة كبرى قام بها الملك المجرم ضد الإسلام. كما يعتبر عمله هذا إهانة للرسول الأكرم (ص)، ومن الجرائم التي تفوق جميع المجازر التي سببها، إذ أن عمله هذا هو أبشع من جميع المجازر والإبادة الجماعية التي ارتكبها بحق شعبنا المسلم. فقد حذف التاريخ الرسمي للإسلام والذي هو رمز التوحيد، وقام الملك بعمله هذا يسوق الناس إلى عبادة النار. كما يهدف إلى محو عظمة الإسلام وإزالة الشعائر الإسلامية، من بعد أن نهب نفطنا وأعطاه لأسياده الأجانب. وهذه الأعمال تمثل الخيانة للشعب. لكن قضية تغيير التاريخ هي إهانة لروح الإسلام، ولولا الصفعة القوية التي وجهها له الشعب لما أعاد التاريخ الإسلامي مرة ثانية وألغى تاريخ الزرادشتيين، ولولا الغضب الجماهيري لبدأ الملك بجرائم أخرى تنمة لتلك الجريمة البشعة التي ألغى فيها تاريخنا الإسلامي. إذ كان يهدف إلى إعادة البلاد إلى ما قبل زمان الرسول الأكرم (ص) إلى زمان سلاطين الزرادشتيين المعتدين الظلمة. وكي تتاح لهم فرصة تسيير البلاد على ضوء معايير غير إسلامية ويجعلوا

(١) تقع محافظة يزد في جنوب إيران. وهي مركز الزرادشة (الدين القديم الذي اعتنقه الإيرانيون قبل الإسلام) ويحظى معبد النار الكائن في هذه المدينة بشهرة واسعة إلى يومنا هذا، وباهتمام زرادشة إيران. وكان النظام يسعى من خلال إقامة الاحتفال بمرور ٢٥٠٠ عام على تاريخ الملوكية في إيران والاستعانة بوسائل الإعلام المروجة للزرادشتية ولأديان مزيفة أخرى كالبهائية. وبذلك يكون قد قضى على الشريعة الإسلامية أو جعلها مرادفة للأديان الأخرى وإضعاف مكانتها وأهميتها عند الناس. وكانت وسائل الإعلام تبرمج أعمالها على ضوء هذه السياسة المغرضة من خلال إقامة مؤتمرات وندوات عديدة في هذا الصدد وعلى طوال السنة. علما أن ما كان يروج له الملك كان ينافي في أغلب الأحيان التعاليم الزرادشتية ذاتها. وجدير ذكره أن زرادشة إيران يعتبرون أقلية دينية في دستور الجمهورية الإسلامية، وهم أحرار في القيام بمراسيمهم وطقوسهم الدينية ويمثلهم نائب في مجلس الشورى الإسلامي.

أساس كل شيء هو الانتماء الوطني ومن منطلق سلبي، متمثلاً بأطروحة (بان إيرانيسم)^(١) وأن يقيموا كل شيء على أساس صلته بجذوره في زمن سلاطين ما قبل الإسلام. وأن يكون اعتبار كل الأمور على ضوء "إيرانيته" في حين كان كل ما يحصل عليه الشعب ملكاً للسلاطين والملوك.

تأملوا أعمالهم البشعة بحق الناس.. وكانوا يحكمون مجاميع غفيرة من الناس يطلقون عليهم اسم الـ "مغان"^(٢) تأملوا وتفحصوا التاريخ لتطلعوا على تعاملهم السيئ مع الشعب الإيراني آنذاك.

وحينما جاء الرسول الأكرم (ص) دعا أمته إلى التوحيد، وكان يتصرف مع الناس وحتى مع الذميين (أهل الذمة) - والذين كانوا على خلاف مع الدين الإسلامي - على نحو حسن ويراعي حقوقهم، ولستمعنا بالأخلاق السامية التي كان يتحلى بها الأئمة الأطهار (ع) في تعاملهم مع الناس، فينقل أن جيشاً من جيوش معاوية سرقوا حبل امرأة ذمية (يهودية أو نصرانية) فقال الإمام علي (ع) ما معناه... لو أن رجلاً يضحى في سبيل إعادة الحبل لتلك المرأة لحسناً ما فعل..^(٣)

ونحن نطالب بحكم إسلامي يستمد رؤياه من حكم الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع)، ونطالب أن نفتدي في الحكم بأمر المؤمنين (ع) الذي شمل حكمه الكثير من البلدان، من الحجاز إلى إيران إلى مصر، وكان (ع) يبدي مشاعره النبيلة تجاه رعيته وتجاه حتى أولئك الذين لم يعتنقوا الدين الإسلامي المبين. وفي نفس اليوم أتم الناس مبايعتهم للإمام علي (ع) ونصبوه خليفة لهم. أخذ الإمام (ع) فأسه واتجه نحو الصحراء حيث كان يعمل هناك ويعتاش من عرق جبينه. وعندما حفر بئراً وتدفق منها الماء، كما يتدفق الدم من رقبة

(١) "بان إيرانيسم" عقيدة سياسية قوامها اتحاد جميع الأقوام والأعراق الإيرانية. ويعني لفظ "بان" في اللغة اللاتينية "الكل" أو "العموم"، وقد ظهرت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر وفي بدايات القرن العشرين. وساهمت في أحداث نهضات وثورات سياسية في أوروبا ثم في قارتي آسيا وأفريقيا. وتأتي مفردة "بان" في بداية اسم البلد أو العرق أو الدين. ومعنى ذلك هو أنه يحق لجميع الأفراد الذين ينتمون إلى عرق أو دين أو وطن أو لغة واحدة المطالبة بوحدة وطنية أو سياسية. و"بان إيرانيسم" تعني بشكل خاص أن تتوحد إيران ويكون لها علم واحد يرمز إليها. وكانت تساهم الـ"بان إيرانيسم" والـ"بان عريسم" (العربية) و"بانتركيسم" في تفرقة المسلمين وإشغال فتيل لحروب بينهم. راجع مفردة "بان" في القواميس السياسية.

(٢) في زمان الساسانيين كان عشر محصول الأراضي الزراعية يصادر من قبل الكهنة. وكان رئيس الكهنة يمثل ثاني أعلى منصب في البلد من بعد الملك. وكان يحكم طبقة كبيرة من الناس يطلق عليهم اسم الـ"مغان" أو المجوس. وكان منصب رئيس الكهنة وراثياً، علماً أن جميع المسائل المعنوية كانت تحت إشرافه. وقد وجه الكهنة أفكار الإيرانيين ومعتقداتهم لأربعة قرون من الزمن. وكانت ملكية الكهنة ثرية إلى الحد الذي كان الملك يستقرض أحياناً من خزائن معابدهم. وكانت طريقة معاقبة ومحاكمة المتهمين، عند الكهنة تتم على النحو التالي: يطلب من المتهم أن يضع قدمه على معدن مصهور أو أن يتناول طعاماً مسموماً من أجل إثبات براءته. راجع تاريخ الحضارة لـ"ويل دورانت"، ما يتعلق بحضارة إيران في زمن الساسانيين، ص ١٧١-١٧٤ و ص ١٢١، وما يقابله في الترجمة العربية. وكتاب "تاريخ إيران" ترجمة كشاورز، ص ٨١ إلى ٨٤ (مصدر فارسي).

(٣) راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب - المجلد الثاني.

بعير مذبوح، قيل إن شخصا ما بارك للإمام (ع) هذه البئر وقال: بوركت للورثة. لكن الإمام (ع) جعلها وقفاً للفقراء والمعوزين. ونحن نطالب، وبحاجة إلى حكومة تقتدي بالإمام علي (ع) الذي يروى عنه أنه كان جالسا ذات يوم في بيت المال يحسب أموال المسلمين، وكان قد أوقد مصباحا من تلك المصابيح المستخدمة في ذلك الزمان. وفي تلك الأثناء دخل على الإمام (ع) رجل أراد أن يجلس ويحدث الإمام (ع) بأمور لا تخص بيت المال. فأطفأ الإمام (ع) ذلك المصباح لأنه كان من أموال المسلمين ولا يريد استعماله في شؤونه الخاصة. إن عملا كهذا لهو عمل عظيم لا يمكن أن يقوم به أي شخص في العالم غير المعصوم (ع). لكننا مبتلون بحاكم لص، وقلما نجد في التاريخ حاكما نهب من أموال الشعب بقدر ما نهب وسرق الملك محمد رضا. ونطالب بحاكم لا ينهب ولا يظلم الشعب إلى هذا الحد الذي نهب فيه الملك وظلم الناس.

قلت إن بولادة الرسول الأكرم (ص) انطفأت وأظلمت معابد النار وذلك مؤشر واضح على بدء انطفاء أماكن الظلم. لكن الملك يريد أن يشعل هذه النيران. وقد أنجز بعض الشيء من عمله هذا حينما أعاد إشعال معابد النيران في يزد، حسب ما ذكر، وقد حرّف التاريخ أيضا وكان ينوي القيام بهذه الأعمال خطوة فخطوة. لكن الشعب لم يمهله إنجاز أعماله الخبيثة.

إن انهيار طاق كسرى أثناء ولادة الرسول الأعظم (ص) هو رمز يشير إلى حتمية زوال الظلم.

أيها الحضور الكرام.. إنكم تشهدون اليوم الأعمال البشعة التي يرتكبها الملك وأي ظلم فاحش ارتكبه ولا زال يرتكبه ضد الشعب. والآن فهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويحاول أن يتشبث بأعمال فاشلة. وقد خطرت بعض الأعمال في ذهنه، فأعد في كرمان مجموعة من الغجر، ولربما منحهم مقدارا من الأموال وأوكل إليهم قتل الناس كما فعل ذلك سابقا حينما داهم جلاوزته مدرسة الفيزية في قم. وقد شهدنا تلك الحادثة حينما اقتحمت قوات الأمن والكوماندوس المدرسة وادعى النظام أنه بعض الفلاحين. وقد قاموا بحرق القرآن الكريم وعمائم علماء الدين ورموا بعض الأشخاص من أعلى السطح على الأرض وقتلوه. كل هذه الأعمال قام بها جلاوزته وادعوا أن بعض الفلاحين المستائين من علماء الدين هم الذين قاموا بذلك.

وأعلن النظام أن هؤلاء الفلاحين لا يريدون القرآن. فهل الفلاح هو هكذا حقا؟ في حين أننا متى ما سألنا الفلاح عن علاقته بالقرآن لشهدناه متعطشا للقرآن والإسلام. وهو عاشق للإسلام. إن من تتحدثون عنهم وتدعون أنهم مستأؤون من الإسلام والقرآن هم ليسوا الفلاحين والمزارعين بل قوات الكوماندوس الذين ربيتهم من أجل إحراق القرآن. إذ شهدنا بأم أعيننا تلك الحادثة. فحينما أخبرت عن تصرفاتهم وكنت حينها في بيتي، وجهت لهم ضربة قاصمة ولم أدهم يتصرفون كما يحلو لهم. لقد كان هناك في بادئ الأمر اجتماع وكان من المقرر أن يلقي العلماء خطابا بهذه المناسبة. وربما كنت أنوي أنا أيضا أن ألقى كلمة بهذه المناسبة. وشهدنا أن البعض يردد الصلوات في غير محلها ودون أي داع لذلك. فقلت لأحد الأصدقاء اذهب وقل لهم إن أردتم أن تثيروا الفوضى هنا فساذهب إلى صحن السيدة المعصومة (س) وأرتقي المنبر هناك وأقول كلامي للناس. ولما

لم يكن لهم اطلاع عما يجب أن يقوموا به في مثل هذا الوضع، تركوا المجلس وانصرفوا.^(١) وفي عصر ذلك اليوم داهموا مدرسة الفيضية^(٢) وقاموا بتلك الأعمال والجرائم البشعة وبتلك الفضائح التي نسبوها للمزارعين والفلاحين.

وها هم اليوم يكررون أعمالهم، وراحوا يستعينون بالغجر^(٣) وينسبون جرائمهم إليهم. وقد هجموا على الناس في همدان بشكل مفاجئ. وتذكر الأخبار أن زنجان أيضا تعيش وضعا مشابها لما حدث في كرمان. كما أن الأوضاع في قم متشنجة للغاية، ويسمع فيها صوت طلقات نارية. وقتل الأبرياء فيها مستمر. طهران أيضا تشهد الاضطرابات، وقد سمعت اليوم من خلال جهاز المذياع (الراديو) ذكر أماكن ومدن كثيرة أخرى تشهد توترات حادة.

وقد احتفل الملك بيوم ميلاده بقتل الأبرياء. فيما ارتدى الناس ملابس الحداد. وقد ذكرت الأخبار بوجود أحداث ساخنة في عدة أماكن كمدينة "مراغة"، إضافة إلى مدن أخرى تشهد انتفاضة الجماهير، ولا أتصور أن ما ينقل عن الوقائع المستحدثة في تلك المدن هو بالحد الكافي وسنطلع على حقائق الأمور فيما بعد.

عودا على بدء، أقول إن هناك مسألتين جد مهمتين تحققنا بولادة الرسول الأكرم (ص) وهما: إخماد نيران الشرك وعبادة النار أولا، وانهيار أعمدة الظلم ثانيا. أما في ولادة الملك محمد رضا فقد عاودت معابد النار نشاطها وأشعلت نيرانها. ولو أمهل الشعب الملك لتنفيذ بقية خطته الشيطانية إذ كان يسعى هذا الظالم إلى تحريف التاريخ وإشعال الحرائق في المساجد وأماكن أخرى. حقا ما ذنب هؤلاء المساكين الذين ذهبوا إلى

(١) عقد صباح يوم الثاني من فروردين ١٣٤٢ مجلس في منزل الإمام الخميني (س) بمناسبة استشهاد الإمام الصادق (ع) حضره جمع من العلماء والناس. وعندما ارتقى أحد الوعاظ المنبر، بدأ جلاوزة النظام الذين حضروا المجلس بتريد الصلوات بشكل متواصل، وفي غير محلها، كي يربك المجلس. وقد وصل هذا الخبر إلى سماحة الإمام. فأمر حجة الإسلام والمسلمين صادق خلخالي أن يبلغ الحاضرين هذه الرسالة التي يقول فيها الإمام الخميني (س) ما يلي...: إنني الآن أتم الحجة على الأشخاص الذين كُلفوا بالإخلال وإثارة الفوضى في هذا المجلس أنه فيما إذا صدرت منهم أية حركة غير لائقة بالمجلس، وفي غير محلها، وتؤدي إلى الإخلال والفوضى، أو منع السادة الخطباء من أداء محاضراتهم فإنني سأذهب مباشرة إلى الصحن المطهر للسيدة المعصومة (س) وأقول للناس ما اعتبره لازما أن يطلعوا عليه، وسأفصح النظام.

(٢) راجع هوية الخطاب رقم ٩.

(٣) في ٢٤ مهر ١٣٥٧ اجتمع أهالي مدينة كرمان في المسجد الجامع لإقامة مراسم أربعينية شهداء ١٧ شهريور، وفجأة هاجم المسجد رجال السافاك والشرطة ومجموعة من الغجر الذين كانوا يحملون في أيديهم هراوات ذات مسامير مدببة وآلات قتال أخرى. وألقى رجال الشرطة غازا مسيلا للدموغ في داخل المسجد فيما كان الغجر يضربون وجوه الناس بالعصي والهراوات وبمتهوى الوحشية، فقتلوا عددا من الناس وجرحوا آخرين، ومزقوا المصاحف الشريفة، ثم هاجموا المتاجر ونهبوها، وتعرض الجرحى الذين حاولوا الخروج من المسجد إلى رصاص مرتزقة النظام المتواجدين خارج المسجد. وتعتبر فاجعة المسجد الجامع بكرمان من الحوادث المؤلمة في تاريخ الثورة وإحدى أكبر الجرائم للنظام الملكي الفاسد.

السينما^(١)، طبعاً السينما في إيران ليست مكاناً يحبذ الذهاب إليه. فدور السينما تضيّع الشباب وتفسدهم، لكن أولئك الذين ذهبوا إلى السينما كي لا يتمكن أحد من إنقاذ الناس الأبرياء المتواجدين في داخلها. كما قام هؤلاء الجلاوزة بإخفاء مواد سريعة الاشتعال في داخل السينما ليحرقوا بها أناساً مساكين ويحولهم إلى رماد. وكل هذه الجريمة ارتكبوها ليشوهوا سمعة الثوار المسلمين ويقولوا عنهم إنهم مخربين. لكن حتى للتخريب حد، فيما أن النظام قد خرب كل شيء واتهم بذلك المخربين!!

وفي كرمان قام النظام بجريمة أخرى، فقد داهم جلاوزته الناس وخنقوهم بالغازات الخانقة وقتلوا جمعا من الأطفال والنساء والشيوخ. وأحرقوا كل ما في المسجد ثم داهموا الأسواق نهبوا أولاً ثم حرقوها. ثم يدعي النظام أنه كان من المقرر أن يرسل دورية من دوريات الشرطة ليتحقق من هوية مرتكبي جريمة السينما. ويقال إن الملك يريد أن يعاقب مرتكبي الجرائم!! في حين أن من قام بتلك الجرائم البشعة هو شخص الملك والذي هو مسبب جميع الجرائم وكل الظلم والاضطهاد ضد شعبنا المسلم.

وفي ١٥ خرداد كان الملك يشرف بنفسه على القوات التي ارتكبت تلك المجزرة الكبيرة. إن الملك هو سبب كل الجرائم، وأن ولادته تمثل بداية معاناة الشعب الإيراني، ونأمل أن يزيل الله تعالى ويمحو الظلم عاجلاً (الحاضرون: آمين) والملك اليوم يشبه حيوان ذبحوا رأسه فأخذ يرفس بيديه ورجليه. وكلنا مكلفون أن نوصل صوت الشعب الإيراني إلى أسماع العالم وأن نطلع الصحف والمجلات الصادرة هنا، بما يدور في إيران. أخبروا أصدقاءكم في المدارس والجامعات عن أحداث إيران وأهداف شعبكم الثائر. قولوا لهم إن القضية ليست كما يصورها الإعلام المساند للشاه، وليست كما تزعم أميركا وتلخصها بمنح الملك حرية للشعب في محلها وقبل حلول أوانها. أو أن الشعب ثار لما حصل على حرية لا يستحقها. فالقضية ليست هكذا أبداً، وإلا فكيف تروج لهذه الأكذوبة كصحيفتي "كيهان" و"اطلاعات"؟ وأين هي تلك الحضارة العظيمة التي وعد بها الملك؟ ولا أدري كيف يروق لهؤلاء الطغاة أن يصرحوا بتصريحات يندى لها الجبين. فقد قال الملك بمناسبة

(١) إشارة إلى فاجعة سينما "ركس" في أبادان التي وقعت في ٢٨ مرداد ١٣٥٨. في هذه الجريمة البشعة التي أعدت خطتها من قبل، تم إحراق أكثر من ٤٠٠ شخص أحياء وبشكل مفرج. اثر ذلك أعلن فوراً أن تشكيلات المعارضة قامت بهذه الجريمة (راجع صحيفة "اطلاعات" ٣١ مراد ١٣٥٧)، وحين اشتعال النيران داخل قاعة السينما كانت جميع الأبواب المؤدية إلى الخارج قد أقفلت. وحضرت سيارات الأطفاء إلى مكان الحادث بعد تأخير طويل. كما أن المسؤولين القضائيين كانوا يتملصون باستمرار من متابعة شؤون هذا الحادث، مما يدل ذلك على أن النظام هو الذي دبّر هذه الجريمة البشعة. وقبل الحادثة بيومين خاطب الملك الشعب قائلاً:.. لم أكن أتصور أن الثمن الذي سندفعه من أجل الحرية سيكون غالياً إلى هذا الحد.. وكان الملك يحاول أن يربع الناس من علماء الدين، ومن مصير من يخالفه إذ أنه قال:.. نحن وعدنا الناس بحضارة كبيرة ووعدنا أعداءنا بالرعب والخوف.. كما كان يمهّد بحديثه هذا لوقوع جرائم ومجازر جديدة في الأيام القادمة. في تلك الأيام أعلن النظام أنه ألقى القبض على أحد مسببي الجريمة، وادعى أنه كان قد هرب إلى العراق. لكن المسؤولين القضائيين لم ينشروا أي تقرير بهذا الصدد. وقد أثبتت التحقيقات التي أجريت بعد انتصار الثورة الإسلامية، واستناداً إلى أدلة كثيرة، أن النظام الملكي هو الذي خطط وقام بهذه الجريمة في محاولة منه لتشويه وجه الثوار المسلمين الذين اتهمهم بتفجير السينما.

عيد ميلاده في ٤ آبان^(١) إنه هياً مناخاً مملوءاً بالحرية، ثم هدد الجماهير قائلاً:.. إن لم أكن أنا على الحكم فستحكمكم الشيوعية.. وهو يلمح أن بزواله ستزول إيران بكاملها ولن يكون هناك إيراني واحد. إذن يقرن اسمه ووجوده بوجود إيران. كما يدعي أنه يسعى من أجل إيران هادئة تخلو من المشكلات والاضطرابات، وراح يخدع شبابنا. إن هؤلاء الشباب الذين يرددون بعض الشعارات الخاطئة، هم في ضلال.. وبشعاراتهم هذه يساعدون النظام. ويتصورون أن بذهاب الملك سيهددهم الخطر الشيوعي. ومن جهة أخرى، إن الخلافات الحاصلة بين الشباب تساهم في مساندة النظام واستمداد القدرة في تحقيق أهدافه بذلك، وبدل أن يقوم هؤلاء الشباب بزعزعة أركان النظام نراهم يساهمون في دعم النظام ودعم الظلم الذي يرتكبه بحق شعبنا المظلوم. إن الذين يرفعون شعارات شيوعية هم عملاء النظام انفسهم. كما أن أعضاء حزب "توده" وكبار الشيوعيين الذين يروجون لشعاراتهم قد عاشوا عمراً من الدهر في خدمة هذا النظام الفاسد.^(٢)

وقد قام كبار الشيوعيين بهذه الأعمال ليعزوا مكانة الملك ويخدعوا شبابنا بشعارات منحرفة. إن هؤلاء الشباب الذين يرددون هذه الشعارات هم شباب لا زالت تسري فيهم روح الإسلام، ولكنهم انخدعوا. وعليهم أن يتركوا أولئك المجرمين الذين يدعونهم لهذه الطروحات ويغنون من خلالها إبقاء الملك في الحكم وعليهم أن يتنبهوا لهذه المسألة المهمة. إن وسائل الإعلام تسعى هي الأخرى للترويج لهذه الشعارات إلى بقاء الملك بأية طريقة حملته. وتتشبث من أجل ذلك بجميع الحيل والخدع. فليتنبه شبابنا إلى هذه القضايا وليتأكدوا من حقائق الأمور. فإنه لمن الحمافة أن يدعى أن الشيوعية تشكل خطراً على بلادنا، ويقصد من هذه الشعارات استغلال الناس، ولتوحد الصف.. ولتوحد الأصوات تحت راية الإسلام والتوحيد.. توحدوا جميعاً ولا تخضعوا للتفرقة. فالخلاف يسبب هزيمة لكم وللإسلام.. وليكن شعار الجميع هو "الموت للملك" والموت لكل الذين يقدمون له الدعم والإسناد، كـ"كارتر" وأشباهه. لا تخافوا من هذه الطروحات المزيفة والكاذبة. لا تخافوا من هذه الضججات التي يفتعلها النظام فلا يمكن لأية قدرة أن تفرض شيئاً على شعب ثار مطالباً بحقوقه. إن تطبيق الأحكام العرفية هو الآخر لم يتمكن من زعزعة إرادة الجماهير. ومدينة قم خير شاهد على ذلك إذ أن الحكومة العسكرية لم تتمكن من إخماد صوت الجماهير وحظر التجوال أيضاً لم يكن مجدياً. وهكذا هو الوضع في طهران ومدن أخرى.

(١) إشارة إلى الشعارات اليسارية التي يروج لها الشيوعيون، والتي كانت تثير مخاوف الناس من مجيء حكومة شيوعية، وهي من جهة أخرى كانت تؤيد ادعاءات وتحويرات الملك.

(٢) كانت عبارة "خطر الشيوعية" شعاراً تكررته وسائل الإعلام المساندة للملك. وكان النظام على دراية كاملة أنه ليس هناك من خطر يواجهه من قبل الشيوعيين. فأشخاص كجعفریان نيكخواه، وهوشنك نهاوندي ومحمد باهري، هم أعضاء رسميين في حزب "توده" وظفهم النظام لخدمة الملك في الإذاعة والتلفزيون ومركز التربية الفكرية للأطفال والناشئين وفي دور الصحف والسينما، علماً أن أعضاء بارزين في حزب "رستاخيز" التابع للنظام كان يدار على يد بعض هؤلاء الشيوعيين.

أسأل الله تبارك وتعالى السلامة لجميع إخواننا في داخل البلاد وخارجها، فجميعهم يضحون من أجل الإسلام. وأطلب من جميع الشعب الإيراني الجديدة في دعم شعبنا المضحي بدمائه. وأطلب منكم أيها السادة الحاضرين أن تركزوا على الجانب الإعلامي دعماً لشعب يواجه قوات بشعة هي قوات الكوماندوس أو الفجر، إذ أن الجرائم التي يدعى أن الفجر قد قاموا بها، هي جرائم قوات الكوماندوس أنفسهم متلذذين بسفك دماء الأبرياء. وظفوا الجانب الإعلامي لخدمة شعبكم وبلادكم بشتى الطرق الممكنة. (الحاضرون: صلوات)

هوية الخطاب رقم - ٤٧

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٥ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٧٨ م.

الموضوع: الأبعاد السياسية والعبادية في الإسلام وخصائص الحكومة الإسلامية.

المناسبة: وسائل إعلام النظام ومحاولاتها الفاشلة في تخويف الناس من الحكومة الإسلامية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في ٦ آبان ١٣٥٧ وصل بيان الإمام الخميني (س) الذي أصدره في ٢٣ ذي القعدة الموافق ٤ آبان ١٣٥٧ بباريس بمناسبة مجزرة كرمان وباقي المدن الإيرانية إلى طهران، وتم تكثيره في نسخ ولصقه على الأبواب وجدران الشوارع والأزقة، إضافة إلى توزيعه بين الناس.

نظراً إلى تجارب الإمام ومعرفته بسير الحوادث قال قائد الثورة الإسلامية:.. إن الأوضاع المستحدثة في إيران أثارت قلقي الشديد. أخشى أن تؤدي شدة الضغط العصبي على الملك وذويه إلى تشديد هجماتهم الوحشية وإراقة المزيد من دماء شعبنا البريء. فالمجزرة الوحشية التي ارتكبها عملاء الملك في كرمان وإحراق مسجد المسلمين هناك، وارتكاب القتل داخل المسجد ونهب سوق المدينة، كذلك ارتكابهم القتل البشع في مدن أخرى كلها مؤشرات على أن الملك قد يش من استمراره في الحكم، وإن يأسه سيدفعه إلى القيام بمجازر أخرى.

وفي مقطع آخر من بيانه، نبه الإمام القائد الشعب على أهم الأمور، قائلاً:.. في المدة الأخيرة، ارتكب الملك خيانة أخرى، وهرب إلى الخارج المجوهرات الملكية التي هي في الحقيقة ملك الشعب، وباع الأملاك والمؤسسات التي تأسست بأموال الشعب، ونقل أموالها إلى الخارج. ذووه أيضاً منشغلون بالنهب وتهريب أموال الشعب إلى الخارج. يجب أن لا يمهّل الشعب هذا المجرم. يجب مواصلة الإضرابات والتظاهرات السلمية منها والغاضبة، فالشعارات والطروحات التي تطرحها بعض التيارات والتي تؤكد فيها على السعي لإيجاد صيغة صلح مع النظام والرضى بالحرية والعمل بالدستور إنما هي بمثابة العطف على نمر متوحش، وتعد خيانة للإسلام والوطن. فبقاء النظام ومغادرة الملك هو أمر شبيه بقتل الأفعى وتربية صغارها.

كما طالب قائد الثورة في بيانه الجماهير أن لا تخاف من التضحية بالأنفس والأموال في سبيل الله والإسلام، وأن يقتدوا في هذا الطريق بالرسول الأكرم (ص) والأولياء والأوصياء الصالحين.

من جهة أخرى، عبّر رؤساء كل من أميركا وإنكلترا والاتحاد السوفيتي في برقيات التهنية التي بعثوها للملك، عبروا عن دعمهم لبرنامجهم. وقد نشرت وسائل الإعلام نص هذه البرقيات كاملة. مما دفع ببعض الجبهة إلى أن يتصوروا أن موقع الملك قد ترسخ أكثر مما كان عليه سابقا، وقد تطرق الإمام إلى هذا الموضوع وأكد في النقطة الثانية من بيانه ما يلي:

... لا تخافوا من تصريحات أميركا وإنكلترا والاتحاد السوفيتي ومن الدعم الذي يقدمونه للملك، بغية الحفاظ على مصالحهم، فلن تتمكن أية قوة أن تطفئ النار التي اضطربت في قلب شعب مظلوم ثار من أجل الحصول على حريته واستقلاله.

شعبنا لا يطيق الملك ولا يطيق خيانتة. وإن الضرر الذي سيلاقه مؤيدو الملك سيكون أكثر بكثير من المصالح التي يتوقعونها منه. نحن نطالب بكامل حقوقنا ونحن محقون في قضيتنا ويد الله معنا، وقدرة الله فوق كل قوة وقدرات المستكبرين.

في مقطع آخر من خطابه، وجه الإمام القائد كلمة إلى الجيش، إذ نشرت تقارير الصحفيين آنذاك أخبارا مفادها أن عددا من الشباب المسلم الثائر قد وزع منشورات في معسكرات الجيش، مستعينين بطرق شتى يضاف إليها الدور البارز الذي قام به الطيارون الذين انضموا إلى الشعب. كما أرسلوا نص البيان إلى قادة الجيش من ذوي الرتب العسكرية العالية. بعد أن حصلوا على عناوينهم مما أثار الذعر في قلوب القادة العسكريين.

وبالرغم من الضمانات التي قدمتها الحكومة لوسائل الإعلام، والتي تنص على حرية الصحافة، خصوصا وأن كل من جعفر شريف إمامي (رئيس الوزراء) ومنوجهر آزمون (مستشار الأمور التنفيذية) والدكتور عاملي طهراني (وزير الإعلام والسياحة) قد وقعوا التعهد الأخير، والذي تلزم فيه الحكومة نفسها عدم التدخل في شؤون الصحافة، رغم كل هذه التعهدات هدد رؤساء الحكومة العسكرية مجلس رئاسة تحرير الصحف بقصف مبانيهم بالمدافع فيما إذا نشروا المقطع المتعلق بالجيش من بيان الإمام. وقد فشلت الحكومة إذ تم استنساخ آلاف النسخ من البيان ووزع بين الجماهير.

في بيانه، خاطب الإمام القائد القوات العسكرية، قائلا:.. إيران وطنكم، والشعب الإيراني شعبكم. انضموا إلى صفوف الشعب فأنتم أكثر الناس مسؤولية أمام الله تعالى.. وأمام شعبكم والأجيال القادمة.. قوموا بهمة وشجاعة وقطّعوا سلاسل الأسر..

بعد صدور هذا البيان المهم، هرب عدد كبير من الجنود من معسكراتهم وساهموا في التظاهرات، كما أطلق بعضهم النار على القادة العسكريين الذين كانوا يأمرهم سابقا بإطلاق الرصاص على الجماهير. وقد أجج هذا البيان الصادر بمناسبة مجزرة مسجد كرمان من فورة الأحداث في جميع أرجاء إيران.

ولم يكتفِ الإمام الخميني (س) بإصدار البيان والإعلان عنه بل راح يوضح كل يوم في المقابلات واللقاءات التي كانت تجري معه أهداف الثورة، ويزيل النقاب عن جميع مؤامرات النظام والمؤسسات والتشكيلات المنحرفة عن المسيرة الإسلامية.

إن ثلاث خطابات متتالية للإمام (س) في ٨ آبان ١٣٥٧ تشير إلى حساسية الأوضاع والدور البارز لقيادة الإمام.

في هذا الخطاب يشرح قائد الثورة أبعاد الحكومة الإسلامية، ويؤكد على شمولية الدين الإسلامي وكيفية إدارة المجتمع، مستندا على حقائق تاريخية مؤكدة.

في ٦ آبان ١٣٥٧ ألقى الإمام خطبا مهما حضره جمع من الطلبة الجامعيين والإيرانيين المقيمين في الخارج، وقد صادف هذا اليوم قتل وجرح عشرات الأشخاص على أيدي جلاوزة النظام وذلك في قم وكبودر آهناك وأصفهان ودزفول وبروجرد وشهر رضا وإقليم فارس بعد اشتباكهم مع قوات النظام. وأشارت التقارير الصحفية إلى كثرة الجرحى في هذه التظاهرات، وأيدت إطلاق النار على المتظاهرين في طهران.

واثر احتجاج العاملين في البنك الوطني (بانك ملي) على قتل الناس وتعرضهم للجروح، عطلت جميع فروع هذا البنك. كما أن جامعتي طهران والجامعة الوطنية كانتا شبه معطلتين بالإضافة إلى أكثر المدارس الإعدادية في إيران.

وقد قام رجال السلطة باستئجار عدد من المرتزقة في مدينة شاه آباد غرب إسلام آباد حاليا، وأمروهم بترتيب تظاهرات تساندها قوات الشرطة، وكان المرتزقة يرددون شعارات لصالح النظام مبتغين تكرار مجزرة المسجد الجامع بكرمان. لكن الجماهير تصدت لهم وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع. يذكر أن مدينتي رودسر وسمنان شهدتا عملا مشابها لذلك أسفر عن فضح الجماهير الثائرة لمرتكبيه.

ومن أحداث ذلك اليوم إعلان الجبهة الوطنية عن مباحثات المهندس بازركان، أحد الأعضاء البارزين في الجبهة، مع ممثلين آخرين من الحركات المعادية للنظام الملكي. كما ذكرت وكالات الأنباء أن بازركان التقى خلال الأسبوع الماضي في باريس ثلاث مرات مع الإمام الخميني (س) وتباحث معه حول الأوضاع الأخيرة في إيران.

وقبل ليلة من خطاب الإمام، أجرت إحدى الشبكات التلفزيونية لقاء مع قائد الثورة الإسلامية. تطرق فيه الإمام إلى الأوضاع الراهنة في إيران وإلى أهداف الثورة والتغييرات الأساسية التي تنبأ حدوثها. إذ قال الإمام:.. لا يمكن للأوضاع الحالية أن تستمر على هذا النحو، إذ ثمة تغييرات أساسية على وشك الحدوث.

الخطاب رقم - ٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

.. إن الجوانب التي يعيشها الإنسان لا يمكن حصرها ببعض الظواهر. إذ هناك ثمة نقاط مشتركة بين الإنسان والنبات. كما يشترك بها الحيوان أيضا. وهناك أمور تخص الإنسان فقط. ووفق منظور آخر فهناك ما يشابه حياة الإنسان في عالم الطبيعة عند الحيوانات. وهناك ما يميز الإنسان عن سائر الموجودات. فالحياة ليست حكرا على الإنسان وإنما يشاركه فيها النبات والحيوان. ويمتاز الإنسان من بين جميع الكائنات الحية بالمنزلة الروحية والمعنوية، وكذلك ثمة قوة تفوق المنزلة العقلية يتسم بها الإنسان، بالقوة، تمكنه من اجتياز عالم الطبيعة والوصول إلى منازل لا يمكن تصورها. وجميع جوانب الإنسان بحاجة إلى التربية والإنماء. وكما أن هناك أساليب وطرقاً تتناسب مع الطبيعة أو الحياة فإن هناك أيضا أساليب تتناسب مع المراتب التي يتصف بها الإنسان. وبإمكان الإنسان أن يدرك بعضها أو لربما أكثرها. وقد بعث الله (تبارك وتعالى) الأنبياء والرسل لأجل إعداد وتربية البشر وإيصالهم إلى أعلى مراتب الكمال التي قلما اطع عليها أحد لولا الأنبياء والرسل. وما لم يتم التعرف على الداء لا يمكن المباشرة بالمعالجة. والأنبياء جاؤوا لإيصال الإنسان إلى تلك المراتب التي لم يتمكن علماء الطبيعة من اكتشافها، فمهما عمل علماء الطبيعة فإن غاية ما يمكن أن يتوصلوا إليه لن يتجاوز إدراكهم لخصائص عالم الطبيعة. ولكن ماذا عن عالم ما وراء الطبيعة؟ هذا ما لا يمكن لهم أن يقدموا أية إجابة عنه. إذ أنه يختلف عن عالم الطبيعة من حيث الكمالات والمراتب. فهناك في عالم الطبيعة اعتبارات أكثر سمواً من الاعتبارات الدنيوية، ونحن غافلون عنها ولا يمكننا رؤيتها بالعين، وبإمكان الإنسان أن يصل إلى هذه المراتب من خلال المجاهدات والسير على الصراط المستقيم الذي رسمه له الأنبياء والرسل، وليس بإمكان أناس عاديين أن يقوموا بهذا الدور. فإن الله (تبارك وتعالى) بعث الأنبياء من أجل تربية هذا الإنسان كي يصل إلى مراتب ما وراء الطبيعة، ولتكون التربية تربية إلهية.

وأنتم أيها السادة الحضور، تعيشون حاليا خارج بلادكم وأنا اعتبركم بمثابة أبنائي وأكنّ لكم كل المحبة والتقدير. وما أريد أن أقوله لكم هو أنكم ترون الآن الهيئة الظاهرة من عالم الطبيعة وأغلب نشاطاتكم تتعلق بهذا العالم. وإن أغلب الأمور التي تشاهدونها هي ذات صلة بهذا العالم المحسوس كالأحداث التي تدور في إيران بما فيها الاشتباكات بين الجماهير وجلاوزة النظام. بالطبع تتسم هذه الأحداث بطابع معنوي أيضا، إذ أن ثورة الشعب هي من أجل إحقاق الحق، بالإضافة إلى ما لا يحصى من الأمور التي ترتبط بعالم الطبيعة، ولكن هناك أيضا مراتب أعلى وأسمى من المراتب الدنيوية يجب أن ننتبه إليها ونهتم بها، كالعبادات التي أوصى بها الأنبياء ودعونا إليها كأداء الصلاة والصوم والحج الخ... والتي تمثل علاجا حقيقيا من أطباء حقيقيين وحاذقين في عملهم.. أطباء جاؤوا لإيصالكم إلى منازل الكمال، ويتعين عليكم الاستفادة منها والأخذ بها ما دمتم تحيون في هذا العالم. وعندما تفارق أرواحنا هذا العالم وترحل نحو عالم آخر وحياة أخرى ستكون حينها متسمة

بالتربية الصحيحة التي تضمن لنا حياة سعيدة في الحياة الآخرة، ومما يؤسف له أنني سمعت عن وجود تقصير من جانب شبابنا في العمل بهذه الأحكام الإسلامية كأداء الصلاة التي لها أهمية كبيرة في الإسلام.

وربما - لا سمح الله - أهملتم هذه الصفات العلاجية اثر عدم معرفتكم بقيمتها وأهميتها. فهللما قبل فوات الأوان وقبل يوم لا ينفع فيه الندم. ولا بد من الإشارة إلى أن الإسلام - بخلاف المسيحية - لم يعتن بجانب وُبعد واحد على حساب بقية الأبعاد والجوانب التي يحتاجها الإنسان في حياته. فالأحكام التي جاء بها الإسلام، سواء ما يتعلق منها بالشؤون السياسية، أو أحكام الثقافة الإسلامية، فكلها تنسجم مع احتياجات الإنسان، فبمقدار حاجة الإنسان إلى الطبيعة توجد هناك أحكام خاصة بالطبيعة. ونحن، وللأسف، غافلون عن حاجة الإنسان هذه إلى ما وراء الطبيعة، ونجهل الأمور المعنوية التي نحن بأمرس الحاجة إليها، والكفيلة بتربيتنا تربية سليمة وتحقيق سعادتنا.

إن الله (تبارك وتعالى) غني عن أعمالنا وعباداتنا. الأنبياء (ع) أيضاً لا حاجة لهم بأعمالنا. وعندما نراجع حياة وتاريخ الأنبياء، نجد أنهم قد بذلوا ما بوسعهم وتحملوا من العناء ما تحملوا في سبيل تربيتنا وسعادتنا. فعندما تدرسون أو تراجعون حياة النبي موسى (ع) والنبي عيسى (ع) أو حياة نبينا محمد (ص) خاصة، أو عندما تراجعون التاريخ الإسلامي، تجدون أن بعض الأنبياء قد أقام دولة وكانت لديهم سلطة على الناس. ولكنهم لم يكونوا يتصرفون كما يتصرف رؤساء الجمهوريات والزعماء السياسيين اليوم.

ومع أن رسول الله (ص) كان قد بسط في حياته رسالته على بلاد العرب وبعض البلدان الأخرى، ولكنه لم يقم بما يقوم به رؤساء جمهوريات وزعماء العالم. وكان (ص) حينما يجلس في المسجد يقرب أصدقاءه إليه ويتحدث معهم بكل تواضع، بحيث لم يكن بميسور القادمين من خارج المسجد والذين لم يروا الرسول إلى ذاك الحين أن يميزوا الرسول (ص) من الآخرين.

على هذا النحو كانت عشرته ومعايشته لأصحابه. لا تتصوروا أنه كان يجلس على مثل هذا المقعد الذي أجلستموني عليه. بل كان يجلس على بساط شبيه بهذا البساط الذي جلستم عليه، بحيث كان القادم من خارج المسجد يجد عناء التعرف عليه.

وكان بإمكان من يروم الذهاب إليه أن يلتقي به بكل بساطة وسهولة، خلافاً لرؤساء الجمهوريات اليوم، إذ على كل من يريد أن يلتقي بهم أن يتحمل المشقة والعناء، وقد لا تتحقق أمنيته أبداً. فجميع الناس كانوا يحدثون الرسول (ص) ويتحدث معهم ويسمعون إجابته على أسئلتهم. أما عن بيته فقد كان منزله ملاصقاً للمسجد، ولا تتصوروا أن المسجد يشابه مساجد المدن الحالية، فقد كان أساساً قطعة أرض أحاطوها بالخشب وأغصان الشجر لتجنب دخول الحيوانات. ولم يكن في داخله سوى غرفة أو غرفتين مبنية من الطين. ولم يكن في مسجد الرسول (ص) سوى أشياء بسيطة، إذ كان منزله بسيطاً للغاية لا كما هو الحال في بيوتنا.

أما عن حياة أمير المؤمنين علي (ع)، فقد بسط نفوذ حكومته وإمامته على بلاد شاسعة شملت جميع أرجاء الحجاز والعراق وسوريا ولبنان ومصر وإيران وتوحدت كل هذه البلدان تحت لوائه. فكيف يا ترى كانت حياته؟ هل كانت مشابهة لحياة الأمراء؟ كان الإمام (ع) يمتلك فقط جلد خروف يفرشه ليلاً، حسب ما يذكر التاريخ، وبنام عليه هو وزوجته. وفي النهار كان يحشي جلد الخروف علفاً ليعلفوا بها البعير. وكان يحفر القناة بيده. وفي نفس اليوم الذي تمت فيه مبايعة المسلمين له، عاود العمل الذي كان يعمل، ولم يكن يعمل من أجل نفسه ومن أجل منفعته الخاصة بل حفر قناة وجعلها وقفا للفقراء. ونحن أيها السادة نريد حاكماً يقتدي بالرسول الأكرم (ص) والإمام علي (ع)، نحن الذين تحملنا المشقات وعانينا ما عانينا، وعندما نكلم شعبنا المسلم فإن خلاصة ما نريد هو مطالبتنا بحاكم لا يكون خائناً.

وينقل عن الإمام (ع) أنه كان يحسب عوائد بيت المال كالزكاة، ومقدار ما يجب أن يدفعه الناس من ضرائب لبيت المال. كان مصباحه الزيتي بيده ليضيء به المكان، وبينما هو منهمكاً بإعداد الكشوفات جاء شخص حسب ما تذكره الرواية^(١) وكان له حديث خاص مع الإمام (ع) فأطفاً الإمام المصباح ثم راح يحدثه.

والآن أتمم تلاحظون ماذا يفعل هؤلاء السلاطين. ونحن لم نطلع إلا على القليل من جرائمهم. راجعوا أحداث إيران لتروا ماذا يفعل هذا المجرم^(٢) وكيف يعيث فساداً في البلاد وكيف يتصرف مع بيت المال؟ بيت المسلمين. إن هؤلاء الحكام الذين يتساءلون عن هوية الإسلام عليهم أن يدركوا أن الإسلام لا يريد أن يخرب أو أن ينسف ويهدم كل شيء. وعلى العكس مما يتصورون فإن الإسلام يسعى للحفاظ على نظم الطبيعة وتطهير العالم مما علق به من مفسد ولا بد من حكومة إسلامية تحقق هذا الهدف العظيم، حكومة لا تسرق ولا تخون شعبها. وقد كانت للمسلمين حكومة وسلطة لم ترافقها أعمال النهب أو السلب والخيانة. وانطلاقاً من ذلك لا بد من حكومة إسلامية ووجود حاكم إسلامي ونظام إسلامي.^(٣)

إن أحد أسباب مطالبتنا بوجود حكومة إسلامية، والإطاحة بالحكومة الملكية القذرة هو أننا لم نر ولم نقرأ في كتب التاريخ أن أحداً من السلاطين والحكام مهما كان متغطرساً وظالماً أن يخون شعبه ووطنه. صحيح أن أكثر الحكام كانوا جبابرة فاسدين ويعتدون على الناس، لكن لم يجرؤ أحد منهم أن يبيع وطنه إلى الأجنبي. ولم يقدم أحدهم على تقديم ثروات شعبه إلى الأجنبي مجاناً. ولكن هذا الأمر قد حصل في زمان هذا الرجل

(١) راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، المجلد الثاني.

(٢) الملك.

(٣) في كتابه "ولاية الفقيه" خصص الإمام القائد فصلاً تطرق فيه بالتفصيل إلى نمط الحكومة الإسلامية وأوصافها ووظائفها وأهدافها، وقد عنوانه بعنوان "نمط الحكم الإسلامي"، كما تطرق في هذا الفصل إلى اختلاف الحكومة الإسلامية عن سائر الحكومات الأخرى، وشروط الحاكم في فترة الغيبة.

(الملك) وانحصرت هذه الخيانات بشخصه الفاسد إذ بدد الأجانب في زمانه كل ما نمتلك، هم يعيشون حياة مترفة، والشعب يعيش حالة فقر شديدة، ولقد كررت هذا الحديث خلال هذه الأيام أكثر من مرة، فقد اطلعت أخيراً أن إحدى شقيقات الملك قد شيد لها قصراً لم يقدر ثمنه إلى حد الآن. وقد يقدر في المستقبل بمبلغ يحير العقول. وأذكر أن خمسة ملايين دولار قد صرفت على تزيينه وهدائمه. في حين أننا نفتدي بحاكم كان يطفئ المصباح الذي هو ملك لجميع المسلمين من أجل أن يحدث أحد أصحابه حديثاً خصوصياً. إننا نفتدي بإمام قصره هو المجد الذي حظي به دون غيره.. وقد حل هذا الإمام العظيم ضيفاً على ابتته وذلك في الليلة الأخيرة من حياته، وكان حينها في عز عظمتها، فقدمت له ابتته خبزاً مع الملح والحليب، فقال لها: متى رأيتني أكل طعامين في وجبة واحدة؟ فقدمت له الحليب، لكنه طلب منها أن تقدم له الخبز والملح بدل ذلك. واكتفى أمير الحجاز وإيران وسوريا ولبنان والعراق وبلدان أخرى يأكل الخبز والملح.

أما الأخت المجرمة للملك فقد بذرت خمسة ملايين دولار من أموال الشعب في أعمال تلحيط وبستنة قصرها! بالإضافة إلى كلفة العقار التي لم يعلن عنها. وقد قرأت في الصحف ليلة أمس أن الملك قد احتفل ليلة الرابع من آبان بصحبة أخته فرح فقط، إذ هرب بقية أفراد الطغمة الحاكمة إلى الخارج بعد أن نهبوا أموال الشعب وهربوها إلى أميركا، ويقال إنهم اتصلوا هاتفياً قبل عدة أيام بإيران وأمروا بشحن طائرة بالمجوهرات ونقلها إلى أميركا. ولأن الملك يحتمل نهايته والإطاحة به لذا قام بعمليات نهب موسعة.

نحن نطالب بقيام حكومة إسلامية ولا نسمح بحدوث الفوضى، البعض يقول لنا إنكم تريدون أن تقيموا حكومة إسلامية ستوقف عجلة تقدم البلد وهذه هي إشاعات باطلة ومغرضة يروج لها الإعلام. وإنما نريد أن نحرك عجلات التقدم، وعلى نحو توفر مصالحنا لا مصالح الأجانب، وسنحول دون بيع نفطنا إلى أوروبا بأسعار زهيدة، سنقوم بتصدير مقدار معقول من النفط، ونشترط أن نكون أحراراً في التصرف بعائدات النفط، لا أن يبنوا بعائدات النفط قواعد عسكرية أميركية. ونحن ضد الفوضى، ولكننا في نفس الوقت نسعى للإطاحة بحكومة تنهب شعبنا وتخون وطنها. ونطالب بقيام حكومة إسلامية مخلصه لشعبها المسلم. ونطالب بحكومة لا تقتل شعبها لمجرد أنه يهتف ضد الملك ويعلن تدمره واستيائه منه. وخلاصة القول: أرجو أن لا يثيروا الذعر فيكم من الحكومة الإسلامية، لأن الحكومة الإسلامية هي حكومة العدالة، وهي تسعى إلى تحقيق حياة سعيدة لشعبها إن شاء الله تعالى، ونأمل من الله تعالى أن تتحقق هذه الحكومة عاجلاً غير آجل. (الحاضرون: إن شاء الله).

هوية الخطاب رقم - ٤٨

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٥ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الغفلة عن الجوانب المعنوية آفة النهضة.

المناسبة: استهانة التيارات الالتقاطية بالجوانب المعنوية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

تابعنا في الجزء الأول من هذه المجموعة وقائع نهضة الإمام الخميني (س) التي تمتد جذورها في النهضة الإصلاحية لأنبياء الله وأوليائه. كما تابعنا حوادث الثورة الإسلامية منذ انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣م. إلى الوقائع التي سبقت تاريخ هذه الخطبة، وفي هذا الجزء نتابع وقائع هذه النهضة الإسلامية، استناداً إلى الشواهد التاريخية والوثائق الموثقة وأحاديث هذا الرجل العظيم الذي عاش حوادث الثورة الإسلامية التضحية وقاد نهضتها.

يتزامن تاريخ الخطبة مع أيام الذكرى السنوية للخطبة التاريخية التي ألقاها الإمام الخميني ضد قانون الحصانة القضائية للأميركان العاملين في إيران، وذكرى نفى الإمام إلى تركيا، حيث تصاعدت وقائع النهضة الشاملة التي شهدتها أرجاء إيران ضد النظام الملكي المدعوم من قبل الدول الغربية وأميركا.

استقر الإمام الخميني (س) استمراراً لهجرته المصيرية في ضاحية "نوفل لوشاتو" الباريسية، وجعل منها أكثر بقاع العالم استقطاباً للأنظار لكثافة أخبارها، وحوّلها إلى مركز لمراسلي وسائل الإعلام! وقد ضعف الحصار الإعلامي المفروض على النهضة بفضل الانتفاضة الأخيرة للشعب الإيراني فأخذت الصحف تنقل بعض مشاهد هذه النهضة التضحية.

وكانت حكومة شريف إمامي والملك والبلاط ومنظمة الأمن وكافة أركان النظام الملكي قد بذلوا قصارى جهودهم للحيلولة دون سقوط النظام، ولكن دون جدوى حيث بلغت أزمة النظام ذروتها، ولم تسفر كافة مساعي سفراء أميركا وإنكلترا وتصريحات "كارتر" المتتابة وسائر ساسة الدول الغربية في دعم الملك سوى عن المزيد من المجازر التي كان يرتكبها جلاوزة الحكومة العسكرية، مما أدى إلى تجلي مظلومية هذا الشعب.

في تلك الأيام كان جلاوزة الحكومة العسكرية يواجهون المسيرات والتظاهرات الشعبية بالحديد والنار، مهما كانت هادئة وسلمية. ففي مدينة همدان، مثلاً كانوا يلاحقون الناس عبر الأزقة ويرمونهم بالرصاص، نقرأ في تقرير أرسله، باضطراب، مراسل إحدى الصحف إلى المحررين في الصحيفة في هذه المدينة حيث يقول:..

لقد أصبحت هذه المدينة مثل صعيد كربلاء، فهم يرمون كل متحرك بالرصاص. والمدينة معطلة بالكامل، والقوات المدرعة تشاهد في كافة أرجائها بدباباتها ومدرعانها وحافلاتها العسكرية.

وقد اعتصم كافة المحامين في المدينة في مقر مدعيها العام وأعلنوا أنهم لن ينهوا اعتصامهم إلا بعد تحديد ومعاينة المسؤولين عن هذه المجازر، بل إنهم لن يغادروا غرفة المدعي العام لا في الليل ولا في النهار.

وعندما يسأل المدعي العام رئيس الشرطة عن عدد القتلى والجرحى يجيب بكل برد... جرح ثمانية من مراتب الشرطة واثنان من ضباطهم!! ويعلن أن عدد القتلى من المتظاهرين هو ستة أشخاص. لكن المدعي العام وسائر الناس يعلمون أن العدد أكبر من هذا الرقم بكثير، وقد كتب المدعي العام رسالة شديدة اللهجة لرئيس الشرطة وأمر بعدم السماح للجرحى بمغادرة المستشفيات بهدف إجراء التحقيقات اللازمة لمعرفة المسؤولين عن ارتكاب هذه الحوادث.

١٣٠ فتاة من طالبات المعهد العالي في مدينة همدان يُضربن عن الدراسة ويتظاهرن في ساحة المعهد العالي احتجاجاً على قتل أهالي المدينة، وتنقل وكالة "رويتر" من باريس عن أحد المقربين من الإمام الخميني (س) أن ما بين ٣٠ و ٤٠ شخصا قد قتلوا في حوادث همدان الدامية. وقال هذا الشخص الذي كان على اتصال بالعاصمة طهران لمراسل "رويتر"، وصل عدد الشهداء حتى الساعة السادسة عصراً إلى ٣٠ أو ٤٠ شهيداً.^(١)

كما ذكرت الأخبار الواردة من مدينة قم (في ذلك اليوم) أن حرم السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم (ع) قد شهد خروج تظاهرات بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء. كما تظاهر اليوم طلبة المدرسة الفنية والصناعية خارج مبنى المدرسة. وأغلق اليوم أكبر المعاهد الدراسية في مدينو قم وهو ثانوية "حكيم نظامي" التي يبلغ عدد طلابها ١٦٠٠، حيث منعتهم الشرطة صباح اليوم من الدخول إلى المدرسة بسبب التظاهرات التي كانوا يخرجون فيها يومياً. ونقل المراسلون أن هتافات هؤلاء الطلاب الـ ١٦٠٠ تسمع من مسافات بعيدة وهي تردد شعارات: "يعيش الخميني" .. "الموت للملك" .. ولم يكن أمام الحكومة العسكرية سوى إغلاق المدرسة، لكن هؤلاء الطلبة نزلوا إلى الشوارع عندما لم يسمح لهم بدخول المدرسة.^(٢)

وقد دفع خبر القيود التي فرضتها الحكومة الفرنسية على الإمام الخميني (س) بشأن إجراء الأحاديث الصحفية مع مراسلي وكالات الأنباء، قضاة العدلية في إيران إلى إرسال رسالة إلى الرئيس الفرنسي آنذاك "جيسكار ديستان" ذكروه فيها بالتوقعات العادلة للشعب الإيراني بشأن التعامل المناسب مع مثله الحقيقي،

(١) أرشيف وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية (وكالة بارس سابقاً)، وكذلك أرشيف صحيفة "كيهان".

(٢) راجع الصحف الصادرة يومي ٢٧ و ٢٨ أكتوبر ١٩٧٨م.

خاصة وأن "آية الله العظمى الخميني ليس قائدا دينيا للمسلمين وحسب بل هو قائد كبير للكفاح الوطني العادي للاستعمار في السنين الأخيرة".

في خضم ذلك كان السادة المخضرمون، كما كانوا يوصفون، يعربون عن وجهات نظرهم تجاه مستقبل إيران. فمثلا قال "شاهبور بختيار" في مقابلة مع صحيفة كيهان: "أرى المستقبل مظلما للغاية، ومع الأسف لا أرى فيه أي بصيص من النور إذا لم يشهد البلد تحولا أساسيا. وإذا ما استمرت الأوضاع على هذا المنوال، ومع انعدام ثقة الشعب بالجهاز الحاكم، فإنني وللأسف لا أرى إشراقا في المستقبل.." وأضاف قائلا: "من أجل تغيير الأوضاع ينبغي بالحكومة أولا التخلي عن موقعها لصالح أشخاص يحظون بثقة الشعب.." وفي نفس تلك الفترة كان بختيار قد تم إعداده كوجه احتياطي، فقد أجرى النظام وأميركا معه مفاوضات بهذا الخصوص.

وقد توقع "مظهري"، وهو نائب في مجلس الشورى الوطني آنذاك، وقوع حرب أهلية. فيما اعتبر الصحفي أبو الفضل قاسمي "أن الحل يكمن في إقرار حاكمية الدستور وتحقيق الديمقراطية.

أما وزير الإعلام والسياحة آنذاك "عامل طهراني" فقد انتقد بعض السياسات السابقة وقدم بعض الحلول، ثم علق آماله على منظمة الأمن وقال: "إن قلبي يحدثني أن مستقبل إيران سيكون مشرقا".

كما حملت الأخبار المرسلة إلى الصحف في ذلك اليوم عناوين من قبيل: عاملو الشركة الخاصة بالخدمات النفطية (شركة كنسرسيوم سابقا) المضربون عن العمل يطالبون بإخراج الأجانب من مجال الصناعات النفطية.

- مقتل اثنين في تظاهرات مدينة خرم آباد.

- الآلاف من طلبة المدارس يتوجهون على شكل تظاهرات للالتحاق بتظاهرات الجامعيين في جامعة طهران.

- أهالي مدينة بروجرد يخرجون في تظاهرات شاملة.

- جماعة علماء الدين في مدينة همدان تحتج على عنف الشرطة.

- خروج تظاهرات طلبة المدارس ومعلميها في مدينة شاهرود.

نهضة الإمام أخذت تستعد لجني ثمارها ولحظات الانتصار تقترب. والإمام الخميني (س) يفكر بمستقبل الثورة وتربية الجيل الذي سيأخذ بزمامها. فقد دخل الشباب في ميادين المواجهة بشكل لم يسبق له مثيل. فيما انبرت الأحزاب والمنظمات التي لا تؤمن بالأصول الأخلاقية والقيم المعنوية الإسلامية إلى استغلال التطورات الجديدة وأخذت تعلن عن نفسها وتنهمك في استقطاب الأنصار.

الضجة الدعائية التي أثارها منظمة "مجاهدي الشعب" (المنافقين) ضيعت أصوات الذين تصدوا للانحرافات العقائدية التي ظهرت في المنظمة ودفعوا أرواحهم ثمنا لهذا الموقف خلال التصفيات الدموية التي

جرت داخل المنظمة. وكان نتيجة ذلك رواج الأفكار التلقيفية الالتقاطية غير الأصلية بين أوساطها. أما القوميون فكانوا يرون أن النهاية المنتصرة للانتفاضة تتحقق في إزالة الاستبداد وإقامة الحكومة الديمقراطية. وكانت حركة الأحداث السياسية تتميز بالسرعة، وبروز الجوانب السياسية للنهضة قد غطى على القضايا الأخرى. من هنا نلاحظ الإمام الخميني (س) يتحدث في خطبته الحالية عن الاحتياجات المادية والمعنوية للإنسان، وينطلق منها لتوضيح المراحل المختلفة لتكامل الإنسان في الجانب المادي. ثم يفصل الحديث عن احتياجاته المعنوية، ويعتبر تربية وتنمية الجوانب المعنوية من أهم مهام الأنبياء، وإنها هي التي تميز الإنسان عن سائر الموجودات الحية. ثم يشير إلى النظرة التي يتبناها أدياء معرفة الإسلام، ثم يؤكد أن العارف الحقيقي بالإسلام هو الذي عرف كلا الجانبين المعنوي والمادي في هذا الدين الحنيف.

ومن القضايا المهمة التي تشتمل عليها الخطبة تأكيد الإمام الخميني (س) على ضرورة العمل في مجال "الجهاد الأكبر" أي جهاد النفس، إلى جانب مجاهدة النظام الطاغوتي، والخضوع لكافة أحكام الإسلام الظاهرية والباطنية، والعمل بها لكونها أسباب تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

والثورة كانت آنذاك في أمس الحاجة لهذه التوجيهات بالتحديد من أجل حفظ سلامتها من الانحراف واستمرار مسيرتها. تأجج أوار الثورة قد أدى لأن تبدو الأبعاد المعنوية خافتة لدى الشبان في ظل طغيان القضايا السياسية، بحيث أن التحدث عن الأمور الأخلاقية والمعنوية كان يثير آنذاك اعتراض بعض المثقفين وانتقاداتهم، وكان المتحدث عن مثل هذه الأمور يتعرض للاتهام بالجمود والتحجر الفكري وعدم معرفة حقائق الثورة الواقعية.

لكن الإمام الخميني كان يتحرك باتجاه هدف أسمى من مجرد إسقاط نظام سياسي معين. وهذه الخطبة الأخلاقية للإمام في ذروة تصاعد وقائع الثورة هي نموذج لمنهج في التحرك نرى أوضح مصاديق تجليه في الخطب العرفانية للإمام الحسين (ع) ودعائه ومناجاته في يوم عاشوراء وليلته.

الخطاب رقم - ٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المنزل صغير^(١)، لذا فهو يسبب الأذى للسادة الموقرين.. أتمنى لهم التوفيق والسلامة. وأود تذكير السادة، في خارج البلد وداخله وكذلك الشبان، ببعض الأمور الضرورية.

في السابق، وبعد انقضاء أمد على ظهور الإسلام، كان اهتمام أهل العلم وبعض الفئات المختلفة من الناس منصبا على الجوانب المعنوية في الإسلام. فهم كانوا يهتمون بالآيات والأحاديث الشريفة المتحدثة عن الجوانب المعنوية وتهذيب النفس وما وراء الطبيعة. والآيات المرتبطة بالقضايا المعنوية، أي بالوجهة الإنسانية من عالم الغيب، كثيرة.

وقد بقي الوضع على هذه الحال أمدا طويلا، وكان الاهتمام بالأحكام الاجتماعية والسياسية في الإسلام قليلا ومعدوما.

ثم ظهرت، شيئا فشيئا، فئات بالقضايا الاجتماعية والسياسية والقضايا الراهنة. لكن أفرادها وقعوا في الجهة المقابلة للأولى، أي أن اهتمامهم انحصر بهذه القضايا وبأحكام الشؤون الحكومية، فكانوا ينظرون في الجانب الآخر من الورقة فقط، فيما كان أمثال الفلاسفة والعرفاء والصوفية ينظرون إلى الجانب الأول فقط. وتنحصر أحاديثهم في الجوانب المعنوية من الإسلام وإليها يدعون الناس. بل إن بعضهم كان يسعى إلى تفسير الأحاديث الشريفة أو الآيات المرتبطة بالأمور الطبيعية والقضايا الاجتماعية والسياسية بالقضايا المعنوية هذه ويصفونها جميعا ضمن هذا الجانب الباطني للإسلام والقرآن.

وكان هذا ابتلاء بالطبع، لأن حصر الاهتمام بالجوانب المعنوية وإغفال القضايا الاجتماعية الواردة في القرآن، وعن الآيات والأخبار الواردة بشأن الحكم الإسلامي والسياسة الإسلامية والقضايا الاجتماعية وإعمار

(١) في ضاحية نوفل لوشاتو الواقعة على بعد ٢٥ كيلومترا من العاصمة الفرنسية باريس، وضع منزلان صغيران تحت تصرف الإمام الخميني (س) ومرافقيه. المنزل الأول صغير جدا. وكان يعيش فيه الإمام مع أفراد عائلته. أما المنزل الثاني، وكان يقع في الجهة المقابلة للمنزل الأول، فقد كان مخصصا للاجتماعات وللطلبة الجامعيين الإيرانيين ولأعضاء مكتب الإمام. وكان الإمام يقيم فيه صلاة الجماعة كما كان يصلي فيه نافلة الليل. كما استأجر محلا آخر كفندق لاستراحة الطلبة الجامعيين والمسافرين الذين كانوا يأتون لزيارة الإمام الخميني. وكان الشهيد مهدي العراقي يتولى مسؤولية إدارة هذا المحل. وبسبب ضيق المكان كان يقضي عشرون إلى ثلاثين شخصا ليلتهم في غرفة واحدة. وكان القادمون لزيارة الإمام يستطيعون البقاء في هذا المكان لمدة ليلتين. والجدير بالذكر هنا أن الإمام الراحل كان لا يسمح بدفع قيمة إيجار هذا المحل من سهم الإمام (الخمس) لما عرف به من دقة في صرف الحقوق الشرعية. لذا كان المتمكنون ماليا من الإيرانيين يتولون دفع قيمة الإيجار توسعة على الطلبة الجامعيين الإيرانيين.

هذا العالم، هي غفلة عن الإسلام وتحجيمه في بعد واحد والغفلة عن عالمه الطبيعي. فقد غفلوا عن أن الإسلام يهتم بعالم الطبيعة أيضا وبكل الأمور التي يحتاجها الإنسان.

ولهذا، فأحدى المشكلات التي ابتلي بها الإسلام هي مساعي أولئك الأشخاص، كالكلاميين، وأشد منهم الفلاسفة، وأشد من هؤلاء العرفاء والصوفية، الذين كانوا يريدون ويعزمون على صرف الآيات القرآنية كافة إلى الجوانب المعنوية.

بل وكانوا يسعون إلى إرجاع حتى الآيات والأخبار أو الروايات المتحدثة عن الشؤون الاجتماعية وعن عالم الطبيعة إلى الأمور المعنوية، غافلين عن الإسلام وشموليته، فقد كانوا مهتمين بأحد بعديه غافلين عن البعد الآخر. ينظرون إلى الباطن ويغفلون عن الظاهر.

أما اليوم، فقد أصبح ابتلاء الإسلام على نحو آخر. حيث يسعى شبابنا، الشبان المثقفون والذين بلغوا مراتب عالية في تعلم العلوم الطبيعية، إلى إرجاع كافة الآيات والأحاديث الشريفة إلى الأمور الطبيعية هذه، فيغفلون عن الجوانب المعنوية، وهم يرجعون حتى الآيات الخاصة بالقضايا المعنوية إلى المسائل الطبيعية والعادية. وهؤلاء أيضا يهتمون بالإسلام لكنهم غافلون بمعنى أنهم قرأوا إحدى صحيفتي الإسلام وغفلوا عن الأخرى.

وكلا هاتين الطائفتين لم تعرفا حقيقة الإسلام بالكامل. فدعوة الإسلام لا تنحصر لا بالجوانب المعنوية فقط ولا بالشؤون المادية فقط. بل إنها تشملهما معا، أي أن الإسلام والقرآن الكريم جاء لبناء وتربية الإنسان في كافة الجوانب.

عندما تلاحظون ماهية الإنسان تجدونه لا يختلف في أصل نشوئه عن سائر النباتات، فبذرة أي نبات، كنواة التمر أو غيرها، تودع في التربة، في محل معين منها فتربيها. وكذلك حال الحيوان تقع نطفته في الرحم، مثل البذرة، وتنمو فيه. فالأرض محل نمو وتربية البذرة النباتية، والرحم محل نمو وتربية نطفة الحيوان. وإذا تمكنوا من إيجاد محيط مناسب تتوفر فيه نفس خصائص الرحم لنمو وتربية النطفة لأصبح من الممكن تربية نطفة الإنسان خارج الرحم. فهو بالأصل نبات مثل سائر النباتات لا يختلف عنها في أصل النمو سوى من جهة محل النمو والشروط الخاصة بكل منهما. فهما مشتركان في أصل بذرة البذرة ثم نموها بواسطة القوى التي أودعها الله (تبارك وتعالى) في الأرض أو تلك التي أودعها في الرحم.

البذرة التي تزرع في الأرض تنمو تدريجيا لكنها تبقى في حدود الحالة النباتية إلى النهاية، حتى عندما تعطي ثمرتها. فثمرتها نباتية أيضا. أما النطفة التي تزرع في الرحم كما هو حال الحيوانات كافة وبضمنه الإنسان، فإنها تنتقل تدريجيا من المرحلة النباتية إلى مرتبة أعلى فتحصل وهي في هذا الرحم، على روح حيوانية تمتاز بها عن سائر الموجودات النباتية. حيث أن المشتركين في الروح الحيوانية حساً وحركة. وعندما يتولد أحدهم في هذا العالم ينفصل عن محله الأول وهذا امتياز لهم عن النباتات التي لو فصلوها عن محيطها

لانتهى أمرها. في حين أن الحيوانات تنفصل في الوقت المناسب. حيث تصل حالتها النباتية إلى كمالها، وتظهر مرتبتها الحيوانية فتقطع حاجتها للرحم. فتدخل هذا العالم وتشارك سائر الحيوانات في الأكل والشرب والشهوات وأمثالها. فلا فرق بين سائر الحيوانات من هذه النواحي.

لكن الحيوانات تتميز فيما بينها في القوة الإدراكية، حيث أنها في القرد مثلاً أقوى من غيره فهو يفهم شيئاً ما. أما الإنسان فهو يمتاز عن سائر الحيوانات بإمكانية وصوله إلى مراتب عديدة من الرقي. وهو يختلف عنها في الإدراكات وفي غايات الإدراك. فإن لسائر الحيوانات قوى إدراكية محدودة. أما الإنسان فينبغي القول إن إدراكاته واستعداداته للتربية غير محدودة تقريباً. فله كل ما في العالم الطبيعي وله أيضاً أشياء إضافية، يشترك فيها مع كافة الموجودات، من الحيوانات والنباتات والمعادن وأمثالها، بما يمتاز به من كمالات وجودية. لكنه يمتاز عنها بإضافة هي وجود قوة عاقلة وقوة أسمى فيه لا توجد لدى تلك الموجودات.

إذا كان الإنسان مثل سائر الحيوانات ينمو إلى الحد الذي تنمو إليه سائر الحيوانات، لما كانت ثمة حاجة للأنبياء، فما حاجتنا للأنبياء إذا كان الإنسان يأتي إلى هذا العالم ليعيش مثل الحيوانات يأكل وينام ثم يموت؟ إننا بحاجة للأنبياء لأن الإنسان ليس كسائر الحيوانات التي ينتهي أمرها وهي في حدود مرتبة الحيوانية. بل له مرتبة فوقها، مرتبة ما فوق العقل حتى يصل إلى مقام لا نستطيع التعبير عنه، فهذا المقام الأخير يعبرون عنه كمقام "الفناء"^(١)، أو مقام كالألوهية.^(٢)

وتربية الإنسان، من كافة أبعاده الجسدية والروحية والعقلية وما فوقها، أمر لا تطيقه الطاقات البشرية لأنها فاقدة للعلم باحتياجات الإنسان وكيفية تربيته فيما يرتبط بما وراء الطبيعة. فلو جمعتكم كافة قوى البشر لما استطاعت إدراك أكثر من خواص نفس هذا العالم الطبيعي، بل حتى خواص هذا العالم لم تكشف بالكامل للبشر فهي قد انكشفت بحدود معينة. وإن كانت الآونة الأخيرة قد شهدت تقدماً كبيراً في هذا الجانب، ولكن لا زالت هناك الكثير من الأمور لم تكتشف بعد وستكتشف فيما بعد. ومع ذلك تبقى هذه المكتشفات في حدود الطبيعة وهذا العالم المادي وهذا الجانب من الصحيفة.

إن ما يستطيع إدراكه البشر وما تسعه قوة إدراكه الطبيعية هو هذا العالم الطبيعي فلا يخرج من حدوده، حتى لو أدرك الإنسان، فرضاً، كافة خصوصيات هذا العالم واكتشف كل ما يرتبط بكمال الطبيعة وما يحدث فيها من تطورات. فيظل جاهلاً بما وراءها وما فيها. كما أن ما يستطيع أن يدركه حتى لو بذل قصارى جهده،

(١) "الفناء" مصطلح عرفاني يعني فناء العبد في الحق (الله تبارك وتعالى)، أي فناء الجينة البشرية منه في الجينة التربوية. وهذا نهاية سير العبد إلى الله (تبارك وتعالى). للمزيد من التوضيح يراجع كتاب "مصابيح الهداية"، ص ٢٠٧.

(٢) وهو عالم الذات والصفات والأفعال. ويعتقد الفلاسفة والحكماء الإسلاميون بوجود أربعة عوالم أو أربع نشآت هي: عالم الطبيعة (أو الناشئ..)، عالم المثال (أو الملكوت)، وعالم العقول (أو الجبروت)، وعالم الألوهية (أو اللاهوت).

فيما يرتبط بالعلائق القائمة بين الأشياء لا يتجاوز حدود العلائق الطبيعية بين الأشياء. كالعلل والمعلومات والأسباب والمسببات. وهذا الأمر يبقى على ثباته حتى عندما يتقدم الإنسان ويكتسب العلوم ويصل إلى كشف شؤون هذا العالم فلا يتجاوز علمه حدود إدراك هذا العالم الطبيعي بكافة خصوصياته واكتشاف كافة العلائق بين أجزائه.

فهو مثلا يستطيع معرفة علاقة الزلزلة بالأرض وزمن وقوعها وتحديد كافة نتائجها وآثارها ومقدارها واتجاهها أفقيا أو عموديا. كما يستطيع معرفة علاقة طبيعة الإنسان والشيء الفلاني وأمثال ذلك. فلو فرضنا أنه أدركها جميعا ولم يبق أمامه مجهولا منها فإدراكه هو في حدود العالم الطبيعي لا يتعداه إلى ما وراءه ولا يستطيع ذلك. ولذلك أنكرت طائفة من الفلاسفة، الفلاسفة الطبيعيين، ما وراء الطبيعة دونما دليل على هذا الإنكار الناتج من مجرد أن ما وراء عالم الطبيعة ليس حسيا ولا يمكن إدراكه بالعين. أي أنهم قالوا:.. لكوننا لم نره، كالعقل المجرد مثلا، بالعين المجردة ولم يخضع لسكين التشريح، لذا يمكننا أن نقول إنه "عدم"!!^(١)

وهذا القول خاطئ. فالواجب أن يقول: لا علم لي به، لا أقول إنه عدم. فالصحيح أن يقول الإنسان تجاه ما يجهله: إني وصلت إلى هذا الحد فأصدق هذا المقدار فلا علم لي بما عداه. لا أن يقول إنه "عدم" لمجرد عدم الإطلاع عليه. فأنتم لا تحيطون علما بكل العالم أو العوالم، لذا لا ينبغي لكم الإنكار.

هؤلاء وصلوا إلى هذا الحد من العلم، وهو حد الطبيعة، لا يتجاوزونه حتى لو انكشف لهم كافة خصوصياتها وطاقاتها وقواها والعلاقات بين أجزائها فلا يستطيعون توفير أكثر من الطموحات الطبيعية للإنسان وحاجاتنا الطبيعية. وغاية الأمر أن توفيرها يتناسب مع مقدار القوى الطبيعية المختلفة. فسبقا كان يلبي حاجته للتنقل بواسطة الجمال، واليوم بواسطة الطائرة، وقد يكتشف ما هو أكثر تطورا منها. ولكن التطور يبقى في حدود الطبيعة والاحتياجات الطبيعية.

ولو كان الإنسان منحصرا في حقيقته الوجودية في حدود العالم الطبيعي لما كانت ثمة حاجة لإرسال شيء له من عالم الغيب لتربية أو تنمية البعد غير الطبيعي من الإنسان. ولكن للإنسان بعدا مجردا موجودا على نحو الحقيقة تدل عليه نفس خصوصيات العالم الطبيعي، وهذا البعد تؤكد البراهين الفلسفية الثابتة. وتثبت أن للإنسان، بالإمكان (بالقوة) عقلا مجردا سيصبح مستقبلا مجردا تاما.

والذي تكفل بتربية هذا البعد المعنوي (غير الطبيعي) للإنسان يجب أن يكون عالما علما حقيقيا بالعالم الآخر (ما وراء الطبيعة)، قادرا على فهم علائق الإنسان بهذا العالم الآخر. وهذا العلم لا يمكن توفره في البشر

(١) قال الطبيب الفرنسي "فرانسوا بروسى": لن أؤمن بوجود الروح إلا إذا اكتشفتها تحت سكينتي في عملية. نقلا عن كتاب "أصول الفلسفة والمنهج المادي"، ج ١، ص ٦٢ من الطبعة الفارسية.

لأن الإدراك البشري لا يستطيع فهم ما وراء الطبيعة مهما دق بصره، فإن ما وراء الطبيعة لا يمكن رؤيته بالمجهر، وإدراكه يحتاج أموراً أخرى.

ولأن هذه الأمور والعلائق خافية على البشر، وأن العالم بها هو الله (تبارك وتعالى) فهو خالق كل شيء. لذا تقام علاقة ما بين الإنسان وبين عالم الوحي الإلهي بواسطة أشخاص وصلوا للكمال وسعوا للكمالات المعنوية وعرفوها، فيُبعثون إلى الناس لتربيتهم وتنمية البعد الثاني في الإنسان.

والله غني عنا وعن تربيتنا، لا يضره أن نكون جميعاً مشركين، ولا ينفعه أن نصبح جميعاً موحدين. فالضرر والنفع متعلق بنا. وبعثة الأنبياء هي من أجل تربيتنا نحن، وتنمية البعد المعنوي فينا بالصورة التي تكون معها حياتنا سعيدة في العالم الآخر. ولو انعدمت تربية هذا البعد وانتقل الإنسان بهذا الطبع الحيواني إلى العالم الآخر فسيُحرم السعادة فيه، وتكون عاقبته الشقاء والسقوط في الظلمات.

لقد جاء الأنبياء من أجل تربيتنا، وبوحي من الله تعالى، في الجانب المعنوي؛ ونقلنا، بصورة تاريخية، من عالم الطبيعة إلى ذلك، وتقوية البعد المعنوي فينا لكي تكون حياتنا في العالم الآخر سعيدة بعدما نتقل إليه. ولولا الأنبياء لكنا حيوانات لا تدرك أكثر من هذا العالم الطبيعي. فبعثة الأنبياء إنما تهدف إلى تربية الإنسان المستعد للرقى إلى ما فوق المرتبة الحيوانية لتكون حياته الأخروية سعيدة أيضاً، كما هو حال حياته في العالم الطبيعي التي تكون كذلك إذا كانت كافة أحواله فيه على وفق ما يريد، وهذا لطف من الله (تبارك وتعالى) بالإنسان المستعد لهذه التربية.

تشتمل تربية الوحي الإلهي والأنبياء على تبيان العلائق بين هذين العالمين والأعمال المؤثرة في تربيتنا المعنوية إذا قمنا بها، ودعوتنا إلى القيام بها. وبالطبع فنحن لا نعرف علاقة إقامة الصلاة بالسعادة الأخروية.

لكن الله يعرفها. مثلما أنني وأنتم نجهل علاقة هذا الدواء الذي يعطيه الطبيب بالمرض الفلاني لكوننا لسنا أطباء لكنه دواء مؤثر. والطبيب الذي أدرك هذا التأثير أخبرنا بتناول هذا الدواء، وعلينا الطاعة لكي نبرأ من المرض.

والأنبياء هم العارفون – بواسطة الوحي الإلهي – بآثار أعمالنا الصالحة على سعادة العالم الآخر، وقد جاؤوا ليقولوا لنا: قوموا بالعمل الفلاني فهو يربي روحكم، ويؤثر في حياتكم الأخروية وسعادتها. كما نهوننا عن الأعمال المهلكة المدمرة للحياة الأخروية. فمثلما توجد بعض الأشياء الطبيعية السامة التي تهلك الإنسان إذا أكلها. كذلك توجد في عالم ما وراء الطبيعة عمل وعقائد هي بمثابة السم القاتل للإنسان إذا اعتقد أو قام بها. ولتأثيرها مراتب أيضاً كما هو الحال مع السم الطبيعي. فتارة يمكن معالجة الإنسان من آثاره السمية، وتارة أخرى يستحيل العلاج إذا تبادى الإنسان في تناول هذه الأشياء السامة.

وبالطبع فإن بعض أوامر ونواهي الأنبياء ترتبط بتنظيم عالم الطبيعة والحياة الاجتماعية فيه، ولكن قيماً كبيرة منها لا تتعلق بهذا الجانب بل ما وراء الطبيعة. فالإنسان موجود يحتاج إلى كل شيء من الماديات والمعنويات، وقد جاء الأنبياء لإرشاده إلى تلبية كل هذه الاحتياجات وهدايته إلى الأعمال التي تحقق له السعادة الكاملة إذا قام بها.

إذاً، فكلتا هاتين الطائفتين جاهلتان الإسلام. فلا يعرفه الذين أخذوا جانبه المعنوي وتركوا جانبه الاجتماعي، ولا الذين أخذوا جانبه الاجتماعي والسياسي وتركوا بعده الآخر. أما العارف بالإسلام فهو الذي يعرف كلا بُعديه، المعنوي والظاهري المادي. والذي يريد أن يعرف حقيقة الإسلام فعليه أن يتعرف على هذين البعدين معاً، فيتعرف على الآيات والروايات والأحكام الواردة في الشؤون المالية بالمقدار الذي تسعه معرفته، وكذلك يتعرف على الوارد منها في مجال تنظيم شؤون المجتمع والسياسة والحكم، فمن عرف هذين البعدين – بالمقدار الممكن للإنسان – فقد عرف الإسلام.

الإسلام ليس مثل الرهبانية المسيحية، بالطبع فقد حرفوا دين المسيح، وإلا فهو لم يحصر اهتمامه بالمعنويات فقط، كما أنه ليس مثل دين موسى^(١) الذي يطغى فيه الاهتمام بالجانب الطبيعي (المادي) للإنسان. وبالطبع فإن موسى (ع) من الأنبياء العظام ومن أولي العزم وكان (إنساناً) كاملاً. وشرعته جاءت بما يحتاجه الإنسان، ولكن كتابه مثل كتاب عيسى (ع) قد اندرسا. والموجود منهما الآن يدل على أنهما ليسا التوراة الأصلية ولا الإنجيل الأصلي. أما كتابنا^(٢) فهو – والله الحمد – لا زال، ومنذ البداية، محفوظاً. بل وتوجد نسخ منه بخط يد أمير المؤمنين والإمام السجاد (ع)^(٣). فما بين أيدينا هو نفس القرآن ولم يتغير أصلاً.

وعلى أية حال فهدف الإسلام هو تربيتنا، وإذا لم نتبعه بكافة أبعاده فلن نترقى، ولا ينبغي لكم أيها الشباب الأعزاء الغفلة عن الجوانب المعنوية، وهي الجهاد الأكبر، بسبب انشغالكم الآن بالعلوم الطبيعية أو أشكال

(١) ورد في المتن تلفظها "سواً" (المسيح).

(٢) القرآن الكريم.

(٣) توجد عدة نسخ من القرآن الكريم تنسب إلى الإمام علي (ع) في مكتبات ومتاحف إيران والعالم. واستناداً إلى روايات عديدة فإن مصحف علي (ع) الذي هو من موارث الإمامة موجود عند إمام الزمان (عج). ونسخ القرآن المنسوبة له (ع) هي النسخة الموجودة في متحف حرم الإمام الرضا (ع) وهي مكتوبة بالخط الكوفي على جلد وتبدأ بسورة هود إلى نهاية سورة الكهف. وورد في نهايته "كتبه علي بن أبي طالب". النسخة الموجودة في مكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف وهي مكتوبة على الجلد بالخط الكوفي وكتبت في نهايتها هذه العبارة "كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة". النسخة الموجودة في متحف إيران القديمة وهي مكتوبة بالخط الكوفي على الجلد، وكتبت في نهايتها "كتبه وذُهبه علي بن أبي طالب". كما توجد في حرم الإمام الرضا نسخة من القرآن الكريم تنسب كتابتها إلى الإمام السجاد (ع) وهي مكتوبة أيضاً بالخط الكوفي على جلد غزال، وتبدأ من الآية ١٨٠ من سورة البقرة إلى نهاية القرآن. وكتب عليها اسم "علي بن أبي طالب".

النشاطات الجهادية الواجبة حاليا، وهذا الأمر يصدق علينا جميعا، فعلينا جميعا نصره إخواننا في الدين الذين يقاسون الابتلاء في إيران الآن ومساعدتهم كحد أدنى، بإيصال صوت مظلوميتهم حيثما كنا. لكن انشغالنا بمثل هذه النشاطات الجهادية أو باكتساب العلوم الطبيعية يجب أن لا يغفلنا عن الجانب الآخر. فوجودكم لا ينحصر في عنوان "المجاهد" أو "العالم الطبيعي"، فهذه عناوين الجانب المادي لعنوان "الإنسان" الذي يشتمل على الجانب المعنوي أيضا، فعليكم أن تجتهدوا فيه أيضا.

عليكم الاهتمام بجميع أحكام الله، فلا يصح للمسلم أن يقول:.. إنني أقبل الجوانب الجهادية في الإسلام دون جوانبه المعنوي، ولا أن يقول:.. أقبل جوانبه المعنوية دون الجهادية. بل يجب الأخذ بها جميعا، لأن المسلم هو الذي يؤمن بجميع ما جاء به النبي الأكرم (ص) ويعمل به.

وبناءً على هذا فلا يستخفوا بهذه الأحكام الظاهرية التي لا يعرف تأثيرها على روح الإنسان. فهي ذات تأثير مهم عليكم وعلى حياتكم في ما وراء حياتكم الطبيعية. فأكملوا جهادكم الظاهري وعلومكم الظاهرية والطبيعية وتابعوا في نفس الوقت الأمور المعنوية والجوانب الإلهية لتكون السعادة نصيبكم.

أسأل الله تعالى أن يرزقكم جميعا السعادة، وأن يوفقنا للعمل بواجباتنا الشرعية، وأحدها أن ندعم بما نستطيع هنا، هذه الحركة والنهضة التي تشهدها إيران حاليا، حيث يندفع أبناء الشعب الآن للتضحية بالأنفس والأموال والأبناء الأعزاء في هذا الطريق. وعليكم أتم أيها السادة الحاضرون هنا من مختلف الفئات، أن تطلعوا أصدقاءكم ومعارفكم من أهالي الدول التي تقيمون فيها، في أوروبا أو أميركا، على ما يجري في إيران. كلما التقيتم بهم في أي محفل أطلعوهم على جرائم العائلة البهلوية وهذا الملك، وهو أكثر خيانة وإجراما من كافة السلاطين الذين سبقوه أم لا؟ أليس مثل جرائمهم مضافا إليها الكثير من الأعمال الخيانية، حيث لأنه يعمد الآن إلى تخريب إيران فهو يريد أن يدمرها قبل أن يرحل. فأطلعوا أصدقاءكم على هذه الحقائق عندما تذهبون إلى معاهدكم العلمية، عسى أن يظهر بينهم، إن شاء الله، تيار يدعم إيران من حكوماتهم ومن المنصفين، وعسى أن يؤدي ذلك إلى قطع دابر شرور هذا الملك، واستئصال شره بمشيئة الله، وتصبح إيران لكم وتقطع عنها شرور الأجانب فتأخذون بزمام الحكم فيها وتديرونها بأنفسكم.

هوية الخطاب رقم - ٤٩

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٢٦ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الحرية والاستقلال هما المطلبان الأساسيان والمشروعان للشعب الإيراني.

المناسبة: استمرار النهضة وحاجة الثورة للكوادر المؤمنة والزكية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

التظاهرات متواصلة في مختلف أنحاء طهران، وقد أدى إضراب العاملين في شركة النفط وما تبعه من شح في مادة البنزين إلى إيجاد طوابير طويلة من السيارات مقابل محطات البنزين. في غضون ذلك بلغت المسيرات والتظاهرات في المدن الأخرى ذروتها، وبدأت مدينة همدان معطلة بالكامل بعد عشر ساعات من إطلاق النار والتظاهرات الدامية.

أفراد شرطة مدينة خرم آباد لجأوا إلى العنف لتفريق المعلمين والتلاميذ الذين خرجوا مع فئات أخرى من أبناء الشعب في مسيرات تصدت لها الشرطة بخراطيم المياه أولاً لتفرقة المتظاهرين فلم يتفرقوا. وعندها استخدمت الشرطة قنابل الغازات المسيلة للدموع، فواجهها المتظاهرون، وأكثرهم من الطلبة، بإضرار النار في إطارات السيارات لإبطال مفعول الغازات المسيلة للدموع. ثم هاجموا عددا من المصارف وحطموا زجاجها. والمدينة شبه معطلة، وقد تمركزت الدبابات والمدرعات في نقاط متعددة منها.

كما اشتبك المتظاهرون مع رجال الشرطة في مدينة دزفول أيضا، وقد جرح رئيس الشرطة بالعيارات النارية، ومحقق الادعاء العام مشغول بالتحقيق في إفادات شهود الحادثة، وقد أثنى محامو المدينة في برقية بعثوها له على تحركه لإحقاق حقوق الأهالي.

وفي مدن أنديمشك وكرمنشاه وعلي آباد جرجان وأرسنجان، خرج عشرات الآلاف في تظاهرات أطلقوا فيها شعارات تطالب بإسقاط الحكم البهلوي. كما شهدت مدينة مشهد المقدسة تظاهرات سلمية شارك فيها عشرات الآلاف. وقد اجتمعوا مقابل مبنى البلدية ومقر محافظ المدينة وهم يحملون صور شهدائهم، وقد ألقى أحد علماء الدين كلمة طالب فيها بمعاقبة المسؤولين عن قتل الأهالي العزل! وقد شبّ حريق في مسجد الجامع لمدينة راوركرمان وتدل القرائن أنه متعمد وقد سارع رجال الإطفاء والأهالي إلى المسجد وأخمدوا النار.

الحكومة أخذت تفكر بتبديل الوجوه العميلة. فقد عمد وزير الداخلية الجنرال قره باغي إلى تغيير خمسة من المحافظين في يوم واحد وعين محلهم وجوها جديدة وهم محافظو كهكيلويه وبوير أحمد ولرستان ومازندران وجهار محال بختياري.

في خضم هذه الأوضاع أعلن رئيس وكالة المخابرات المركزية الأميركية في تصريح صحفي عن أن: "من المحتمل أن يكون للإتحاد السوفيتي دور ما في الحوادث والاضطرابات القائمة في إيران".

لكنه قال في نفس الوقت: "إن الإتحاد السوفيتي لا يبذل مساعي مكثفة للإطاحة بالحكومة الإيرانية". وأضاف يقول في تصريحه: "إن المشكلات القائمة في إيران قد أوجدتها العناصر المحافظة لعرقله مساعي الحكومة الإيرانية الهادفة لتحديث البلد". أما الصحافة البريطانية فقد أخذت تعرب عن حرصها على مستقبل إيران وتقول: "إذا سقطت الحكومة الحالية في إيران فسيستلظ عليها اليساريون". وصرح وزير الخارجية الإنكليزي "دايفيد أوين" في برنامج تلفزيوني بث في لندن قائلا: "إن الأصدقاء الحقيقيين للإنسان هم الذين يقفون إلى جانبه عندما يتعرض للهجوم ويحتاج إليهم. وأعتقد أن علينا أن نختار، وأرى أننا يجب أن ندعم الحكومة الإيرانية لكي تواصل جهودها التحديثية وإعطاء المزيد من الحريات، ولا نسمح بخروجها عن هذا المسار، فلا ينبغي أن نساوم عملاء اليمين الرجعي ونسترضيهم".

أما الإتحاد السوفيتي، فقد كذب تصريحات رئيس وكالة المخابرات المركزية الأميركية، ونفى وجود أي تدخل سوفيتي في الحوادث الأخيرة في إيران. وقالت وكالة تاس للأخبار: "إن العلاقات بين الإتحاد السوفيتي وإيران قائمة على مبادئ المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية". ثم هاجمت الوكالة الشركات الأميركية التي تنهب منذ سنين الثروات الإيرانية. واتهمت حكومة واشنطن بأنها فرضت على إيران برامج تسليحية باهظة التكاليف تناقض بالكامل حاجاتها الدفاعية، محملة بذلك اقتصادها عبئا ثقيلا.

والجدير بالذكر أن الحكومة الأميركية والمعسكر الغربي كانوا يسعون إلى تبرير فشل كافة الخطط التي نفذوها لمواجهة التصاعد الجديد لنهضة الإمام الخميني (س) بنسبها الوقائع التي حصلت في إيران إلى القوى الخارجية. في حين أن الإتحاد السوفيتي الذي كان يتظاهر باللامبالاة تجاه جرائم النظام الإيراني كان يحصر اهتمامه بالحصول على أكبر قدر من المصالح، خائضا في سبيل ذلك حربا ضد منافسه الغربي، أميركا..

وفي الوقت الذي كان الشعب الإيراني يخرج فيه في مظاهرات في الشوارع والأزقة في المدن والقرى ويقدم الشهداء والجرحى، كانت الإذاعة البريطانية تنقل الخبر التالي: "أقيمت في لندن أمس مراسم محدودة احتفالا بمناسبة بدء انتشار المجلة الأسبوعية "إيرانشهر" التي تطبع في لندن ويتولى إدارتها الشاعر الإيراني أحمد شاملو، وقد حضر مراسم الاحتفال ممثلو بعض الصحف البريطانية ومجموعة من الأدباء الإيرانيين بينهم الكاتب المسرحي الإيراني غلام حسين ساعدي.. وقد رفض أحمد شاملو إعطاء توضيحات بشأن الشؤون المالية للمجلة واكتفى بالقول: توجد شركة أهلية خاصة مدعومة من داخل إيران وخارجها لها دور في هذا المجال!".

في غضون ذلك صرح السناتور جلالى نائينى، الذى كان يتولى أيضا رئاسة جمعية النواب قائلا: "من الممكن تهدئة الساخطين". ولكن كل هذه المساعي لم تحقق شيئا فكلمة الشعب واحدة ثابتة، تبعا لقائده وهي "يجب أن يرحل الملك"، ولم يكن مستعدا للتراجع عن هذا الموقف قيد أنملة.

الإمام الخميني يستند في هذه الخطبة على المطالبين المشروعين اللذين أكدهما هو والأمة منذ انتفاضة ١٥ خرداد (٥ حزيران) وهما الأصلان الثابتان "الحرية" و"الاستقلال"، كما يبين فيها حقيقة أن نظام الحكم الإسلامى، الذى تطالب به أغلبية الشعب الإيرانى، يختلف عن الأنظمة الاستبدادية الديكتاتورية، ويستدل بنماذج من تعامل نبي الإسلام (ص) والإمام علي (ع) مع حقوق الناس فيقول:

كما يشير الإمام في هذه الخطبة إلى صعوبة الوضع المعيشي للشعب الإيرانى والنهب الذى تتعرض له ثرواته من قبل الرأسماليين، ثم يهاجم بقوة مبدأ حماية مصالح المترفين الموسرين والرأسماليين وسحق حقوق الضعفاء المعدمين، ويعتبره من سمات الحكومات القائمة في عالم اليوم، ثم يقول: "الحكومة الإسلامية نظام عادل.. يجب منع نهب الأجانب وعملائهم لأموال الشعب.. يجب أن يعيش الناس في رفاهية.. يجب الاهتمام بأمور الفقراء والمساكين فلا تكون الثروات بأيدي الموسرين وحدهم..".

وفي نهاية الخطبة يذكر بضرورة رعاية الأحكام الإلهية ويقول: "مثلما تجاهدون وتدرسون عليكم أن تؤدوا الأعمال التي أوصى بها الله (تبارك وتعالى) ولا تستخفوا بها. أقيموا الصلاة ولا تستخفوا بها.. إذا جعلتهم ارتباطكم بالله تعالى قويا، أيديكم، ودفع عنكم كل شر، وحقق لكم الاستقلال والحرية..".

الخطاب رقم - ٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أعذر كثيرا عن عدم قدرتي على كثرة الالتقاء بالسادة الحاضرين، لكبر سني وضعف بدني. ولكن ليس ثمة حجاب بيني وبينكم أيها السادة وبين من لديه عمل معي. فأنا أستقبل الجميع وأنا أخ للجميع. وأرغب في لقائكم أيها السادة الذين تخدمون الإسلام وشعبكم وأنتم خارج بلدكم. ولكن يمنعني عن كثرة الخروج للقائكم كثرة مشاغلي^(١) وضيق الوقت وتقدم السن وضعف البدن عن ذلك وليس عدم رغبتى فيه. بل إنني أود أن أكون

(١) إضافة إلى لقائه اليومي، ولأكثر من مرة، بالطلبة الجامعيين وغيرهم وتحديثه إليهم في مقره في "نوفل لوشاتو"، كان الإمام الخميني يقوم بنفسه ضمن جدول أعماله اليومي بالأعمال التالية:

- كتابة الأجوبة على الاستفتاءات والأسئلة الشرعية.

- مطالعة ترجمة أخبار الصحف الأجنبية وتقاريرها وتحليلاتها السياسية المهمة.

- قراءة ودراسة الأخبار والتقارير الواردة من إيران والتطورات المرتبطة بمسيرة الثورة وشؤون البلد.

على اتصال دائم بكافة السادة. وإني شاكر لكم أيها الفتية المسلمون على جمعكم، وأنتم خارج بلدكم، بين اكتساب العلم وبين خدمة الإسلام والمسلمين.

وليس لدينا حديث جدي، فكلمتنا واحدة ثابتة. قلناها منذ بداية انطلاق هذه النهضة الإسلامية التي طوت مراحل مختلفة، تحركت في بعضها بسرعة وفي بعضها ببطء، وقد وصلت الآن - والله الحمد - إلى ذروتها. قلناها قبل ١٥ سنة أو أكثر وتابعتها وقلنا: أننا نريد للشعب الإيراني مطلبين كلاهما مشروعان تؤيدهما كافة المجتمعات التي لم تنحرف عن الصبغة الإنسانية.

الأول الحرية... فهذا الشعب، ذو الثلاثين أو الخمس وثلاثين مليوناً يعيش في أجواء القمع والاضطهاد الشامل لمختلف المجالات منذ خمسين سنة. فلا صحافته حرة ولا إذاعته وطنية يديرها الشعب بنفسه ولا خطبائنا أحراراً فيما يقولون. فكل الوسائل تدار تحت إرهاب وضغوط الشرطة. هذا الشعب كان محروماً بملايينه الثلاثين، طوال حقبة الخمسين سنة من حقه المشروع هذا، وانتفض الآن مطالباً به وهو يقول:.. نحن نريد الحرية وهذا مطلب سليم تؤيده كافة المحافل الإنسانية ولا يعترض أحد على مشروعيته.

الثاني الاستقلال.. فطوال الحقب السابقة وخاصة في عهد حكم هذا الأب وابنه^(١)، ولا سيما في عهد هذا الابن، كانت كافة شؤون بلدنا، ولا زالت، خاضعة لتسلط الأجانب. فاقصادنا مضطرب بسبب تسلطهم. وهم يأخذون نفطنا ويقيمون بئسهم قواعد لهم في إيران. فهم يبيعونه أسلحة لصنع قواعد لهم فيها. وقد جعلوا ثقافتنا مختلفة ومنعوا شبابنا من اكتساب العلوم خشية من ظهور من يعارضون سياستهم.

وهم يمنعون ثقافتنا الإسلامية من الانتشار. ويسعون بدعاياتهم لعزل الشعب عن الإسلام وعلمائه، لأنهم يرون الإسلام وعلمائه مضادين لأهدافهم. فلو تحقق تطبيق الإسلام بصورته الحقيقية، في إيران أو في غيرها لما بقي فيها محل للأجانب. فالإسلام يحكم بمنع الأجانب من التدخل في مقدرات المسلمين. ولو ملك علماء الإسلام القوة اللازمة لما سمحوا بنسيان هذا الحكم الإسلامي ولطباقه. ولذا أدرك الأجانب ضرورة تحطيم هاتين القوتين، أي الإسلام وعلمائه، لأنهما تشكلان عقبة بوجه مطامعهم. وهذه النتيجة توصلوا إليها بعد سنين طويلة أجرى خلالها خبراءهم دراسات بهذا الخصوص حددوا فيها أيضاً تدمير هذه العقبة.

- مطالعة رسائل الشخصيات السياسية والدينية من داخل إيران وخارجها، والإجابة على الرسائل المهمة منها.

- عقد اللقاءات الخاصة مع مختلف الشخصيات والمقابلات الصحفية، والإجابة على أسئلة مراسلي وسائل الإعلام المحلية والأجنبية (وقد نشرت في كتاب "طلیعة الثورة الإسلامية" ١١٣ مقابلة له خلال مدة إقامته في باريس).

- كتابة البيانات في مختلف مراحل الثورة. إضافة إلى أداء الفرائض والنوافل، وتلاوة جزء من القرآن الكريم يومياً ضمن أوقات منظمة، والالتقاء بأفراد عائلته.

(١) يقصد رضا خان وابنه محمد رضا بهلوي.

لقد توصلوا خلال دراساتهم إلى حقيقة أن وجود الثقافة الأصلية الفاعلة في البلد، ووجود جامعات سليمة مستقلة غير طفيلية، يؤدي إلى تربية كوادر سليمة وعلماء مستقلين فكريا يمنعون المستغلين من ممارسة استغلالهم. لذا يجب تعطيل دور هذه الثقافة الاستقلالية لفسح المجال أمام استغلالهم.

أما العقبة الأخرى وهي الأخطر من جميع العقبات على مطعمهم فهي الإسلام الذي يمنع استغلالهم وعلى هذا يجب تشويه صورته في أعين المسلمين وعزلهم عنه. ولتحقيق ذلك فإن مروجي أفكار الأجانب يروجون في كل مكان، وبكل وسيلة ممكنة، أقوالا من قبيل أن الإسلام شريعة لما قبل ١٤٠٠ سنة فهي غير مجدية في العصر الحاضر، وأنه رجعي، والعمل به تخلف وأمثال هذه الأقوال الخاوية.

ومنها أيضا ما تقوله طائفة أخرى من أن الإسلام استبدادي هو الآخر! وبالأمر قال شخص هنا: يقولون (ويبدو أنه أراد أن يقول عن نفسه لكنه خجل) إننا إذا أطحنا بهذا الديكتاتور فسنبتلي بديكتاتور إسلامي!! فقلت له: أي نموذج رأيتموه إلى الآن كمصداق للحكومة الإسلامية حتى فهمتم أنها ديكتاتورية؟!

أنقل هنا روايتين تحضراني لكي يتضح عمق جهل هؤلاء السادة الذين يتوهمون أن حكم الإسلام ديكتاتوري. أنقل الرواية الأولى عن الرسول الأكرم (ص)، وهو رئيس الإسلام على نحو الإطلاق. والثانية عن أمير المؤمنين (ع):

عندما كانت للرسول الأكرم (ص) حكومة المسلمين، وفي الأيام الأخيرة من حياته المباركة حضر إلى المسجد، وقد كان مريضا، فصعد المنبر وخطب في الناس وطلب منهم - وهو مصداق الرئيس الإسلامي الذي يصفه ذاك السيد بالديكتاتورية!! - أن يقوم من له حق عليه ليقترض منه. فقام أحدهم وذكر أنه أصابه بضربة سوط في المكان الفلاني. فدعاه النبي (ص) أن يقتص منه لذلك فأخبره أن كتفه كانت عارية عندما أصابته ضربة السوط. فكشف (ص) عن كتفه ليضربه بالسوط فقام الرجل وقبّلها، كما نقلوا تفصيلات أخرى^(١).

فهل هو ديكتاتور ذاك الرئيس الذي يقول ليقم كل من له حق علي لأخذ حقه، حتى لو كان مبلغا يسيرا أو غير ذلك. فلم يقم أحد والذي ذكر قضية ضربة السوط أراد بهذا العمل غير الصحيح أن يقبل بدن الرسول

(١) روي ضمن حوادث وفاة الرسول الأكرم (ص) أنه جاء إلى المسجد قبيل وفاته وخطب بالمسلمين وقال: "أيها الناس إن ربي أقسم وحتم أن لا يجاوز ظلم ظالم ولا يعفو عن قصاص مظلوم، فمن كان له قبلي تبعة أو مظلمة فليقتص مني، فإن القصاص في الدنيا أحب إلي من قصاص الآخرة". فقام إليه رجل يقال له سودة بن قيس فقال له: "... يا رسول الله لما أقبلت من الطائف وأنت على ناقتك الغضباء ويدك القضيب يقال له الممشوق، فرفعت القضيب تريد الناقة فأصاب بطني، فلا أدري عمدا أو خطأ. فقال (ص) "معاذ الله أن أكون تعمدت"، ثم أمر أحد أصحابه أن يذهب إلى بيت فاطمة ويجلب القضيب الممشوق. فجيء بالقضيب. وقال (ص) "... قم واقتص مني حتى ترضى". فقال له سودة: اكشف لي عن بطنك ففعل. فقال له: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك. فقال (ص) أذنت لك. فوضع فمه على بطن رسول الله وقبلها. وقال أعوذ بالله من النار ومن القصاص.. فقال (ص) يا سودة أتقتص أم تعفو؟ فقال بل أعفو فقال (ص) اللهم اعفو عن سودة كما عفا عن نبيك. راجع كتاب "وفاة النبي"، ص ٤٢ و ٤٣ من طبعة قم، وكذلك كتاب "منتهى الآمال"، ج ١، ص ١٠١ و ١٠٣.

(ص) مباشرة. فهل تجدون حاكماً يفعل مثل هذا من بين قادة حكومات العالم وتلك التي يسمونها حكومات ديمقراطية؟ لو وجدتم من يقوم بمثل هذا السلوك أمام أمته ورعيته، فقولوا حينئذ إن حكومة الإسلام استبدادية.

الرواية الثانية هي عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع)، فعندما كان خليفة المسلمين، ذهب يهودي إلى القاضي الذي نصبه الإمام بنفسه، ورفع دعوى قضائية ضد الإمام بشأن درع كان بحوزة الإمام، فاستدعى القاضي الإمام فحضر وجلس إلى جانب اليهودي، وكان الإمام ينبه القاضي إلى رعاية آداب القضاء وعدم التمييز بينه وبين المدعي اليهودي، فنهاه مثلاً حتى عن توقيره أكثر من توقير خصمه. وبدأت المحاكمة، وحكم القاضي على أمير المؤمنين أن يعطي الدرع لليهودي!! فهل تجدون بين جميع حكومات العالم من يقوم بمثل هذا الأمر، بحيث يستجيب الحاكم لاستدعاء القاضي الذي نصبه بنفسه ويجلس مع خصمه اليهودي في حضور القاضي الذي يحكم لصالح خصم أمير المؤمنين؟! أرونا واحدة من هذه الحكومات الديمقراطية تقوم بمثل هذا ثم قولوا بأن الحكومة الإسلامية استبدادية!!

أجل؛ لقد توهمتم أن الحكومة الإسلامية هي مثل هذه الحكومة القائمة في الحجاز لكن هذه الحكومة غريبة عن الإسلام وحكامها ديكتاتوريون يسترون بالإسلام^(١)؛ أو مثل ذاك العسكري الذي ظهر في باكستان وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً^(٢).

كلا، إن الحكومة الإسلامية هي تلك التي يتساوى فيها الحاكم مع أدنى أفراد رعيته في الحقوق، ويكون سلوك الحاكم على هذا النحو. ونحن عندما نعلن الحكومة الإسلامية فلا نخشوا شيئاً بدافع التوهم أن قيامها يعني التعرض لأرواح الناس وتدمير ثقافتهم وإرجاعهم إلى الوراء!! كلا فهذه أقوال جوفاء أطلقوها بهدف استغلال الناس، وإبعادهم عن الإسلام، وتشويه صورة علمائه حتى آل الحال في زمن رضا خان إلى درجة أصبح معها بعض أصحاب سيارات الأجرة يمتنعون عن السماح للسادة علماء الإسلام بركوب سياراتهم!! أجل، لقد أهانوهم إلى هذه الدرجة حتى قال ذاك السائق لأحدهم عندما أراد أن يستقل سيارته: نحن لا نسمح لكم ولا لفئة أخرى بذلك!!^(٣) هكذا كان الحال على عهد رضا خان.

لقد كانت دعاياتهم واسعة مكثفة حد القول لأبناء الشعب ولشبابنا بأن هؤلاء الملالي هم من عملاء البلاط! إذاً كيف تحدى هؤلاء البلاط بكل صلابه؟ فهذه الجماهير التي رفعت قبضات التحدي إنما تابعت العلماء في

(١) يقصد حكم العائلة السعودية وملكها آنذاك خالد بن عبد العزيز آل سعود.

(٢) يقصد الجنرال ضياء الحق رئيس الحكومة العسكرية في باكستان آنذاك وقد ادعى أن حكومته إسلامية.

(٣) يقصد البغايا كما أشار إلى ذلك الإمام في خطاب آخر سيأتي تفصيل الحادثة في خطاب لاحق.

هذا الموقف. والعلماء هم الذين فجروا هذه النهضة، فهل هم من عملاء البلاط؟ بالطبع يوجد بينهم ثلة معدودة من أصحاب الطاقات والعمائم البلاطية والشعب يعرفهم وهم ليسوا علماء بل معممون صنعهم البلاط ومنظمة الأمن الملكي وسمّوهم علماء، وما هم بعلماء.

لقد روجوا دعاياتهم بهدف عزلكم عن العلماء لأن قوة العلماء إذا فصلت عن قوة الشعب. عجزا كلاهما عن تحقيق شيء. فهذه خطة وضعوها وروجوا دعاياتهم تحت عناوين مختلفة بهدف عزل شبابنا وعزلكم عن الإسلام وعلمائه وعندما يستطيعون فعل كل ما يريدون.

وعلى أية حال، فقد تفجرت في إيران هذه الانتفاضة وهذه النهضة التي تزداد اتساعا كل يوم. فهناك ثورة متفجرة في الكثير من مدن إيران واعلموا أنه وحيث نحن جالسون هنا فإن إيران تشهد صرخات واشتباكات وحربا وثورة هي كالطوفان الذي يجرف الملك وسيجرفه مع المنتفعين من وجوده، فيجب إنهاء ممارساتهم الاستغلالية وستنتهى بمشيئة الله.

نحن نريد أن يكون بلدنا لنا ونديره بأنفسنا فهو إرث الآباء والأجداد، ولا نريد أن يرسل الرئيس الأميركي من يديره ويرسل له جهاز الحكم وقائمة أعضاء برلمانه فيدخله من يختارونه.^(١) وتدار جامعات البلد بأمره. نحن نريد أن ننتخب أعضاء المجلس النيابي بأنفسنا. أن يختارهم شعبنا. فلم يكن لنا نائب حقيقي في إيران طوال خمسين عاما، ولم يتحقق العمل بمقررات الحركة الدستورية منذ بداية ظهورها إلى الآن. فبلدنا كله استبداد، وحاله أسوأ من عصور الاستبداد. فمتى شهدت هذه العصور مثل هذا الإرهاب والقمع بحيث لا يستطيع عالم الدين ولا السياسي ولا الجامعي ولا أي شخص آخر التعبير عن آرائهم. فما من أحد يستطيع التفوه ولا بكلمة واحدة. هكذا كان الحال إلى ما قبل عامين. أما الآن فقد تقدموا بمقدار وأخذ أبناء الشعب يعبرون عن آرائهم بمقدار ما.

لقد أرادوا بث التفرقة بينكم. أرادوا تفريق الجميع وعزل كل شخص عن الإسلام والمسلمين تحت شعار ما وبنحو ما ليفعلوا بعد ذلك ما شأؤوا. ولهذا الهدف قاموا بمختلف الممارسات المنحرفة وروجوا بكثافة لمختلف الاتهامات ضد العلماء من قبيل اتهامهم بالتخلف والرجعية. فأية رجعية يقصدون؟ وأي مظهر من المظاهر الحضارية عارضه العلماء؟ إننا نؤيد كافة مظاهر التقدم الحضاري! أما الذي نرفضه فهو الانحرافات القائمة. نحن نقول: إن البلد الذي تكون مراكز الفساد فيه أكثر من المكتبات لا يمكن أن يكون بلدا لنا. نحن نرفض أن يشهد

(١) في انتخابات الدورة السادسة للمجلس النيابي يجعل رضا خان قواته العسكرية تتدخل مباشرة في الانتخابات، وأوصل الأشخاص الذين أعطته الحكومة الإنكليزية قائمة بأسمائهم إلى عضوية البرلمان بقوة الحراب. أما في الدورة السادسة عشرة فقد تولى وزير البلاط آنذاك "هجير" مهمة إدارة العملية الانتخابية، وأعد في منزل أحد أصدقائه، وبحضور الجنرال الإنكليزي "ويلز"، قائمة بأسماء الذين سيرسلون إلى عضوية المجلس كنواب للشعب!! كما تم إرسال عدد من الأشخاص إلى البرلمان بتوصية من الجنرال "كروزن" رئيس هيئة الأركان الملكية البريطانية. راجع بهذا الخصوص كتاب "عشرون عاما من تاريخ إيران" بالفارسية ج ٥ ص ٣٣-٣٨.

بلدنا طواير من المساكين الذين يقفون في صفوف طويلة من أجل بيع دمائهم بثمن بخس لكي يوفروا مستلزمات العيش. نحن نقول: يجب إزالة هذه الظواهر ومراكز الفساد والفحشاء ومنع النهب. نحن نقول بلزوم إزالة ظاهرة أن يضطر البعض للعيش في الأكواخ المتداعية، فيما يمتلك آخرون قصوراً تبلغ قيمتها مئات الملايين من التومانات داخل البلد وخارجه.

هذا ما يقوله علماء الإسلام. يقولون يجب إقامة العدالة.. العدالة الإسلامية. يجب تعديل الاستفادة من رؤوس الأموال هذه. يجب العمل بأحكام الإسلام. فلو عدلنا التعامل مع رؤوس الأموال لزالَت أشكال النهب هذه بالكامل. الحكومة الإسلامية نظام عادل وهو خير من النظام القائم فعلا فهو منزه عن السرقات والنهب والانحرافات والعمل بمنطق الغاب والإكراه. يجب منع هذه الظواهر ومنع الأجانب وعمالئهم من نهب أموال الشعب وتمتعهم بها. يجب أن يعيش الناس في رفاية. يجب الاهتمام بأمور الفقراء والمساكين من سكنة الأكواخ المعدمين. فلا تكون الثروات بأيدي الموسرين وحدهم. فجميع الحكومات تعمل من أجل مصالحهم في حين أن عمل الحكومة يجب أن يكون لصالح الجميع، بل يجب أن تعمل للضعفاء أكثر لكي توصلهم للأوضاع المناسبة، فلا تصغوا لدعايات أولئك الأجانب وعمالئهم.

وثمة أمر آخر يجب أن أذكر به السادة، وهو ضرورة أن يقوموا بما هداهم الإسلام إليه من أعمال. ففي ذلك صلاحهم لأن الأحكام التي جاء بها الإسلام إنما تستهدف تربية أرواحهم وإيجاد حالة معينة لديكم تؤهلهم للحياة السليمة السعيدة في العالم الآخر. فكم هذه الأحكام هي من أجل تحقيق السعادة لكم.

ومثلما تجاهدون وتدرسون. عليكم أيضا أن تؤدوا الأعمال التي أوصى بها الله (تبارك وتعالى) ولا تستخفوا بها. أقيموا الصلاة حتما ولا تستخفوا بها. فهي والصوم وسائر الأحكام تبتغي تربيتكم وهدايتكم وإيصالكم إلى مدارج الكمال والسعادة. ولذا فإنني أرجو منكم جميعا وأوصيكم جميعا بعدم التقصير بالأعمال الدينية الفرعية. لأنني أخبرت أن بعض الشبان يقصرون في هذا المجال. فلا تقصروا تجاهها فهي جميعها نافعة لكم ومن أجلكم. وإذا جعلتم ارتباطكم بالله تعالى قويا أيديكم ودفع عنكم كل شر وحقق لكم الاستقلال والحرية.

أسأل الله (تبارك وتعالى) السلامة لكم والعظمة للإسلام والمسلمين، ووفقكم الله وأيدكم جميعا.

هوية الخطاب رقم - ٥٠

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٦ ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: إخراج الملك من إيران هو السبيل الوحيد للخروج من المأزق الحالي.

المناسبة: انتشار الشائعات بشأن مجيء حكومة عسكرية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

تتناول هذه الخطبة موضع الإتيان بحكومة عسكرية في إيران، وتردّ على تصريحات الملك الإيراني التي أطلقها قبل ثلاثة أيام من تاريخ الخطبة عندما زاره أركان نظامه لتقديم التهاني له بمناسبة ذكرى ولادته، حيث قال في جانب من حديثه معهم: "لقد ارتكبت أخطاء في الماضي، ولكن الدولة يجب أن تبقى". وتابع حديثه ليقول: "نحن نقرّ بإعطاء السلطة القضائية الحدّ الأعلى من القوة الخاصة اليوم، حيث يجب أن نضغط كثيرا من أجل تسليم المنحرفين لقبضة العدالة، وأملّي أن تتابعوا جميعا القيام بهذه المهمة".

وقال هذا الحاكم المستبد في ردّه على تهنئة رئيس المجلس الوطني: "لقد قلنا مرارا فيما يتعلق بالماضي، أن من المؤكد أن أخطاء قد حصلت. ولا شك أن البعض قد انحرفوا عن جادة الإخلاص. كما وقعت بعض الانتهاكات للنظام العام، ولكن هذه من الأمور التي يمكن تصحيحها وإصلاحها. وهذا ما يجب أن نتابع القيام به بكل قوة، أي مكافحة الفساد وإصلاح كافة الأمور غير الصحيحة".

ثم قال بانفعال المتظاهر بالتوبة: "نحن نتحرك الآن بسرعة باتجاه الأجواء السياسية المفتوحة. وفيما يتعلق بالكتابة فأنتم جميعا شهود على الوضع حيث أن الصحافة تتمتع بكامل الحرية وحدّها الأعلى.. وقد أطلق سراح الآلاف من السجناء... وبالطبع فإن من الواجب أيضا حفظ المصالح العليا للدولة. ومن الأركان الأساسية والمهمة للدولة هي السلطة التشريعية ولها دور مهم في إنجاز هذه المهمة الاستثنائية، أرجو بفضل الروح التي أعرفها بكم، أن تتحقق مهمة إيصال إيران إلى مرحلة متقدمة مقرونة بحفظ الشعائر الدينية وهي شعائرها المقدسة، وحفظ استقلال الدولة والحريات الفردية والسياسية..".

يقول الإمام الخميني (س)، وهو العارف بالماهية الاستبدادية للملك، في الرد على هذه الأقوال: "وحتى لو كان صادقا فيما يقول، وهو ليس بصادق، ولكن لفترض أنه صدق في ادعائه التوبة وفي قوله إنه لن يكرر ارتكاب أفعاله السابقة وإنه سيعمل بالدستور، فهل يمكن أن يقبلوا بتوبتك بعد كل هذه الجرائم والمجازر التي ارتكبتها بحق الشعب؟؟..".

وفي تلك الساعات التي كان المرتبطون بالملك يشنون عليه بكلماتهم المتملقة وهو يعتمد بإصلاح الأخطاء السابقة، كانت القوات الخاضعة لأمره تطلق الرصاص على التظاهرات السلمية المطالبة بالاستقلال والحرية والتي خرجت في مدن خرم آباد وشهر رضا وأصفهان وقم.

وقد ذكرت تقارير المراسلين يومئذ أن عدد الشهداء الذين حددت هوياتهم بلغ ستة أشخاص فيما نقل العشرات من الجرحى والمصابين إلى المستشفيات. ويقول مراسل صحفي في مدينة قم المقدسة:.. إن مستشفيات المدينة لم تعد قادرة على استيعاب ومعالجة الجرحى. وقد اضطر المسؤولون فيها إلى وضع الجرحى في أروقة المستشفيات.

في غضون ذلك، قال جعفر شريف إمامي (رئيس الوزراء الماسوني) مخاطبا الملك: "لقد اقترن الرابع من آبان ذكرى ولادة الملك في هذا العام بالتجسيد الكامل لمبدأ حرية اللسان والعقيدة والقلم، وهو الأمر الذي يحظى باهتمام صاحب الجلالة الملك المعظم.." ^(١). وفي نفس الوقت كانت قوات الحكم العسكري المدججة بالسلاح تهاجم بالغازات المسيلة للدموع والعيارات النارية الآلاف من الطلبة الجامعيين وطلبة المدارس والأهالي الذين خرجوا في شارع الملك رضا (شارع "انقلاب" حاليا) وتجمعوا مقابل جامعة طهران، وقد أدى الهجوم إلى إصابة العشرات من المتظاهرين.

وفي خضم ذلك ذكرت تقارير المراسلين أن "العشرات من المسنين أغمي عليهم بسبب كثافة الغازات المسيلة للدموع ولم يعودوا يستطيعون التحرك. وقد بادر المتظاهرون إلى السعي لإخراجهم من ساحة المواجهة متحدين خطر الموت حيث كان رصاص قوات النظام يتعقبهم".

أجل، في نفس الوقت الذي كان فيه الملك يطلق وعود التصليح وإصلاح الأخطاء السابقة، كانت قوات الحكم العسكري تهاجم بقنابل الغازات المسيلة للدموع في مدينة قم المقدسة طالبات ثانوية (مهران) اللواتي خرجن بالألبسة السوداء وبحجاب كامل وهنّ يحملن صور الإمام الخميني (س) في مسيرة سلمية. وقد أصيبت مجموعة منهن بجروح خلال هذا الهجوم، فيما ذكر شهود عيان أن عددا منهن قد استشهدن خلال هذه الحادثة، وقد نقلت الجريحتات للمعالجة في مستشفيات كامكار ونيكوي وسهامية. وقد استشهد شاب اسمه أحمد عبدي بور، وهو طالب في الصف الخامس الثانوي، في زقاق بيكدلي في مدينة قم أيضا إثر إصابته برصاصة. كما استشهدت امرأة بسبب إطلاق الرصاص على الأهالي من قبل عناصر الحكم العسكري بالقرب من حرم السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع). وقد ذكرت تقارير المراسلين أن الأوضاع في المدينة قد تأزمت للغاية، وأن أصوات حركة الدبابات وإطلاق الرصاص متواصلة في شارع (جهار مردان) وهو منطلق التظاهرات في المدينة.

(١) صحيفة "اطلاعات" الإيرانية تاريخ ٢٦/١٠/١٩٧٨م.

وفي مقابل كل ذلك، ألا يحق للإمام الخميني (س) وهو ممثل الشعب أن يرفض توبة الملك المزعومة؟؟.

الإمام أكد في خطبته أيضا عدم جدوى مجيء حكومة عسكرية في حل أي من أزمات النظام ولن يجديهم نفعا أيضا في مقابل مطالب الشعب، دعم أميركا والاتحاد السوفيتي وإنكلترا والقوات العسكرية.

الخطاب رقم - ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كشف وزير الخارجية الإنكليزي ما كنا قد قلناه مرارا ومنذ البداية من أن الملك السابق نفذ انقلابه بأمر من الإنكليز وجاء لخدمة مصالحهم . ثم أخرجوه إلى جزيرة موريس عندما ارتكب خطأ وانتهى أمره، كما أن الملك الحالي جاء للحكم في إيران لخدمة مصالح الخلفاء: الاتحاد السوفيتي وأميركا وبريطانيا. ونفس هذه الحقيقة كشفها وزير الخارجية البريطانية وقال: نحن لا نستطيع أن نلتزم الصمت

حيال هذا الوضع الذي يمر فيه الشخص الذي يحكم إيران من أجل مصالحنا ودفاعا عنه^(١). لكن الشعب الإيراني انتفض ضد نفس هذا الدور الذي يتحدث وزير الخارجية الإنكليزي عن قيام الملك به. فالثورة متفجرة في كافة مدن إيران المهمة وقصباتها وهي مضرجة بالدماء، وقد قتلوا الكثير من شبان هذا الشعب. فمدينة زنجان برمتها تحترق^(٢) كما كتبوا عن ذلك.

وفي كل زاوية من طهران ثورة، وكذلك الوضع في قم وسائر المدن والبقاع الإيرانية الأخرى. فالانتفاضة شاملة وأخشى أن يتطور الأمر إلى ثورة لا يمكن السيطرة عليها، حيث لا تدرك عقول وزراء خارجية إنكلترا وأمثالهم حقيقة أن من غير الممكن التعامل مع الشعب بهذه الصورة.

إن قادة القوى الكبرى توهموا عليهم أن يلتهموا كل العالم لمجرد أن دولهم أصبحت قوى كبرى. ولكن إذا انتفض شعب وأخذ يقدم كل ما يملك ابتغاء الحصول على الاستقلال والحرية، فلا يمكن إخماد أوار انتفاضته

(١) بث التلفزيون البريطاني مقابلة مع وزير الخارجية الإنكليزي آنذاك "دايفيد أوين" في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٨م. وقد جدد فيها التأكيد على دعم النظام الملكي في إيران، وقال: "لقد أثبت الملك الإيراني أنه مرن تجاه الإستجابة لموضوع حفظ المصالح القومية البريطانية، فإننا نرجح سلطته على حكم الملالي أو حكم الشيوعيين.. والآن هو زمن الدفاع عن الحكومة الإيرانية وإثبات صداقتنا..".

(٢) بتاريخ ١٤/١٠/١٩٧٨م، اجتمع معلمو وطلبة المدارس في مدينة زنجان أمام مقر دائرة التربية والتعليم، وتلي بيان اشتمل على ٣٦ مادة. ثم تحركوا في مسيرات في شوارع المدينة. وبعد يومين شهدت زنجان حالة غير عادية منذ الساعة التاسعة صباحا حيث نشبت اشتباكات بين الشرطة والأهالي الذين قدموا فيها العديد من الشهداء والجرحى. وأعلنت الإذاعة المحلية يومئذ أن مستشفيات المدينة بحاجة للتبرع بالدم. وبعد ١٠ أيام شهدت زنجان أيضا اشتباكات شديدة بين الشرطة والأهالي حتى كتبت الصحف أن الدمار عمّ المدينة. كما خرج طلبة المدارس في تظاهرات أقاموا فيها ركعتي صلاة طلبا للحرية ثم طافوا شوارع المدينة والتحق بهم الآلاف حتى ٣:٣٠ بعد الظهر. راجع صحيفة "اطلاعات" وغيرها من الصحف الإيرانية الصادرة بعد يوم من كل من التواريخ المذكورة.

بالحرب وإعلان الحكومة العسكرية. وهذا من أخطاء هؤلاء حيث يريدون الإتيان بحكومة عسكرية. إن اثنتي عشرة مدينة تعيش رسمياً حالة الحكم العسكري^(١)، بل إن إيران كلها هي تحت الحكم العسكري غير المعلن. فالحكومة الإيرانية اليوم عسكرية لكن الشعب لا يخضع لها. فلا يهرب مثل هذه الحكومة من غض الطرف عن كل ما يملك، ولا يؤثر على الواقع وقوع انقلاب عسكري فرضاً، ومجيء عسكري للحكم مثل هذا الشخص^(٢)، فلا فرق بين هذا وذاك.

إن الحكم في إيران هو عسكري بالفعل الآن، لكن الشعب صامد وهو يطالب بحقه ولا يطلب أمراً غير مشروع. بل يطلب حقه المشروع، وأبناءؤه يقولون:.. لقد عشنا خمسين عاماً من القمع وتعبنا.. فلقد فتح الذين يبلغون أربعين أو خمسين عاماً من أبنائنا أعينهم على حياة القمع هذه، والشعب مطلبه الأول هو:.. إن الملك ليس ملك الدستور بل هو ملك مستبد، وقد ارتكب جرائم لا يمكن العفو عنها وحتى لو كان صادقاً فيما يقول وليس بصادق ولكن لنقل إنه صادق فرضاً في ادعائه التوبة وقوله إنه لن يكرر ارتكاب أفعاله السابقة وأنه سيعمل بالدستور.^(٣) ولكن هل يمكن أن يقبلوا توبتك بعد كل هذه الجرائم والمجازر التي ارتكبتها بحق الشعب؟ إن السجن المؤبد هو حكم الإسلام في من يأمر بقتل شخص واحد حتى لو لم يقم بعملية القتل بنفسه. لكن هذا الذي أمر بقتل الشعب أفواجا يقول الآن: أبقى سلطاناً ولا أحكم! تبا لك إذ تقول ما لا يحق لك! فالسلطان هو من تكون سلطنته دستورية فيكون طبق الدستور، سلطاناً لا يحكم.^(٤)

(١) كانت أصفهان المدينة الإيرانية الأولى التي أعلن فيها الحكم العسكري بتاريخ ١٩٧٨/٨/١١، بعد يومين من التظاهرات التي خرج بها الأهالي على نطاق واسع وتصدت لها قوات النظام وقتلت وجرحت أعداداً من المتظاهرين واعتقلت آخرين. وفي البيان الأول الذي أصدره الحاكم العسكري لأصفهان "الفريق رضا ناجي" بهذا الخصوص منع التجوال من الساعة السادسة صباحاً إلى الثامنة مساءً. وكذلك منع اجتماع أكثر من ثلاثة أشخاص، تحت أي عنوان. كما أعلن الحكم العسكري في مدينة نجف آباد القريبة من أصفهان بعد ذلك يوم واحد.

(٢) يقصد رئيس الحكومة آنذاك "شريف إمامي".

(٣) في تشرين الأول ١٩٧٨م، وبمناسبة افتتاح مجلس الشورى الوطني قال الملك محمد رضا: "من الطبيعي أن اتباع الشعائر والأصول الإسلامية السامية سيكون دليلنا وملهمنا جميعاً في طريق ترسيخ الأسس المعنوية والسياسات التي ستشرع في السنة المقبلة واضحة محددة، في ظل النهج الذي تتبعه الدولة وأهدافها الأساسية المحددة للأطر العامة لتلك السياسات. ومعلوم أن أهم أهدافنا وخططنا، باعتبارنا بلد مسلم، هو السعي لرفق العالم الإسلامي وزيادة تقدمه وعظمته". وقال أيضاً بمناسبة الذكرى ٧٣ للثورة الدستورية: "إنني ومنذ طفولتي كنت على اتصال بالأمور الدينية والإسلام. أي أنني مسلم عقائدي وأقول بصفتي زعيم الدولة إن كل مجتمع بحاجة للأمور المعنوية، وما أسمى منها الدين لأنه قوام كل مجتمع. لذا فأنا الذي أقسمت على حفظ الدستور وحدود وثغور البلد، ومذهب الشيعة الإثني عشرية، مكلف بواجبات وهي واجبات ترتبط بكم يا أبناء الشعب، من جهة أخرى".

(٤) واضح هنا أن الإمام الخميني (س) يحتاج الملك على أساس الدستور الذي ثمرته الثورة الدستورية الشهيرة، والذي كان الملك البهلوي يدعي الالتزام به وهو الدستور الذي قال بأن للملك السلطنة دون أن يحكم، أي أن يكون رمزا للبلد وزعامته دون أن يتدخل في شؤون الحكم (المترجم).

نحن جميعا نعلم أن السلطنة البهلوية لم تقم أصلا على أساس القوانين (الدستورية) فهي بدأت بالانقلاب^(١) الذي نفذه رضا خان الذي احتل بقوة الحراب منصبا معينا، وبنفس هذه الحراب أصبح وزيرا للحرية ثم رئيس الحكومة المؤقتة. ولم يتعرف الشعب الإيراني على حقيقته في البداية، حيث لم يكن يتحدث، ثم أوضح حقيقته بصورة تدريجية واتضح كونه لا يتورع عن شيء، فقد أضاع كرامة إيران وسيادتها وشكل في ظل الحراب، برلمانا من أجل خلع العائلة القاجارية وتنصيب نفسه سلطانا! فلم يكن برلمانا مرتبطا بالشعب الذي لم يكن له أي اطلاع عليه ولا شغل به، فهو برلمان صنعتته القوة والحراب. فأعطى أعضاء هذا البرلمان رأيهم لصالح رضا خان وهذا ما كان المطلوب منهم أساسا.

إذاً، فقيامهم بحذف بعض بنود الدستور ووضع أخرى محلها، أي قواهم لا لحكم السلطنة القاجارية ونعم للسلطنة البهلوية، ليس قانونيا لأنه تم تحت ظل الحراب. والبنود الموجودة الآن ليست أصلا من الدستور الذي كان خاليا منها، ورضا خان جاء للسلطة بقوة الحراب ولم يكن الشعب على علم بالأمر أصلا بل جاء خلافا لرغبته وخلافا للدستور، وبعده انتقل الملك إلى ابنه الذي اعترف بأن الحلفاء هم الذين قرروا إبقائه ملكا. فهي إذاً ملوكية غير قانونية، وهكذا كان حالها منذ البداية، وهذا الملك هو أيضا باغ مثل أبيه، لكن أبناء الشعب لم يكونوا يستطيعون التعبير عن آرائهم، أما اليوم فهم يستطيعون القيام بذلك. فهم يقدمون الشهداء ويقولون كلمتهم وهي: أن هذا الملك خائن، لذا فهو معزول حتى لو افترضنا أن سلطنته قانونية، وإن لم تكن كذلك في الواقع، ولكن افترضوا أنها قانونية وفق الدستور السليم أيضا، وكله باطل في الواقع، فالملك حتى لو كان حكمه قانونيا لكنه خان الشعب ونقض الدستور، وهذا السلوك وبحد ذاته عزل له فلا يكون ملكا.

الملك سلب طوال حكمه، حرية الشعب. وهذا اعترف به بنفسه، فهو عندما يقول:.. سأعطي الحرية للشعب، فهذا يعني أنه سلبها منه والآن يريد أن يرجعها له، وهذا إقرار بالجرم. ولو قدم هذا الرجل للمحاكمة، إن شاء الله، فإن قوله:.. لقد أعطيت الحرية للشعب سيعتبر إقرارا بالجرم، لأن الدستور قد أقر الحرية للشعب وهو حر بحكم الشرع أيضا. وأنت الآن تعطيها له، وهذا يعني أنك كنت قد سلبتها منه!! وصرخة الشعب هي:.. لقد حرمتنا الحرية في عهد حكم هذا الرجل وأبيه. وشبابنا لم يروا الحرية منذ البداية ولا يعرفون طعمها، فحيثما فتحوا أعينهم وجدوا شرطيا يرصدهم وعسكريا ومأمورا حكوميا ولصا. فلم يعيشوا يوما واحدا بحرية، وهذا هو حالنا أيضا. فلم تكن ثمة حرية أصلا منذ بداية عهد رضا خان. لذا فالحرية أحد مطالب الشعب، الحرية التي ينادي

(١) في سنة ١٩٢٠م، احتل رضا خان الذي كان قائدا لإحدى الوحدات العسكرية في مدينة قزوین، العاصمة طهران بأمر من الحكومة البريطانية وتخطيط منها. ثم انتزع بهذا الانقلاب حكما من الملك القاجاري أحمد شاه أمرا بتعيين سيد ضياء الدين الطباطبائي رئيسا للوزراء. ثم أخذ رضا خان يعزز سلطته وتأسيس جيش موحد. وفي سنة ١٩٢٣م، عين أحمد شاه رضا خان رئيسا للوزراء، وغادر هو إيران متوجها إلى أوروبا. وفي سنة ١٩٢٤م، صادق أعضاء المجلس النيابي بضغط من رضا خان على مادة، قدم مشروعها هو للمجلس، خلعوا بموجبها أحمد شاه وانتخبوا رضا خان ملكا. وقد عارض تصويب هذه المادة العلماء والمجاهدون من أمثال السيد حسن المدرّس.

بها الجميع، الطفل الصغير والشيخ الكبير.. الجامعي وغير الجامعي.. لأن الملك سلب كل الشعب حريته. ومن يفعل ذلك لا يصلح للسلطنة، وحتى لو كانت سلطنته قانونية في البداية؛ لكنه الآن وبعد أن فعل ما فعل، مخلوع منها وهو ليس بسلطان.

إضافة إلى ذلك، فإننا حتى لو فرضنا أن سلطنته قانونية، فإن الشعب بكافة فئاته يعلن اليوم رفضه، ويطلق صرخات "الموت للسلطنة البهلوية"، وهذا استفتاء عام وشامل يشارك فيه الشعب برمته وفي كافة أرجاء إيران. فأبناءؤه يغلقون الأسواق ويهاجمون المؤسسات الحكومية. فلو كان الملك ملكا استنادا لرأي الشعب والدستور فإن رفض الشعب له يخلعه. شعبنا اليوم يهتف: لا نريد هذا الملك وأحد أسباب ذلك هو أنه سلبنا هو وأبوه حريتنا طوال خمسين سنة. والسبب الآخر هو أنه باع مصالحنا وكل ما نملك للآخرين. وإذا بقي في الحكم - لا سمح الله - بضع سنين أخرى لمنح كل نفطنا لأميركا وإنكلترا والدول الأخرى. فهو يعطي كل نفطنا دون أن تُعرف موارد صرف عائداته. أجل، نحن نعلم بأنه يشتري الأسلحة من أميركا، لكنها أسلحة لا يُراد منها سوى تحويل إيران إلى قاعدة عسكرية أميركية في مواجهة الاتحاد السوفيتي. إذاً، فأميركا تأخذ النفط والتمن تصنع به قاعدة لها فهي المنتفعة في كلا الحالتين، وهي تأخذ لنفسها النفط وثمرته. وإلا فما حاجة إيران لهذه الأكداس من الأسلحة التي يجهل الجيش الإيراني أساسا التعامل معها ومنافعها استخدامها فذلك لا يعرفه إلا الخبراء الأميركان!!

أجل إنه هو الذي دمر اقتصادنا، فهو من جهة يعطي نفطنا للآخرين وبعد سنين لن يظل لنا نفط ولا ذخائر أخرى إذا بقي هذا الرجل في الحكم، ومن جهة أخرى فقد دمر زراعة إيران تحت شعار "الإصلاح الزراعي"^(١) وحولها بذلك إلى سوق لأميركا نشترى منها كل ما نحتاج إليه، بحيث لو أوقفوا التصدير إلينا لبقيت إيران دون مؤونة. ولو بقي هذا الملك في الحكم سنين أخرى، فمن أين يقاتل الجيل القادم إذا نفذ النفط بعدما دمر الزراعة، وهم حينئذ لا يملكون شيئا؟؟

(١) "الإصلاح الزراعي" هو أبرز السياسات الإستعمارية الجديدة التي تم تنفيذها في البلدان المستعمرة في أميركا اللاتينية وآسيا وأفريقيا بصورة متشابهة تقريبا من قبل حكوماتها. وفي سنة ١٩٦٢م، أعلن الملك محمد رضا برنامج الإصلاح الزراعي بهدف جذب ثقة الإستثمارات الأميركية، وإظهار تأييده وتعاون مع الإستراتيجية الأميركية الجديدة، وفتح سوق جديدة للإقتصاد الغربي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، حاول بذلك الحد من وخامة الأوضاع الإقتصادية، ومن اتساع السخط الشعبي الذي كان ينذر بانفجارات اجتماعية خطيرة. وقد أعلن الملك برنامج "الإصلاح الزراعي"، وساق به الإقتصاد الإيراني إلى الإفلاس. وقد اقترن هذا البرنامج بالإستثمارات الأجنبية وخاصة الأميركية في إيران في المجالات التجارية والصناعية، فالحق ذلك أضرارا كبيرة بالزراعة، حتى أدى إلى تحويل إيران من مصدر رئيسي للقمح على الصعيد العالمي إلى مستورد رئيسي له. من جهة أخرى، وبسبب هجرة المزارعين من قراهم إلى المدن باعتبارهم قوى عاملة رخيصة تؤمن حاجة الصناعات والمراكز التي أوجدتها الإستثمارات الأجنبية، فقد خلت عشرون ألف قرية إيرانية من سكانها خلال أحد عشر عاما ما بين عامي ١٩٦٦-١٩٧٧م.

هذا فيما يتعلق باقتصاد بلدنا. أما فيما يرتبط بالحالة الثقافية فإن الأيدي الأجنبية تصد أبنائنا عن الدراسة، وقد تفجرت الآن صيحات المعلمين والطلبة تطالب بالاستقلال وإدارة شؤونهم بأنفسهم، وهي تخاطب الحاكمين قائلة: إنكم لا تتركونا نعيش حياتنا، والمسؤولين الحكوميين هم علة التخلف الثقافي. فهم لا يسمحون بتربية الإنسان السليم المتعلم الذي يفكر باستقلالية. وهم لا يريدون ظهور جيل يفكر بصورة استقلالية ويتولى إدارة بلده بنفسه. فهم يريدون أن يكون زمان البلد دائما بأيدي الطفيليين التابعين لسياسات أميركا وإنكلترا والإتحاد السوفيتي، لكي يتمكنوا من مواصلة ممارساتهم الاستغلالية.

إذاً، فنحن الآن نفتقد الحالة الثقافية السليمة، فقد دمروا ثقافتنا مثلما دمروا اقتصادنا، فما الذي تبقى لنا إذاً؟ أما إذا نظرنا إلى الجيش وجدناه خاضعا لأمر المستشارين الأميركيين، فاقدا للاستقلال في عمله وللقدرة على القيام بشيء.

فقد جاء ستون ألفا من هؤلاء الأميركيين تحت ستار "المستشارين"^(١) ولا أدري ماذا يفعل هؤلاء في الواقع، ولكن جيشنا خاضع لإشرافهم على أية حال. إذن فلا جيش لدينا، فأى شيء نمتلكه وتملكه إيران التي يقول (الملك) إنه يسير بها نحو "التحضر العظيم" وإنه أوصلها إلى "بوابة التحضر العظيم"، أهذا هو تحضره العظيم؟!

يقول "كارتر" إن سبب معارضة الملك هو الحرية التي أعطاها بسرعة للشعب!!^(٢) إذاً فحسب منطق "كارتر" فإن كل الصيحات التي يطلقها الشعب ناتجة عن الحرية التي أتخموه بها ولم يستطع أن يهضمها فأخذ يصرخ!!

(١) كتب باحث أميركي يقول: "بلغ عدد الأميركيين الذين كانوا يعملون في إيران في تموز سنة ١٩٦٧م ٢٤ ألفا ويتواصل ازدياد عددهم. ويعمل قسم منهم كالعاملين في "شركة ب" لصناعة الطائرات العمودية ويبلغ عددهم ١٧٠٠، تحت إدارة رؤساء أميركيين بصورة مباشرة. ولم يكونوا يتصلوا بالإيرانيين بكثرة. لكن أكثر الأميركيين سواء العاملون في المؤسسات العسكرية أو المؤسسات الفنية والإدارية يعملون مع الضباط والعاملين الإيرانيين، وارتفاع رواتبهم وامتيازاتهم المادية، والرفاهية التي يحظون بها تثير أذى الإيرانيين...". وجاء في تقرير لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس أن عدد الأميركيين العاملين في إيران بلغ سنة ١٩٦٧: ٢٤ ألفا وهو يزداد ليصل سنة ١٩٨٠ إلى ما بين خمسين إلى ستين ألفا.

(٢) نقلت صحيفة "اطلاعات" الإيرانية في عددها الصادر بتاريخ ١٥/١٠/١٩٧٨م تصريحات "كارتر" على هذا النحو: "إن وجود علاقات طيبة مع إيران قوية ومستقلة هو أمر مصري من الناحية الاستراتيجية..". ثم مدح "كارتر" الملك الإيراني على ما أسماه "إقامة مبادئ الديمقراطية في إيران"، وقال: "نعم أن البعض يعارضون تثبيت الديمقراطية، ومنشأ هذه المعارضة للملك هو إقامة الديمقراطية في إيران.. وقد أثار اليساريون والمحافظون في الآونة الأخيرة تظاهرات ضد الحكومة الإيرانية..". وعلى هذا فإن "كارتر" اعتبر "منح الحرية" هو على معارضة الشعب الإيراني للملك. وخلال لقائه "لجنة دراسة الشؤون الإيرانية في ظل ثورة الملك والشعب" قال الملك الإيراني بتاريخ ١٩٧٨/٦/٧م: "على الوطنيين أن يتحملوا هذا الضجيج ويردوا عليه في الوقت المناسب.. ويقول البعض إن هذه الحريات هي التي أثارت هذا الضجيج وسببت مهاجمة البنوك وتحطيم زجاجها. ولكني أقول إن هذا هو الثمن الذي يجب أن ندفعه للوصول إلى الهدف.. أي منح الحد الأعلى للحريات ضمن حدود القانون..". راجع صحيفة "رستاخيز" الإيرانية في التاريخ المذكور.

هذه هي أقوالهم التي أطلق بعضها "كارتر" قبل أيام ونقلت الصحف عنه قوله: لقد أعطي الشعب الإيراني "حرية شديدة" أصبحت علة معارضة الشعب للملك، وعلة كل الصيحات المطالبة بالحرية!!

وحيث تجلسون هنا، لا أدري ما يجري في إيران الآن على نحو التفصيل، وإن كنت أعلم إجمالاً أنها تشهد حوادث وحوادث، ولكن لا علم لنا بما يجري الآن في هذه المنطقة أو تلك وطبيعة المجازر المرتكبة وعدد القتلى في هذا اليوم والليلة. وإن كانت كل صحيفة تأتي من إيران تذكر أخباراً من هذا القبيل رغم أن من غير المعروف أن الصحف تستطيع كتابة كل الأخبار، وقد كتبت أن خمسة أشخاص قتلوا في قرية تقع في أطراف منطقة "كبوترآهناك" من توابع مدينة همدان^(١). يحدث مثل هذا في قرية واحدة. فالنار التي تأججت في إيران اتسعت لتشمل مدنها الصغيرة والكبيرة وقراها وقصباتها. وهذه بشارة لنا حيث أن أصوات جميع الساخطين قد ارتفعت. وهم يقدمون الضحايا ليس عبثاً بالطبع بل ثمناً للصيحة الرافضة التي أطلقوها، فهم لم يكونوا ليتعرضوا لإطلاق النار من قبل قوى النظام إذا لم يطلقوا صيحات "الموت للملك" فهؤلاء (قوى النظام) مأمورون بإطلاق النار على من يذكر اسم الملك مجرداً من لقبه "جلالة الشمس الآربة".

في حين أن كلمة كافة أبناء الشعب الإيراني من الأطفال الصغار إلى الشيوخ الكبار، واحدة وهي أننا لا نريد هذا (الملك) ويجب أن يرحل، ولا يمكن أن لا يتنصر مثل هذا الشعب. واعلموا أن هذا الشعب متنصر (الحاضرون: يرددون إن شاء الله).

لا يمكن اللعب مع مثل هذا الشعب، فلا تخشوا من أن يصرح "كارتر" من هناك: إننا ندعم الحكم الإيراني^(٢)، أو من تصريح وزير الخارجية الإنكليزي من الجهة الأخرى، وإعلان الكرملين مثل ذلك^(٣). فكل هذه أقوال خاوية، فلا تخشوا منها، فإن الشعب مهما كان ضعيفاً إذا قال "لا" فلا يمكن تحويلها إلى "نعم". لا يستطيع القيام بذلك، لا العسكر ولا جيوش أميركا وروسيا، فهذا محال. ولا يستطيع أي وزير أو نائب برلماني إيجاد حل هذه المشكلة التي وصلت إلى طريق مسدود، فالحل بيد الملك، وهو أن يترك الشعب وشأنه ويرحل. فهذا الطريق المسدود أوجدته الحكومات والملك، وهم يقولون:.. تعالوا نجلس للحل وفتح هذا

(١) كتبت صحيفة "اطلاعات" في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٨/١١/٢٨م تقول: "أدت المظاهرات التي شهدتها أمس منطقة كبوترآهناك همدان إلى إراقة الدماء حيث قتل خمسة أشخاص وأصيب ١٨ آخرون بإصابات شديدة..". وقد ذكرت الصحيفة في نهاية الخبر أسماء الشهداء من ضحايا هذه الجريمة.

(٢) راجع هوية خطب هذه الفترة.

(٣) هاجمت صحيفة "البرافدا" زعماء إيران الدينين، وكتبت تقول: "طبقاً لتصورات الكرملين أفضل الإصلاحات في إيران هي ما ينفذه صاحب الجلالة الملك". وكان يفترض أن تكون الثورة ضد الملك الإيراني منسجمة مع توجيهات شيوعي موسكو ولكن زعماء الاتحاد السوفياتي كانوا يريدون قلقهم من نتائج هذه الحركة. وقد قال أحد المسؤولين السوفييات الكبار للصحفي والسياسي المصري المعروف محمد حسنين هيكل: "إن الزعماء الدينين هم الذين يقودون الثورة الإيرانية في حين أن الماركسية تعتبر الدين رجعية تصدر عن الثورة".

الطريق المسدود، فأني حل يريدون؟؟ لا أحد يستطيع إيجاد الحل وإخماد هذه النار، ومفتاح الحل هو بيد الملك نفسه، وهو أن يسحب ظله ويرحل فإذا رحل حل الهدوء. وإذا جمع أذنبه - الذين كانوا دعامته - رحالهم وغادروا استقرت الأوضاع في البلد.

ما هو سبب اضطراب الأوضاع في إيران؟ إن شعبها شعب مسالم ونبيل لكنه لاقي ضغوطا شديدة اضطرتة لإطلاق صرخته التي تؤكد في الحقيقة نبلة وأصالته.

أسأل الله تعالى لكم ولجميع أبناء الشعب الإيراني التوفيق. إن ما أذكر به كل ليلة هو أننا جميعا مكلفون بواجب. إن للشعب الإيراني الآن دينا في أعناقنا وأعناقكم، أنتم الحاضرون الواقفون منكم والجالسون، فقد قتل أبناء الشعب الإيراني وذات أمهاته لوعة فقد الأبناء، وتجرح الآباء غصة فقدان الشبان. وبذلك أصبح لهم دين في أعناقنا. فنحن مدينون لهم. فهم ثاروا دفاعا عن مصالح الشعب برمته وليس عن مصالحهم وحسب. ونحن جزء من الشعب الإيراني فهم إذا قد انتفضوا من أجلا أيضا. لذا يجب علينا جميعا خدمة هذا البلد حيثما كنا. وحيثما كنتم في أميركا أو أوروبا أو إنكلترا، عليكم أن تخدموا هذا البلد، وخدمتكم هي التبليغ. فأنتم تستطيعون أن تبينوا حقيقة الأوضاع في إيران في أي لقاء يجمعكم مع الآخرين، فهذه الأوضاع تُعرض بصورة مشوهة للناس من قبل الإعلام المضاد المغرض الذي يصور لهم أن الثائرين رجعيون يريدون إرجاع هذا البلد إلى ما قبل ألف وبضع مئات من السنين. كلا إن هؤلاء ليسوا رجعيين، بل أنتم الرجعيون، حيث أرجعتم تاريخنا المعاصر إلى تاريخ ما قبل ألفين وخمسمئة عام، إلى تقويم المجوس، هذه هي الرجعية وليس ما نقوله نحن، فنحن نريد تقويمنا الإسلامي الحي.

يقولون إن هؤلاء رجعيون! كلا بل هم تقدميون يريدون الحرية والاستقلال. فهل هو رجعي من يطلب الحرية والاستقلال؟؟ إن الرجعي من يسلب الحرية ويرجع إلى عهد السلاطين المتجبرين. الرجعي من يسلب الحرية ويخون البلد والشعب، وليس رجعي هذا الشعب الذي يقول: لماذا تخوننا ولماذا لا تعطينا حريتنا؟؟

أرجو أن تقوموا جميعا بهذه الخدمة، إن شاء الله، وتبينوا جميعا الحقائق حيثما كنتم، أرجو أن يقف الجامعيون في الجامعات عندما يجتمع عدد منهم، ويقولوا: هذه حقيقة ما يجري في إيران وبهذه الصورة ظلمنا هذا الرجل. فلو اطلع كل واحد من الإيرانيين العشرة آلاف المقيمين في هذه الدول، وعددهم أكبر من ذلك، عشرة أشخاص على حقيقة الأوضاع الإيرانية، وهم مطلعون عليها، ولكن ليزدادوا اطلاعا عنها، لعرف بحقيقة الأمر عدد كبير منهم، واتضح لديهم عمق المحنة التي قاساها هذا الشعب وكونه يطلب الحرية، ليظهر إن شاء الله تيار فاعل هنا أيضا عسى أن تتحقق الثمار المطلوبة سريعا، وهي ستتحقق، لكن المقصود أن تتحقق أسرع. إن شاء الله حفظكم جميعا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هوية الخطاب رقم - ٥١

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٧ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: نهج حكومة النبي الأكرم وجهاد الأئمة وعلماء الشيعة ضد حكام الجور.

المناسبة: استمرار دعايات القوى الكبرى ضد الإسلام وعلمائه واستمرار الانتفاضة في إيران.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

أدى استمرار الانتفاضة الشعبية في إيران ضد جرائم الملك، وقيام الإمام الخميني (س) بفضح النظام وهو في باريس، والجهود التي كان يبذلها أنصاره، إلى استقطاب اهتمام الرأي العام العالمي بالأحداث الإيرانية أكثر من أي وقت آخر.

وبعد إعلان الرئيس الأميركي "جيمي كارتر" ووزير الخارجية البريطاني "دايفيد أوين" عن دعم النظام الملكي في إيران. قامت لجنة تحقيق دولية بزيارة لإيران بناء على دعوة من الحقوقيين الإيرانيين، وأعلنت اللجنة نتيجة تحقيقاتها بعد انتهاء الزيارة، التي استمرت عشرة أيام، وقد وصف أعضاء اللجنة في مؤتمر صحفي عقده، دعم الحكومة الإيرانية بأنه خطأ فاحش حسبما يعتقدون، وكتبوا رسالة إلى الحكومة الإيرانية فندوا فيها ادعاءاتها بشأن إطلاق سراح السجناء السياسيين.

وطلبت اللجنة الدولية في تقريرها الذي أصدرته بهذا الخصوص من الحكومات الغربية التوقف عن دعم حكم الملك وعن إرسال الأسلحة لهذا البلد. ونبه التقرير إلى أن أميركا وإنكلترا تتحملان مسؤولية جسيمة في الأوضاع القائمة في إيران نتيجة دعمها للنظام الإيراني. وأكد التقرير أن إيران تشهد الآن أوعى وأوسع التحركات في العالم للحصول على الحرية والاستقلال الوطني. وهي الآن بوتقة غليان ثوري، وقد فقد النظام الملكي القدرة على التحرك الفاعل. وورد في ختام التقرير أن الضغوط الدولية أدت إلى التقليل من ممارسات التعذيب في السجون الإيرانية، ولكن هذه الممارسات انتقلت مكانيا إلى الشوارع ومراكز الاعتقال، ولم تعد تشمل النشطين السياسيين فقط بل تعدتهم لتشمل أعداداً كثيرة من الفتيان الذين يدخلون مضمار النشاطات السياسية للمرة الأولى.

في تلك الأيام تركزت التقارير الإخبارية لكبريات وكالات الأنباء العالمية حول الجهاد التضحيي للشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني (س) ضد النظام الملكي. وورد في تقارير وكالات الأنباء العالمية المعروفة أن (قائد الثورة آية الله الخميني لم يبد أي تسامح أو ليونة في مواقفه السابقة في أي من المفاوضات التي أجراها معه السياسيون في الأيام الأخيرة في فرنسا).

الإمام الخميني أكد في جوابه على مقترحات الذين ذهبوا للقائه على ثلاث قضايا:

١- إن الأزمة القائمة في إيران الآن لا نظير لها بعد الحرب العالمية الثانية، وأن من الواجب استثمار هذه الفرصة والاستفادة من غليان ويقظة الرأي العام والبدء بوضع حلول أساسية وأصولية تضمن سلامة مستقبل البلد.

٢- ليس من الصالح الآن الإتيان بحكومة مؤقتة في مرحلة انتقالية، ومثل هذا الإجراء لن يكون مفيداً.

٣- لا ينبغي القلق والخشية من رد الفعل الأميركي. لأن أميركا لو اطمأنت أن السياسة الخارجية الإيرانية ستوجه حقا نحو عدم الانحياز ولا ترتبط بالمعسكرات الكبرى فإنها ستضطر للقبول بالواقع الجديد.

تقارير وكالات الأنباء العالمية تركزت أيضا عن تحول باريس في الآونة الأخيرة إلى مركز للمفاوضات السياسية المهمة بشأن مصير إيران ومستقبلها السياسي. وفي خضم هذه التحركات السياسية تواصلت التظاهرات والمسيرات الاحتجاجية في كافة أرجاء إيران. وقد هاجم المتظاهرون في مدينة بوشهر المؤسسات الحكومية، ومنها "بنك صادرات" وأحرقوه، فيما اجتمع طلبة كلية الاقتصاد وكلية الحقوق في شارع "خيام" في قزوین وأقاموا صلاة الظهر جماعة، وسط محاصرة القوات الحكومية. كما تظاهر طلبة ثانوية "شاه بور" في مدينة تويسركان في باحة المدرسة، وأعلنوا أنهم لن يذهبوا إلى صفوف الدراسة حتى تتحقق مطالبهم. كما أقام طلبة ثانوية "أمير كبير" في نفس هذه المدينة صلاة الجماعة في ساحة المدرسة، ثم خرجوا في تظاهرات أدانوا فيها المجازر التي ارتكبتها جلاوزة النظام في مدينة همدان وساروا في شارع "أمير كبير" وحطموا زجاج مبنى فرع حزب "رستاخيز" (حزب البعث) وهو الحزب الحكومي الرئيسي للملك. كما رجموا مبنى السينما الوحيدة في المدينة بالحجارة والأخشاب قبل أن يتفرقوا.

وقد شهدت مدن بروجرد وعلي آباد جرجان وكرمانشاه وخرم آباد وجهرم ورضائية (أرومية) ودزفول تظاهرات واسعة. وكانت المدارس مغلقة والدوائر الحكومية شبه معطلة. وطاف الآلاف من طلبة ومعلمي المدارس في مدينة دزفول شوارع المدينة في مسيرات احتجاجية وهم يحملون على أكتافهم التابوت الذي يضم جثمان السيد محمود الموسوي، وهو معلم شاب جرح إثر إصابته برصاص قوات النظام ثم استشهد بسبب ذلك.

وبسبب إضراب العاملين في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الوطني الإيراني. فإن بث التقارير المصورة توقف، كما تم تقليل البث التلفزيوني لمدة ساعتين. كما تم أيضا تقليل فترة أخبار الإذاعة. وقد أصدر موظفو الإذاعة والتلفزيون بيانا اشتمل على ٢٠ بنداً طالبوا فيه بحرية التعبير عن الرأي في ظل الدستور ومتممه. واحترام حقوق الإنسان وإطلاق سراح السجناء السياسيين.

إنها سياسة التمييز وإعادة النظر في معايير تحديد الرواتب والأهم من ذلك رفع الحظر عن بث البرامج والتقارير الإخبارية عن التظاهرات الشعبية. وقد أعلن العاملون في مركز الإذاعة والتلفزيون في محافظة كيلان الإضراب أيضا تضامنا مع زملائهم في طهران ومطالبة بتنفيذ مطالبهم.

وفي الأهواز أضرب ٨٧٠٠ شخص من العاملين في مجمع "الزراعة والصناعة" عن الطعام تضامنا ودعمًا لممثليهم الذين أضربوا عن الطعام قبل ذلك. وقد أطفأ كسبة طهران أنوار محلاتهم احتجاجا على الأوضاع والحوادث المؤلمة التي تشهدها أرجاء البلد. فخيّمت الظلمات بدءا من هذا التاريخ على الأسواق والمحلات.

واستشهد أحد الأهالي وجرح عدد آخر منهم في مدينة خرم آباد إثر إطلاق الشرطة العيارات النارية على عشرين ألف متظاهر خرجوا في شوارع المدينة.

وبسبب إضراب العاملين في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الوطني الإيراني، أخذ الناس يستمعون إلى أخبار الإذاعات الأخرى. وقد قال المعلق السياسي لإذاعة لندن ضمن تقرير مفصل عن التظاهرات والمسيرات الشعبية: "إن آية الله الخميني حازم وثابت في معارضته، فهو غير مستعد للتفاوض أو لتعديل مطالبه.. وأشرطة خطب آية الله الخميني تصل من باريس إلى طهران بواسطة المسافرين، ثم يتم نسخها وتوزيعها في غضون ساعات قليلة تتناقلها أيدي الناس بسرعة، على الرغم من وجود حالة الحكم العسكري وتمركز المدرعات والحافلات العسكرية المحملة بالجنود في أرجاء العاصمة طهران، كما يتم إرسال هذه الأشرطة الصوتية بوسائل مختلفة إلى المدن الأخرى".

في هذه الخطبة يبين الإمام الخميني (س) بصورة مفصلة الأبعاد والأساليب المتشعبة لدعايات أعداء الإسلام ضد الدين وعلمائه. ويرد استنادا إلى الحقائق التاريخية على دعايات اليساريين القائلة بأن الدين أفيون الشعوب، ويؤكد أن الأنبياء والأئمة والعلماء الحقيقيون انتفضوا من بين أوساط الجماهير المحرومة ضد الراسماليين والظالمين، وكانت حياتهم كلها كفاح وجهاد. ثم يعرض نماذج لسلوك زعماء الدول التي توصف بالتقدمية والمناصرة للكادحين، ويحذر الشباب والفتيان من الانخداع بدعايات القوى الاستكبارية.

ويشير الإمام في جانب آخر من خطبته إلى البرقيات التي بعثها زعماء القوى الكبرى إلى الملك الإيراني بمناسبة ذكرى مولده غير المبارك وإعلانهم فيها عن دعمهم له ثم قال: "نحن نريد أن نكون أحرارا مستقلين في بلدنا ونريد الحرية.. ولا يستطيع الحكم العسكري ولا غيره، بعد الآن قمع هذا الشعب.. فهذا ما لا يستطيع تحقيقه لا "كارتر" ولا سكتة قصر الكريملين؟

ثم يقول الإمام بكل صراحة: "يجب أن يرحل هذا الرجل (الملك) فلا سبيل آخر أمامه. وإذا أردتم إصلاح الأوضاع في إيران فإن تحقق هذا الأمر محال مع وجود محمد رضا والعائلة البهلوية الخبيثة. فيجب أن يرحل لكي يتحقق الإصلاح في إيران كما يجب معه قطع أيدي أميركا وإنكلترا والاتحاد السوفيتي هذه القوى الاستكبارية الثلاث، عن إيران..".

الخطاب رقم - ٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن نواجه دعايات بدأها الأجانب منذ وجدوا طريقا للنفوذ إلى إيران ودرسوا أوضاعها وسعوا لنهب ثرواتها. دعايات تسعى إلى تصوير الإسلام وعلمائه في أعين الناس وكأنهم عوامل مضادة للحياة. مخالفة للحق ورجعية لا خير فيها للحياة. وغير ذلك من الاتهامات التي روجتها دعاياتهم، وقالوا إن الدين أفيون للشعوب^(١) وإنه وليد الراسمالية، وعلماء الإسلام هم عملاؤها الذين يخدرون الجماهير لكي لا تنطلق صيحاتها وتتفجر الثورة!! وهذه هي دعايات أبواق الذين يرون الإسلام وعلماءه عقبتين في وجه تحقيق مطامعهم.

لقد تحدثنا عن الكثير من جوانب هذا الموضوع خلال الأيام الماضية التي قضيناها هنا للسادة، الذين يتبدلون باستمرار، حيث يذهب جمع ويأتي آخر. مما قلناه ويلزم تكراره، هو أن على الإنسان أن ينظر في القرآن وهو سند الإسلام ودستوره. ليعرف هل أن دراسته وتعلم تعاليمه تفعل فعل المواد المخدرة وتدفع الإنسان للقعود في بيته؟ أو هل هي تدعو الناس إلى الصوامع والخرابات؟ أم أن القرآن هو محرك المجتمع باتجاه مواجهة العالم والجور الواقع؟؟

إن العارف بالمنطق القرآني، ولو بمقدار، يدرك أن القرآن هو الذي جعل نبي الإسلام في حالة حرب مستمرة مع الراسماليين المتجبرين الأقوياء الذين كانوا أصحاب القدرة في الحجاز والطائف ومكة وغيرها. القرآن هو الذي أمر النبي بهدف تحقيق العدالة، بمحاربة الذين كانوا يضادون مصالح عامة الناس وروحهم الوطنية ويستغلونهم، والحروب التي خاضها النبي في حياته بعد أن تهيأت له عدتها كانت دائما مع الجبابرة، كأبي سفيان وأمثلة المضادين لمصالح قومهم وإمكاناتهم، فكانوا يستحذون عليها ويستأثرون بها حيث كان الظلم والجور حاكما على المجتمع.

تلك الحروب نشبت بين المستضعفين الفقراء أي تلك الطبقة الثالثة، وبين الجائرين الذين كانوا يسعون لغصب حقوق الفقراء. وليست واحدة أو اثنتين تلك الآيات الواردة في باب الحرب وقتال المشركين - وهم أصحاب النفوذ يومئذ - بل هي آيات كثيرة. في حين لو وجدتم في القرآن الكريم كله آية واحدة تدعو الناس للخضوع وملازمة بيتهم ليفعل الجبابرة ما يشاؤون. حيثنذ يحق للمرء أن يقول: إن القرآن والإسلام هما أفيون. فالأفيون مثل الترياق وسائر المواد المخدرة، فإذا استعملها الإنسان أصابه الخدر. فهل أنزل القرآن ليفعل بالناس مثل ذلك.

(١) هذه المقولة الجوفاء هي من أفكار لينين المشهورة. فقد قال في المؤتمر الثالث لاتحاد الشباب الشيوعيين ما نص ترجمته: "الماركسية مادية وهي عدو صلب للدين.. الدين أفيون وترياق جماهير الشعب، والماركسية ترى على الدوام أن كافة الأديان الجديدة والكنائس وكافة المؤسسات الدينية هي آلات تستخدمها الرجعية والبرجوازية بهدف الدفاع عن الإستعمار وتسميم الطبقات العاملة".

إذاً، هي تهمة أثرت ضد القرآن، والهدف عزل المسلمين عنه، وتحطيم منطقة بينهم، لكي يفقدوا - وهم الشرقيين أصحاب الثروات - الدعامة اللازمة للمقاومة. فلولا القرآن والروحانية القرآنية لما قاوم الناس.

لأنه هو الذي يبعث فيهم روح المقاومة. وقد توصلت دراسات الغرب أن العقبة القائمة بوجه مطامعهم هو القرآن، والذين درسوا القرآن عرفوا مكنن احتمالات التحرك لتطويق مطامع الغرب. لذا يجب تحطيم هاتين العقبتين لفتح الطريق أمام تحقيق مطامعهم. وقد حطموا العقبة القرآنية بزعمهم بتلك الدعاية، أو توهّموا تحطيمها، وزعموا أن الدين بصورة عامة وليس الإسلام وحسب، هو مخدر. وهذا الزعم ليس نتيجة لجهلهم فمعلوماتهم صحيحة عن الدين، لكنهم كانوا يريدون التضليل، ونحن الذين خدعنا لكوننا كنا نفتقد الإطلاع اللازم. كانوا يخادعون لهدف سياسي هو تحقيق مطامعهم، وانخدع المسلمون بذلك بسبب فقدان الإطلاع.

ولعل البعض من شبابنا لا زالوا يكررون هذا القول على الرغم من أن أركان أنظمة الظلم أخذت تضطرب وتتزعزع ببركة القرآن والإسلام وعلمائه. ومن يكرر مثل هذا القول الآن هو إما من عملاء الأجانب وإما من المخدوعين، وإلا كيف يمكن له التفوه بمثل هذا القول وهو يرى أن هذه النهضة المستمرة منذ خمسة عشر عاماً لم تزل سلطنة الملك وحده بل زعزعت معه أميركا وإنكلترا والإتحاد السوفيتي، الذين يبحثون الآن عن سبيل للخلاص فلا يجدون، لأن الحراب تفقد فاعليتها في مواجهة إرادة الشعب. ولعل هؤلاء لا زالوا يأملون ظهور جاهل يكرر مثل هذا القول الناشئ من الجهل.

كل الأنبياء السابقين الذين نعرف تاريخهم كانوا من هذه الطبقة الثالثة. من هؤلاء الفقراء. وكانوا يتفضون لمجابهة السلاطين في زمانهم. كانتفاضة موسى (ع) بوجه فرعون ليؤدبه. فليس فرعون هو الذي أرسله ليخدر العامة. بل ظهر من أوساط العامة - أي أن الله تعالى اختاره من العامة - ليواجه فرعون. وهكذا حال سائر الأنبياء (ع) الذين نعرف قصصهم. وهكذا كانت سيرة النبي الأكرم (ص) وهو أقرب إلينا ونعرف تاريخه أكثر من غيره. والحروب التي خاضها معروفة في عددها وفي هوية الأطراف التي قاتلها. فجميع تلك الحروب كانت ضد الظلمة والمعتدين والجبابرة.

إذاً، فالمنطق القائل بأن الإسلام أو سائر الأديان من العوامل المخدرة، هو منطق الأجانب الذين يريدون سرقة ثرواتنا وعزلنا عن القرآن لكي نفقد الدعامة التي نستند إليها، ولكي نخسر القدرة القرآنية ونتفرق كل طرف كلمة ما. بهذا تحقق دعاياتهم إثرها وتحرف شبابنا لكي يتفرغوا هم لتحقيق مطامعهم.

عندما نطالع سيرة مبلّغي الدين. كالنبي الأكرم (ص) والإمام أمير المؤمنين (ع) وخلفاء النبي الظاهريين، عندما عمل بمبدأ الخلافة، وقبل أن تتحول إلى سلطنة وملوكية، وبعدهم سيرة علماء الإسلام، سنجد أن الحرب كانت قائمة دائماً بين هؤلاء وبين الجبابرة، فلم يتخذ هؤلاء موقف الصمت أبداً، غاية الأمر أنهم كانوا ينبرون للمواجهة حسب قدرتهم التي كانت ضئيلة لأسباب عديدة.

وفي عصرنا، وخلال هذه الحقبة التي عايشناها، رأينا الانتفاضات تقوم لها نفس هذه الفئة ضد رضا خان. فعندما جاء ونفذ انقلابه وفتح باب الظلم والعدوان على جميع فئات الشعب، لم تواجهه أية قوة، باستثناء الذين نفذوا انتفاضات عديدة تذكرها جميعا، كانتفاضات علماء أصفهان الذين اجتمعوا في قم مع علماء سائر المدن الأخرى^(١)، كانتفاضة خراسان التي شارك فيها كافة علمائها، ثم اعتقالهم وسجنهم^(٢) المرحوم السيد يونس^(٣) والمرحوم آقازادة^(٤) وآخرين.

(١) أصدر رضا خان سنة ١٩٧١ أمرا بتنفيذ قانون الخدمة العسكرية الإجبارية ومنع علماء الدين ضمن قرار آخر من القيام بعدد من واجباتهم ومن التدخل في شؤون الدولة. وجاء هذا القرار بمثابة إعلان حرب على العلماء. وقد اعترض الشعب الإيراني وعلماء وأهالي أصفهان خاصة بشدة على الحكومة بسبب هذا القرار. وقد هاجر العالم المجاهد آية الله نور الله الأصفهاني ومعه قرابة المئة من علماء أصفهان ومجتهديها وطائفة من الأهالي من مدينة أصفهان إلى مدينة قم المقدسة. وفور وصوله بعث رسائل لكافة علماء إيران ومجتهديها دعاهم فيها إلى الهجرة إلى قم والإعتراض على حكومة رضا خان ومنعها من ممارستها. وقد استجاب عدد من علماء المدن المختلفة لهذه الدعوة وجاءوا إلى قم وشكلوا تجمعا تجاوز عدد أفراد ٧٠٠ شخص عُرفوا باسم "العلماء المهاجرون". في أعقاب هذه الهجرة أعلن تعطيل الأسواق في عدد من المدن. منها شيراز ومشهد المقدسة، وبعث الأهالي والعلماء بقرقيات للحكومة تأييدا لمطالب المجتمعين في مدينة قم. وأثار اتساع تظاهرات الأهالي واحتجاجات العلماء القلق والخوف لدى رضا شاه فأمر رئيس الوزراء (مخبر السلطنة) ومعه وزير البلاط (تيمور تاش) وإمام الجمعة وظهير الإسلام بالتوجه إلى قم للتفاوض مع آية الله الأصفهاني والهيئة المنتخبة من قبل علماء قم. وقد التقوا وجرت مفاوضات موسعة تم فيها الاتفاق على النقاط التالية:

١- إعادة النظر في قانون الخدمة العسكرية الإجبارية.

٢- أن يشرف خمسة من علماء الدين على تشريع القوانين في المجلس النيابي.

٣- تعيين مشرفين على تنفيذ الأمور الشرعية في كافة الولايات.

٤- منع المحرمات.

٥- تنفيذ الأحكام الخاصة بالمحاضر الشرعية.

وقد اشترط آية الله الأصفهاني المصادقة القانونية على هذه المواد قبل عودة المهاجرين إلى أصفهان لكنه توفي ليلة ١٩٧٢/١٢/٢٥ بصورة مثيرة للشكوك. وحيث أنه كان يتولى قيادة التحرك. لذا فقد تفرق المهجرون بعد وفاته.

(٢) بعد أن أمر رضا خان بتوحيد الزي ونزع الحجاب عن النساء، انتفض علماء خراسان. ولقمع نهضتهم أمر رضا خان جلاوزته بمهاجمة مسجد "جوهرشاد" المجاور لحرم مرقد الإمام الرضا (ع)، وقد قتل عدد كبير من الأهالي العزل في هذه الواقعة واعتقل قرابة المئة من العلماء والوجهاء ونقل عدد من العلماء الكبار أمثال المرحوم السيد يونس الأردبيلي والمرحوم آقازادة إلى طهران حيث قدموا فيها للمحاكمة.

(٣) آية الله الحاج السيد يونس الأردبيلي (١٢٩٣-١٣٧٧هـ) من علماء إيران المجاهدين. هاجر من مسقط رأسه إلى زنجان ودرس فيها الفقه والأصول عند الشيخ المولى قربانعلي الزنجاني. والعلوم العقلية عند الشيخ المولى سبز علي الحكيم. وفي سنة ١٣١٠هـ هاجر إلى النجف الأشرف وانضم إلى حوزة تدريس الفاضل الشربلاني والأخوند الخراساني والسيد اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني. ثم انتقل إلى كربلاء وحضر درس الميرزا محمد تقي الشيرازي، ثم عاد إلى أردبيل سنة ١٣٤٦هـ ق. وفي سياق الجهاد ضد استبداد رضا خان هاجر إلى مدينة مشهد المقدسة سنة ١٣٥٣هـ ق ثم اعتقل خلال واقعة مسجد "جوهر شاد" ونفي إلى أردبيل. ثم عاد إلى مشهد سنة ١٣٦١هـ ق للتدريس وتوفي فيها ودفن في رواق "دار السعادة" في حرم الإمام الرضا (ع)، وله من المؤلفات للكتب التالية: دورة كاملة في الفقه، وتأليف القاصر في صلاة المسافرين، ورسالة في قاعدة لا ضرر، ورسالة في فروع العلم الإجمالي، ورسالة في أصول العقائد، وحاشية على كتاب العروة الوثقى، ورسالة عملية في الأحكام الشرعية.

وكانتفاضة آذربيجان، حيث اعتقلت السلطات كبار علماء آذربيجان، كالمرحوم الميرزا صادق آقا والمرحوم أنكجي ثم نفيهم^(٢)، وكالاتفاضة التي قام بها المرحوم السيد القمي الذي جاء إلى طهران لكن الأهالي لم يتابعوه بصورة صحيحة فاعتقل ونفي هو الآخر.^(٣)

إذاً، فقد قام العلماء بانتفاضات عديدة، والتاريخ يشهد أنهم لم يكونوا من الذين يدعون الجماهير إلى السكون والصمت في مقابل الظلم والظلمة. فتلك الاتهامات التي أثارها الدعايات أوصلت حالنا إلى ما عليه الآن، حيث لا يزال البعض من المنحرفين يرددون نفس تلك الاتهامات، وهم يعينون بذلك مراكز الظلم والجور. فالذين يرددون مثل تلك الاتهامات هم إما من عملاء أجهزة السلطات الحاكمة أو من الذين خدعهم أولئك العملاء. ومن هذا النمط تلك الشعارات الشيوعية والماركسية التي خدعوا بها مجموعة من الشبان الذين لم يتعرفوا على حقيقة هؤلاء الذين يدعونهم إلى اعتناق الشيوعية والماركسية. لم يدرسوا أحوالهم ليعرفوا حقيقة دورهم وأعمالهم. أمثال ستالين^(٤) الذي أدركنا عهده وبعضكم أدركه أيضاً، حيث اتضحت حقيقته وأي مقدار حظي به من الخصال الإنسانية لكي يريد هؤلاء الإقتداء به.

أجل عندما وقعت الحرب العالمية (الثانية) احتل الجيش الروسي جزءاً من إيران من تلك الجهة من طهران إلى خراسان، فيما احتلت جيوش إنكلترا وأميركا أجزاء أخرى كل منهم أخذ جزءاً. وقد شاهدنا، وشاهدت بنفسي، تلك القصة التي اشتهرت، وقد وقعت عندما جاء رؤساء الحلفاء ستالين وروزفلت وتشرشل، إلى

(١) الميرزا محمد (الكفائي) النجفي الخراساني (١٢٩٤-١٣٥٦هـ ق) هو نجل الأخوند الخراساني. درس عند أبيه وأخذ منه إجازة الإجتهد. وفي سنة ١٣٢٥هـ ق انتقل من النجف إلى خراسان وأقام في مدينة مشهد وأخذ بتدريس الفقه والأصول فيها. وقد دعم نهضة الحركة الدستورية ثم واصل الجهاد ضد الظلم بعد مجيء رضا خان للسلطة وإقامة حكمه الاستبدادي، وكان يدعو الناس للثورة عليه. وقد اعتقلته السلطات بعد حادثة مسجد "جوهرشاد" وحكمت عليه بالإعدام. فبقي مسجوناً في مشهد فترة ثم نفي إلى طهران. وفرضت عليه الرقابة من قبل السلطة. (راجع كتاب "عشرون عاماً من التاريخ الإيراني" بالفارسية، ج ٦، ص ٢٥٧).

(٢) تعتبر نهضة علماء آذربيجان من النهضات التحريرية المهمة التي شهدتها حقبة حكم رضا خان الاستبدادي. وقد قاد هذه النهضة فقيهان كبار من علماء آذربيجان هما الميرزا صادق آقا والمرحوم الشيخ أنكجي. وقد نفاهما رضا خان ضمن جهوده لقمع النهضة إلى كردستان أولاً ثم إلى قم. ثم عاد المرحوم أنكجي بعد فترة إلى مدينة تبريز في آذربيجان، لكن المرحوم صادق آقا بقي منفياً في قم إلى حين وفاته.

(٣) أثار قرار تغيير الزِّي في زمن رضا خان ضجة واسعة، وانتفض المراجع والعلماء لمعارضته. وهذا ما قام به آية الله السيد حسين القمي وآية الله السيد يونس الأردبيلي والشيخ أقازادة (الخراساني) وعدد آخر من علماء وأساتذة العلوم الإسلامية في مدينة مشهد كل بطريقته الخاصة. وقد قرر السيد آية الله القمي التوجه بنفسه والتفاوض مباشرة مع رضا خان بشأن إلغاء جلاوزة الملك محل إقامته فوراً ومنعوا التردد عليه وصدوا الأهالي والقادمين من طهران لزيارته عن الوصول إليه. ثم نفوا السيد القمي إلى العتبات المقدسة (وقد نشرت مجلة "نور علم" الصادرة في مدينة قم بالفارسية جوانب من سيرة هذا المرجع المجاهد والعالم الكبير المظلوم في العدد الأول من السنة الثانية، ص ٧٦-٩٥).

(٤) "جوزيف فيساريو يونفيج"، المعروف باسم "ستالين" أي الرجل الحديدي) عاش ما بين عامي (١٨٧٩-١٩٥٣م) وقد أصبح رئيساً للإتحاد السوفياتي بعد وفاة "لينين".

إيران^(١). فستالين هذا الذي يدافع عنه أولئك السادة، ويقولون عنه بأنه شيوعي شعبي يتفاعل مع الجماهير، ويلقبونه بلقب "قارداش" و"الأخ" وأمثال ذلك، عندما جاء إلى إيران ألزمهم أن يجلبوا معه بقرة حلبا لكي لا يشرب السيد من لبن بقرة إيرانية!! أجل هذا الذي كان يسكن قصر الكرملين ويلقب بـ"رفيق الجيش والجماهير" جلبوا له (من بلده) بقرة حلبا، وفي ظل ظروف الحرب العالمية، ليشرب من لبنها ولكي لا يفتقد لبن الأبقار - لا سمح الله - ويضطر لشرب لبن بقرة إيرانية!! هكذا كانت حياته الترفيه!!.

وقد شاهدت بنفسي حادثة أخرى عندما كنا نساfer من طهران إلى مشهد بحافلة النقل الكبيرة حيث صادفنا تلك القوات القادمة من روسيا، والذين تقول عقيدتهم إنهم إخوة ورفاق متساوون!! هؤلاء كانوا يستجدون السجائر أو أشياء أخرى، وأحدهم ابتهج فرحا عندما أعطي سيجارة فأخذها وشرع بالصفير والرقص في حين أن "أخاه" ستالين جاء بالطائرة بتلك الحالة الفخمة مصطحبا بقرة (من بلده) لكي يشرب السيد لبنها.

هؤلاء يخدعون الناس ويمكرون بهم، وحتى لينين^(٢)، الذي يطلبون الثناء عليه، أولاً دخل ميدان معارضة علماء الدين في بلده بعد هزيمة جنسية. فالقضية كانت قضية جنسية، حيث منعه منها رجال الدين فغضب. كما ينقلون عنه قصة أخرى وهي أنه قال: علينا أن نحسب مداخيل ومصارف الأشخاص في بلدنا فنبقى على من كان مدخوله مساويا لمصروفه أو يزيد عليها حيث أننا نحصل على شيء من الثاني. أما من كان دخله مساويا لمصروفه فيجب أن نلقيه في البحر. فهل مثل هذا محب للإنسانية؟؟ إن الذي تثنون عليه كل هذا الثناء يقول: إن الفقراء عاجزين عن العمل والعجائز والضعفاء وأصحاب العاهات الذين لا يقدرّون على الكسب يجب إلقاؤهم في البحر لنرتاح، ولأن وجودهم غير نافع... يُقذفون في البحر لكي لا يتحمل الآخرون عناء حفر القبور!!.

إن هؤلاء يضلّلون شبابنا، وكل أقوالهم دعايات لا واقع لها. هذا نمط من أنماط الحكومة ورؤسائها. ولنبيين أيضا شكل حكومتنا والحكومة التي تريدها، وهي التي يمثل مصداقيتها النبي الأكرم (ص)، وقد كان حاكما أيضا، ولكننا قررنا التحدث عن رؤساء الحكومات.. سيرتهم، وأحدهم الإمام أمير المؤمنين (ع) والآخر عمر فهل كان أولئك حتى مثل عمر.

(١) ما بين ٢ و ٧ آب ١٩٣٤م، وخلال الحرب العالمية الثانية، عقد زعماء أميركا وإنكلترا والإتحاد السوفياتي آنذاك "روزفيلت" و"تشرشل" و"ستالين" مؤتمر قمة لهم في طهران أصدروا في ختامه بيانين: الأول كان يشير إلى توافقه فيما يتعلق بالخطط والعمليات العسكرية، والثاني يشير إلى تقديم معونات اقتصادية لإيران خلال فترة الحرب وبعدها. وكان شمال إيران حيث تحت احتلال الجيش الروسي، وجنوبه تحتل القوات الإنكليزية، فيما كانت القوات الأميركية تسيطر على طرق إيران.

(٢) "فلاديمير - إيليج إيليا نوف" (١٩٧٨-١٩٢٤م) المعروف بـ"لينين"، مؤسس وقائد الحزب الشيوعي وموحد حكومة الإتحاد السوفياتي

وحتى نفس النبي (ص) فكل من كتب سيرته ذكر أنه كان في معيشتة دون مستوى معيشة عامة الناس الذين كانوا يعيشون في المدينة آنذاك. كانت له حجرة طينية في المسجد، وكان يركب الحمار ويردف خلفه شخصاً آخر يشرح له الأحكام ويربّه. فأتونا بحاكم أو رئيس مركز للشرطة أو عمدة مدينة أو قرية يتعامل مع الشعب بهذا النحو، بحيث يجلس مع رعيته في المسجد - وهو مقر حكومته - يحدثهم فإذا دخل شخص غريب لم يميز الحاكم عن المحكومين من هؤلاء الجالسين، كما روي، فلا يميز النبي عن الآخرين. لم يكن (ص) يعيش حياة المترفين، بل إنه كان يهتم رعاية أحوال الفقراء والضعفاء بصورة يعجز الجميع عن توضيحها.

وكذلك كان حال الإمام علي (ع) خلال عهد سلطنته، ومن سوء الأدب أن أقول سلطنته، خلال عهد خلافته التي كانت تخضع لها بلدان كثيرة منها إيران والحجاز والعراق والأردن ومصر. فرغم اتساع رقعة حكمه نلاحظ شدة بساطة معيشتة. فهل هو الذي يحمل هموم الجماهير أم أولئك الذين يتحدثون عنهم^(١)؟ قارنوا بين الطرفين وادرسوا ما نقله التاريخ عن سيرته، فهو الذي ينقل لنا التاريخ أنه كان ينام ليلاً على جلد كبش مع عياله، وفي النهار يضع عليه علف بغيره. هكذا كانت معيشة أمير المؤمنين إذ يمكننا القول إنه لم يشع في عمره ولا مرة واحدة من الخبز.

وكان كما يروي، يمهر الكيس الذي كان يضع فيه قطعاً من خبز الشعير اليابس التي كان يقتات عليها، وكان يفعل ذلك لكي لا يفتحه ولده شفقة على أبيهم ويضعون على تلك القطع الجافة من الخبز شيئاً من الزيت أو غيره، وقد ختم على الكيس لأن زينب مثلاً أرادت مرة أن تصب عدل هذا الخبز قليلاً من الزيت! هذا هو حال طعام أمير المؤمنين (ع).

يروي أن أمير المؤمنين (ع) في الليلة التي ضرب فيها كان في ضيافة ابنته "أم كلثوم"، وعندما أتت بطعام إفطاره رأى أنها قدمت له قرصين من شعير وقصعة فيها لبن وجريش ملح، فأنكر ذلك عليها، لأنها تعلم أنه لم يأكل إدامين ونوعين من الطعام في وجبة واحدة. فأمرها أن ترفع أحدهما فأرادت أن ترفع الملح فأبى عليها وطلب منها أن ترفع اللبن وتبقي الملح^(٢) فأكل لقمتين من خبز الشعير مع الملح. هذه حكومتنا.. حكومة الإسلام.. وهذا حال الحاكم الإسلامي، وذلك حال الحاكم الشيوعي والماركسي.

على الإنسان أن يجند عقله لمعرفة المكائد التي انخدع بها وأهدافها، ولمعرفة أهداف كل هذه الدعايات، والتي تهدف إلى عزلكم عن الإسلام وإبعادكم عن الحكومة الإسلامية التي يجب التفكير لمعرفة هدف سعيهم لإبعادكم عنها. إن الهدف هو أن ذلك السيد يريد غازنا ونفطنا. لكن لهذا النفط والغاز أصحاباً يمكن أن تنطلق اعتراضاتهم على ذلك والإسلام يقول: لا يحق لأحد أن يأتي ليفرض على المسلمين شيئاً. لكن أولئك

(١) يقصد الشيوعيين.

(٢) "وفاة الإمام علي (ع)"، ص ٨٦.

(الأجانب) يريدون أن يفرضوا على المسلمين كل ما يشاؤون. يريدون أن يأتوا بشخص مثل محمد رضا وينصبوه حاكما يأمرونه بأن يعطيهم كل ثروات هذا البلد، وهذه هي المهمة التي يصفها بأنها "مهمة من أجل وطني"^(١) ولكن من المحتمل أن ينطلق صوت العالم الديني معترضا على ذلك، لذا يجب خنقه واسكاته والترويج (لافتراءات من قبيل) أن الملالي والمشايخ طفيليون جميعا!!^(٢) أجل، هؤلاء الذين يستحوذون على تلك الثروات يتهمون عالم الدين الذي يعيش في حجرة صغيرة في المدرسة مع أربعة كتب وبساط متواضع.. بأنه طفيلي!!

ويتهمون بالكسل والبطالة، العلماء الذين لا زالوا منذ سبعين عاما يبذلون جهودا دؤوبة دفاعا عن شعبهم ودينهم. فهل هؤلاء هم الكسالى أم الذين يتسكعون كل يوم حول الرذائل ثم يتهمون العلماء بالكسل؟؟ إن كل هذه الافتراءات والدعايات تهدف تشويه صورة العلماء في أعين الشعب وسلبه هذه القوة وقوة الإسلام التي تعلو كل قوة، وهي قوة مروجي الإسلام. فإذا سلبوا هاتين القوتين من الشعب استطاع محمد رضا فعل ما يريد دون أن يعترض أحد.

عندما جاء رضا خان وفعل كل تلك الأفعال (المشينة) واجهه عالم دين كان في المجلس النيابي اسمه "السيد مدرّس" (رحمه الله) فتصدى له وقال: لا.. ولم يكن ثمة معترض غيره وغير من التف حول، فلم تقف بوجهه أية قوة في البلد باستثناء السيد المدرّس المعمّم والملا التقى، الذي كان يرتدي العمامة والقميص والعباءة المصنوعة من القماش الرخيص والسروال المخاط من قماش "الكرباس"، وهو السروال الذي انتقدوه بسببه، عندما كرموه وقالوا فيه قصيدة شعر، هذا هو حال الرجل الذي تصدى للوقوف بوجه رضا شاه وقال له: لا..

(١) يعتبر الملك محمد رضا نفسه مؤلفا لثلاثة كتب "مهمة عظيمة"، ويعتقد أن على زعماء الشعوب المتخلفة أن يقرأوها لنقل شعوبهم إلى حياة الرفاه والتقدم بالاستفادة من المبادئ والنظريات السياسية والإجتماعية التي تبينها تلك الكتب الثلاثة، وكل منها ثمرة فترة خاصة من فترات حكم الملك، وهي كتب: "مهمة من أجل وطني" و"الثورة البيضاء" ونحو "التحضر العظيم". يبدو أن المؤلف الحقيقي للكتاب الثالث هو "شجاع الدين شفا" مسؤول الشؤون الثقافية في عهد الملك وسفيره في لندن.

(٢) عندما زار الملك مدينة قم بتاريخ ١٣٢٤/١/١٩٦٣م، لم يحفل به أهلها، فألقى كلمة مهينة في نفس اليوم قال في جانب منها: "إن رجال الدين يتصورون أن الحياة عبارة عن الحصول على المال أو غيره بالظلم والبطالة وأمثالها والحصول على القوت بذلك.. لكن الحياة الطفيلية قد انتهت..". وبعد إلقاء هذه الكلمة دخل جلاوزة النظام الذين كانوا قد غيروا زيهم، هذه المدينة تحت عنوان "أهالي قم المحبون للملك" وهم يهتفون بشعار "ماتت الطفيلية وأكل الرز"، راجع صحيفتي "كيهان" و"اطلاعات" في أعدادهما الصادرة في التاريخ المذكور وما بعده، وراجع أيضا كتابي "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٢٢٠-٢٢١، و"الثورة الإسلامية وجذورها"، ص ٤٥١-٤٥٢، وكلاهما بالفارسية.

وعندما وجهت روسيا تحذيرا لإيران في قضية لا أتذكرها الآن^(١) وحركت قواتها باتجاه الأراضي الإيرانية إلى النقطة الفلانية. قدموا (المسؤولون الحكوميون) هذا التحذير للمجلس النيابي لكي يفعل النواب شيئا وحذرهم من مخاطر عدم الاستجابة للتحذير الروسي. فجلس النواب جميعا ولم يتفوهوا بكلمة واحدة عاجزين عن القيام بأي شيء. أما الشخص الوحيد الذي تحرك، وهذا ما كتبوه هم بأنفسهم (أي الحكومتان) هو المرحوم السيد المدرّس حيث كتبوا: إن سيّدا معمما ملائيا وقف بأيّد مرتعشة (لكبر سنّه) خلف منصة المجلس وقال: إذا تقرر أن يكون مصيرنا الدمار فلماذا نفعل ذلك بأيدينا. كلا نحن نرفض هذا (التحذير والمطالب الروسية)، فرفضوها ولم يستطع أولئك (الروس) أن يرتكبوا أية حماقة. فقد تجرّأ عندئذ النواب الآخرون، كما يقول أولئك أنفسهم، ورفضوا تلك المطالب ولم يستطع الروس فعل شيء، فهم يريدون إرعابنا.

والآن أيضا وعلى الطرف الآخر بعث أولئك الزعماء الطفيليون، ناهبو النفط، برقية قبل أيام في الرابع من شهر آبان (٢٤ تشرين الأول) إلى الملك قدموا له التهاني بهذه المناسبة وأعلنوا دعمهم له. وخاصة "كارتر" الذي تمادى كثيرا في إظهار دعمه^(٢)، ونفس الدعم أكده قبل أيام من ذلك وزير الخارجية الإنكليزي وقال ما مضمونه: إن الملك الإيراني هو حافظ مصالحنا، وإن لنا مصالح في إيران، لذا يجب الآن أن ندعمه. كلا نحن لن ندعمكم تدعمونه وشعبنا لن تخدعه هذه الأقوال الآن.

(١) سنة ١٩١١ م، أوكلت الحكومة الإيرانية مهمة تنظيم الدولة إلى رئيس هيئة المستشارين الإقتصاديين لإيران، ووجهت الحكومة القيصرية في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ تحذيرا شديدا للهجة لإيران، وطلبت عزل "مورغان شوستر" عن هذا المنصب وإخراجه من الأراضي الإيرانية، وأن تتعهد الحكومة الإيرانية بالحصول على موافقة لحكومتين الروسية والإنكليزية قبل استخدام المستشارين الأجانب مستقبلا. كذلك عليها أن تتعهد بدفع تكاليف نقل القوات الروسية التي وصلت إلى الحدود الإيرانية. وحدد التحذير مهلة ٤٨ ساعة إذا لم تستجب خلالها طهران لمطالب موسكو فإن الحكومة القيصرية ستحتل طهران. وقد تصدى بشجاعة وفبات المرحوم السيد المدرّس لهذا التحذير، في وقت سيطر الرعب على السياسيين والمسؤولين الحكوميين، وعندما شاهد أعضاء المجلس النيابي شجاعة وقوة السيد المدرّس في رفض التحذير الروسي. أعلنوا رفض هذا التحذير والمطالب الروسية بأغلبية شبه مطلقة. وفي خضم هذه القضية اقتحم مبنى المجلس النيابي مجموعة من النساء وهن يحملن الأسلحة النارية وهددن أعضاء المجلس بأنهن سيقتلن أنفسهن وعائلاتهن إذا خضع النواب لعار القبول والرضوخ لهذا التحذير. وقد انزعج الروس بشدة من هذا الموقف غير المتوقع وأرسلوا قوات جديدة إلى إيران وأطلقوا النار على الأهالي في مدن تبريز ورشت ومشهد ومدن الشمال الإيراني الأخرى. وفي الأول من محرم سنة ١٣٣٠هـ وافقت الحكومة المركزية الإيرانية التي كانت ترى نفسها ضعيفة على التحذير. وفي اليوم الثاني من محرم أعلن ناصر الملك، الذي كان يقوم بمهام الملك لصغر سن الملك أحمد شاه، حل المجلس النيابي، وأعلن الحكم العسكري وعطل كافة الدوائر الحكومية.

(٢) قال "كارتر" في برقيته: "صاحب المقام الملكي السامي، صاحب الجلالة الملك محمد رضا بهلوي، تقدم لكم "روزالين" وأنا، أصدق التهاني بمناسبة ذكرى ولادتكم. مثلما ذكرنا سابقا فإننا نفكر أغلب الأوقات بشأن الأوضاع في إيران. وإني أعلم جيدا أن الاضطرابات الأخيرة قد أشعلت فكر صاحب الجلالة. لكنني في نفس الوقت مطلع بالكامل على حقيقة أن صاحب الجلالة يستطيع النظر بعين الإفتخار والرضى إلى الجهود التي بذلها طوال الأعوام السبعة والثلاثين المنصرمة من أجل تطور بلده. والمشكلات الراهنة سوف تزول. وسيظهر الشعب الإيراني كشعب قوي في ظل خطط التقدم السياسي التي وضعها صاحب الجلالة على محك التنفيذ".

لا تتصوروا أنهم إذا أطلقوا هذه التهديدات ورفضها الشعب وأعرض عنها فإنهم سيأتون بقواتهم من ذلك الطرف من العالم إلى هنا. كلا فهذه أقوال لا أكثر ومجرد أشعار. بل إن الرأي العام العالمي لم يعد يقبل هذه الأقوال من أحد عندما يتحدث شعب بمنطق سليم ويقول: نحن نرفض أن تدمروا مصالحنا وتنهبوا ثرواتنا. نحن نريد أن نعيش أحرارا مستقلين في بلدنا. وهذا ما أقررتموه بأنفسكم في إعلان حقوق الإنسان، ونحن نريد العيش طبق مبادئ هذا الإعلان. نحن نريد أن نكون أحرارا ونريد الاستقلال والحرية في بلدنا. وهذا ما يهتف به الآن صغارنا وكبارنا في آن واحد. لذا لا يمكن مواجهة مثل هذا الشعب بقوة الحراب. أو بالحكم العسكري أو بغيره. فهذا محال ولا يستطيع تحقيقه لا "كارتير" ولا سكنة الكرملين. وهم يطلقون مثل تلك الأقوال بهدف إرعابكم لإنهاء الأمر بالإرعاب. لكنهم لن ينفذوا التهديد عمليا ويهجموا، فلكل منهم مصالح دولية وأمثاله. فلا هذا يتجرأ على التقدم خطوة خوفا من ذلك، ولا ذاك يتجرأ على التقدم خطوة خشية من هذا، فكل منهما يخشى الآخر لكنهما يطلقون هذه الأقوال بهدف إرعابنا.

في ذلك الزمن أيضا وقف عالم ديني واحد بوجههم وقال: لا^(١)، ولكن الناس لم يتابعوه بصورة جيدة ولم يكونوا مجهزين. فقد كانت الدعايات المضادة بالصورة التي جعلت البعض لا يسمحون للعلماء بالركوب في حافلات النقل، الله يعلم بالحال. يروي المرحوم الحاج الشيخ عباس الطهراني (رضوان الله عليه)^(٢)، قائلا: في العراق أردت مرة ركوب حافلة نقل صغيرة فقال لي السائق: نحن لا نسمح لفئتين بالركوب: الملالي والمومسات!! هكذا أصبحت النظرة للعلماء في ذلك العهد، أي هذه النظرة المشوهة التي روجوها. وقد قام السادة العلماء بعدة انتفاضات لكن الجماهير لم تستطع أن تتابعهم في ذلك بسبب انخداعها بتلك الدعايات، كما أن العلماء لم يكونوا يمتلكون جيشا.

واليوم أيضا لا زالت تتواصل عملية ترويج هذه الدعايات باستمرار. فيقولون إن فلانا يقيم في قصر شتوي. حيث يزوره الشبان فيه. هذا هو قصرنا الشتوي. (يضحك الإمام) الذي لا نجد فيه غرفة واحدة يستطيع السادة الجلوس فيها فلا تضطرون إلى الوقوف^(٣) (يضحك الإمام) وهذه الدعايات.

(١) المراد المرحوم آية الله السيد المدرّس.

(٢) المرحوم الحاج الشيخ عباس الطهراني من العلماء العرفانيين، وقد كانت له اتصالات مع الإمام الخميني قبل حوادث سنة ١٩٦١م - ١٩٦٣م، وقد ذكره الإمام في عدة موارد من آثاره بذكر طيب. واسمه يقترن في أذهان طلبة الإمام باجتماعات تلاوة دعاء الندبة لإمام العصر (عج) الأسبوعية التي كانت تقام بهيمته في مدرسة "الحجّية" في مدينة قم المقدسة.

(٣) فيما يتعلق بمواصفات محل إقامة الإمام في باريس. وعندما توجه الإمام من باريس إلى طهران بعث رسالة أمر فيها أن يكون محل إقامته في المناطق التي تقع جنوب ميدان "توبخانه" (ميدان الإمام الخميني حاليا) وهي من المناطق الفقيرة، وأن لا يكون في شمال طهران، حيث أغلب منازلها واسعة ومحل إقامة الأثرياء. ولكن أنصار الإمام كانوا قد أعدوا منزلا لإقامته في شمال المدينة بسبب هوائه المناسب. وعندما وصلهم أمر الإمام اختاروا لإقامته مدرسة "علوي" الواقعة في ميدان "بهارستان" القريب من المنطقة الفقيرة التي حددها الإمام. وفي سنة

يا أخي، إنهم يريدون بهذه الصورة عزلكم عن الدين، لكن إيران لم تعد اليوم تصغي لهذه الأقوال الميتة، لأن الشعب الإيراني أخذ يعي الحقائق ويعرف المكائد فلا يصغي لهذه الأقوال. لذا، يجب أن يرحل هذا الرجل (الملك) فلا سبيل آخر أمامه. وإذا أردتم إصلاح الأوضاع في إيران فإن تحقق هذا الأمر محال مع وجود محمد رضا والعائلة البهلوية الخبيثة. فيجب أن يرحل لكي يتحقق الإصلاح في إيران، كما يجب أيضا قطع أيدي أميركا وإنكلترا والاتحاد السوفيتي - هذه القوى الاستكبارية الثلاث - عن إيران. تكون إيران مستقلة بنفسها لكي يتم إصلاحها. ونحن نسعى لتحقيق هذا الأمر إن شاء الله. (الحاضرون يرددون إن شاء الله).

والآن، لنرى ما هو واجبكم أنتم الجالسون هنا؟ لقد تعبت ولا أستطيع المواصلة. ما هو واجبنا نحن؟ إن اخوتنا في إيران يقومون بواجباتهم وحتى هذه الساعة، وحيثما ذهبت من مدن إيران توجد حركة ونهضة وصيحات يتحمل اخواننا على أثرها الضرب والقتل والإغارة. إنهم منهمكون الآن في القيام بهذه الأمور التي لا نواجهها نحن وأنتم هنا، مع الأسف، ولكن كل واحد منكم يستطيع هنا أيضا - في الخارج - القيام بمهمة التبليغ، ليذهب كل واحد منكم، في مدرسته أو جامعته، إلى عشرة من هؤلاء الأجانب ويطلعهم على حقيقة ما يجري في إيران، وما يفعله هؤلاء فيها، وما يرتكبه زعماء هذه الدول من الظلم لنا، والظلم الذي يرتكبه الملك، وكيف أنه يقتل الشعب الذي يطالب بحقه، وهذه هي مطالبه، فهو ليس شعبا متوحشا.

هذا الرجل (الملك) يقول: إن شعبنا ليس جديرا بالحرية التي منحناها له! فهو ليس أهلا للحرية، و"كارتر" يقول: لقد أعطوهم الكثير من الحرية حتى علت صيحاتهم وضجيجهم. فكل هذا القتل والغازات نتيجة للحرية الزائدة!! هذا هو منطق "كارتر" الذي صرح به، ولا أفهم أي عقل هذا!! وأي إنسان هو!! إنه يقول: كما ورد في الصحف (اطلاعات أو كيهان) إن الملك أعطى حرية زائدة للشعب، وهذه هي علة هذه الاختلافات، وتعاليت صيحات مطالبة الشعب بالحرية!! وإن المراد من إطلاقهم صرخات (الحرية) هو أننا لا نريد الحرية!! لا نريد الحرية!! هذا هو منطق "كارتر"، وهكذا يصورون الأمر.

ذلك التافه يقول، وهو على أي حال أقل سوءا من سابقة: إن هذا الشعب ليس جديرا بالحرية. فلا يمكن منحها له لأنه لو تحرر لأعلن أنه لا يريدني. هذا هو إذاً منطق. لقد ضج الشعب لكثرة الحرية التي أعطيت له. أجل نحن مبتلون بهذين الشخصين اللذين يفكران بمثل هذا المنطق. أحدهما من هذه الجهة والآخر من الجهة الأخرى، وهذه هي محنتنا.

١٩٨٠ م أصيب الإمام بأزمة قلبية نقلوه على أثرها من قم إلى مستشفى القلب في طهران. وبعد فترة نقلوه إلى منزل بالقرب من المستشفى يقع في شارع "دربند" شمال طهران بهدف جعله قريبا من المراقبة الطبية المطلوبة. لكنه رفض البقاء في هذا المنزل، فاضطروا إلى اختيار منزل لأحد العلماء في قرية جمران محلا لسكنه. وقد تعجب زوار هذا المحل والمراسلون الأجانب الذين زاروا هذا المنزل الصغير بعد وفاة الإمام من بساطة حياة الإمام وبساطة مسكنه.

نحن جالسون هنا ونستطيع التحالف فيما بيننا. وأنتم تستطيعون التحدث مع أصدقائكم الأوروبيين والأميركيين، فلتطلعوهم على حقائق الأمور ولتشرحوا لهم ما تعانيه إيران وشعبها. يتنوا لهم كيف أن جلاوזה الملك يقتلون الآن الأطفال ذوي التسعة أو الثمانية أعوام. (وهنا سأل أحد الحاضرين) قائلا: هل نحن الذين يجب أن نحل هذه المشكلة أم الآخرون؟؟ فقال الإمام: انتبهوا، نحن يجب أن نحل المشكلة بأنفسنا ونطلب المساعدة فقط. نحن نريد تصحيح تلك الصورة التي روجوها في الخارج عن الشعب الإيراني بأنه شعب متوحش. نقل عن مراسل صحفي أوروبي أو إنكليزي، أنه كتب يقول: شاركت في الاجتماع الذي عقده الناس في يوم عيد الفطر، وكان المشاركون يتحلون باتزان كامل، وكانوا يرددون الشعارات لكن دون اشتباكات بل إن الاجتماع هادئ.

فذهبت لأغادر المكان، فتوقفت سيارة لأحد الأميركيين، ولما رأيته أجنبيًا أقلني معه في سيارته ثم قال لي: أنظر إلى هؤلاء المتوحشين! فقلت هؤلاء متوحشون؟؟ أين تجد في كل العالم جمعا يبلغ تعداده النصف مليون نفر يتحرك في مسيرة بهذا الهدوء بهذا الشكل السلمي؟؟ أجل إن هؤلاء يطلبون حقهم فيصفونهم بأنهم متوحشون. لقد أشاعوا في الخارج أن الشعب الإيراني متوحش ولا يمكن منحه الحرية. فالمتوحش يجب وضعه في حديقة الحيوانات وإغلاق الباب عليه بإحكام.

إنهم يصورونكم بهذه الصورة، ولإخراج هذه الصورة من أذهان الأجانب عليكم أن تبينوا لهم حقيقة ما عندنا وما عند الإيرانيين، لكي تخرج هذه الفكرة من أذهانهم وعندما يتشكل تيار بينهم. وحكوماتهم تلاحظ بعض الشيء آراء شعوبها، وهذا هو الهدف وليس المراد أن ينتفضوا ويأتوا لحل مشكلتنا التي يجب أن نحلها بأنفسنا. ولكن عليكم مواجهة هذه الصورة المفتعلة التي يشيعونها عن الشعب الإيراني. بأنه متوحش ولا يستطيع أن يتقبل الحرية، أو أن علة انطلاق صيحاته هي الحرية الزائدة التي أعطيت له. عليكم أن تفندوا هذه الصورة وتبينوا حقيقة استغاثة الشعب الإيراني وما يطالب به. وأن الطفل ذا الثمانية أعوام يصرخ مطالبًا بـ "الحرية والاستقلال والحكومة الإسلامية"، وهذا ما يطالب به أيضا الشيخ الكبير وعلماء الدين والوعاظ والفضلاء والكسبة والتلاميذ. الجميع يطلبون الحرية. فقد عانوا خمسين عاما من القمع، وهم يريدون الاستقلال والخروج من هذا الاستعباد الذي عادوا منه لأكثر من خمسين سنة.

علينا نحن - المتواجدين هنا - أن نبين الحقائق، أن نبين لكل من تربطنا به علاقة ما من أهالي هذه الدول حقيقة المشكلة الإيرانية "ونعرفهم بمحنة الإيرانيين" لكي تخرج من أذهانهم صورة أنهم فئة متوحشة تحرق البنوك، والذين يفعلون مثل ذلك الآن ليسوا منهم، فإذا أعطيتهم الحرية فسيفعلون كذا وكذا. بينوا لهم أن هذه ليست الصورة الحقيقية، وأن هؤلاء المساكين يصرخون بطلب الحرية ويضحون بأبنائهم لكي لا يبقوا في أسر الأجانب.

أسأل الله أن يحفظكم جميعا ويوفقكم لتقوية الإسلام (الحاضرون: آمين)، أرجو أن يتنصر هذا الشعب بما هو عليه الآن، وسيتنصر إن شاء الله. (تكبير الحاضرين).

هوية الخطاب رقم - ٥٢

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢٨ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الاتحاد ضرورة يقتضيها حكم الشرع والعقل، والخلافات خيانة للإسلام وللشعب.

المناسبة: ظهور خلافات بين المجاميع والأحزاب داخل إيران وخارجها.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في التاريخ أعلاه كان رضا بهلوي (ولي العهد الإيراني)، في زيارة لأمركا، يحل ضيفا على عائلة "جيمي كارتر" الذي أعرب خلال لقائه به عن أمله في توقف التظاهرات العنيفة للمعارضين وإضراب العمال في المناطق النفطية في إيران، وقال: "عموما إن الصداقة والاتحاد مع إيران هما من الأسس المهمة التي تقوم عليها السياسة الأميركية على الصعيد الخارجي".

وكان علي أميني (العميل الأميركي التقليدي في إيران) لا زال يعيش على أمل "بقاء الملك واستمرار حكم محمد رضا"، على الرغم من علمه بصلابة الإمام الخميني (س) ورفض المساومة. لكن أميني كان يمني نفسه بفاعلية الدعم الأميركي، وكان يحلم بمنصب رئاسة الوزراء للمرة الثانية، وكان يعتقد "أن تشكيل حكومة ائتلافية تضم الوجوه التي يثق بها الشعب هو الحل الوحيد للأزمة القائمة".

كذلك فإن التصريحات التي أدلى بها للمراسلين رئيس الجبهة الوطنية الإيرانية كريم سنجابي، بعد لقائه الإمام الخميني، تكشف عن أن الجبهة الوطنية كانت لا زالت تتطلع إلى المعارك الانتخابية. وعلى أية حال فالثورة الإسلامية كانت تسير نحو المزيد من التصاعد، ومع تصاعدها كانت الأحزاب والتيارات السياسية ترى أن رحيل الملك وتغيير النظام أمر حتمي في ظل إصرار الإمام الخميني وصلابته. وقد زادت من نشاطها لتوظيف التطورات الجديدة لصالح أهدافها السياسية. وقد ظهرت الأحاديث عن إعادة تشكيل التنظيمات المجمدة التي أدت تظاهرات الناس إلى إطلاق سراح زعمائها من سجون النظام، وتأسيس أحزاب جديدة. وحدوث انشقاقات في الأحزاب القديمة وظهور ائتلافات جديدة بين الأحزاب القديمة والتفاخر بالنشاطات الحركية السابقة ونسبة تفجر الثورة إلى هذا التنظيم أو ذاك، فقد طغت هذه الأحاديث على محافل السياسيين المحترفين.

الأحزاب اليسارية المختلفة في ميولها وارتباطاتها الصينية والروسية والغربية وحتى الأميركية. كانت تعلن عن وجودها الواحد تلو الآخر، ويتهم كل منها الأحزاب الأخرى بالتعاون مع النظام الملكي ومناصرة البرجوازية. في حين كانت حركة "نهضة الحرية" تطالب بسهم أوفر من النهضة الحالية مشيرة إلى خيانة بعض

أعضاء الجبهة الوطنية الجديدة. وفي المقابل أخذ أعضاء الجبهة الوطنية بمعاودة نشاطاتهم السياسية بالاستفادة من الدعاية التي حصلوا عليها في عهد الدكتور مصدق.

ولم يقتصر إطار الخلافات على داخل إيران بل تعداه إلى خارجها. حيث كان أنصار كل حزب يقومون بنشاطات دعائية لصالح حزبهم. كما ظهرت خلافات حادة بين أعضاء اتحاد الجمعيات الإسلامية للجامعيين المقيمين خارج البلد. وقد اختار أكثرية أنصار وأعضاء هذا الاتحاد السير على نهج الإمام الخميني (س). وفي المقابل كان بعض مسؤولي الاتحاد، وبحكم ارتباطهم التنظيمي بحركة "نهضة الحرية" أو الجبهة الوطنية يعرضون مواقفهم الحزبية التي تتعارض في جملة من القضايا الأساسية مع آراء الإمام الخميني (س)، لاتخاذها كأساس للحرك.

وكان الغريون يدعمون التيارات الليبرالية العلمانية في إيران ويبدلون مساع مكثفة من أجل القيادة العامة للثورة وطرح وجوه مثل السيد كاظم شريعتمداري^(١) وإدخاله للساحة السياسية.

وفي خضم ذلك كانت المظاهرات الجماهيرية وحركة الإضرابات مستمرة بل وفي تصاعد استجابة لأوامر الإمام الخميني (س) الذي كان يقود حركة الثورة بيقظة وثبات على المطالب الأساسية للنهضة وهي: إسقاط النظام الملكي والملك. وقطع أيدي أميركا وإقامة الحكم الإسلامي. وقد أدرك الغرب وأميركا التغيرات الحاصلة، وأذعنوا للواقع، ودخلهم اليأس من جدوى الاستمرار في تنفيذ سياسات النظام الملكي كتغيير الوجوه وتصعيد القمع والمجازر، فأخذوا يتطلعون لتوسيع العمل بحرية إثارة الخلاف والفرقة واستغلال ظاهرة الاختلافات الحزبية السياسية والعقائدية.

في هذه الخطبة يوصي الإمام الخميني (س) بوحدة كافة القوى الجهادية والعاملة في ساحة الكفاح، وهذا أهم ما كانت تحتاجه النهضة في تلك الفترة، لذا يخصص الإمام خطبته بالكامل لهذا الموضوع، فيتحدث من خلال الأمثلة الواضحة عن الآثار العظيمة للاتصال بين أجزاء وعناصر عالم الطبيعة وبين أفراد المجتمع الإنساني، ثم يقول ببالغ الألم: ".. هؤلاء المليار نسمة أسرى قوة كبرى يبلغ تعداد نفوسها مئتي أو مائة وخمسين مليون نسمة. وسرّ ذلك هو أن هؤلاء المئة والخمسين مليوناً متحدّين فيما بينهم، بينما نجد هؤلاء المليار نسمة متفرقين متنازعين".

ثم يتابع الإمام خطبته ليبين دور علماء أميركا والاتحاد السوفيتي والغرب في تأسيس الأحزاب والجبهات المختلفة، وإثارة النزاعات بين الأتراك والفرس والأكراد والبلوش وغيرهم، ويعتبر هذه الظواهر من خصائص

(١) بعد انتصار الثورة الإسلامية تم اكتشاف العديد من وثائق منظمة الأمن الملكي (السافاك) بشأن ارتباط شريعتمداري بهذه المنظمة، ومنذ فترة طويلة، والجهود التي كانت تبذلها وكالة المخابرات المركزية الأميركية للاستفادة منه. راجع كتاب "شريعتمداري في محكمة التاريخ" بالفارسية، وكتاب "نهضة الإمام الخميني"، ج ٢، ومجموعة وثائق وكر الجاسوسية الأميركية بالفارسية.

مرحلة ما بعد الحركة الدستورية. ثم يشير إلى دور النظام الملكي في إثارة وتصعيد الخلافات في قضية كتاب "شهيد جاويد" (الشهيد الخالد) وقضية مقتل المرحوم آية الله السيد الشمس آبادي في مدينة نجف آباد، ثم يحذر من إثارة الخلافات على أعتاب شهري محرم ورمضان، ثم يقول: "يجب أن يستيقظ جيل الشباب ويتنبه لهذه الخطط الشيطانية!.. إنها خيانة للشعب، أن تؤدي خلافاتنا إلى إجهاض النهضة التي تفجرت في إيران.. علينا جميعاً أن نهتف بكلمة واحدة وأن نقول: لا للملك محمد رضا.. لا للعائلة البهلوية.. لا للندن.. لا لأميركا.. لا للإتحاد السوفيتي، فإذا حققتم هذا التقدم وحفظتم هذا الإتحاد نجوتهم!..".

أجل بعد أن يصدق الإمام الخميني (س) بخطبته التوحيدية المخلصة يقول بكل تواضع وإخلاص: "الله، إني قلت ما أفهمه للسادة وللشعب الإيراني.. إن الوقوع في الخلافات، سواء في داخل البلاد أو خارجها، ولا فرق أكان بين المثقفين وبين غيرهم، أو بين هذا التيار أو ذاك، في الجامعة أو غير ذلك، هو انتحار وتدمير وخيانة للأمة وللإسلام".

الخطاب رقم - ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

توجد بين الجموع الموجودة، "تفضلوا" (الإمام يخاطب أحد الحاضرين) اختلافات مزاجية ومسلكية، وقد شعرت بها بنفسني عندما أتيت إلى هنا. فالاختلافات قائمة.^(١)

المجتمع الذي يجمعه هدف واحد يريد تحقيقه بالكامل. فيهيئ مقدماته ليصل إلى النتيجة المطلوبة. هذا المجتمع وأفراده يمكن إشباعهم بالقطرات والأنهار والسيول والبحر. تلاحظون أن كل قطرة من قطرات المطر إذا عزلت عن البقية عجزت حتى عن ترطيب ورقة واحدة. لذلك فحتى لو كان تعداد هذه القطرات بالملايين والمليارات فإنها تبقى عاجزة عن تحقيق شيء إذا فقدت الاتصال فيما بينها وكانت كل قطرة معزولة عن الأخريات، فبدون اجتماعها لا يمكن لأي منها أن تأتي بخير.

أما إذا اتصلت فيما بينها، وكانت كل مجموعة منها متصلة فيما بينها منعزلة عن المجموعات الأخرى. فإن كل مجموعة تشكل نهراً صغيراً، لكن كل نهر من هذا الأنهار غير المتصلة يظل حاله كحال القطرة المنعزلة. فهو يستطيع تحقيق شيء محدود لكنه ليس أساسياً. فمن الممكن أن يسقي كل قطعة من الأرض ثم تزرع، لكن الانتفاع منه يبقى محدوداً على أية حال. هذا هو حال هذه الأنهار المنعزلة. أما القطرات المنعزلة فلا أثر لها أصلاً.

(١) راجع هوية الخطاب.

أما إذا اتصلت هذه الأنهار فيما بينها وأوجدت سيلا مائيا زادت قوتها في حين أن قوة كل قطرة من القطرات التي شكلت هذا السيل، وهي منعزلة لم تكن تستطيع ترطيب ورقة واحدة أو تحريكها. ولكن إذا اتصلت هذه القطرات وشكلت نهرا زادت قوتها بفعل هذا الاتصال. بمعنى أن هذه القوى الصغيرة الضعيفة اجتمعت فأوجدت قوة واحدة تزيد على قوة كل قطرة من قطراتها بأضعاف تساوي عدد هذه القطرات المجتمعة، ولعلها تكون أكبر أحيانا. لكنها مع ذلك قوة محدود ري قطعة من الأرض أو محدود تحريك بعض الأعشاب إذا ما تحركت واستطاعت إيجاد نهر صغير. ثم إذا اتصلت هذه الأنهار مع بعضها اكتسبت قوة كبيرة وشكلت سيلا جارفا قادرا على اقتلاع الأشجار وتدمير المباني بقوة اندفاعه. وإذا اتصل هذا السيل بسيول أخرى كانت النتيجة تشكيل بحر ذي قوة كبرى بحيث تستطيع موجة من أمواجه تدمير سفينة بكاملها.

وهكذا حال مجتمعنا، فلو كان تعداد أنفسه مئة مليون كان واحدٌ منهم منعزلا عن الآخرين، فإنه عاجز عن تحقيق أي شيء رغم أن لكل فرد من أفرادهِ قوة معينة. ففقدان الاتصال بينهم يجعله عاجزا عن تحقيق أي شيء. وحالة أية قطرة من القطرات المنعزلة العاجزة عن تحريك ورقة واحدة. لكل إنسان قوة معينة لكنها محدودة للغاية وأقل بكثير من القوة اللازمة لإنجاز عمل كبير وأساسي.

وحتى إذا فرضنا أن مجموعة من الأشخاص آمنت بعقيدة شخص معين وشاركته في تبني هدف معين دون بقية أفراد المجتمع الذين شاركوه أو خالفوه، وهذا الموقف أسوأ، فإن قدرة هذه المجموعة على تحقيق المهام المطلوبة تبقى محدودة فلا تنجز سوى بعض الأعمال البسيطة. هذا إذا تركها بقية أفراد المجتمع وحالها. فهي حصلت على قدرة معينة من خلال الاتصال بين أفرادها واستطاعت إنجاز بعض الأعمال لعدم وجود معارضين لها، أما إذا ظهرت مجموعة أخرى تعارضها وتسير بعكس اتجاهها وتعرقل أي منها لهدفها. فحتى هذا الهدف المحدد لا يمكن تحقيقه إلا في حالة عدم وجود عقبات في الطريق. فإذا أردتم التحرك من هنا إلى خارج هذه المدينة فإنكم ستصلون إلى مقصدكم في حالة عدم وجود مزاحم يعرقل مسيرتكم كالسيل أو الجبل.

إذاً، فهذا الإتحاد الذي فرضنا تحققه بين عدد محدود من الأشخاص التفوا حول هدف واحد وأرادوا إيجاد حركة معينة. يمكن أن يكون مؤثرا ويمكن أن تحقق المجموعة نتيجة محدودة ثانوية إذا لم تزاحمها مجموعة أخرى تتحرك بعكس اتجاهها. أما إذا اجتمع مئة أو مئتان على شكل مجموعتين متناقضتين في العقيدة وفي الأفعال تعرقل كل منها عمل الأخرى، فلا تتركها وشأنها، فهذا الوضع يعني إجهاض تأثير قوة الطرفين فلا يصل أي منهما إلى مقصده، أي أن يكونوا جميعا كالعاطلين ويفشل الجميع.

فمتى يمكن تحقيق أهداف مجتمع ما؟ كمجتمع المسلمين مثلا الذين يبلغ تعداد نفوسهم ثمانمئة مليون ولعالم أصبحوا الآن مليار نسمة^(١)، ولكنكم ترونهم جميعا خاضعين للتسلط (الأجنبي) فلا تجدون مجتمعا كل أفراد من المسلمين، ألا تجدون أيدي إحدى القوى الكبرى نافذة في كل شؤونه؟ هؤلاء المليار نسمة أسرى قوة كبرى يبلغ تعداد نفوسها مئتي مليون أو مئة وخمسين مليون نسمة. وسرّ ذلك هو أن هؤلاء المئة والخمسين مليونا متحدين فيما بينهم بينما تجد هؤلاء المليار نسمة متفرقين متنازعين.

عندما ترجعون إلى وضع إيران تجدون علاقاتها سيئة مع الدول المجاورة. وهذه الحالة من الاختلافات الحادة، والتي تصل أحيانا إلى حد الحروب. هذه الحالة القائمة بين البلدان الإسلامية لم تظهر بصورة طبيعية أو على نحو الصدفة. كلا فهي وليدة مخططات القوى الكبرى التي تدفع هذه الدول إلى النزاع وعدم الاتحاد، لكي لا تظهر القوة المقتدرة لمليار شخص من المسلمين، فتضيق عليهم الخنادق وتغلبهم. فماذا يجب أن يفعلوا لمواجهة ذلك؟؟ الحل هو أن يجعلوهم مثل الأنهار غير المتصلة. ويفرقوهم فيكون لكل مجموعة منهم مسلك خاص يعارض مسلك الأخرى وتثار بينهم النزاعات والحروب.

وهذه الحالة هي إما نتيجة خيانات حكام البلاد الإسلامية أو جهلهم، بحيث يعجزون عن التفاهم فيما بينهم وتوحيد صفوفهم، ليصبحوا مثل البحر فتحطم أمواجهم كل ما يقف في مواجهتهم.

ترون الوضع في فلسطين^(٢) حيث تقف مجموعة معدودة من هؤلاء الصهاينة اليهود، بعضهم من نفس هذا البلد^(١)، تقف في مقابل أكثر من مئة مليون نسمة هم سكان هذه الدول العربية. فبعضها استسلمت (الصهاينة)،

(١) العدد التقريبي للمسلمين في زمن هذه الخطبة كان ٨٠٠ مليون نسمة، والعدد الدقيق للمسلمين في العالم غير معلوم. والإحصائيات المعلنة غير دقيقة أصلا. فلم يتم إلى الآن إحصاء أعداد المسلمين في بعض البلدان. كما أن بعض المسلمين لا يستطيعون إعلان انتمائهم الديني في بعض البلدان. كما أن العاملين في إحصاء النفوس في بعض البلدان يسعون إلى إعطاء إحصائيات لأعداد المسلمين أقل من الواقع لدوافع سياسية أو عقائدية. في أوروبا وأميركا تهتم الإحصائيات بالجنس والسن والمهنة فقط ولا تتطرق إلى الإنتماء الديني. لهذه الأسباب لا يمكن الحصول على إحصائيات دقيقة لعدد المسلمين في العالم. كما يوجد في بعض البلدان، كأمركا والهند وغيرها، أشخاص يعتقدون الإسلام حديثا، ولكن الإحصائيات الموجودة تغفل عن ذكر أعدادهم. وعليه فإن تعداد المسلمين، في زمن الخطبة، يناهز المليار نسمة ولا شك. كما أن نسبة الإزداد خلال العقد الأخير كانت بالتأكيد تصاعدية في أوساط المسلمين.

(٢) ترجع أهمية فلسطين، رغم صغر مساحتها، لكونها تشكل جسرا يربط بين القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا، كما أنها من الناحية الجغرافية بمثابة قلب العالم العربي. وتبلغ مساحتها ٢٧,٠٠٠ كيلومتر مربع وتقع جنوب غرب آسيا وكانت تسمى في السابق بأرض كنعان ثم أصبح اسمها "فلسطين"، وقد هاجمها أقوام مختلفة قبل الإسلام، ثم أصبحت ضمن البلدان الإسلامية بعد ظهور الإسلام. ثم احتلها الإنكليز بعد هزيمة الدولة العثمانية. وفي سنة ١٩٢٢م وضعتها عصبة الأمم تحت الإنتداب البريطاني. وفي نفس هذه السنة أعلنت عصبة الأمم، وبضغط من أميركا وإنكلترا، إباحة استيطان اليهود فيها بصورة رسمية. وازدادت هجرة اليهود إليها، والتي كانت قد بدأت قبل هذا التاريخ. وفي سنة ١٩٤٧م أصدرت منظمة الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. وفي سنة ١٩٤٨م، أخرج الإنكليز قواتهم من فلسطين. فهاجم الصهاينة دولة فلسطين العربية وقتلوا وشرّدوا الكثير من أهلها، وأعلنوا قيام "دولة إسرائيل" على كل أرض فلسطين. ولا زالت قضية تحرير هذا البلد الإسلامي الذي يضم قلة المسلمين الأولى أمل كل مسلمي العالم.

والبعض الآخر لا تستطيع فعل شيء. فطوال كل هذه السنين التي أعقبت ظهور "دولة إسرائيل" واغتصابها للأراضي الفلسطينية، عجز كل هذا العدد الكبير من العرب والدول العربية عن استرجاع فلسطين. وهم يقولون: إن أميركا تقف خلف "إسرائيل". ولكن هذا ليس هو السبب، إنما تفتقدون الكفاءة واللياقة. ولو اجتمعت قوة مئة مليون عربي لما استطاعت أميركا أن تفعل شيئاً في مواجهتهم، ولما استطاعت أوروبا ولا غيرها فعل شيء، ولكنهم متفرون. أجل فألئك الأعداء يقومون بما من شأنه الحيلولة دون اتحادهم كلما أحسوا بأدنى تحرك من الدول العربية باتجاه الإتحاد. كأن يأخذوا رئيس الجمهورية المصري إلى واشنطن ويعقدوا معه اتفاقية أو ما شابه ذلك^(٢). فيسوقون هذا باتجاه التحرك نحو هذا السبيل والآخر نحو سبيل آخر، وهكذا.

إن جهلنا وعدم كفاءتنا، نحن المسلمين، هو علة خضوعنا لتسلط (الأجانب) بهذه الصورة، حيث تقوم أميركا والإتحاد السوفيتي بتدمير مصالح الشرق الإسلامي، السبب هو أن القطرات الموجودة فيه غير متحدة.

أردنا التحدث عن الوضع الإيراني، حيث تلاحظون أن أبناء شعب إيران التي يبلغ تعدادها خمسة وثلاثين مليون نسمة كما يقولون^(٣)، إذا كانوا متشبتين، فإنهم عاجزون عن تحقيق عمل اجتماعي وإن كان كل منهم قادراً على القيام بعمل فردي محدود. والسبب هو فقدان الإتحاد فيما بينهم. وحيث أنهم اتحدوا ترى الأعداء اليوم يسعون لإثارة الخلاف في هذا المجتمع، والحيلولة دون اجتماع الكلمة. وهذا هو الهدف من إيجاد التيارات المتعارضة. فلا تتصوروا أن ظهور هذه الأحزاب المتفرقة في إيران، وحديثنا الآن عن إيران، ولعله يرجع إلى زمن الحركة الدستورية وما بعدها^(٤)، كان من باب الصدفة ونتيجة اجتماع مجموعة واتفاقهم على تشكيل حزب معين. بل هو نتيجة لخطة شيطانية. فالقوى الكبرى عمدت وبهدف منع تحقق الوحدة في إيران،

(١) في سنة ١٩٢٢م، أي قبل ٢٦ عاماً من إعلان دولة إسرائيل كان تعداد سكان فلسطين ٧٤٧ ألف نسمة بينهم ٦٦٣ ألفاً من العرب (المسلمين ٥٩٠ ألفاً والمسيحيين ٧٣ ألفاً)، أما عدد اليهود فلم يتجاوز في ذلك الوقت ٨٤ ألفاً. وعندما اتخذت هيئة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين، طبق مؤامرة أعدتها أميركا وإنكلترا، وذلك في سنة ١٩٧٤م. بلغ عدد اليهود في فلسطين إثر الهجرة اليهودية المكثفة إليها ٧٠٠ ألف نسمة من مختلف التيارات اليهودية الصهيونية وغيرها.

(٢) سافر الرئيس المصري السابق أنور السادات مرتين إلى واشنطن الأولى في نيسان سنة ١٩٧٧م وأجرى خلالها مباحثات مع الرئيس الأميركي "جيمي كارتر"، والثانية في أيلول سنة ١٩٧٨م، حيث وقع فيها "اتفاقية كامب دايفيد" الخيانية مع الإرهابي "مناحيم بيغن" رئيس الحكومة الصهيونية آنذاك.

(٣) هذا الرقم يرتبط بتعداد إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية. واستناداً لآخر إحصاء عام لشعب إيران أجري سنة ١٩٨٦م. فإن عددها قد بلغ ٤٩،٤٤٥،٠١٠ نسمة.

(٤) كحزب "تودة" الشيوعي، أو الحزب الديمقراطي الآذربيجاني، أو الحزب الديمقراطي الكردستاني، وحزب العدالة والأحزاب الإيرانية الأخرى، التي صنعوها من أجل إدارة لعبة معركتهم السياسية. يراجع بشأن ماهية الأحزاب النشطة في إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية العدد ٢٠-٢٢ من مجموعة "استدلانه جاسوسي" التي اشتملت على الوثائق التي حصل عليها الطلبة المسلمون السائرون على خطى الإمام الخميني خلال اقتحامهم السفارة الأميركية في طهران.

إلى صنع حزب وإطلاق هذا الاسم عليه، ثم صنع حزب آخر وإطلاق ذاك الاسم عليه. وجعل كل منهما يعادي الآخر. أي أنهم أوجدوا، وفي وسط المجامع، أحزابا وجهات متعارضة فيما بينها. والحال أن كلا منها لا يعمل مستقلا دون أن يتعرض لعمل الأحزاب الأخرى، بل إنهم يشكلون وجهات متناحرة.

وهذا هو أحد أساليب الغرب وأميركا والاتحاد السوفيتي في نهب ثرواتنا ودولنا. أي أسلوب إثارة الخلافات بوسائل متعددة في صفوف المجتمع الذي ينبغي له أن يشغل بأموره ويحقق تقدمه.

إن إثارة الخلافات بين المشارب المختلفة، وإثارة النزاع بين الأتراك والفرس، وبين الأكراد وغيرهم، وبين البلوش وغيرهم، وأمثال هذه النزاعات.. إذا فهم يسعون إلى جعل بلد ينبغي أن يكون أهله متحدين، ممزقا نتيجة لتحريك كل فئة من فئاته، في واحد من هذه السبل المتفرقة.. وبهذه الخلافات التي يثيرونها ليمنعوا البلد من التقدم، ويجعلوا أهله متناحرين فيما بينهم، ليقوموا هم بتحقيق مطامعهم ونهب نفطه وغازه وكافة ثرواته، دون أن يعترض أحد من أهله عليهم، بسبب عدم وجود رأي موحد، فما يواجههم هي أفكار متفرقة متعارضة.

إذاً، فهذا نوع من الاختلافات التي يثيرونها في أوساط مجتمعنا، فهي اختلافات غير طبيعية، بل هي نتيجة خطة معدة من قبل القوى الكبرى.

النوع الآخر، هو إثارته لقضية خلافية قبل شهري رمضان المبارك ومحرم الحرام، وهما الشهران اللذان يتوجه فيهما الناس للمساجد ولعقد الاجتماعات المذهبية، وهذا النوع تساهم في إثارته حكومتنا. جربوا ملاحظة ما يجري قبيل هذين الموسمين تلاحظون أنهم دائما يفتعلون قضية ما.

وقد شاهدنا ما فعلوه خلال العامين أو الثلاثة المنصرمة، ولا زالت تفاعلاته مستمرة، بشأن قضية كتاب "شهاد جاويد"^(١)، وما أثاروه من اختلافات بشأنه بين أهل المنبر وأهل المحراب والكسبة وغيرهم، فهذا يسحب إلى هذا الطرف والثاني إلى الجهة المقابلة، فاستنزفوا شهر رمضان وشهر محرم وغيرها، وضيعوا قواهم

(١) اسم كتاب بالفارسية عن ثورة الإمام الحسين (ع) وترجمة العنوان هي "الشهيد الخالد" مؤلفه هو صالح نجف آبادي، وفيه يروي الكاتب أن الإمام الحسين (ع) تحرك في البداية من أجل إقامة الحكومة الشرعية وإصلاح المجتمع، ثم انصرف عن ذلك وأراد الرجوع إلى مكة لما رأى وضع الكوفة غير المناسب. لكن جلاوزة يزيد منعه عن الرجوع فاضطر لمحاربتهم وحينئذ استعد للشهادة. ويعتقد المؤلف أن الإمام في بداية حركته كان يتأمل تشكيل الحكومة ونصره أهل الكوفة له ويشق بذلك. لكن المحققين من علماء الشيعة يعتقدون أن الإمام وقبل تحركه إلى الكوفة كان يعلم بالحوادث المؤلمة التي سيتعرض لها لكنه جاء إليها قايما بالواجب الإلهي والتزاما بما عاهد الله تعالى عليه. وبدلاً من الاهتمام بقضايا الجهاد كانت محتويات هذا الكتاب مثارا للجدل والنزاع في المحافل الدينية. وفي خضم تصاعد وقائع الثورة، كان المؤلف المذكور ينوي طبع كتاب آخر بشأن "حديث الكساء" المعروف، فأوفد أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة آية الله السيد حسن الطاهري لإطلاع الإمام الخميني على الموضوع خشية من إثارة مسائل خلافية في ذروة تصاعد العمل الجهادي. فأطلع الموفد الإمام على الموضوع بواسطة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني. فأرسل الإمام بواسطة السيد الطاهري رسالة إلى المؤلف بشأن الإنصراف عن طبع الكتاب الثاني. وبالفعل توقف طبع الكتاب آنذاك.

في هذه الاختلافات، فيما صاحب الجلالة ينهب أموال الشعب بكل اطمئنان ويقوي سلطته عليهم. لقد حفظ السادة ما ورد هنا وهناك من كتاب "شهيد جاويد" وتنازعوا بشأن تفسير المقصود من هذا المقطع آنذاك، واستنزفوا في هذه النزاعات قواهم ومنابرهم التي كان يجب أن تجند لإزالة (الملك محمد رضا) الذي يقف عقبة في طريق تقدم الإسلام والبلد. فضيعوا قواهم على هذا الكتاب لبضعة أعوام، ولا زال الأمر مستمرا.

وبعد ذلك أثاروا قضية المرحوم الشمس آبادي (رحمه الله)،^(١) وهل أنه قتل أم ذهب؟ ومن الذي لم يقتله؟ وعطلوا طاقات الناس سنة كاملة في النزاع حول هذه القضية. ولم يكن الأمر اعتباريا غير مخطط. لا تتصوروا أن القضية جرت بهذه البساطة. أحدهم قتل شخصا والآخر فعل ما فعل. كلا بل هي خطة معدة ومحسوبة. فكلما سعيتم لإيجاد الوحدة بينكم وخشي أولئك (الأعداء) من آثار هذا الاجتماع أثاروا بوجهكم قضية خلافية، فإذا استهلكت أثاروا أخرى كقضية شريعتمداري^(٢)، فكم دمروا من قوانا والطاقات الإسلامية بذلك، حيث اشغلوا البعض البعض الآخر، وضربوا الجميع بالاختلاف والجدل بين أهل المنبر وأهل المحراب والجامعيين وغيرهم.

هذه الاختلافات موجودة الآن أيضا، وهي التي تسبب اطمئنان أعدائكم الحقيقيين، وتركهم ينامون بدعة، ويقولون: الحمد لله فقد سقطوا في التناحر فيما بينهم، فهم يضربون رؤوسهم بأيديهم.

يجب أن يستيقظ جيل الشبان وينتبهوا لهذه الخطط الشيطانية، فمثلا يبلغ الآن تعدادكم في أوروبا بضعة آلاف، فلو تحركت هذه الآلاف، أي أنتم المقيمون في فرنسا وتلك المجموعة المقيمة في ألمانيا والأخرى الموجودة في أميركا، نحو هدف واحد وكانت نشاطاتهم جميعا منسجمة ومنظمة فيما بينها فإن الأعداء لن يستطيعوا أن يحققوا شيئا مهما ضد هذه الحركة حتى لو وضعوا خططا لذلك. ولكن مع الأسف، الوضع ليس على هذه الصورة، فالخلافات لا زالت قائمة، فهذا يشكل مجموعة والثاني يشكل أخرى، والخلافات قائمة بين هذه المجاميع، تلك تقول كلمة ما والأخرى ترد عليها وهكذا. وهكذا الوضع في إيران.

(١) تلقت منظمة الأمن الملكي (السافاك) أمرا من الملك مباشرة باستغلال قضية المرحوم آية الله السيد الشمس آبادي لتشويه نظرة الشعب للإمام الخميني، حيث قتل هذا السيد سنة ١٩٧٧م على أيدي مجموعة مهدي الهاشمي. فوصفت منظمة الأمن القتلة بأنهم من "أنصار آية الله الخميني" راجع صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٥/٥/١٩٧٧م، وكذلك صحيفة "كيهان" في نفس التاريخ. كما روجت منظمة الأمن الملكي أن قتلة الشمس آبادي هم من "أنصار آية الله الخميني ومؤيدي كتاب شهيد جاويد". وقد استثارت دعايات النظام البعض فأثاروا ضجة بهذا الخصوص.

(٢) المقصود هو الدكتور علي شريعتمداري، الذي كانت له نشاطات واسعة في حسينية "الإرشاد" خلال الأعوام ١٩٧٢-١٩٧٧م. وقد نشرت الكثير من كتبه وخطبه. وقد خالف جميع من العلماء آراءه وأفكاره، لكن جيل الشباب كان معجبا به إلى درجة شديدة بحيث لم يكن يتحمل أي انتقاد أو معارضة له، الأمر الذي أثار جدلا ونزاعات كثيرة حول عقائده. وتصدى البعض - عن وعي أو جهل - إلى محاربة علماء الدين بدافع التأييد للدكتور شريعتي. في حين كان البعض من العلماء يثيرون القضية - عن وعي أو جهل - على المنابر وبصور مختلفة. وقد جنت منظمة الأمن الملكي منافع كثيرة من هذه النزاعات لصالحها.

لقد انتبعت إيران الآن لحالها. والخلافات قلت أو انعدمت بين جماهير الشعب بشأن هذه الحركة. والذين يحتمل وقوعهم في الخلافات أصبحوا قلة، أو أنهم أخذوا ينتبهون للأمر تدريجياً. ليس الوقت مناسباً لكي نجلس للبحث في هذه القضايا الثانوية فيقع بيننا الخلاف بشأنها. فإذا فعلنا ذلك كان حالنا كحال أهل مدينة يقترب منها الزلزال ليدمر كل منازلها، وهم يجلسون للبحث حول القضية الفلانية كيف وقعت. في حين أن الزلزال قادم ليقتلهم جميعاً.

إن إثارتنا للخلافات فيما بيننا وتفرقنا الآن، أي في هذا الوقت الذي اتحدت كلمة جميع المسلمين في إيران وتصدوا للملك والقوى التي تدعمه، هو خيانة لهذا الشعب، لأن خلافاتنا تجهض هذه الحركة الشعبية التي ظهرت في إيران، وإذا حدث - لا سمح الله - أن انطفأت هذه الحركة والنهضة التي تفجرت في إيران دون أن تحقق النتيجة المطلوبة، فستبقون إلى الأبد تحت سلطة الأجانب، وستسحقكم أقدامهم، وسيقطعون نسلكم. فهذه النهضة لا نظير لها في التاريخ الإيراني، فلا تجدون في التاريخ حركة اتحد فيها الجميع واتحدت فيها كلمة الطفل الصغير مع الشيخ الكبير حول مطلب واحد.

لقد أدرك الأعداء أن في هذا الشعب قوة ولإيران قوة لا يستطيع العسكر ولا الحاكم العسكري تدميرها، قوة زلزلت القوى الكبرى وجعلها تفكر فيما يجب أن تفعله من أفعال شيطانية لسلب إيران هذه القوة. فهم منهمكون الآن بالبحث والدراسة ووضع الخطط من أجل مواجهة هذه القوة وهذه الحركة التي تفجرت مثل السيل العارم الجارف الذي يواصل مسيرته ويحبط مؤامرتهم، وكذلك من أجل إيقاف هذه الحركة وإطفاء هذه النهضة.

إذا لم تحقق هذه النهضة - لا سمح الله - أهدافها وانطفأت فستبقى إيران والإسلام والمسلمون إلى الأبد ينزعون الروح تحت تسلط أوروبا وأميركا. فإذا كانت هذه الحقيقة صحيحة، وهي صحيحة، وإذا أحرزنا بل احتملنا صحتها، فإن حكم الشرع والعقل يقضي بوجوب أن نكون متحدين. فلا يجوز لنا أن نختلف ويسلك كل منا طريقاً ما. على الجميع أن يهتفوا بكلمة واحدة وأن يقولوا جميعاً: لا للملك محمد رضا، لا للعائلة البهلوية، لا للندن، لا لأميركا، لا للإتحاد السوفيتي. فإذا حققتم هذا التقدم، وحفظتم اليوم هذا الإتحاد وتقدمتم، نجوتم وإذا لم تنجوا اليوم فالله يعلم أنكم ستظلون في المحنة إلى الأبد.

اللهم، إني قلت ما أفهمه للسادة وللشعب الإيراني، وليس لدي تقصير.

إن الأمر جدي وليس مزاحاً، الأمر يرتبط بشعب كان طوال التاريخ محكوماً من قبل سلاطين الجور. كل الملوك الذين حكموه على مدى ألفين وخمسمئة عام كانوا جائرين. حتى عادلهم كان خيئاً. حتى ملكهم

"أنوشيروان" العادل! كان من الخبثاء^(١). حتى شاه عباس (ساكن الجنان) كان من الملوثين. فهو الذي سمل عين ولده^(٢)، وهذا الشعب كان طوال التاريخ مسحوقا تحت سلطة هؤلاء السلاطين الخبثاء.

وقبل قرنين أو ثلاثة، وجد الأجانب طريقا إلى هذا البلد، وأجروا تحقيقات ودراسات حول كل شيء، طبيعة وخصوصيات الشعب وطبيعة الأراضي. وذهبوا على الجمال إلى صحارينا الجرداء لمعرفة الثروات الموجودة فيها قبل ظهور السيارات. كما درسوا خصوصيات كل قومية من قوميات الشعب الإيراني، بلوشاً وأكراداً ولراً وغير ذلك. كما درسوا سبل إبقائهم في حال التخلف التي هم عليها وإقناعهم بما لديهم لكي لا يفكروا بالثورة. ومنذ ذلك الحين إلى الآن ونحن خاضعون لسلطة أميركا وأوروبا. ففي البداية كانت أوروبا وإنكلترا، وبعدها جاءت أميركا وهي أسوأ من تلك، وأميركا تقف الآن من جهة والاتحاد السوفيتي في الجهة الأخرى. وهما يريدان نهب كل ثرواتنا وسلب كل ما عندنا وإبقائنا على حالة التخلف والمسكنة. وقد بحثوا ضمن دراساتهم عن الأمر، في سبل تحقيق هذه الأهداف فتوصلوا إلى ضرورة إثارة الفرقة بين المسلمين ككل وتحويل بلاد المسلمين إلى دول كالعراق وإيران وأفغانستان وباكستان، وإشغالهم بالنزاعات والحروب فيما بينهم، لكي لا يتحدوا في مواجهة القوى الكبرى. كما سعوا للحيلولة دون اتحاد القوى المختلفة في داخل كل بلد، كما هو الحال في إيران، فشوهوا صورة عالم الدين في أعين الناس في زمن رضا خان، حتى أصبح يخشى الخروج من داره خوفا من الناس وليس من الحكومة. فقد أشاعوا أن كل العلماء هم من صنع البلاط، فيما كان البلاط من الطرف الآخر يضرب علماءنا ويقتلهم ويسجنهم وينفيهم، والناس يقولون إنهم جميعا من البلاط الملكي. فقد أشاعوا هذه المقولة بين الناس من أجل إسقاط مكانة العالم الديني الذي يحتمل أن يتصدى للقوى الكبرى بين الناس. لذلك أخذوا يشوهون صورته في أعين الناس أولا ثم يعزلونهم عنه، وعندما يفقد قوته فلا تجد حينئذ العالم الذي يتابعه الناس عندما يتحرك.

(١) هو كسرى الأول الملقب بـ"أنوشيروان" العادل من ملوك الساسانيين، تولى العرش سنة ٥٣١م. وفي بداية حكمه قتل جميع اخوانه والذكور من أولادهم. كما قتل المزدكيين وعددهم ثمانون ألفا، في يوم واحد. ومن ممارساته الظالمة أيضا أمره بقتل وزيره العالم "بزرگمهر".

(٢) كان يلقب الملك عباس الصفوي بلقب "ساكن الجنة"، وهو من الملوك الجائرين. وقد خصص مؤلف كتاب "حياة الملك عباس الأول" الوثائقي "نصر الله فلسفي" قسما من المجلد الثاني من الكتاب للحديث عن وحشية وقسوة هذا الملك. يقول في ص ١٢٣ من الكتاب ما ترجمته: كان للملك شاه عباس الصفوي جلاوزة مختصون بأعمال التعذيب ومعاقبة المذنبين والمقصرين.. وبلغ عدد جلاديه خمسمئة من الرجال ذوي الهياكل الضخمة والأبدان القوية والوجوه القبيحة المرعبة.. وكان من أعمالهم العادية، قطع الرؤوس وقلع العيون والألسن والأذان والأنوف والقتل والضرب.. وقد أمر الشاه عباس الشيخ "أحمد آقاي ميرغضب" بالتوجه إلى ولاية "جیلان" والقبض على المتمردين. فغضب الملك على أهل الولاية وأمر شيخ "أحمد مير غضب" بقتل أهالي جیلان عامة. ويقول مؤلف كتاب "تاريخ نقاوة الآثار" بهذا الخصوص ما ترجمته: إن سفك الدماء في هذه الولاية بلغ درجة أسقطت معها الحوامل أجنتها رعبا، ومن لم تسقط جنينها شقوا بطنها وأخرجوا جنينها ورفعوه على الرماح. وفي ص ١٣٠ من الكتاب يقول: ومن أشكال العقاب لدى شاه عباس أنه كان يأمر بإيجاد ثقب في رجل المحكوم من منطقة اتصال الساق بالقدم. ثم يدخلون في الثقوب حبلا يعلقون المحكوم به في شجرة بحيث يمس رأس وكتفه الأرض. ويبقى على هذه الحال حتى يأمر الملك عباس بإنهائها. وإن كان أمر بموته فيظل معلقا حتى يموت جوعا أو يبقروا بطنه وهو على تلك الحالة.

ولم يكتفوا بتشويه صورة العالم الديني، فقالوا: الإسلام أفيون، بل إن الدين أصلا مخدر. أطلقوا وصف التخدير على الدين الذي أوجد كل هذه التحركات والذي يشتمل قرآنه على كل هذه الآيات الواضحة بشأن القتال والحركة والتحرك. هذا الوصف يعني أن الدين يخدر الناس ويغرقهم في النوم لكي تنهبهم القوى الكبرى، في حين أن القرآن جاء لمحاربة القوى الكبرى هذه. وأولئك يزعمون أن القرآن والإسلام صنعه الأقوياء لتخدير الضعفاء وسلبهم، في حين أن النبي الأكرم وسائر الإسلاميين حاربوا هؤلاء الأقوياء بالذات. كل هذه مخططات، الهدف منها تمزيقكم من جهة وعزلكم عن القرآن من جهة أخرى، لأن القرآن هو القلعة التي لو كان المسلمون قد تحصنوا بالالتزام بها لما نزلت بهم هذه المحن. أجل، نحن الذين هجرنا القرآن وأعرضنا عن التحصن به فتردّى حالنا حتى أصبحنا هدفا للصفعات النازلة بنا من كل جانب، وكلما رفعنا رأسنا ضربنا شرطي نصبوه لهذه المهمة.

لقد قال الملك محمد رضا بنفسه أن الحلفاء هم الذين رأوا أن الصلاح في إبقائه حاكماً. وقبل يومين قال وزير الخارجية الإنكليزي بأن: الملك يعمل لصالحنا ويحفظ مصالحنا فكيف لا ندعمه. نحن نعلم أنه يدافع عن مصالحكم ومصالح أميركا وهذا هو الأمر الذي فجر استغاثات هذا الشعب. فالملك يدعي أنه جاء لإنجاز مهمة من أجل وطنه، لكنه مكلف في الواقع بمهمة من قبل أميركا وإنكلترا، وعلى أساسها يتعامل مع الشعب بهذه الصورة. فمهمته هي جعل إيران مختلفة، وتدمير ثقافتها وعلمائها، وضرب الإسلام، والقيام بتغيير التقويم الإسلامي^(١). فهل تتصورون أن قيام هذا الخبيث بهذا العمل هو أمر هين؟؟ كلا فجميع الجرائم التي ارتكبتها منذ البداية إلى الآن هي في كفة، وتغييره التقويم الإسلامي في الكفة الأخرى. فهل هي قليلة الجرائم التي ارتكبتها؟؟ لقد تعاضد الأعداء من أجل تحطيم هذه القوى.

والآن، وحيث انتفضت إيران برمتها، والجميع يهتفون بالموت لهذه السلطنة، فإن الواقع في الخلافات - سواء في داخل إيران أو خارجها ولا فرق أكان بين المثقفين وبين غيرهم، أو بين هذا التيار أو ذاك في الجامعة أو غير ذلك - هو بالنتيجة انتحار، وتدمير للبلد، وخيانة للأمة وللإسلام.

وما هو سبب الاختلاف بينكم، وأنتم مجموعة تقيمون خارج بلدكم وتكدحون؟ اتحدوا واسلكوا طريقا واحدا، ولتتحد كلمتكم جميعا ليتفجر ذاك السيل الجارف وليدمر بنيان هذه العائلة البهلوية وبنيان الذين ينهبون بواسطتها ثرواتها. حفظكم الله جميعا وعفا الله عنا جميعا إن شاء الله.

(١) في نهاية سنة ١٣٥٤هـ ش (آذار ١٣٥٦م) بمناسبة ذكرى ولادة رضا خان. صادق مجلسا النواب والأعيان في اجتماع مشترك على تغيير التقويم الرسمي الإيراني من الهجري الشمسي إلى التقويم الملكي القديم باعتبار تشكيل الملوكية في إيران مبدأ لهذا التقويم أي زمن تأسيس "كوروش" لحكم ملوك الهاخمشيين سنة ٥٢٩ ق.م، وقد أمرت الحكومة في بلاغ رسمي كافة المؤسسات الحكومية والوطنية باستخدام التاريخ الجديد في مراسلاتها الرسمية. ولم تمض فترة طويلة على اتخاذ النظام الشاهنشاهي لهذا القرار حتى طوي سجل الملوكية في إيران بالكامل وسقط النظام البهلوي.

هوية الخطاب رقم - ٥٣

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٢٩ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ١ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: حتمية سقوط النظام الملكي في ظل تنامي الوعي السياسي لعامة الشعب.

المناسبة: توقف تصدير النفط الإيراني للخارج بسبب الضرر الشامل للعاملين في الحقل النفطي.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

أدت التوجيهات التي كان الإمام الخميني (س) يتابع تقديمها للأمة واستمرار جهاد الشعب الإيراني إلى إطلاق سراح آية الله الطالقاني وآية الله المنتظري في تاريخ ٣٠/١٠/١٩٧٨م. بعد سنين في تحمل أنواع العذاب الروحي والبدني في سجون النظام.

وفي مقابلة أجراها بعد خروجه من السجن قال آية الله الطالقاني لمراسل صحيفة كيهان بخصوص علاقته بالإمام الخميني: "منذ مرحلة الدراسة في الحوزة الدينية كنت قريباً من الإمام وأفكاره وآرائه، وحسن سابقته بينة وواضحة فقد كان له قدسية خاصة منذ البداية، وهو كان لا يزال متميزاً من جميع الجهات".

أما آية الله المنتظري الذي ذهب إلى مدينة قم المقدسة بعد إطلاق سراحه فقد قال في مقابلة صحفية: "إنني مدين بحريتي للشعب الإيراني العظيم".^(١)

وقد جاء إطلاق سراح السجناء السياسيين بعد ركود العمل في مصفى آبادان إثر الإضراب الشامل للعاملين في الحقل النفطي. وتوقف عمليات استخراج النفط الخام، الأمر الذي أدى بحكومة جعفر شريف إمامي إلى مواجهة أزمة حادة أصابها بالشلل. فتوجه رئيس الحكومة إلى المجلس النيابي بحثاً عن الحل وشرح طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية وقال في كلمة أمام المجلس: "إن إضراب العاملين في الحقل النفطي سيؤدي إلى عواقب وخيمة، كما أن تمرد الشعب جعل الحكومة في حالة خاصة".

كتبت وكالة "الأسوشيتد برس" يومئذ تقول: "لقد شلت الإضرابات السياسية المستمرة والإضرابات الشاملة عن العمل، وخاصة في شركة النفط ومصفى آبادان حكومة شريف إمامي، وقد خرج الآلاف من المعارضين السياسيين هذا الأسبوع متظاهرين في شوارع مدن همدان وجرجان وخرم آباد، وقد قتل أو جرح ما لا يقل عن أحد عشر شخصاً في مدينة جرجان، كما أصيب عدد من الشرطة والجنود. ويقوم العاملون في حدود ٥٠

(١) صحيفة "اطلاعات" الإيرانية الصادرة بتاريخ ٣١/١٠/١٩٧٨.

مؤسسة من المؤسسات الحكومية إما بالإضراب الكامل أو الجزئي عن العمل، كما يطالب قرابة المليون عامل بزيادة أجورهم، والإفراج عن السجناء السياسيين وإنهاء حالة الحكم العسكري".

وكتبت وكالة "الأسوشيتدبرس" أيضا، نقلا عن مصادر مطلعة في إيران، تقول: "لقد أعد العسكريون الإيرانيون خططا للإطاحة بالحكومة غير العسكرية والأخذ بزمام السلطة إذا فشلت الجهود الحكومية المبذولة حاليا في وضع حد للاضطرابات السائدة. ولم يؤيد المسؤولون الرسميون هذا النبأ...".

وفي هذا الخطاب يبين الإمام الخميني (س) الآثار الباعثة للإعجاب التي أفرزتها الثورة الإسلامية على صعيد إيجاد التحول المعنوي العظيم لدى الشعب الإيراني، فيذكر العديد من نماذج هذا التحول، مشيرا إلى استمرار التظاهرات والإضرابات الشاملة عن العمل، وخاصة إضراب العاملين في شركة النفط والمؤسسات النفطية، ويقارن بين الوضع الجدي الذي يعيشه الشعب الإيراني بما كان عليه في السابق. ويذكر بأن هذا التقدم الروحي والنضوج المعنوي السياسي والديني لعامة أبناء الشعب هو من الإنجازات الكبيرة المهمة التي أفرزتها النهضة، وهي تشكل ظاهرة فريدة في تاريخ كفاح الشعب الإيراني.

وتمثل خطبة الإمام الخميني (س) هذه ردا على الوسوس والشبهات التي كان يطلقها آنذاك البعض في الحوزات الدينية العلمية بهدف التعميم على تعاونهم مع النظام الملكي وسكوتهم في مواجهة جرائم الملك. من قبيل إثارتهن لأسئلة تشكيكية حول: من يحتمل مسؤولية الدماء التي تسفك خلال هذه النشاطات؟؟ وما هي الثمار التي حققتها الثورة؟؟ وهل من الممكن مواجهة المدافع والدبابات بالقبضات الخالية؟ أمثال ذلك.

الخطاب رقم - ٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أظن أن الوضع في إيران يشبه الوضع في أي بلد آخر. لا من جهة موقف الشعب، ولا من جهة موقف الملك وحكومته.

فالنهضة التي يقوم بها شعبنا، وهذا المستوى الذي بلغته الثورة، لا نجد لها نظيرا في تاريخنا. بل لا نجد مدى سنين طويلة من التاريخ أن شعبنا قد تحرك بنفسه بهذه الصورة.

في السابق لم يكن ممكنا للكسبة إغلاق السوق في إحدى المدن، حتى لو أرادوا هم ذلك! فمثلا في مدينة قم، وسوقها جيد (من الناحية الدينية)، كان علماء قم يترددون في دعوة الناس إلى إغلاق السوق إذ كان محتملا أن لا يستجيب الناس لدعوتهم. ثم شيئا فشيئا تحول الوضع بحيث أصبح الناس يستجيبون إلى دعوات إغلاق السوق، وإذا وقعت حادثة ما وُجِّهَتْ إهانة للعلماء، وإن كان في ظل حالة من القلق وعدم الارتياح. حتى بلغ الحال بالأهالي أن يبادروا هم إلى إغلاق الأسواق لأي أمر مهما كان بسيطا. وهذه الظاهرة لا تنحصر بمدينة

قم بل تشمل جميع المدن في كافة أرجاء إيران، وأصبح سوق طهران "البازار" سوقا سياسيا، كما يصفونه، وهو حاليا في حالة تعطيل تام أو شبه تام.

هكذا أصبح الوضع في إيران، وخاصة أسواقها. ونفس هؤلاء الأهالي الذين كان يصعب عليهم إيقاف كسبهم ليوم واحد، أصبحوا اليوم على العكس، حيث تصعب عليهم الاستجابة إذا قيل لهم افتحوا محالكم ليوم واحد. وهم اليوم يشكون أحيانا من أن السيد الفلاني أوصى بإيقاف الإضراب عن الكسب في حين إذا وصلت وصية بالإضراب وهم يفتحون محالهم بادروا فوراً إلى الاستجابة. فقد أصبح تحرك الأهالي تحركاً طوعياً ذاتياً. إذ غيّر تفجّر النهضة روح الأهالي، وجعلها نشطة وقوية ومتحركة، بحيث يتأذون وينفعلون إذا قيل لهم اذهبوا إلى كسبكم وأعمالكم!! هذا من جهة الكسب.

ومن جهة أخرى، كان الوضع سابقا بحيث يعتبر نرف أحدهم مصيبة، ناهيك عن وقوع قتل. فهذه مصيبة كبرى. أما الآن فقد تغير الوضع. فقد وصلتني الليلة الماضية ورقة من أم كتبت فيها تقول: لقد قتل خمسة أو أربعة من أولادي.. وهي تفتخر بذلك وتقول: لا زلت أنا وعائلي مستعدين للتضحية.. لقد أصبحت مسألة عادية بالنسبة للأهالي تقديم أعداد من القتلى في كل مدينة. لقد ظهر فيهم مثل هذا التحرك. وتحولت النشاطات الجهادية إلى قضية عامة وحالة عادية في عموم أرجاء إيران وليس في مدينة واحدة أو اثنتين.. ولعل هذه الصحف لا تنقل كافة الوقائع كما أن الإذاعة الإيرانية لا تذكر كافة الحوادث بالتأكيد. فلعل ما ينقل منها لا يزيد على نصفها.

وعندما يصل الأمر إلى الإذاعات الأجنبية، تجدون أنكم كلما أدرتم زر المذيع واستمتم إلى نشرات الأخبار تلاحظون أن أخبارها المنقولة تتحدث عن الإضرابات والاعتصام وأعداد القتلى في هذه المدينة أو في تلك القرية. أجل فقد وصل الأمر إلى القرى، حيث سقط عدد من القتلى في أطراف مدينة همدان على ما يبدو.

وقد أضرب خمسة آلاف شخص، وأمثال هذه النشاطات السياسية التي لم يكن حتى اسمها موجودا في السابق. ولم يكن الأهالي يعرفون معنى الإضراب أصلا. أما الآن فقد أصبح ظاهرة عادية يمارسها الأهالي في مختلف أرجاء إيران. فيضرب عن العمل في إحداها خمسة آلاف شخص. وقد سمعت أن الإضراب شمل كافة المدن وكذلك العاملين في شركة النفط أيدهم الله.

وكنت مرة (في السابق) أفكر في أن تقولوا لهم اقطعوا جريان النفط بأنفسكم ولا تدعوهم ينهبونه.

إذاً القضية صحيحة، فالإضرابات قائمة الآن في إيران، في المدارس والمعامل وفي مؤسسة النقل الجوي وغيرها. أجل فظاهرة الإضراب شملت كل مكان، في حين كان معنى الإضراب مجهولا في السابق وقد تحول الآن إلى حالة عادية وطوعية ذاتية لدى أبناء الشعب، حتى دون أن يدعوهم إليه أحد.

الحكومة كانت تتوهم أنها تستطيع مواجهة هذه الإضرابات. فهي مثلاً تعلن أن هذه الإضرابات من أجل زيادة الرواتب. كما حدث في محافظة خراسان في بداية الأمر حيث بعثوا لي برسالة حول إضراب قامت به إحدى الفئات لا تذكرها الآن فأعلن أنه إضراب لزيادة الرواتب. وهذا ادعاء كاذب فالإضراب إضراب سياسي، وقد أخذوا الآن يعلنون أن الإضراب الذي تقوم به بهدف إطلاق سراح السجناء السياسيين، وإلغاء حالة الطوارئ، وإخراج هؤلاء الأجانب الذين أوغلوا في نهب ثروات هذا الشعب وإيذائه. وهذا المطلب الثالث مهم ومهم جداً. فلماذا يريد هؤلاء الأجانب الذين يبلغ عددهم ستين ألفاً أو خمسة وأربعين أو خمسين ألفاً من الأميركيين الذين يتقاضون رواتب ضخمة^(١) من هذا الشعب؟؟

إذاً، أصبحت الإضرابات والنشاطات الجهادية التضحية، وتعطيل الأسواق، والخروج إلى الشوارع، والتظاهرات، وإطلاق شعارات الموت للنظام المتجبر وإعلان البراءة منه، ظاهرة عادية اليوم. في حين لو أن شرطياً دخل قبل خمسة أعوام أي من أسواق إيران وأمر أصحاب المحلات بأن يرفعوا عليها العلم الفلاني، مثلاً بمناسبة يوم الرابع من آبان (ذكرى ولادة الملك) هذا الشهر المشؤوم (يضحك الحاضرون)، لما تخلف أحد عن هذا الأمر. فما من أحد كان يتصور أن من الممكن مخالفة شرطي (يضحك الحاضرون)، فالجميع كانوا يرهبون الشرطة، الذين كان يدخل أحدهم إلى سوق في طهران أو قم أو شيراز فيأمر برفع الأعلام أو إضاءة المصابيح فيستجيب الجميع لأمره!! أما الآن فإنهم لا يعبأون أصلاً بالحكم العسكري ولا بالحرب ولا بحكومة الملك ولا غيرها.

لقد شاهدنا في السابق حالات إعلان الحكم العسكري، حينها لو قيل أن في المنطقة الفلانية حكم عسكري، لهيمن الرعب على السامع فوراً، ولم يكن أحدهم يتجرأ على مخالفة الحكم العسكري أو مخالفة الشرطي، أما الآن فإنكم تلاحظون أن حالة الحكم العسكري قائمة في عدة مدن إيرانية ولا أحد يعبأ بها، فالأهالي يخرجون إلى الشوارع ويتظاهرون ويرددون الشعارات، في حين أن هؤلاء (العناصر الحكومية العسكرية) أخذوا يتراجعون كثيراً عن اتخاذ مواقف المواجهة للأهالي.

(١) طبقاً لتقرير الكونغرس الأميركي فإن عدد الأميركيين العاملين في إيران كان سيصل إلى ٦٠ ألفاً سنة ١٩٨٠م. وكان الرقم المعلن قبل انتصار الثورة الإسلامية بحدود ٣٠ ألفاً يعيشون في منازل ضخمة في شمال مدينة طهران وغيرها. وكانوا يتقاضون رواتب تزيد بعشرة أضعاف عن رواتب الإيرانيين الذين يقومون بنفس أعمالهم. فكانت تتجاوز المليون ريال في الشهر. والسلع التي يحتاجونها كانت تعرض في أقسام خاصة في المحلات التجارية الكبيرة. كما كانت لهم مدرسة، ومستشفى، ومصنع للطب النفسي، ومركز خدمي، وكذلك نواد خاصة بهم في طهران. كما أن إحدى المراسلات الإذاعية الإيرانية وساعات من البث التلفزيوني الإيراني كانت تخصصه للبث باللغة الإنكليزية، حيث كانت تبث برامج خاصة بالأجانب، ولا سيما الأميركيين. والهدف من هذا الحضور الواسع للأميركيين في إيران يتعلق بالقضايا العسكرية والأسلحة الأميركية المباعة للجيش الإيراني، وكذلك التنسيق بين وكالة المخابرات الأميركية (C.I.A) وبين منظمة الأمن الملكي (السافاك). وكذلك نصب وتشغيل أنظمة التنصت والتجسس على الإتحاد السوفياتي في مختلف أرجاء إيران. إضافة إلى إدارة النشاطات التجارية للشركات الأميركية.

هذا هو حال شعبنا وينبغي مقارنته بما كان عليه قبل هذه النهضة، وقبل ثلاثين سنة مثلاً، ليتضح ما بلغه من النضج السياسي والديني خلال هذه الفترة. ففي السابق كان الشعب لا يقر لنفسه التدخل في أي أمر ويقول: ما شأننا بذلك، فالدولة دولة الملك وهو الذي يدبر شؤونها. هذا هو المنطق الذي كان سائداً، فالشعب له وكل شيء له، يفعل به ما يشاء. هذا المنطق كان حاكماً على عامة أبناء الشعب إلا ما ندر. وهؤلاء هم ثلثة قليلة لم يكونوا يستطيعون الإعراب عن رأيهم. أما منطق عامة الشعب فهو أن البلد مملكة الملك والرعية رعيته. ولا بد أنكم جميعاً تتذكرونه وكيف أنه كان المنطق الحاكم قبل عشرين أو ثلاثين عاماً على أفكار شعبنا المستضعف، تأثراً بما كان يفعله هؤلاء المتجبرون والمستبدون الذين ضربوا رؤوس أبناء الشعب واستضعفهم حتى اعتادوا على ذلك.

لو بقي شعب فترة، طوال ألفين وخمسمئة عام، تحت تسلط الجبابة وقمعهم، وفي ظل راية الإمبراطورية الخبيثة، وهي أخبت الأنظمة الدنيوية، وأصحابها أخبت الناس^(١)، فإنه سيعتاد على الخضوع لهم ليفعلوا ما يشاؤون دون أن تنطلق منه أدنى صرخة توجع، فهو كان يقر ذلك كحق للملك لأن البلد بلده والرعية رعيته. هذا هو المنطق السائد آنذاك. ولم يكن يخطر في ذهن محمد رضا أن يقول له أحدهم يوماً لماذا؟ ولماذا فعلت هذا الأمر؟ فما معنى كلمة "لماذا" في مقابل "الرجل الأول" في إيران؟ فهذا ما لا يتجرأ عليه أحد حتى لو كان رئيس الوزراء مثلاً.

في زمن ذلك الذي بقي رئيساً للوزراء ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً^(٢)، وفي اجتماع للحكومة قال أحدهم (في الحديث عن الملك) بأنه الشخص الأول في البلد، فانزعج لأن وصف "الأول" يعني وجود شخص آخر هو "الثاني" في البلد، واعتراض على القائل لأن "صاحب الجلالة" واحد لا أحد سواه في البلد. وكانوا يسعون لجعل الشعب يعتاد على هذا المنطق أن "أمر الملك هو أمر الله، ولا فرق بينهما"^(٣).

(١) روي عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: "إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك" صحيح مسلم ج ٣ ص ١٦٨ وكلمة "شاهنشاه" الفارسية تعني ملك الملوك.

(٢) المقصود هو أمير عباس هويدا، وهو ابن أحد عبيد الملك، وحفيد أحد البهائيين المعروفين في إيران. درس في بيروت وفي سنة ١٩٤٤م عمل في وزارة الخارجية الإيرانية في الحقل الدبلوماسي. وفي سنة ١٩٦٠م أصبح عضواً في هيئة إدارة شركة النفط الوطنية، ثم أصبح وزيراً للمالية في حكومة منصور سنة ١٩٦٤م، وبعد منصور أصبح رئيساً للوزراء سنة ١٩٦٥م. وبقي في هذا المنصب إلى سنة ١٩٧٨م. وقد قُدم للمحاكمة سنة ١٩٧٩م بعد انتصار الثورة الإسلامية وحكم عليه بالإعدام وتم تنفيذ الحكم. يقال إنه من أتباع الطائفة البهائية، وجده ميرزا رضا قناد من أبرز قائدي عباس أفندي (أحد زعماء هذه الفرقة المنحرفة). وقد فر من إيران إلى فلسطين حيث سكن في مدينة عكا، وظل يخدم سيده عباس أفندي.

(٣) إشارة إلى مصرع من بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني أسدي طوسي ترجمته هي "سواء أكان الأمر من الله أم من الملك، فالرب هو الله والملك هو دولة الله". وكان النظام الملكي يطبع هذا البيت على معظم الكتب واللوحات والكتب الرسمية.

وحرّفوا تفسير كلمة صحيحة تقول إن "السلطان ظل الله" ^(١) ولكن "ظل" كل شخص تابع له وليس له شيء مستقل من ذاته، لا حركة ولا غيرها، فهي من "ذي الظل" وليس من الظل، فالإنسان المتحرك لا يتحرك ظله من ذاته بل يتحرك على وفق حركة الشخص الذي إذا حرك يده تحرك الظل معه، وإذا جلس تابعه ظله أيضا. وهكذا فليس الظل شيء مستقل من عنده.

إذاً، فكلمة "السلطان ظل الله" قرأت الفاتحة على كافة السلاطين، وأثبتت أنهم ليسوا سلاطين. فالذي لا يكون ظلّاً لله، أي الذي يرى لنفسه شيئاً ويتحرك خلاف الأوامر الإلهية، هو مستقل وليس ظلّاً، ليس سلطاناً. النبي الأكرم (ص) هو ظل الله لأنه ليس لديه شيء من عنده، بل كل ما عنده هو من الوحي، وهو تابع الوحي، وأمر الله ونهيه، يتحرك بتحريكه ويحارب بأمره، منزّه عن أن تكون له آمال وطموحات نفسانية يتحرك على أساسها. وهكذا كان حال أمير المؤمنين (ع)، حيث يروى أنه عندما بارز عمرو بن عبد ود ^(٢) وضربه وأسقطه على الأرض وجلس على صدره ليقطع رأسه تجرأ عمرو وبصق عليه، فقام عنه وابتعد ثم عاد وقطع رأسه. وعندما سأله عن سر ذلك أوضح لهم أنه تركه خوفاً من أن يكون في قطع رأسه شائبة من الغضب لنفسه، فهو يريد أن يكون عمله خالصاً لله بالكامل.

إذاً، فكلمة "ظل الله" كلمة صحيحة تعني قراءة الفاتحة على كل السلاطين والمتجبرين والمستكبرين، وهي تبين واجب المؤمنين والمسلمين تجاه السلاطين وسلاطين الجور. لكنهم حرفوا معناها وصوروها للناس بأنها تعني أن "لا فرق بين أمر الله وبين أمر الملك". وقاموا بهذه الممارسات المنحرفة والظلم والجور والخيانات بالصورة التي جعلت عامة الناس تعتاد عليها، حتى إذا فقدتها استوحشت. أما الآن فقد تغير حال شعبنا وأصبح الصبي ذي الاثني عشر عاماً يقف بوجه الشرطي في قم وغيرها ويهتف "الموت للملك"، وهو الشعار الذي أصبح شعاراً عادياً متعارفاً بين أوساط شعبنا يفتح عليه الطفل الصغير لسانه فيكون أول ما ينطلق به لسانه هذه الكلمة، وكم هي كلمة مباركة (يضحك الحاضرون).

هذا هو حال شعبنا الآن وما أثمرت نهضته، النهضة التي تفجرت من بين صفوفه فلا يستطيع أحد أن يقول: إنها نهضتي، لا يحق له أن يدعي ذلك، ويخطئ من يطلق هذا الادعاء، فما من يد تستطيع إيجاد مثل هذا التعبير لدى أي شعب. فهذا فعل الله، وهذه يد الله. وما من قوة تستطيع تحقيق ذلك في غضون سنة واحدة وبضعة أشهر، لأن العمل قبلها كان تدريجياً ولم يظهر للخارج. وهذا التحول والتغيير حصل في بلدنا وفي شعبنا خلال

(١) روي عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: "السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، والسلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه الضعيف وبه يُنصر المظلوم".

(٢) عمرو بن عبد ود العامري، من أشجع فرسان قريش المعلمين الذين كانوا يضعون علامة تميزهم في الحرب، تحدى المسلمين في حرب الأحزاب ودعاهم للبراز فلم يستجب له إلا الإمام علي (ع)، وقتله بعدما كان قد اقترب من معسكر النبي (ص).

سنة وبضعة شهور، حيث غيّر فيها ما كان طوال مئات السنين، بل على مدى ألفين وخمسمئة سنة، ومثل هذا لا يمكن أن تحققه أيدي زيد أو عمرو. لا يمكن القول أبداً إن علماء الدين هم الذين حققوا هذا الإنجاز، ولا الكسبة، بل هي يد الله، حيث تفجرت هذه النهضة من أعماق الشعب بأمر الله، وهذا هو مكن الأمل المشرق، لأنه أمر إلهي فهو مفعم بالأمل.

لقد تغير حال شعبنا إلى نقيض ما كان عليه سابقاً. عندما كان القول بوجوب احترام الملك وشرطته والمسؤولين أمراً طبيعياً وجزءاً من هوية الشعب، يقضي بتحمل الضرب والضرائب المجحفة والشتائم دون النبس بنت شفة، وكأن هذا أمراً مقدراً لا فرار منه. فتغير هذا الحال، وظهر هذا التحول ببركة الأمر الإلهي، وغيّرت هذه النهضة المتفجرة من أعماق الشعب نفسه أحواله، فصارت طبيعته تقضي بإطلاق هتاف الموت لسلطنة فلان، وهو الهتاف الذي أخذ يطلقه الطفل الصغير الذي تعلم النطق للتو، كما كتبوا لنا عن ذلك قبل أيام بشأن أحد أطفالنا الصغار من أرحامنا الذي أطلق - أول نطقه - هذا الهتاف.

هذه هي الخدمة التي قدمها الشعب لنفسه، وهذا هو اللطف الذي تطف به الحق تعالى بذاته المقدسة على هذا الشعب. فلا تغرّنكم وساوس بعض الأشخاص، وهم جزء من الجهاز الحاكم، الذين يثيرون تساؤلات من قبيل: ما الذي حققته كل هذه الدماء المسفوكة؟ وما الذي أنجزته هذه النهضة؟ فانظروا إلى ما كان عليه الحال وما آل إليه الآن، فهذا الشعب الذي كان يعيش كل تلك الذلة والقلق والسكوت قبالة الظلم. يقف الآن مثل الجبل الشامخ في مواجهة الظالم ويبارز الحراب بقبضته، فأى حال أفضل من هذا يريدون؟! شعب ضحى بشبابه وهو يتقدم للتضحية بالنفس مواجهها المدافع والدبابات ثم يعلن استعداداه للتضحية بما تبقى لديه، فأى حال أفضل من هذا يريدون؟! وأي تحول وسمو معنوي اسمى من هذا الحال، حيث تغير حال شعب خلال سنة وأشهر إلى نقيض ما كان عليه. وهذا ما لا تستطيعون أن تجدوا له نظيراً في أي مكان.

هذا هو الحال الجديد الذي أصبح عليه وضع الشعب في كل أنحاء البلد. بعدما كانت بعض مناطق لم تشهد طوال عمرها يوماً واحداً من الإضراب من أجل هذه المطالب. وبعض المدن لم تتدخل طوال حياتها، في مثل هذه الأمور ولا ليوم واحد. فقد كان الوضع بحيث إذا تدخل العالم في هذه القضايا ووقف في قضية من قضايا حياة الناس في مجابهة الحكومة لقليل بأنه عالم دين سياسي، ومهروه بهذا الختم، وكان عليه حينئذ أن يعتزل في بيته لأنه سياسي.

أجل، لقد كان هذا منطق الشعب في السابق بفعل الدعايات المشؤومة التي روجوها في أوساطه طوال التاريخ وجعلوه يعتاد على هذا النمط من الحياة. فيتحمّل الضرب ونهب ثرواته، ومع ذلك يتبع ناهييه وظالميه. إذاً فهذا التحول الذي أوجده الشعب هو أعظم خدمة قدمها لنفسه ولا نظير لها في تاريخه. فلا ينبغي القول ما الذي تحقق؟. لقد تحقق الكثير من الإنجازات، وحتى لو فرضنا أننا لن نستطيع تحقيق شيء آخر، وحتى لو أخذونا وخنقونا دون أن نقدر على فعل شيء. فإن ما تحقق إلى الآن هو إنجاز قيم اقترنت به هذه التضحيات

التي قدمها الشعب الإيراني، وهذا التحول الذي شهده، بحيث صار يقدم مئات وآلاف الضحايا والفدائيين، ويبعث هذه الروح الحية. فلا تتصوروا أن الأعداء يستطيعون أن يفرضوا عليكم الممارسات الظالمة التي كانوا يقومون بها. فقد انقضى عهد فرض الظلم ولن يستطيعوا إرسال شرطتهم لضرب الناس. فقد انقضى ذلك العهد، انقضى.

هوية الخطاب رقم - ٥٤

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ١ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: فقدان الكلمات لمعانيها في قاموس الملك والقوى الداعمة له.

المناسبة: المفاوضات السرية التي كان يجريها الملك مع الساسة الإيرانيين بهدف الخروج من الأزمة.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

تواصلت في التاريخ المذكور التظاهرات والمسيرات الثورية في طهران والمدن الأخرى. وقد اكتفت جامعة طهران والشوارع المحيطة بها في هذا اليوم (١٩٧٨/١١/٢ م) بالجماهير، ودعا الإمام الخميني (س) في بيان أصدره بمناسبة إطلاق سراح آية الله الطالقاني الشعب إلى مواصلة انتفاضته والصمود في مواجهة الضغوط التي كان يمارسها النظام.

وفي نفس هذا اليوم أجرى الإمام مقابلات صحفية مع مراسلي مؤسسة الإذاعة والتلفزيون النمساوية، وصحيفة "الغارديان" البريطانية، وراديو وتلفزيون اللوكسمبورغ، كلا على انفراد. وقد أكد قائد الثورة في مقابلته مع صحيفة "الغارديان" قائلاً: "إنني واثق من أن الملك لن يخرج سالماً من الضغوط الجهادية الحالية المنطلقة ضد استمرار حكمه وحكم عائلته". وما أورده مراسل هذه الصحيفة في مقدمة سؤاله من الإمام هو نموذج للتحليلات الملحوظة بكثرة في وسائل الإعلام الغربية آنذاك، وهي تكشف بوضوح يأس الغرب من قدرة الأجنحة التساومية على القيام بدور مؤثر. كما أنها تكشف أن العالم الغربي كان آنذاك يتطلع نحو الحوادث التي لا يمكن التنبؤ بطبيعتها.

مراسل صحيفة "الغارديان" كتب يقول: "إن معارضة الحكومة قد شملت تقريباً كافة فئات المجتمع الإيراني. ويفتقد المعارضون داخل إيران، وآية الله الخميني هو وحده صاحب النسبة الكبرى من الأتباع بين الجميع. وهو الذي يرفض بقوة أي شكل من أشكال التفاوض مع الحكومة، وهو غير مستعد للعودة إلى إيران في الأوضاع الحالية...".

... الجبهة الوطنية هي من المنظمات التي كانت تعارض النظام الملكي منذ سنين، لكن الوضع القائم الآن هو بالصورة التي لا يستطيع معها زعماء الجبهة من السيطرة على الأوضاع، فالتطورات والتظاهرات الشعبية قد فاجأتهم..

الكثير من المراقبين يعتقدون أن حقبة طويلة من الاضطرابات سيشهدها المستقبل أو من المحتمل أن تقوم القوات المسلحة بانقلاب عسكري مفاجئ. ولكن قلما تجد من يعتقد بأن من الممكن التغلب بسهولة على عدم الاستقرار في الواقع السياسي الحالي في إيران".

مراسل التلفزيون النمساوي سأل الإمام الخميني عن علة مغادرته العراق فأجاب قائلاً: "لقد منعني الحكومة العراقية بضغط من الملك الإيراني، من القيام بالنشاطات السياسية التي تقع مسؤوليتها على عاتقي، فغادرت هذا البلد". وسأله المراسل النمساوي: هل قررتم الذهاب إلى إيران؟ ولماذا لم تذهبوا إليها؟ فأجاب الإمام: "إنّ التواجد في الخارج هو أفضل لكشف جرائم الملك على الصعيد العالمي". وقال الإمام في جانب آخر من المقابلة: "سيرحل الملك بفعل انتفاضة الشعب الثورية ويقام حكم الديموقراطية والجمهورية الإسلامية، وسيدير في هذه الجمهورية شؤون البلد مجلس وطني يتشكل من منتخبى الشعب الحقيقيين، وستحترم حقوق الناس لا سيما الأقليات الدينية وتراعى، فلا نظم أحدا ولا نخضع للظلم. إن البلد الآن على حافة الإفلاس، وقد انهيار كل شيء ومع استقرار حكم الجمهورية الإسلامية سيبدأ البناء الحقيقي للبلد".

وسأل مراسل تلفزيون اللوكسمبورغ الإمام قائلاً: هل ستقبلون بولي العهد رئيساً للحكم بدلاً من أبيه؟ فأجاب الإمام: "كلا، فالشعب الإيراني يحمل ذكريات غاية في المرارة عن هذه العائلة ولا يطيق حكم أي من أفرادها". وسأل المراسل: لم يتدخل العسكريون في التظاهرات التي شهدتها الأيام القليلة الماضية، والملك يتراجع ويقبل بتراجع، وهو مستعد لاستقبال كريم سنجابي.. وحيث الملك مستعد للتفاوض فهل أنتم مستعدون لذلك؟ وهل المعارضون مستعدون للتوصل إلى حل ما مع الملك؟ فأجاب الإمام قائلاً: "تظاهرات طهران هي من أجل السيد الطالقاني، وتظاهرات قم هي من أجل الشيخ المنتظري، وهي تظاهرات أبناء الشعب ضد الملك وقد كرموها لمعارضتهما الملك، وإيران تكرم كل صوت ينطلق ضد الملك لن يستطيع تحقيق شيء من مساعيّه اليائسة الحالية ومن استدعاء هذا وذاك، فهذه المساعي جاءت متأخرة ولن تنفعه، فيجب أن يرحل. ونحن لن نقبل بالمساومة بأي شكل ومن أي شخص، لأن الشعب لا يرى بذلك، وقد بينا مطالبنا خلال مباحثاتنا مع هؤلاء، فمن قبل بها فهو منا وإلا فهو معزول عنا".

وكان الأطباء والعاملون في مستشفى ١٧ شهريور في مدينة مشهد قد أضربوا عن الطعام منذ عدة أيام من التاريخ المذكور احتجاجاً على اقتحام عناصر الحكومة العسكرية للمستشفى، وخرج الأهالي في تظاهرات تضامنية مع المضربين عن الطعام فواجهها عناصر الحكومة العسكرية وأطلقوا النار على الأهالي فأصيب عدد منهم بجروح نقلوا على أثرها إلى المستشفى.

وبتاريخ ١٩٧٨/١١/١ م، التقى الدكتور أميني بالملك وصرح بعد اللقاء للمراسلين قائلاً: "لماذا نريد القيام بما لا يدع مجالاً سوى للحكومة العسكرية والأسلحة؟ تعالوا لنكن متحضرين". وقد اعتبر الكثير من المراقبين السياسيين هذه التصريحات نوعاً من التهديد بتصعيد ممارسات العنف التي يمارسها النظام الحاكم ضد الشعب.

وبعد يومين من اجتماعه بالملك التقى أميني في قم بالسيد كاظم شريعتمداري، الذي قال في هذا اللقاء طبقاً لما نقلته الصحافة: "إن ما نريده هو التنفيذ السليم والكامل للدستور". وكان شريعتمداري قد أكد قبل ذلك بيوم خلال مقابلة مع وكالة الأنباء الإيرانية (بارس) أنه "لا يوافق على إثارة الاضطرابات والتخريب والقتل". وأنه يؤيد بالكامل الدستور. وقال "إذا قامت الحكومة بما من شأنه إرضاء الشعب بمقدار، وامتنعت عن القتل والهرج والمرج، فمن المحتمل أن يبعث ذلك الأمل لدى الشعب بتصريحاتها، وإذا غيرت سياساتها فمن المؤكد أن ذلك سيؤدي إلى تهدئة الأوضاع".

وعلى الرغم من هذه التصريحات تواصلت النهضة على أوسع نطاق. وكان الإمام الخميني (س) يقوم من خلال خطبه وبياناته الثورية المستمرة، بالرد على أمثال هذه التصريحات وعلى تصريحات سياسة الحكومات الغربية وأميركا ووسائل الإعلام الغربية الداعمة للحكم الملكي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان سماحته يقوم بإحباط مكائد المساومة التي كانت تقوم بها الأحزاب والشخصيات السياسية من صنع الاستعمار داخل البلد.

السفارة الأميركية في طهران حددت في تقرير أرسلته للمسؤولين الأميركيين الحل العسكري والتعامل العسكري العنيف ضد المضربين والمثقفين والطلبة والكسبة وعلماء الدين، باعتباره الحل الوحيد لأزمة النظام، وكتبت في أحد تحليلاتها للأوضاع الإيرانية بتاريخ ١٩٧٨/١١/٢ م. تقول: "... يوضح هذا التقرير النقاط الأساسية لتصورنا عن التطورات السريعة التي تشهدها إيران حالياً، وكذلك يبين القرارات التي يجب أن يتخذها الملك والفورية.. وقد أكد الملك بنفسه خلال اجتماعه مع "سوليفان" على ضرورة اتخاذ إجراء سريع لإخماد هذه الاضطرابات ولكن يبدو أنه غير قادر على اتخاذ القرار اللازم.. وتفيد تقارير جهاز جمع المعلومات أن المعارضين السياسيين والقادة الدينيين المحافظين يسعون الآن إلى التوصل إلى اتفاق بشأن تشكيل حكومة تتمتع بصلاحيات واسعة للغاية مع الإبقاء على الملك كسلطان خاضع للدستور. ولكن الذي يقلل من تأثير هذا العلاج هي أفكار آية الله الخميني المنفي في باريس، وهو الزعيم الديني القديم والمخضرم الذي خاض كفاحاً ضد الملكية استمر عدة عقود، فهو حازم في موقفه القائل بوجوب رحيل الملك..

الخلاصة: أن الحل العسكري هو حل عملي لحفظ مصالح أميركا، وكذلك إيران على المدى البعيد، ولكن ثمنه باهظ...

.. وكل حل عسكري يقترب حتماً بالاصطدام العنيف مع المتظاهرين في الشوارع والطلبة الجامعيين والأساتذة الذين يتظاهرون في الجامعات، وكذلك مع التلاميذ ومعلميهم الذي يتظاهرون في المدارس ومع الزعماء الدينيين وحمايتهم من الكسبة ومع العمال المضربين.. كما لا يمكن اجتناب فرض قيود على الصحافة".^(١)

الإمام الخميني (س) يشيد في هذه الخطبة بالوعي الثوري الذي تتحلّى به النساء والأمهات الإيرانيات. ثم يتحدث مفصلاً عن استغلال الاستعمار والنظام الملكي للمصطلحات والشعارات الثقافية والاجتماعية البراقة، كالحرية والتحضّر والإصلاح الزراعي وأمثالها.

كما رد على التصريحات التساومية التي أطلقها الشخصيات ذات الظاهر الوطني أو الديني من الذين كانوا يسعون إلى تبرئة الملك والنظام الملكي من مسؤولية الجرائم المرتبكة بحق الشعب وتحجيم الثورة في حدود المطالبة بالالتزام بالعمل بالدستور. وقال: "جميع هذه الجرائم التي شهدتها إيران في عصرنا، في هذا العصر كانت بأمر الملك.. هذا النظام الملكي الإمبراطوري، وغير ذلك من العناوين الجوفاء، هو نظام فاسد من الجذور. والشعب يقول: يجب أن يزول هذا النظام.. إذا تراجعنا خطوة واحدة عن هذه المطالب، أو قبلنا بما يسميه السادة بسياسة "الخطوة خطوة" وقبلنا بطرحهم هذا، فإننا نكون قد دمرنا الإسلام والمسلمين والبلد الإسلامي..".

(١) راجع الوثائق التي نشرتها وزارة الأمن الإسلامية بتاريخ شباط ١٩٨٩م، المتقولة في كتاب "تقويم تاريخ الثورة الإسلامية" بالفارسية، ص ١٩١. واستناداً إلى هذه التحليلات والتقارير جاؤوا بالحكومة العسكرية في ١٩٧٨/١١/٥م. وضمن نفس السياق أعلن الناطق باسم الخارجية الأميركية بتاريخ ١٩٧٨/١١/١٠م نبأ المصادقة على تزويد الحكومة الإيرانية بالمعدات اللازمة لقمع التمردات وإرسالها إلى طهران، وبينها ٢٥ ألف قنبلة مسبلة للدموع و ٢٠٠ ألف من عصي مكافحة الاضطرابات والدروع القوية وأمثال ذلك.

الخطاب رقم - ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من القضايا التي نواجهها الآن، قضية تبدل معاني الكثير من الكلمات والمصطلحات في عصرنا الحاضر في إيران، واكتسابها معاني جديدة تقتضي وضع قاموس جديد لها، كمصطلح "الأجواء السياسية المفتوحة" الذي يكثر استخدامه في كلمات الملك وهو يكرر القول:.. إننا أوجدنا وأعطينا "أجواء سياسية مفتوحة" في إيران^(١)!! يتكرر هذا القول في كلمات أسياده أيضا مثل "كارتر" الذي قال:.. إن الملك الإيراني قد أوجد سياسة مفتوحة، وقد أخذوا إليه بالأمس ولي عهد الملك وهو مثل أبيه من جهة، فأثنى مرة أخرى، على الملك لأنه أعطى الحريات^(٢)، وهذه من الكلمات التي فقدت معناها في عصرنا واكتسبت معنى آخر.

الأجواء السياسية المفتوحة في إيران تعني القمع في كل مجال، وفرض الرقابة على الصحف، ومنع أي شكل من أشكال التعبير عن الرأي. ورغم أن الإنسان حر في التعبير عن رأيه، لكن الأجواء السياسية المفتوحة تعني المنع من ذلك بالكامل فيما يتعلق بحياته ومقدراته. كما أنها تعني أن لا حق للصحافة أن تنشر ولا كلمة واحدة خلافا لما يملأ عليها. وبالطبع فإن الصحافة، وكذلك الإذاعة، أخذت تتحدث بعض الشيء خلافا لذلك، وسبب ذلك هو أن هذا الاتجاه الشعبي وتلك القبضات الراسخة لإخوتنا في إيران لم تعد تسمح بفعل كل ما

(١) أريك طرح "كارتر" لمبدأ الدفاع عن حقوق الإنسان خلال حملة ترشيحه لرئاسة الجمهورية في أميركا الملك الإيراني، الذي كان يتصور أن إعطاء مقدار من الحرية في إيران سيؤدي إلى تسلط الشيوعيين، وقال: "كل شخص يفسر معنى حقوق الإنسان بنحو معين، وليست ثمة ضرورة أن يكون تفسيرنا مطابقا لتفسير الأميركيين لها". لكن اضطر بعد انتخاب "كارتر" لرئاسة أميركا إلى التقليل من ممارسات القمع وإيجاد ما أسماه "الأجواء السياسية المفتوحة". وفي هذا السياق، تم في تاريخ ١٩٧٦/١٢/٢٩م تقديم لائحة "الإصلاحات الأساسية" لمجلس الأعيان. وفي ١٩٧٧/٢/٣م تم إطلاق سراح ٦٦ شخصا من السجناء السياسيين. وفي ١٩٧٧/٣/١م صرح الملك بأن "جميع المناصب السياسية والإدارية مفتوحة أمام جميع أبناء الشعب". وفي تاريخ ١٩٧٧/٥/١١م بدأ وفد من منظمة الصليب الأحمر الدولي بزيارة السجون الإيرانية، وفي اليوم التالي طلب وزير الخارجية الأميركي والإنكليزي "سايروس فانس" و"دايفيد إيفين" من الملك الإيراني منح المزيد من الحريات للشعب، فوافق وأمر حزب "رستاخيز" الموالي بالدعاية للسياسة الجديدة. كما أمر منظمة الأمن الملكي (السافاك) بالتقليل من حملات الإعتقال، فغيرت المنظمة من سياستها، وأخذت تقتل المعارضين في الشوارع والمنازل! فلم تؤثر هذه السياسة الخادعة الجديدة، وخرج طلبة جامعة طهران وسائر فئات الشعب الإيراني في تظاهرات ضخمة بمناسبة ذكرى انتفاضة ١٥ خرداد. وقال الملك في مقابلة مع الإذاعة الفرنسية: "إن الحريات السياسية عرّضت الحكم الملكي للخطر"، وبالتالي لم تحقق شيئا السياسة الدعائية الجديدة للملك، أي مكيدة "الأجواء السياسية المفتوحة"، واتضح لأميركا أن حكمه على شفير الهاوية.

(٢) في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٨م التقى ولي العهد الإيراني رضا بهلوي بالرئيس الأميركي "جيمي كارتر" في واشنطن. وكان رضا بهلوي يتلقى هناك دورة تدريب على الطيران. وفي هذا اللقاء ذي الهدف السياسي الدعائي، أكد "كارتر" على أن الحكومة الأميركية ستدعم نظام الملك الإيراني وأعرب عن ارتياحه لإجراءات الملك الإيراني الهادفة لتثبيت الديمقراطية، وتحدث عن أهمية إيران الاستراتيجية بالنسبة لأميركا.

يشتهون. ولكنها لا زالت لا تستطيع التحدث بحرية، فتلاحظون أن كافة الصحف والإذاعات وهذه الأجهزة الإعلامية لا زالت عاجزة عن ذكر القضية الأساسية التي نعرفها جميعا ويعرفونها هم أيضا وكافة الصحف وأصحابها، وهي قضية الملك. وبالطبع فهذه هي القضية الأساسية بالنسبة لهؤلاء الخدم وليس بين أولئك الأسياد.

والمقصود من هذه القضية الأساسية هي حقيقة أن جميع هذه الجرائم التي تشهدها إيران الآن ترتكب بأمر الملك، فلا يمكن لجندي أن يقتل أحدا من تلقاء نفسه، كما أن أي مسؤول أو وزير أو حتى رئيس الوزراء لا يستطيع أن يأمر من تلقاء نفسه بالقتل أو الجرح، بل إن جميع هذه الجرائم تقع بأمر الملك مباشرة. فهو كان الأمر في واقعة ١٥ خرداد، كما اتضح، حيث كان يحلق بطائرته العمودية في أجواء ساحة الواقعة، ويعطي أوامره التي كانت تنص على توجيه الضربات نحو النقاط التي تؤدي إلى القتل لا إلى الجرح والنقل إلى المستشفيات.^(١)

إن الحرية والأجواء السياسية المفتوحة أصبحت تعني سلب الجميع حق التعبير عن الرأي، كما هو حال صحافتنا الآن. فإذا تحررت صحافتنا والإذاعة والتلفزة والأجهزة الإعلامية عندها ستوضح حقائق ما جرى. فلا أنا ولا أتم ولا أكثر الناس على علم بما جرى. وعلمنا ينحصر بالظواهر وما شهدته الشوارع من المجازر، في حين نجعل بواطن الأمور وما جرى على إيران خلف الأستار. ولكن يوجد من يعلم بكل ذلك حيث عايش القضايا من داخلها والتاريخ يحفظ معظم الحقائق إن لم تكن كلها. واعلموا عن يقين، أن البعض قد صنفوا كتباً بهذا الخصوص لكنهم لم يستطيعوا طبعها ونشرها. فإذا ظهرت الحرية الحقيقية وخرجت هذه الكتب، عندها ستصبح الصحافة جديرة بالمطالعة.

إن صحافتنا لا زالت خاضعة للرقابة ولذا لا تجد في أي منها اسم المجرم الحقيقي، كما لا تجده في كلمات أي من هؤلاء الرجال السياسيين. فلم يستطيعوا إلى الآن أن يقولوا إن المجرم الحقيقي الذي ارتكب كل هذه الجرائم هو محمد رضا بن رضا خان. لكن الجماهير تعلن الآن هذه الحقيقة وترددها حتى ألسنة الصغار ذوي الإثني عشر أو عشرة أعوام، وتجاهر بها الجماهير في شوارع قم وطهران وسائر المدن، لكن ساستنا لا يستطيعون الإفصاح عنها.

(١) ينقل أن الملك محمد رضا أعطى قادته العسكريين حرية إطلاق النار على الناس يومي ٥ و٦ حزيران ١٩٦٣م تزامنا مع واقعة انتفاضة ١٥ خرداد الشهيرة، وأمر بضرورة أن لا يضيّع الجنود ولا طلقة واحدة هباء، أو في إطلاق العيارات النارية في الهواء، بل أمرهم بأن يوجهوا إطلاق النار إلى القسم العلوي من أجساد الناس. وينقل أن الملك كان يحلق بنفسه في طائرة عمودية في أجواء الواقعة ويصدر أوامره منها للقادة العسكريين.

والسبب هو إمكانية التناول كثيرا على جماهير الشعب، أو لأن هذه الجماهير مستعدة للتضحية بالنفس، بل لتقديم أعظم التضحيات والتضحية بالشبان، وهي تفتخر بذلك. والله يشهد أن أمهات اليوم نموذجيات حقا، فلم يكن لنا طوال التاريخ نظائر لهن إلا ما ندر. حيث تضحي الواحدة منهن بأبنائها ثم تفتخر بذلك!! قد أخبرني بعض الشبان: بأن أمهاتنا هن اللواتي حافظن على الحماس فينا. أجل فموقف هؤلاء الأمهات الثكالي هو الذي حفظ الحياة والحماس للنهضة، وهو الذي يمنحنا الشجاعة والجرأة.

هذا إذاً معنى "الأجواء السياسية الحرة" في بلدنا، حيث فقدت معناها الأصلي، وأصبحت حسب منطق "كارتر" والملك تعني كافة أشكال القمع هذه.

ومن نظائر هذه الكلمات التي فقدت معناها "التحضر العظيم" و"بوابة التحضر العظيم".^(١)

فقد اكتسبت هذه المصطلحات معنى آخر في منطق هؤلاء ومنطق الملك محمد رضا، الذي يرددها بكثرة، وكذلك على لسان "جده" كارتر!! الذي يكرر أمثال هذا المصطلح. المعنى حسب منطقهم هو سحق كافة المظاهر الحضارية للشعب.

فثقافة الشعب والجانب التعليمي في صدارة عوامل التحضر. فيجب أن تكون منسجمة مع التحضر، لكنكم تلاحظون أن ثقافتنا ثقافة تابعة، غير مستقلة وغير تقدمية، بل مختلفة تمنع شبابنا من التقدم خطوة خارج إطار الحدود الضيقة التي وضعوها لهم. وهذا الأمر لا يقتصر على إيران، حيث الوضع فيها معلوم، بل يشمل شبابنا في الخارج أيضا. فقد جاء قبل ليلة أو ليلتين، عدد من هؤلاء وهم شبان طيبون، وجلسوا عندي في نفس هذه الغرفة وقالوا: نحن ندرس في البلد الفلاني، لا أتذكر اسمه لكثرة المشاغل، لكنهم لا يقدمون لنا شيئا، فنحن موجودين هنا بالاسم فقط. كانت دراستنا في إيران بمستوى معين وما يقدمونه لنا هنا دون المستوى، فوجدنا هنا عديم الجدوى، فاسمحوا لنا بالعودة إلى إيران لعلنا نقوم بعمل ما مع إخواننا.

إذاً، كل أساس العمل في إيران هو أن تكون ثقافتها التعليمية مرتبطة، بمعنى أن تكون لنا ثقافة وجامعة ومعاهد علمية لكي لا يقال إن الجامعات مفقودة في إيران، وهي منسجمة في اسمائها وعناوينها مع شكل التحضر لكنها فاقدة للمحتوى. فظاهرها متحضر وباطنها فارغ. وهكذا كان حالها منذ بداية إيجاد المدارس في إيران كحركة نحو التقدم. لكنها لم تكن فاسدة إلى الدرجة التي هي عليها الآن. فالهدف كان منذ البداية عدم

(١) في شهر حزيران ١٩٧٨م صرح الملك قائلا: "هذه المرحلة الجديدة التي بدأناها تتميز بإعطاء الحد الأقصى للحرية في حدود الدستور، وأملتي أن تحقق نتائجها الطيبة ويتقدم الشعب الإيراني نحو التطور والتحضر العظيم. وقد وردت الإشارة إلى خطط ذلك في كتاب "التحضر العظيم" وهي خطط تحظى بتأييد حزب "رستاخيز" ونهضة الشعب الإيراني. والذين يريدون لهذا البلد التحرك باتجاه التحضر العظيم يعرفون واجبهم وكيف يعطون رأيهم. وسيعرفون حينئذ كم هم أنصار نقل إيران إلى التحضر العظيم". نقلا عن صحيفة "اطلاعات" الإيرانية في عددها الصادر بتاريخ ١٩/٨/١٩٧٨م.

السماح بظهور حركة ثقافية وعلمية حقيقية وسليمة في إيران ولا بتخريج أشخاص متعلمين، لأن ذلك يعني إيجاد عراقيل بوجه تحقيق أهدافهم ومصالحهم التي تتمحور حول نهب ثروات هذا الشعب. فخطتهم منذ البداية كانت تقضي بمنع ظهور ثقافة ومستوى علمي يؤهل شبابنا للتقدم والتطور، أو يسمح بظهور شبان متعلمين ومتقنين بصورة سليمة.

وقد اتضحت الآن حقيقة أهدافهم وأساسها، حيث أن ثقافتنا العلمية تفتقد المعنى الحقيقي للثقافة، وشبابنا يقومون في الحقيقة بتضييع أعمارهم. فلا ثمرة من الذهاب لهذه المعاهد والجامعات سوى تضييع أعمار المعلم والمتعلم. وهذه الحقيقة يعرفها المعلمون والمتعلمون والجميع لكن الوضع هو هذا!

ونحن عندما نقول: يجب طي هذه الصفحة ومحو كافة الخطط التي نفذها الأجانب على أيدي عملائهم الخبثاء في إيران، فإن سبب ذلك هو أننا نرى الفساد حيثما وضعنا أيدينا. وإذا كانت لدينا مدرسة وجامعة بالمصداق الحقيقي، فلماذا نجد أثرياءنا وحتى "صاحب المقام السامي"^(١) يعمدون إذا أصابهم مرض إلى جلب أطباء من الخارج أو السفر إلى الخارج للمعالجة؟ لماذا يجب أن يذهبوا إلى لندن للعلاج؟ ولماذا لا يأتي أحد من لندن للعلاج في طهران أو غيرها أبداً؟! لماذا يجب أن نذهب من إيران؟ لماذا ينبغي أن يذهبوا إلى لندن للعلاج؟ إن هذا دليل على افتقارنا للطبيب بالمعنى الحقيقي. أجل، لدينا طبيب ويده شهادة التخرج وكافة الوثائق ويوصف بـ "البروفسور" أيضاً! لكنه شكل فقط، يفتقد المحتوى والمعنى الحقيقي. ونفس كلمة "البروفسور" هي من الكلمات التي فقدت معناها، أي أخذت تطلق على مصاديق فاقدة لمحتواها ومعناها الحقيقي. ولهذا فإن الأطباء أنفسهم يقولون إذا مرض أحدهم، يجب أن يذهب إلى لندن للعلاج!! نفس الطبيب الذي جاء للعلاج يقول: نحن معذورون هنا فليذهب إلى لندن.

هذا هو فقرنا في الحقل الثقافي العلمي وفي الجامعات والمعاهد العلمية، وهم يريدون لنا أن نكون فقراء. فلماذا يكون لدينا أطباء؟ يجب أن يكون هذا الشعب محتاجاً بمقدار ما ليكون مرتبطاً تابعاً للحكومات والشعوب الأخرى. وهذه هي التبعية أن تكون ثقافتنا العلمية مرتبطة بالأجانب، والدليل على ذلك هو أننا، ورغم امتلاكنا للمعاهد العلمية، لكننا إذا أردنا أن نبني سداً وجب علينا أن نوقع عقداً مع إحدى الشركات الأميركية أو غيرها، فلماذا؟ ولماذا ينحصر عمل الإيرانيين بحمل الطين والرمل على الأكتاف وبأجر زهيد؟ يعمل أحدهم من أجلها منذ الصباح إلى المغرب!! وهكذا الحال في شركة النفط وغيرها وفي كل المجالات الأخرى، فالمخطط أساساً هو أن يجعلوا منا عمالاً من الدرجة الثانية، ومع ذلك تكون على مستوى من "التحضر العظيم" الذي يكون مصداقه في إيران هو وجود هذا النمط من العمال!! وحتى ذوو الظاهر الثقافي والعناوين العلمية وعملاء الأسياد فمهمتهم حمل النفط وإيصاله إلى أفواه "كارتير" وأمثاله مقابل أجر زهيد. وإذا أرادوا بناء سد وجب أن يأتي

(١) يقصد الملك محمد رضا.

الخبراء من الخارج ليصدروا الأوامر ويضعوا التصاميم حسبما يقولون، فيتقاضى أحدهم عدة ملايين من الدولارات مقابل تصميم واحد ينجزه في ليلة أو ليلتين. أما نحن فأيد عاملة نتولى مهام نقل الطابوق لأننا لا نحسن القيام بغير ذلك، والسبب هو افتقارنا للثقافة العلمية لذا لم نستطع بناء السد الذي نريده بأنفسنا.

أي مجال من مجالات هذا "التحضر العظيم" يلاحظه الإنسان، يجد العناوين شاخصة فيه لكنها فاقدة للمحتوى. العناوين كثيرة، كالمهندس والدكتور وغيرها، أما المضمون فمفقود. ونفس الأمر يصدق على التركيبة العسكرية. فلدينا أفواج من ذوي رتب "المهيب" و"الفريق"، ولكن دون محتوى. يقول أحد الظرفاء: يوجد في أميركا كلها اثنان أو ثلاثة عسكريين فقط برتبة "المهيب" أما في إيران فلدينا طوابير من أصحاب هذه الرتبة وأمثالها، والعناوين شاخصة بقوة، ولكن عندما تبحث عن المحتوى تجد هذا السيد "المهيب" فاقدا له بالكامل.

عندما هاجم الأجانب الحلفاء الأراضي الإيرانية، كانت هذه العناوين قائمة قبل مجيئهم. وكان "صاحب الجلالة" غير "صاحب الجلالة"^(١). هذا وإن كان هذا قد ورث عن ذاك كل ممارساته الظالمة وزاد عليها، لأنه تحرك باتجاه "التحضر"، ولو فعل لسبق الجميع! ولأصبحت إيران مستقلة في جميع مجالاتها في شرطتها وجيشها وما إلى ذلك. فقد اعتدوا بالضرب على أهل العلم والعلماء، وساقوهم إلى مراكز الشرطة، ووجهوا لهم الإهانات، وصبوا على النساء أشكال الظلم. والله يعلم^(٢) أية مصائب عاينناها في إيران. فقد أنزلوا كافة الممارسات الظالمة على النساء والرجال والأطفال، (ومع ذلك) كانوا يقولون في إعلامهم: لا توجد دولة بمستوى دولتنا.

في تلك الأيام كان الظرفاء يقولون: هذا هو الأول الذي لا ثاني له، ويقصدون بذلك البيان العسكري الأول الذي أصدره أولئك بشأن الحرب التي أرادوا أن يخوضوها دفاعا عن ثغور المملكة^(٣). فلم يكن يعقب هذا

(١) يقصد رضا خان.

(٢) بتاريخ ١٣٥/١٢/٢م، أمر رضا خان المدعو "محمود جم" بتشكيل الحكومة الجديدة، وسأله حينئذ: "كيف يمكن القضاء على هذه العباءات والسراويل النسائية العريضة؟ لقد أصبحت أزعج من رؤية المرأة المرتدية للشادور!! منذ زرت تركيا ورأيت نساءها وقد ألقين النقاب والحجاب بعيدا. بل إن الشادور والسراويل العريضة هما عدوا التقدم والتطور. وقد أصبح مثل الورم الخبيث الذي يجب استئصاله بدقة!!". وبعد التشاور مع محمود جم، قام رضا خان بتاريخ ١٣٦/١/١٧م بإخراج زوجته وتاج الملوك وابتتيه شمس وأشرف دون حجاب ليرافقونه بالاشتراك في احتفال مدرسة "دار العلم" التمهيدية. وقد حضر الوزراء وعدد من المسؤولين الحكوميين هذا الاحتفال بمعية زوجاتهم وهن سافرات. وفي نهاية الاحتفال أمر رضا خان رئيس حكومته بأن يكرر إقامة مثل هذا الاحتفال لتتعرف نساء إيران أكثر على الأوضاع الجيدة ومعايشة الرجال. وقد أقيمت بالفعل بعد ذلك احتفالات عديدة من هذا النوع، كما أصدرت أوامر مشددة للشرطة بالتعامل بعنف مع النساء اللواتي يظهرن في الأماكن العامة وهن محجبات.

(٣) المقصود الدفاع عن البلد في مواجهة هجوم الحلفاء على إيران أثناء الحرب العالمية الثانية. حيث أصدر نظام الملك رضا خان بيانا عسكريا واحدا فقط عن المواجهة والمعركة، التي لم يخضها النظام الملكي أصلا كما سيأتي.

البيان الأول البيان الثاني، ولم يستغرق أمر المواجهة أكثر من ثلاث ساعات. وعندما سأل رضا خان أحد المسؤولين عن الأمر، قال: لم يكن ينبغي أن يستغرق الأمر أكثر من ربع ساعة، فلم تكن نملك شيئا بينما يملكون كل شيء (يقصد الحلفاء)!! وقد شاهدت بنفسى الجنود يسرون في شوارع طهران بتلك الحالة المزرية وقد تركوا معسكراتهم، فلم يكن ثمة جندي ولا جيش^(١). أنتم تتصورون أن هناك ٢٥٠ أو ٣٥٠ ألفا من العسكريين يشكلون تعداد جيشنا، ولمن هل هذا الجيش لنا؟ العناوين هي نفس العناوين التي تستخدم في البلدان الأخرى، بدءاً من أعلى مسؤول وما دونه، ولكن عندما تبحثون عن المحتوى تجدونه معدوماً. فقد تبدلت كل الأشياء والباقي تعرفونه على نفس هذا المنوال.

الاقتصاد من الأمور الجيدة، والسيد^(٢) من علماء الاقتصاد المطلعين جيداً على مسائله، ولكن لماذا يجب أن يعيش هنا ولا يسمح له بخدمة بلده؟ فكيف حال نظامنا الاقتصادي؟ وهل نجونا من التبعية الاقتصادية؟ نتوجه إلى مصطلح "الإصلاح الزراعي" فنجد أنه هو الآخر من تلك المصطلحات "التي فقدت معناها"، لقد أفسدوا زراعتنا ودمروها وجعلونا بحاجة إلى كل شيء، حتى مددنا أيدينا لـ "إسرائيل" طلباً للفاكهة^(٣)، والاستيراد قائم على قدم وساق للحنطة والشعير وغيرها، ولو أوقفوه يوماً واحداً لكان على الشعب أن يتحمل ألم الجوع. وهم يقولون إن زراعة إيران لا تلبى حاجة شعبها سوى لثلاثة وثلاثين يوماً والباقي يجب استيراده من الخارج. هكذا أصبح حال إيران التي كانت في السابق بلداً مصدراً للمنتجات الزراعية. أجل إن كلمة "الإصلاح" جميلة جداً لكنها فقدت محتواها.

(١) القوات التي كانت مكلفة بقمع العشائر والتمردات العسكرية التي كانت تقع بين فترة وأخرى من قبل القوى المعارضة للحكومة المركزية، والتي كانت تتم دائماً بأوامر من إنكلترا لقوات القمع. نقول هذه القوات تحولت فيما بعد إلى جيش وطني كما سمّوه، وقد تم تأسيسه على النمط الأوروبي. ويوماً بعد يوم أخذت القوة الظاهرية لهذا الجيش تزداد بفعل شراء المعدات العسكرية لمختلف الأصناف، وإرسال أفراد إلى فرنسا وإيطاليا لتلقي التدريب والتعليم العسكري. لكن هذا الجيش لم يكن في الحقيقة إلا قوة جوفاء، ففي تاريخ ١٩٤١/٨/٢٦م. أي بعد يوم من عبور قوات الحلفاء للحدود الإيرانية واحتلالهم البلد أصدرت "الهيئة العليا لقادة الجيش" بيانها العسكري الأول والأخير، وادعت فيه أن وحدات الجيش الإيراني قد بادرت للدفاع وأن معنويات الشعب عالية للغاية. في حين لم يكن للهيئة أي اطلاع على وضع الوحدات الخاضعة لإمرتها، والتي انهارت معظمها قبل مواجهة الأجانب. حيث ترك قادة الفرق وكبار الضباط وحداتهم العسكرية وفروا قبل أن تصلهم أوامر رضا خان بترك المقاومة، وظل الجنود حيارى في الصحراء دون إمدادات ولا أغذية ولا ماء، وقد شارف الكثير منهم على الموت بسبب الجوع والعطش، فانهار ذلك الجيش الذي استحوذ تجهيزه على ثلث ميزانية البلد لمدة عشرين عاماً من أجل مثل هذا اليوم، وكان انهياره في اليوم الأول من هجوم الأجانب.

(٢) يشير إلى أحد الحاضرين في اللقاء.

(٣) أوجد الكيان الصهيوني سوقاً مهماً لبضائعه في إيران في ظل الحكم الملكي، وكان يصدر إليها البيض والموز والخيار والبرتقال والحمضيات.

"الثورة البيضاء"^(١) ثورته ثورة لكنها سوداء!! كل هذه العناوين عريضة جميلة جذابة ولكن على أي شيء وضعوها؟؟ ماذا نرى عندما ننظر إلى ما تحت هذه الألفاظ المرسومة؟ وماذا تكشف عنه؟ عندما ننظر إلى ما وراء الستار نجد أنها خالية من مضمونها، فما هي إلا مجموعة ألفاظ كان يراد منها إلهاء الشعب عندما كان لا يستطيع التعبير عن رأيه وعندما كان غافلا عن هذه القضايا. أما الآن فقد تغير الوضع واتضح حقيقة خواء مصطلح "الإصلاح الزراعي"، وأنه يعني إيجاد سوق لأمريكا وشعبها وأذناها. أي أن نكون نحن سوقا استهلاكية لهم، فقمحهم كثير، وهم يضطرون أحيانا إلى رميه في البحر لكي لا يبور، فالأفضل أن يبدأوا بتطبيق برنامج الإصلاح الزراعي لكي لا يضطرون إلى إلقاء قمحهم الإضافي في البحر!! وبالفعل شرعوا بإصلاحهم الزراعي وتخلصوا من إلقاء القمح في البحر، بل أخذوا يبيعونه ويقبضون ثمنه.^(٢)

إنهم يأخذون منا النفط ويعطوننا الأسلحة. ولكن أية أسلحة؟ إنها التي يقيمون بها قاعدة لأميركا في إيران، ضد الاتحاد السوفيتي!! فهم بحاجة لإقامة قواعد لهم في إيران ولأجل ذلك فهم يأخذون النفط منها ويصنعون فيها قواعد لهم! وهذه من المعجزات الأميركية! وإلا فما حاجة إيران لكل هذه الأسلحة التي تبلغ قيمة كل صفقة منها مليارات الدولارات؟ بل وهل لدينا الخبراء الذين يستطيعون التعامل مع هذه الأسلحة؟^(٣) وأنى لكم ذلك وأنتم تستوردون الخبراء إذا أردتم تعبيد طريق!! في حين أن تلك الأسلحة والأجهزة الملحقة بها تحتاج

(١) في كتاب "الثورة البيضاء" الذي كتبه أحدهم ونسبه للملك محمد رضا، ورد قول الكاتب "... إن فلسفة وروح هذه الثورة قائمة على أساس السنن والروح الإيرانية، وهي تهتم بأصلين مقدسين: الأمور المعنوية والدين، والدفاع عن الحريات الفردية والاجتماعية. كما أن من المبادئ العامة هو إزالة أي استغلال، وكل وضع يخدم مصالح أقلية محدودة على حساب الأكثرية. ولتحقيق هذه الأهداف كان لا بد من تنفيذ "الإصلاح الزراعي"، وإزالة أسس نظام الإقطاع والتسلط على الرعية. وكان لا بد من أن تقام علاقة العامل برب العمل على أسس جديدة لا يشعر معها العامل بأنه عرضة لاستغلال رب العمل. كما يجب إصلاح قانون الانتخابات واستئصال عار وأضرار الأمية في البلد، وترويج الرعاية الصحية في كافة أنحاء البلد، وإزالة آثار التخلف. وإخراج ثروات البلد من احتكار فئة معدودة وتأميمها، وأن تتحرك إلى الأمام في كافة الفروع العلمية والفنية والاجتماعية والصناعية والوصول إلى وضع ينسجم مع التحضر الذي يشهده عالم اليوم. وبعبارة أخرى واضحة: إن الثورة البيضاء تعني أن نحقق مبدأ الإقتصاد الديموقراطي مع حفظ الحريات السياسية...". وكل هذا الكتاب هو من نمط هذه العبارات ذات الظاهر المخادع.

(٢) استنادا لتقارير منظمة الأمم المتحدة، فإن الولايات المتحدة تقوم بترك زراعة ملايين الهكتارات من الأراضي الصالحة لزراعة القمح بهدف الحيلولة دون انخفاض أسعاره، في الوقت الذي يموت فيه الملايين من بني الإنسان في البلدان الأفريقية بسبب نقص المواد الغذائية وسوء التغذية. وتسيطر أميركا على أسعار القمح في الأسواق العالمية من خلال تدمير كميات منه (إلقائها في البحر) أو المنع من زراعته وتحديد المنتج منه.

(٣) كان الجيش الإيراني وقبل انتصار الثورة الإسلامية، يعاني من نواقص، كمية وكيفية، في التدريب والتعليم العسكري السليم، والكتب اللازمة في هذا المجال، والأمور التمهيدية الضرورية. لذلك، وبسبب سياسات النظام الملكي الأخرى كان هذا الجيش عاجزا عن الاستفادة من الأسلحة التي كانت تستورد من أميركا بدون مساعدة الخبراء والمتخصصين الأميركيين. وقد بلغت تبعية إيران لأميركا في الجانب العسكري درجة كان معها الجيش الإيراني عاجزا عن إدارة شؤونه دون المساعدات الأميركية اليومية. حيث أن القيام بالمهام الفنية وتحليق الطائرات وغير ذلك كان يتم تحت إشراف الخبراء الأميركيين وبمساعدهتهم.

إلى متخصصين في هذه الفنون، أما الموجود في إيران فهو العناوين دون المضامين بينما صنع المدفع وإصلاحه غير ممكن بالعناوين المجردة بل يحتاج إلى المضامين التي نفتقدها.

إذاً، جاؤوا بهذه الأسلحة "ثمننا" للنفط. وهذا "الثمن" هو الآخر من الكلمات التي فقدت مضمونها، لأن "ثمن" النفط ينبغي أن يكون من العملة الصعبة، لكنهم يعطوننا بدلا عنها أسلحة يصنعون بها قادة لهم في أرضنا ليوم عسره.

هذا هو وضع إيران. فزراعتها قد دمرت وضاعت. ونفطها ضاع ويضيع بهذه الصورة، فهذه "المملكة المتحضرة" تقدم النفط لتشتري طائرة بثمن ٣٥٠ أو ٥٥٠ مليون دولار^(١)، فما حاجتنا لمثل هذه الطائرة ونحن نريد التنقل بين مشهد وقم وطهران؟! لا أستطيع أن أتصور ذلك، يصدرون لنا مثل هذا ويأخذون النفط، ونفس الأمر يصدق على المجالات الأخرى.

هذا هو حالنا، العناوين جميلة ولكن دون مضمون كما هو حال "الإصلاح الزراعي"، ومثل حزب "رستاخيز" الشامل والعام للجميع. ولقد قلنا كلمتنا منذ بداية تأسيس هذا الحزب، وتحدثنا بالمقدار الواجب^(٢). أما هنا فتتطرق إلى فقدان "الشامل والعام" للمحتوى والشمول الحقيقي. فقد أدخلوا طائفة من عناصرهم فيه من أفراد منظمة الأمن وأمثالها، وبالإكراه، حيث لم يقبل الناس به. وقد اتضح الآن الأمر كان مفروضا بالقوة لأنه عندما وهنت هذه القوة ترك أعضاء هذا الحزب حزبهم من هنا وهناك وذهبوا إلى أعمالهم وعاد هذا الحزب "الشامل العام" كسائر الأحزاب الأخرى لكنه غير معترف له بينها بأنه حزب أصلا.

هذا هو حال الحزب الذي رأيتكم كم أطنب ذلك السيد (الملك) في الحديث عنه. ومن أقواله بشأنه قول معبر عن أحد مصاديق الحرية التي يريدون، حيث قال: من قبل هذا الحزب فقد قبله ومن لم يقبله فليأخذ جواز سفره وليرحل، فهو ليس من أهل هذه المملكة الذين ينضوون تحت راية هذا الحزب لأنه حزب شامل وعام. هذا هو الوصف ولكن ما الذي اتضح؟ اتضح أنه وصف أجوف. ونفس الأمر يصدق على كافة المجالات الأخرى، ولو أردنا استقصاءها لطال بنا الحديث. وأنا أيضا لا قدرة لي على إطالة البحث والحديث.

(١) ينتقد الإمام الخميني (س) هنا سياسة النظام الملكي في صرف عائدات النفط على بضائع استهلاكية غير ضرورية على حساب إهمال البنى التحتية اللازمة للاقتصاد السليم. وهذه آفة ومرض رائج بين معظم البلدان الخاضعة لنظام التبعية للغرب، حيث تنفق ما لديها وتحمل الديون أيضا من أجل شراء بضائع لا تشكل بالنسبة لها حاجة حقيقية أو ليست هي الحاجة الأشد ضرورة. (المترجم)

(٢) كتب الإمام الخميني (س) ردا مفصلا على استفتاء لمجموعة من الناس بشأن هذا الحزب بتاريخ ٨٢ صفر ١٣٩٥ هـ، وقد نشر متن هذا الجواب على هيئة بيان للإمام. وقد جاء في جانب منه: نظرا لأن هذا الحزب يعارض الإسلام ومصالح الشعب الإيراني المسلم، لذا فالدخل فيه محرم على جميع أفراد الشعب، وهو مصداق لمعونة الظالم وإبادة المسلمين.. وعلى مراجع الإسلام أن يحرموا الدخول في هذا الحزب". وبعد أربعة أشهر من تأسيس هذا الحزب كتبت السفارة الأميركية في طهران تقريرا للحكومة في واشنطن قالت فيه: "من المحتمل أن يتحول حزب "رستاخيز" إلى منظمة سياسية تتدخل في كافة شؤون الناس دون أن يكون لهما تأثير أو دور على الصعيد السياسي". راجع كتاب "من الظهور إلى السقوط"، ص ٢٣١-٢٥٠ بالفارسية. وبعد سنة من تأسيس الحزب كتب حماة الملك في السفارة الأميركية إلى الحكومة في واشنطن تقريرا جاء فيه: "لا يمكن توقع إنجاز أمر مهم من هذا الحزب لضعفه التنظيمي". والطريف أنه لم يظهر صوت واحد معارض عند الإعلان عن حل هذا الحزب.

أسأل الله أن يحفظكم جميعاً، كونوا جميعاً جنوداً لشعبكم، واهتموا بالأمر بجهد. فقضايا إيران الآن جديرة وخطيرة ومصيرية، وعليكم أنتم المقيمون في الخارج، أن تنظروا لها من هذه الزاوية. فالأمر لا يحتمل المزاح. فإيران الآن على مفترق طريقين إما الدمار الأبدي وإما استعادة حياتها وإثبات قوة وجودها. فليس أمامنا الآن سوى هذين الطريقين إما الحياة وإما الموت الذي لا حياة بعده.

لا تتصوروا أن من الصالح أن نتراجع، ولو خطوة واحدة، عما يطالب به شعبنا الآن، وهو سقوط أصل هذا النظام الملكي والإمبراطوري وغير ذلك من العناوين الجوفاء. فهو نظام فاسد من الجذور. والشعب يقول: يجب أن يزول هذا النظام، فنحن نريد الاستقلال وإدارة شؤون بلدنا بأنفسنا، لا نريد أن نكون خاضعين لإشراف الآخرين، والبلد بلدنا، سيئاً كان أو جيداً، ولا نريد أن يتدخل الآخرون في شؤوننا.

ليس من الصالح أن نتراجع، ولا خطوة، عن هذه المطالب. ولا أن نعمل بما يسميه أولئك السادة بسياسة الخطوة خطوة. أي تكون الخطوة الأولى هي أن نقبل بالملك سلطاناً وليس حاكماً. فهذا ما يطرحه البعض حالياً ويدعون إلى تقديمه كمشروع للحل. فما معنى ذلك؟ إنه يعني القبول بأن يكون هذا الرجل، الذي أجرم بحقنا على مدى قرابة الثلاثين عاماً، وأكثر من خمسين سنة إضافة حكم أبيه. وقتل شبابنا وهتك حرماننا ونهب ثروات بلدنا. أن يكون سلطاناً وسلطان السلاطين، ولكن لا يكون حاكماً. لو قبلنا هذا الطرح فإننا نكون قد دمرنا الإسلام والمسلمين وهذا البلد الإسلامي وإلى الأبد. ونكون بذلك قد ارتكبنا أعظم خيانة بحق وطننا والإسلام.

لو تراجعنا عن هذه المطالب خطوة واحدة قلنا: نكتفي الآن بهذا المقدار لكسروا أرجلنا؟ ولو استقوت هذه الأفعى الجريئة ولسعت إيران لسعة لا تستطيع بعدها أن ترفع رأسها أبداً. فاستيقظوا أيها السادة ولا تتصوروا أننا يمكن أن نعمل بسياسة الخطوة خطوة هذه. فهذا انحراف. وهذا الطرح خاطئ أصلاً. فأقوال من قبيل: ليبقى النظام الملكي الآن مقابل الالتزام بالدستور وإقامة انتخابات حرة، وأمثال ذلك هي من الأقوال التي يسعى الآن الملك بنفسه لإشاعتها. فالزيارات إلى إيران بدأت ولاقت رواجاً الآن بهدف تدمير هذا الشعب. لقد التقى الملك أحدهم على انفراد لمدة ساعتين. ويستعد هذا الشخص للالتقاء بزعماء القوم^(١). ولو استطاع هؤلاء

(١) بعد أن ثبت فشل الحكومة العسكرية عن السيطرة على الأوضاع بالإرهاب، سعى النظام إلى إيجاد حكومة ائتلافية من مؤيدي النظام ومن معارضيه. ولهذا الهدف أجرى النظام اتصالات مع بعض السياسيين ومنهم الدكتور صديقي من أعضاء الجبهة الوطنية، والذي اشترط لقبول منصب رئاسة الوزراء تأسيس مجلس ملكي دون خروج محمد رضا من إيران، وهذا الشرط لم يوافق عليه الملك. وكان كريم سنجابي من زعماء الجبهة الوطنية الذي التقوا بالملك محمد رضا الذي عرض عليه تشكيل حكومة وحدة وطنية. وبعد مشاورات أجراها مع زملائه في الجبهة غادر سنجابي إيران إلى باريس والتقى الإمام الخميني (س) واستفسر عن رأيه بهذا الخصوص. الإمام اعتبر الموافقة على تشكيل مثل هذه الحكومة (في ظل بقاء الملك) مساومة مع النظام تعارض مصالح البلد. فافتتح سنجابي برأي الإمام، وعاد إلى طهران حيث تم اعتقاله عندما كان يزعم الإدلاء بتصريحات للصحفيين حول نتائج لقائه بالإمام الخميني (س). ثم وقع الاختيار على شهابور بختیار، وبعد مباحثات طويلة أجراها معه قرر الملك تكليفه بتشكيل الحكومة الجديدة. كما كان الملك على اتصال مستمر بشأن تشكيل الحكومة الجديدة مع علي أميني، حيث أجرى معه عدة مباحثات بهذا الصدد. كما ورد في نصوص هذه اللقاءات التي نقلتها بالكامل هذه المجموعة.

إيقاف حركتنا لعمدوا إلى تحطيم أقدامنا وأرجلنا، وعندها لن ترى إيران وإلى الأبد وجه الحياة والحرية والاستقلال. لذا فما من خيانة الآن أعظم من إسقاط هذه القبضات الراسخة التي رفعها الشعب للمواجهة، ومن إخماد هذه النار التي تأججت في إيران، فلو أخدمت لما اتقدت ثانية أبدا.

يجب أن تجتمع كافة القوى الآن. فالأخ المحترم مكلف بواجب، الأخ المحترم الآخر مكلف بواجب أيضا، وكذلك حال الآخرين جميعا. وعليّ أنا واجب أيضا. وواجبكم (يخاطب خارج إيران) هو أن تبينوا الحقائق بقدر ما تستطيعون للذين يجهلونهم. فالإعلام المعادي صوّرنا للآخرين بأننا ملالي رجعيون!

في حين أن هؤلاء الملالي إنما يقولون: نحن نريد حقنا.. نريد الحرية والاستقلال.. فهل هذا رجعية؟ إن نهيمهم لأموالنا لم يكن رجعية بل كان تحضرا! ونحن نريد أن نحفظ ثرواتنا فهل نحن رجعيون؟ لستم رجعيون وأنتم تريدون استغلالنا وإبقاءنا في أسركم إلى الأبد، ولكننا رجعيون لأننا نريد التحرر..!

إننا لو تراجعنا عن مطالبنا وأهدافنا فعلينا أن نقبل بالخضوع لسطوة هذا النظام والجور إلى الأبد.

ثمة واجب إلهي يقتضيه الضمير والوجدان والإنصاف، يقع على عاتق كل فرد. وهو دعم الإيرانيين الصامدين بغاية الوسع. فهم يضحون الآن بالأرواح والشبان في سبيلنا وفي سبيل الإسلام والشعب. ونحن أيضا جزء من هذا الشعب فعلينا أن ندعمهم. كل فرد بقدر ما يستطيع.

تستطيعون عقد مؤتمرات صحفية تتحدثون فيها عن مطالبكم. يمكنكم أن تتحدثوا لزملائكم في الجامعات وغيرها. كلما رأيتم مجموعة من الأشخاص توقفوا وتحدثوا لهم عن حقيقة ما يجري في إيران وما يفعلونه فيها من ممارسات ظالمة ضد شعبنا. تحدثوا لهم عن حقيقة مطالبنا وبينوا لهم حقيقة كل هذه الأقوال التي يطلقونها من كون النظام قد أفرط في إعطاء الحرية، ونحن نستغيث من هذه الحرية الزائدة والمكثفة التي أعطاها "صاحب الجلالة"، حسبما يقول السيد "كارتر"! فنحن حسب قوله، نهتف باسم "الحرية" لأننا قد أئخمننا بهذه الحرية الزائدة فلا تعطونا المزيد من الحرية. فهل الحقيقة هي هذه كما يزعم "كارتر"؟!!

نحن جميعا مكلفون ببذل كل ما نستطيع من أجل إنقاذ هذا البلد الإسلامي. والقضية لا تحتل المزاح، فهي قضية إنقاذ شعب كامل. علينا جميعا أن نمد يد الإخوة لبعضنا البعض. وأنتم منتصرون إن شاء الله (الحاضرون: إن شاء الله) إن شاء الله تنتصرون.. نصركم الله جميعا (الحاضرون: آمين).

هوية الخطاب رقم - ٥٥

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٢ ذي الحجة ١٣٩٨هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: فشل الملك في تحقيق أهدافه من الإتيان بحكومة المصالحة والحكومة العسكرية.

المناسبة: مفاوضات الملك مع ساسة الجبهة الوطنية واحتمال تنصيب أحدهم رئيساً للوزراء.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

يبين الإمام الخميني (س) في هذه الخطبة الأساليب التضليلية لحكومة شريف إمامي ومحاولات الملك للتشبث بكل وسيلة سعيًا للنجاة. وهو يدعو الشعب هنا إلى عدم الانخداع بمثل هذه المكائد.

وكما تقدمت الإشارة فإن جعفر شريف إمامي سمي حكومته بعد أن أصبح رئيساً للوزراء، بحكومة المصالحة الوطنية. وأعاد التاريخ الهجري تقويماً رسمياً للبلد بدلاً من التاريخ الملكي، وأعطى الكثير من الوعود للناس منها: أنه أكد خلال مراسم أخذ الثقة من المجلس النيابي بأنه سيقطع أيدي سارقي بيت المال، واشتهرت عنه هذه المقولة: "أنا شريف إمامي: عشرون يوماً لا أكثر".

ولكن لم تمض إلا أيام على حكومته حتى أعلن حالة الحكم العسكري في طهران و ١١ مدينة أخرى، وقتل الأهالي العزل، وهاجمت قوات النظام المدججة بالسلاح عشرات الآلاف من المتظاهرين الذين لم يكونوا قد اطلعوا بعد على نبأ إعلان الحكم العسكري، وذلك في منطقة "ميدان جالة" ميدان الشهداء فيما بعد. وكانت نتيجة الهجوم قتل وجرح الآلاف من الأهالي.. وقد تكرر نفس الأمر في المدن الأخرى حيث صعدت قوات النظام ممارساتها القمعية إلى أعلى درجاتها خلال مواجهتها للأهالي في مسيراتهم وتظاهراتهم المطالبة بالحرية والاستقلال. ولكن رغم ذلك لم تحقق أياً من وعود الملك وحكومة شريف إمامي، ولا تحذيراتهم وتهديداتهم ولا ممارساتهم الإرهابية، نتيجة تذكّر.

في هذه الخطبة يحذّر الإمام الخميني (س) من أن النظام يسعى إلى إخماد نيران الثورة بوسائل جديدة. وفي وقت كانت بيانات الحكم العسكري تعلن منع اجتماع أكثر من ثلاثة أشخاص، كان أبناء الشعب يخرجون في تظاهرات يشارك فيها مئات الآلاف ويجولون في الشوارع وهم يهتفون "لا أثر بعد اليوم للمدافع والدبابات" ساخرين من بيانات الحكم العسكري ومدافعه وتهديداته.

ويبدو أن الحكومة الأميركية قد أدركت آنذاك أن النظام الملكي على حافة الانهيار، فقد ذكرت تقارير وكالات الأنباء الدولية المعروفة يومئذ: "تبدأ مفاوضات صعبة بين إيران وأميركا حول حجم المشتريات التسليحية الإيرانية من أميركا. وتتمحور مفاوضات الوفد الأميركي مع المسؤولين الإيرانيين حول تخفيض هذه

المشتريات بسبب المشكلات الاقتصادية التي يمر بها النظام الملكي وضغوط المعارضين. وقد كشفت مصادر البتتاغون أن إيران اشترت من أميركا ما قيمته ٢٠ مليار دولار من الأسلحة منذ عام ١٩٥٠م إلى الآن، واستوردت في سنة ١٩٧٦ فقط ما قيمته ٥/٨ مليار دولار من مختلف الأسلحة، وهذا الرقم انخفض في العام التالي إلى ٢/٦ مليار دولار".

الإمام الخميني (س) يشير في خطبته إلى عجز الحكومة العسكرية ويقول: "المظاهرات مستمرة في جميع المناطق سواء التي تحكمها الحكومة العسكرية بصورة رسمية أو التي تحكمها بصورة غير رسمية.. وهذا دليل على فشل هذا (الأسلوب أيضا)".

يبين الجنرال عباس قرى باغي في كتابه "اعترافات جنرال" الأوضاع المتأزمة آنذاك في البلد وتخبط زعماء النظام الملكي، فيشير إلى اجتماع عقده رئيس الوزراء والوزراء وقادة الجيش في حضور الملك. ويقول: "قال الفريق أويسي: إن أكثر هذه الاضطرابات والتحركات يثيرها الملاي وهم الذين يديرونها. فاسمحوا يا صاحب الجلالة، بوضع ميزانية كافية تحت تصرف المضحي بنفسه لأجلكم لحل كافة المشكلات خلال ٤٨ ساعة؟

وقال الفريق أزهارى: "لأمر صاحب الجلالة أحد العسكريين أياً رآه صالحاً، بتشكيل الحكومة العسكرية، وأنا فدائيكم ومستعد للخدمة تحت إمرته لإنهاء هذه الاضطرابات وأعمال الشغب وإقرار الأمن والهدوء في البلد بكل اقتدار".

ثم يقول قره باغي في الختام: "ومع الأسف، فلم يحدث أي تغيير في وضع الحكومة، كما لم يتم تنفيذ قرارات الحكم العسكري في الوقت المناسب. وكانت الأيام تنقضي على هذا الحال وبقي الضابط والرتباء والجنود الخاضعون للحاكميات العسكرية، وكذلك عناصر قوى الأمن، حيارى في شوارع طهران والمدن الكبيرة، يتحملون الإهانات المباشرة وغير المباشرة للمعارضين ومثيري الشغب، ويتفرجون على تظاهراتهم وأعمال الشغب التي يمارسونها".

ويتحدث الإمام الخميني (س) مفصلاً في هذه الخطبة عن السبل التي تشبث بها لنظام مواجهة ثورة الشعب كتغيير الوجوه الحاكمة، وتشكيل حكومة المصالحة الوطنية، والاستقالات الخداعة للقادة العسكريين والحزبيين في النظام، وإقامة الحكومة العسكرية. ويبين فشل كافة هذه السبل ويقول: "لقد فشلت الحكومة العسكرية أيضاً.. وادركوا أن القبضة أقوى من الدبابة، وإرادة الشعب غالبية للمدافع".

وفي هذه الخطبة يؤكد الإمام (س) بكل حزم على حتمية رحيل الملك وسقوط النظام الملكي الظالم في إيران. كما يشير إلى المفاوضات التي كانت جارية آنذاك بين الملك وبين الشخصيات السياسية من الجبهة الوطنية ذات الاتجاه القومي، وطرح احتمالات تسلم أحدهم لمنصب رئاسة الوزراء. ويؤكد أن هذه الخطوة فاشلة أيضاً، ويقول: "هذه جميعاً أقوال يرفضها شعبنا".

الخطاب رقم - ٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

النهضة الإسلامية في إيران بلغت ذروتها. وهي الآن تطوي مرحلة الإثمار. والملك يتشبث - ولا زال - بمختلف الوسائل، ومنها الإتيان بحكومة مصالحة، وحكومة المصالحة هذه هي التي قتلت إلى الآن الآلاف من شبابنا وضرّجتهم بالدماء، ونشرت المآثم في كافة أرجاء إيران. وقد أرادوا استغلال الشعب بذلك فشكّلت حكومة المصالحة^(١). قيل: إن التقويم الرسمي هو التقويم القانوني الأول، أي الإسلامي. وتخلوا عن قانون

(١) في أواخر آب سنة ١٩٧٨م حمل نصار مقدم (رئيس منظمة الأمن الملكي "السافاك") رسالة من أحد العلماء (دلت الوثائق فيما بعد أنه سيد كاظم شريعمداري) للملك، وفيها طالب من الملك أن يأمر باتخاذ تغييرات أساسية، من بينها تغيير الحكومة بهدف تهدئة الأوضاع وحفظ النظام الملكي. وبالفعل اختار الملك لرئاسة الوزراء جعفر شريف إمامي، الذي ينحدر من أسرة علمائية، وكان حينئذ رئيساً لمجلس الأعيان. وقد أطلق على الحكومة التي شكلها اسم (حكومة المصالحة الوطنية). وأخذ يقوم ببعض الأعمال ذات الظاهر الإصلاحي بهدف تهدئة الأوضاع، من قبيل: إلغاء القيود المفروضة على نشاطات الأحزاب السياسية/ إرجاع التقويم الرسمي للبلد من التاريخ الملكي إلى التاريخ الهجري/ عزل واعتقال بعض عملاء النظام كـ بعض رؤساء منظمة الأمن والقادة العسكريين أمثال "هجير يزداني" و"نصيري"/ إغلاق الملاهي ومحال لعب القمار العامة التي كان يتولى شريف إمامي بنفسه إدارتها باعتباره رئيس "مؤسسة بهلوي" التي كانت تتولى نشر الملاهي ومراكز الفساد هذه/ تخفيف الرقابة المفروضة على الصحافة/ العمل من أجل إخراج الإمام الخميني من العراق بهدف قطع ارتباطه بإيران. وكان هذا القرار مورد ترحيب الحكومة العراقية بسبب ميول شيعة العراق للإمام. وكان المبدأ الذي سعى شريف إمامي للعمل به هو جذب المعارضين من خلال إعطاء بعض المكاسب، وكان يقول: المكاسب التي تعطى لهم يجب أن تكون بالصورة التي تجعلهم يتصورون أن كافة مطالبهم قد تحققت ولم يبقَ شيء يطالبونه به. لكن هذه السياسة الجديدة قد فشلت أيضاً وانطلق شعار "الموت للملك" مرة أخرى من كافة أرجاء إيران. فاضطر النظام إلى الإتيان بحكومة عسكرية. وعلى أية حال، فاختيار شريف إمامي لرئاسة حكومة المصالحة كان اختياراً دقيقاً ومحسوباً بتأن. فهو من جهة أعلى شخصية ماسونية في إيران وخليفة "ذكاء الملك فروغي"، وهو من جهة أخرى ابن عالم دين يسمى "محمد حسين نظام الإسلام"، ورغم ارتباطه بالأجنحة الإمبريالية إلا أنه لم يكن عضواً في حزبي "إيران الجديدة" و"رستاخيز"، وقد دعم الملك محمد رضا في أزمة سنة ١٩٦٠ فكلّف بتشكيل الحكومة بدلا من الدكتور إقبال، وهو من الذين نهبوا أموالاً ضخمة من ثروات الشعب وأخرجوا مئات الملايين من العملة الصعبة إلى خارج البلد.

المجوس وعن حزب "رستاخيز" أيضا^(١). وقللوا من الصفقات التسليحية^(٢)، وكذلك من عقود الحصول على الطاقة الذرية أو إلغائها^(٣).

وهذه كلها مكائد ينفذونها بهدف إخماد النهضة وإيقاف الطوفان العارم الذي تفجر في إيران وأخذ يدمر كل بنيانهم. وكذلك إخماد الشعلة المتأججة في القلوب.

من المحتمل أن يبدون في أول الأمر بعض الليونة وإيجاد أجواء ما من تلك التي يسمونها أجواء الحريات المفتوحة. فإذا خمدت ألسنة النيران المتصاعدة في إيران، وخف الحماس، وأعطيت لهم مهلة تثبيت أقدامهم، واطمأنوا من عدم ظهور نهضة مماثلة لهذه، عندها سيشتون هجوما شاملا على الشعب يسلب الجميع، وإلى الأبد، القدرة على التنفس، فلا يستثنى الجناح العلمائي ولا السياسي ولا الجامعة ولا السوق.

هذا الوضع الذي ظهر في إيران جرح هذه الأفعى، ونسف كل القناعات التي استقرت في ذهن الملك والقائلة دوماً: أنا الملك، وكل الشعب موالٍ لي، ومحبة الملك قائمة في كل أرجاء إيران، فالجميع خاضعون لحكمي دونما معارض. فلا يمكن وجود معارض. لقد انهارت كل هذه التصورات الوهمية التي روجوها لإقناع الشعب بها. واتضح بعدما انحسر الستار نسبياً، أنها أوهام مرتثة كانوا يعرضونها للناس دون أن تكون لها حقيقة واقعية. لقد احترقت هذه الأوهام الواحدة تلو الأخرى. واحترقت معها الكثير من آمال الملك أو أمانيه. وهو الآن أفعى جريحة، فلو تركوها، وأبدى الشعب بعض الفتور والتهاون لقامت هذه الأفعى الجريحة ولألقت سمها هذه المرة، على كافة فئات الشعب، سماً لا يمهلهم فرصة العلاج.

(١) قال الملك في مقابلة بمناسبة ٢٨ مرداد (آب ١٩٩١): ".. آنذاك قلنا إن هذا الحزب شامل للجميع، فليأتني إليه كل من شاء. ولكننا نرى الآن أن من غير الممكن أن ينضم إليه كل أفراد الشعب مع تنفيذ سياسة الأبواب المفتوحة وإعطاء الحريات الكاملة. فلعل البعض لا يعجبهم الانضمام للحزب لسبب ما أو له أفكار أخرى. ومثل هذا سوف يستطيع - وهو الآن أيضاً يستطيع - أن يقول أو يكتب كل ما يريد طبقاً للقوانين المتحضرة للعالم المتطور".

(٢) بتاريخ ١٩/١٠/١٩٧٨ نشرت صحيفة "اطلاعات" تقريراً حمل عنوان "إلغاء مؤقت لصفقات شراء الأسلحة الضخمة". وقالت فيه: "ذكر أن سبب إلغاء هذه الصفقات هو الاضطرابات والمشكلات الداخلية في إيران، والتي جعلت الملك يقرر تقليل ما يصرف من عائدات النفط على الشؤون العسكري".

(٣) من الإجراءات التي اتخذتها حكومة شريف إمامي للمصالحة الوطنية هي إعادة النظر في الصفقات الضخمة، ومنها عقود شراء التقنية الذرية والأسلحة من الغرب. وجاء في صحيفتي "كيهان" ١٦/١٠/١٩٧٨م و"اطلاعات" ٢٩/١٠/١٩٧٨م: أن "الحكومة الإيرانية عازمة على متابعة بناء محطات توليد الطاقة الذرية ١-٢-٣-٤ في مدينة بوشهر. ولكن المفاوضات بشأن توقيع العقود النهائية لا زالت مؤجلة، على الرغم من أن شركة "كرافت درك بوشهر" الألمانية قد اطلعت وبصورة كتيبة على رغبة إيران في بناء ٤ محطات ذرية. ومن الموارد الأخرى التي يحتمل أن تشملها سياسة التقشف الحكومية هي المباحثات المتعلقة بشراء ٨ محطات ذرية من شركة "ويستنج هاوس إلكترونيك". وفي أواخر شهر أكتوبر ١٩٧٨م زار وفد اقتصادي ألماني طهران، واتفق مع الحكومة على تأجيل شراء ٤ محطات نووية لمدة عام. في حين توقفت المباحثات بشأن الصفقات الأخرى بعد قيام حكومة شريف إمامي باعتقال رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية".

لقد تشبث الملك بكل الوسائل، كالإتيان بحكومة المصالحة الوطنية التي شاهد الجميع أنها كانت تقاتل الشعب أشد من قتال البلدان المتحاربة. ثم ظهرت تلك (المرونة) المزعومة بهيئة حكومة عسكرية خشنه أصيبت هي الأخرى بالهزيمة وبقيت وحدها هي وبياناتها! يعلنون في بيانهم ذي الرقم الكذائي، منه اجتماع أكثر من شخصين في الشوارع. فيجتمع في مقابل مقر نفس هذه الحكومة العسكرية ٥٠٠ ألف، أو ٣٠٠ ألف وأكثر أحيانا، ويتظاهرون في الشوارع ويطلقون ما يشاؤون من الشعارات. فهزموا الحكومة العسكرية أيضا، وبهزيمتها وفشلها ومواجهة القبضات الراسخة للدبابات أدركوا أن القبضة أقوى من الدبابه، وأن إرادة الشعب قاهرة للمدافع والرصاص.

وهؤلاء يائسون من جدوى الانقلاب العسكري أيضا، وإن كانوا يلوحون به^(١). ولكن أليس القائم الآن هو انقلاب عسكري؟ فما الذي يفعله مثل هذا الانقلاب أكثر من المجيء بعسكري يتعامل مع الشعب بخشونة إذا كان طبعه خشنا، وأحيانا لا يكون خشنا جدا. والقائم في كافة أنحاء إيران الآن هو الحكم العسكري، وغاية الأمر أنه رسمي ومعلن في بعضها، غير رسمي في البعض الآخر.

إذاً، مكيدتهم الأولى كانت حكومة المصالحة التي طرح رئيسها نفسه، ومنذ بداية مجيئه، باعتباره رجلا دينيا ومن أسرة علمانية أباً وأماً، وأمثال تلك الأقوال^(٢).

ثم أخذ يقوم ببعض الإجراءات الخادعة بظاھرھا المرن، وقد حذرت الناس منها منذ بداية مجيئها لكي لا ينخدعوا بها، فهي أسوأ من الحكومة العسكرية لأن خطرھا أكبر. فالإنسان يعرف أن الحكومة العسكرية جاءت للتعامل معه بأسنة الحراب فيحذرھا ويتخذ ما يلزم إزاءھا. أما تلك التي تتسلط بالخداع وتريد ضرب الشعب بالمكائد والتضليل فهي تغدر بالناس، ولذلك فإن خطرھا أكبر. وقد بينت هذه الحقائق وبلغتها للشعب بالنحو الذي استطعته، منذ بداية إعلان حكومة المصالحة الوطنية التي فشلت وتحولت في جميع أرجاء إيران إلى حكومة عسكرية معلنة بصورة رسمية في اثني عشرة مدينة إيرانية كبيرة، وهذه أيضا قد فشلت، فالقائم فعلا هو حكومة عسكرية لكنها منهزمة. فالخروج من المنازل ممنوع في الليل حسب أوامرها، وقد قللوا المدة ساعتين

(١) من الحلول التي كان يفكر بها حماة الملك في الشهور الأخيرة من حكمه هو القيام بانقلاب عسكري لمواجهة الثورة الإسلامية والنشاطات الشعبية. وكان هذا الحل يشغل المحافل السياسية في تلك الفترة. ولكن الخطأ الذي ارتكبه الملك في تشكيل حكومة أزماري العسكرية من جهة، والتحذيرات التي وجهها الإمام في الوقت المناسب، وتأكيده على أن "ليس للانقلاب العسكري شيء أكثر مما للحكومة العسكرية" لم يمهلا هذا الحل الفرصة اللازمة لتنفيذه.

(٢) بعد موافقته على تولي منصب رئاسة الحكومة في آب ١٩٧٨م، طرح المهندس شريف إمامي نفسه باعتباره سيدا من ذرية رسول الله (ص)، ومن عائلة علمانية، ومقلداً للسيد شريعتمداري، بهدف استجلاب دعم التيارات الدينية. وقد كتب "برسونز" بهذا الخصوص يقول: "لقد اختار الملك جعفر شريف إمامي، رئيس مجلس الأعيان، والمنحدر من عائلة دينية وصاحب الاتصالات بالعلماء، رئيسا للوزراء خافا لأموزكار". ولكنه كان فاقدا للاتصالات مع العلماء المعارضين للنظام الملكي. وقد نشر شجرة نسبه، واستنادا إليها كتبت صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ٢٧ آب ١٩٧٨م تقول: "إن رئيس وزراء إيران هو من كل جانب من ذرية العلماء، وسليل كبار المفكرين الإسلاميين".

ثم أعادوا وزادوها^(١)، ولكن الأهالي يتجاهلون ذلك ويفتحون محال كسبهم ويجلسون فيها ويتلون القرآن. كما أن المظاهرات مستمرة في كافة المناطق سواء التي تحكمها الحكومة العسكرية بصورة رسمية أو التي تحكمها بصورة غير رسمية. إذاً أيضاً فشلت، وبفشلها فشل أيضاً خيار الانقلاب العسكري أو رئيس وزراء عسكري. فإذا أرادوا ارتكاب حماقة الإتيان بحكومة عسكرية شاملة أو بعسكري لرأس الحكومة بهدف إرعاب الشعب فليعلموا أن الشعب قد أزاح الرعب عن صدره ولم يعد يعبأ بمثل هذه الأقوال. فحتى الأطفال الصغار واجهوا العسكر وهزموهم، رغم أن سلاح هؤلاء هو الحراب والمدافع والدبابة في حين أن سلاح الأهالي هو القبضة والحجارة وأمثالها. إذاً، فقد فشلت وسائل الحكم العسكري وحكومة المصالحة والانقلاب العسكري فلا يمكن التعويل عليها بعد الآن. فالتشبث بها لم ولن يثمر شيئاً مهما أرادوا.

ومن الوسائل الأخرى التي يتشبثون بها هو اختيار بعض الساسة لرئاسة الوزراء من الذين يتميزون مثلاً بدرجة من الشهرة بين الناس أو أنهم لم يكونوا في الحكومات السابقة. وخلال ممارستها للظلم والجور، فقد أدركوا أن الذين تولوا في السابق منصبا في الجهاز الحاكم، وزارة كانت أو عضوية في المجلس النيابي، لن يقبلهم الشعب أبداً. فهم يخطئون عندما يتصورون أن بإمكان هؤلاء أن يخدعوا الشعب مرة أخرى بأن يعلنوا الاستقالة من الوزارة أو المجلس النيابي أو من عضوية حزب "رستاخيز" فالشعب لم يعد يقبل مثل هذه المزاعم.^(٢)

من الممكن أن يتوب أحد الأشخاص توبة حقيقية صادقة ويرجع عن تلك المعاصي التي كان ساقطاً فيها إلى الآن، وعن تلك الخيانات التي ارتكبها. فالخيانة مشتركة بين هؤلاء جميعاً. فمثلاً جميع أعضاء المجلسين يعلمون أنهم لا يمثلون الشعب فهذا لا يخفى على أحد.

ويعلمون أن هذا المجلس النيابي ليس وطنياً، بل تم تشكيله بأمر الملك وبالحراب. ولم تكن آنذاك ثمة حاجة للحراب، بل كان يكفي مجرد صدور الأمر ليس من الملك بل من السفارات التي كان يعدّ قوائم أسماء النواب، كما اعترف الملك بنفسه بذلك حيث قال: في السابق كانوا يجلبون بين فترة وأخرى قائمة بأسماء

(١) بعد إعلان الحكم العسكري في اثنتي عشرة مدينة بتاريخ ١٩٧٨/٩/٨م، ثم وقوع الزلزال في منطقة طبس بعد ثمانية أيام من ذلك والذي أدى إلى خسائر جسيمة. هدأت الأوضاع في إيران فتصور النظام أنه نتيجة لنجاح الحكومة العسكرية. فقرر تقليل عدد ساعات منع التجوال الليلي. ففي البيان الأول حددت ساعات المنع بين الساعة ٩ مساءً إلى الساعة ٥ صباحاً. وبعد ذلك خُفضت الساعات ساعة واحدة، ثم ساعة ثانية، فحددها بين الساعة ١١ مساءً إلى ٥ صباحاً. هكذا كان الحال في طهران، وقد تم إعلان نفس هذه الساعات في المدن الأخرى أيضاً. ولكن بعد ذلك بحدود العشرة أيام. وعندما دخلت النهضة مرحلة اضطرت النظام إلى زيادة ساعات منع التجوال مرة أخرى والمدينة الأولى التي قام فيها بذلك مدينة قم المقدسة حيث أصدر حاكمها العسكري البيان رقم ١٠ الذي حدد ساعات منع التجوال بين الساعة ٩ مساءً إلى ٤:٣٠ صباحاً.

(٢) في تاريخ ١٩٧٨/١١/٥م أعلنت استقالة وزير العلوم والتربية والتعليم أبو الفضل قاضي ومنوهر كنجي، وقبل ذلك يوم أعلن أحمد بني أحمد، وهو عضو في المجلس النيابي، استقالته من عضوية حزب "رستاخيز" تلاه في ذلك بعد أربعة أيام وزير الدولة والعدل منوهر آزمون وباهري إضافة إلى عدد آخر من أعضاء البرلمان، حيث أعلنوا استقالتهم من الحزب المذكور.

النواب الذين كانت تعينهم السفارات^(١). لكن الوضع تغير الآن!! كلا، لا زال الوضع على ما كان عليه، بل أصبح أسوأ من قبل.

جميع النواب يعرفون هذه الحقيقة ودون استثناء. ويعلمون أنهم عندما دخلوا عضوية المجلس النيابي لم يكونوا نوابا حقيقيين. وإن تشكيل هذا المجلس هو نقض للدستور أساسا. ورغم ذلك دخلوه جميعا، وبذلك نقضوا الدستور عن علم. لذا فمن وضع قدمه في هذا المجلس فهو خائن، حتى لو تجاوزنا عما فعلوه، كتغيير التاريخ الإسلامي، وهذه جريمة كبرى وجرة فظيعة على مقام الرسول الأكرم (ص). وبالطبع فإن التجاوز عن ذلك مستحيل، لأن هؤلاء النواب هم الذين صادقوا على هذا التغيير فهم تم بمصادقتهم جميعا. وقد يعتذر أحدهم قائلا: إنني لم أرد أن أصادق عليه أصلا. لكنك رغم ذلك دخلت في مجلس ناقض للدستور أساسا، وهذا بحد ذاته خيانة. ونفس هذه الخطوة، خطوة خيانية. لذا فالشعب لا يقبل بهؤلاء الذين كانوا ضمن هذا الحكم غير القانوني.

وهناك أيضا نقطة أخرى، وهي أن حكم العائلة البهلوية مخالف للدستور من الأساس. فمن كان في عمري أو أقل قليلا يذكر ذلك. والذين لا يتذكرون ولم يعاصروا تلك الأحداث فليسألوا الكبار، ويعلمون أن القضية واضحة ومعروفة، حيث أن رضا خان جاء بانقلاب، ولم يكن هناك من يقدر على التفوه بكلمة واحدة مقابل كلمته. وإذا وجدت آنذاك شخصا - أو شخصين - له القدرة على ذلك، فلم يكن موقفه مؤثرا على أية حال. والمجلس النيابي الذي شكلوه في زمن الملك رضا لتغيير الدستور كان حال، والمجلس النيابي الذي شكلوه في زمن الملك رضا لتغيير الدستور كان مضادا للشعب الذي لم يكن جاهلا بأمر تشكيله بل معارضا له، لكنه لم يكن يتجرأ على إعلان ذلك، كما لم يذهب أي من أفراده للإدلاء بصوته، حيث كان الأهالي مشغولين بأعمالهم لا يتجرأون على التعبير عن آرائهم. إذاً، فالمجلس الذي شكلوه لتغيير الدستور، وإلغاء حكم العائلة القاجارية، وتنصيب العائلة البهلوية محلها، هو مجلس المبعوثين، وأعضاؤه ليسوا نوابا حقيقيين للشعب. وهذا الأمر يعرفه الجميع، ويعرفه حتى رضا خان وهو في قبره الآن، وكذلك ابنه.

كما أن لدى هؤلاء النواب معلومات واسعة، ليس مثلنا نحن عامة الشعب، حيث أن معلوماتنا محدودة، لذا فهم جميعا يعلمون أن السلطنة البهلوية قامت منذ البداية على أساس مخالف للدستور. فإذا كان حكم رضا خان مخالفا للدستور والسلطنة البهلوية مخالفة للدستور. فحكم ابنه مخالف للدستور أيضا لنفس السبب. فالنائب حتى لو جاء تعيينه من قبل الناس فهو غير قانوني لأن الدستور ينص على أن الملك هو الذي يجب أن يأمر بتشكيل المجلس. ونحن ليس لدينا ملك "قانوني" ليأمر بذلك، ولم يكن للشعب ملك!! فهذا الموجود لم يكن ملكا لأن الملك الناقض للدستور ليس ملكا.

(١) يقول الملك محمد رضا في ص ١٥٩ من الطبعة الفارسية من كتابه "مهمة من أجل وطني" ما ترجمته: "... خلال الحرب العالمية الثانية واحتلال الحلفاء لإيران. كانت عناصرهم تهبط قائمة بأسماء المرشحين لعضوية البرلمان ويعطونها لرئيس الوزراء آنذاك، ويضغطون عليه مؤكدا ضرورة انتخاب هؤلاء المرشحين بالذات لعضوية المجلس النيابي".

النواب يعلمون أن هذه السلسلة من الذين يسمّون سلاطيناً جاؤوا خلافاً للدستور، وبالتالي فكل ما يقومون به هو خلاف للدستور. وما أتحدث به الآن هو طبق اصطلاحهم ومنطقهم وطبق الدستور الذي يحترمونه على ما يقولون!! فاستناداً لذلك لم يكن لدينا نواب عن الشعب منذ زمن رضا خان إلى الآن. والناس كانوا غافلين عن ذلك، أو يعلمون ولكن لم يكونوا يستطيعون اختيار نوابهم.

إذاً، فطوال حكم هؤلاء (عائلة بهلوي) كانت السلطنة خلال الدستور، وكذلك حال المجلسين (النواب والأعيان). فنصف أعضاء مجلس الأعيان يجب تعيينهم من قبل الملك، والنصف الثاني يختارهم الشعب. والشعب كان جاهلاً، ولم يكن لدينا ملك "قانوني" لكي ينصب الأعضاء. إذاً، فوجود جميع هؤلاء في وزارات النظام أو المجلس النيابي هو وجود غير قانوني، وكل ما فعلوه في هذه المناصب كان خلافاً للدستور.

إذاً، الوسيلة التي يتشبثون بها هي استبدال إحدى الأدوات والوجوه بأداة أخرى ووجه آخر يتصورون أنه يخلو من هذا العار، أي أنه لم يكن في الجهاز الحاكم إبان حكم الوجوه السابقة. فيذهبون إلى الجامعات ويأتون بأحد أساتذتها، لم يحكم في عهدهم، ولكنه إذا أراد الدخول في الحكم الآن فعمله خلاف الدستور. فمن الذي يدخله وينصبه رئيساً للوزراء؟ وأي مجلس نيابي يصادق على رئاسته للوزراء؟ هذا المجلس مخالف للدستور في أصل تشكيله، وكذلك حال سلطنة الملك الذي يتولى تنصيبه!! إذاً رئاسته للوزراء هي أيضاً غير قانونية ومخالفة للدستور. بل حتى لو تفرضون أنهم ذهبوا إلى السماء وجاؤوا - والعياذ بالله - بجبرائيل الأمين، وهو الطاهر، ولكن يجب أن يعينه الملك الدستوري رئيساً للوزراء ويصادق المجلسان على ذلك! ولكننا نفتقد الملك الدستوري^(١)، فتتأجج حركة المشروطة (الحركة الدستورية) لم يتحقق العمل بها منذ البداية، ولم يلتزم منذ البداية بهذا الدستور الذي وافق عليه جميع هؤلاء.

(١) منذ بدء تدوين الدستور أعطيت صلاحيات واسعة للملك، ومع ذلك أجريت سنة ١٩٤٩م تعديلات على الدستور بهدف توسيع إطار هذه الصلاحيات مرة أخرى. فالمادة ٤٨ من الدستور التي تم إقرارها كأساس للنظام الدستوري في إيران، تنص على أن حل المجلس لا يجوز إلا بموافقة النواب، فتم في سنة ١٩٤٩م تعديلها، وأعطيت للملك صلاحية حل المجلس (النيابي والأعيان) متى شاء. كذلك فإن من الممكن، طبق الدستور الإيراني الذي أرادته حركة المشروطة الدستورية، نقل السلطنة من فرد أو عائلة إلى فرد أو عائلة أخرى بواسطة مجلس المؤسسين بصورة قانونية. ولكن طبق الأصل الملحق المضاف إلى المادة ٤٨ من الدستور، فإن تشكيل مجلس المؤسسين تم بموافقة المجلسين (النيابي والأعيان) وبموافقة الملك. وقد أضيف هذا الأصل الملحق في تعديلات سنة ١٩٤٩م، وهو يضيف أيضاً أن قرارات مجلس المؤسسين لا تحظى بالصيغة القانونية إلا بموافقة الملك عليها. وعليه، فقد أعطت هذه التعديلات كافة حقوق الشعب والمجلسين للملك. وفي سنة ١٩٦١م، أعلن الملك أنه يحق له المصادقة على القوانين في غياب المجلسين. وهذا القول ينقض صراحة كافة أصول الدستور الإيراني. ورغم ذلك فقد أيدته الحكومة الإيرانية آنذاك، ووصفته بأنه "الأمر الملكي". ومنذ ذاك والملك يحكم دون مجلس نيابي. ويمكن القول إن الملك ومنذ سنة ١٩٥٥م كانت له صلاحيات كاملة للتسلط على إيران كحاكم مطلق. وواضح البون الفاصل بين وضع هذا السلطان المستبد وبين وضع الملك الدستوري المقصود.

فأحد بنود الدستور ينص على وجود خمسة من المجتهدين في المجلس للإشراف على عمله لكيلا يشرع أحكاما خلاف أحكام الشرع. ولكن هذا هو حال دستورنا وتتمته. فمنذ بداية إقرار الشعب للدستور (وحالة الحكم المشروط) خدع هؤلاء الشعب. ويريدون الآن أيضا أن يخدعوهم بالإتيان مثلا، بحكومة المصالحة. منذ أقر الشعب حكم المشروطة أدرك هؤلاء الشياطين حقيقة الأمر فخدعوا العلماء وأتباعهم المؤمنين فوافقوا على تنمة الدستور، لكنهم حين العمل لم يلتزموا بتنمة الدستور، ولم يعينوا المجتهدين الخمسة في المجلس، باستثناء الحالة الشكلية التي أوجدها في الدورة الأولى للمجلس ثم انتهت حتى هذه الحالة الشكلية. وطوال هذه الأعوام الخمسين وأكثر لم يسمحوا لأي عالم دين بدخول المجلس للإشراف على عمله، وهذا نقض للدستور.

إذاً، فلو فرضنا أن السيد جبرائيل الأمين نزل إلى الأرض وأراد، تبعا لصاحب الجلالة، أن يصبح رئيسا للوزراء بتنصيب وتعيين من الملك ومصادقة مجلس الشورى ومجلس الأعيان فهو غير قانوني لأنه يعمل خلاف الدستور، وحكومته غير قانونية. وعليه، فلا جدوى لهم من التثبيت بهذه الوسيلة أيضا.

وإضافة لذلك، فلو صرفنا النظر عن هذه العقبة القانونية القائمة، حتى حسب منطقهم، فهل أن التثبيت بمثل هذه المحاولات يمكن أن يُنحي هتافات الشعب؟ وهل أن صرخاته هي ضد الوزير الفلاني؟ إن صرخاته تقول: نحن لا نريد الملك. فهل الجواب عليها بتبديل الوزير (أو رئيس الوزراء والإتيان بآخر)؟؟ فليذهبوا إلى هؤلاء الأجانب ليخبرونهم بما يريده الشعب!! ليذهبوا إلى أوساط الشعب وجماهيره ليعرفوا بما تهتف في الأسواق والمدارس وداخل الجامعات وخارجها وفي المزارع وغيرها!! لينظروا ماذا يريد هذا الشعب بكافة فئاته وفي مختلف أرجاء إيران. ليمروا على أوساط هذا الشعب ليوم وليلة فقط. فإذا لم يسمعو منه مرارا كلمة المطالبة بسقوط الملك والموت له من الطفل الصغير الذي تعلم النطق لتوه ومن الشيخ الكبير، الذي لم يعد يستطيع التحدث إلا بهدوء كما هو حالي. فنحن مستعدون للتراجع عن موقفنا والتوجه نحو شؤون حياتنا!! ولكن الجميع لا يريدون الملك الذي يفترض أن يكون للشعب. فإذا لم يرد الشعب فلا يمكن فرضه عليه بالقوة، وإن كانوا قد فرضوه على الشعب بالقوة ولكن لا فائدة من ذلك (بعد الآن).

إنهم يتشبثون بهذه الوسيلة، ويريدون عزل رئيس الوزراء والإتيان بآخر. افترضوا أنه غاية في الصلاح، وكذلك حال كافة الوزراء الذين يختارهم من الجامعة ومن الشخصية النزيهة، إذا استجابت لهذه المحاولات. ولكن اعتراض أبناء الشعب ليس على الوزراء لكي نقنعه بتقديم رئيس وزراء صالح لهم. فهم يقولون: نحن لا نريد العائلة الملكية الإمبراطورية أصلا، فالنظام الملكي باطل ومنحرف أساسا منذ البداية. وحتى إذا فرضنا أن رفض النظام الإمبراطوري لا يشمل الشعب برمته. فإن من المؤكد أن أحدا لا يستطيع إنكار حقيقة أن أبناء الشعب الإيراني برمته يهتفون برفض العائلة البهلوية. هم يصرخون لا نريد السلسلة البهلوية. والملك يقول: لقد عملت رئيس الوزراء وعينت آخر. وليس هذا جواب ذاك. فليس هذا مطلب الشعب لكي تحل المشكلة به. فلو كان المطلب هو أن وزيرنا سيئ أو نائبنا في المجلس سيئ! فيمكن حينئذ حل المشكلة باستبدالها بآخرين.

ولكن عندما يكون مطلب الشعب شيئا آخر غير هذا. وأنتم تقومون بعمل آخر ولا تحققون ما يطالب به، فمن الطبيعي أن لا تحل الأزمة. وليكون مصير ما تقومون به الفشل الكامل، لأنه ليس فيه كلمة واحدة صحيحة، ولا جدوى من هذا التضليل بمختلف أشكال مكائده. سواء أرادوا جعلها حكومة عسكرية، وقد فعلوا وفشلت. أو أرادوا المجيء بعسكر آخر، ولا يعرف الآن إذا ما كان العسكريون سيحضون الآن بمثل ذلك بعدما شاهدوا فشل عسكري متجبر مثل ذاك التافه. وهم ليسوا أقوى منه وأشد تماديا في الشر. إذًا، فلم تنفعهم لا الحكومة العسكرية ولا الانقلاب العسكري، ولا هذه الخدع ولا حكومة المصالحة.

وهم الآن يسلكون طريقا آخر وهو التشبث بالفتوات^(١). والله يعلم أن من العار على بلد لديه قوات مسلحة ويعمد ملكه أو وزيره إلى التشبث بشرذمة من الأشرار أو من الغجر، في كرمان، أو من أمثالهم الذين استأجروهم في المدن الأخرى. بهدف إقرار النظام والأمن فيها، بعدما يأسوا من قدرة القوى المسلحة على القيام بذلك، أو لا يتجرأون على المزاح بها. فيتشبثون بتلك الشراذم من الفتوات والأشقياء لكي يعيشوا في ظلها. إن من العار علينا أن يحكمنا مثل هذا الملك وذاك الوزير وذلك النائب، فهم يسعون للبقاء على قيد الحياة في ظل عصي الغجر وهراتهم.

هذه الوسيلة لا فائدة منها أيضا. فإذا ظهر دور الهراوات فإن أبناء الشعب هراوات أيضا وقد أخرجوها وواجهوا بها تلك الشراذم وطردوها، رغم أنها كانت محمية من قبل العسكريين، مثلما حدث في مدرسة الفيزية ومدينة قم قبل "انتفاضة خرداد"، حيث هجموا على المدرسة وأحدثوا ذلك التخريب، فقد أتوا بشرذمة منهم للقيام بذلك، وكانت محمية بالشرطة والقوى الأمنية التي كانت تحميها لتكمل أعمالها التخريبية. إذًا، فكلمة "القوى الأمنية" هي أيضا من تلك الكلمات التي أشرت إلى أنها فقدت مضمونها. فقوانا الأمنية أصبحت اليوم قوات "تخريب" تهاجم المدن تحت غطاء تلك الشراذم من حملة الهراوات وتخريبها، كما فعلوا إلى الآن في العديد من المدن. ولكن التشبث بهذه الوسيلة عديم الجدوى أيضا.

كما لا فائدة أيضا من دعايات وإعلام الأميركيين والإنكليز وأمثالهم، فقد عفا عنها الزمن. يقولون في أميركا، وهذا القول مذكور في بعض الكتابات: إن تحركا خفيا بين إنكلترا والإتحاد السوفيتي هو الذي أوجد هذه

(١) في خضم تصاعد أوار الثورة، التقى مراسل صحيفة "التايمز" في أميركا "فرانك جيلز" بالسفير الإيراني في واشنطن آنذاك أردسير زاهدي، الذي سأل المراسل عن رأيه بالإجراءات التي يتخذها الجهاز الحاكم في إطلاق النار على الناس بهذه الصورة؟ فوعده زاهدي بأنه سوف يتقل رأيه للملك. وفي اليوم الذي كان من المقرر أن ينقل زاهدي توصية "جيلز" للملك (١٩٧٨/١٠/٢٩م) غيّر النظام أسلوبه بصورة مفاجئة وأرسل مجموعات من (الأشقياء) وحملّة العصي إلى الميدان بدلا من عناصر القوات العسكرية المسلحة. وفي اليوم التالي هاجم هؤلاء الأوباش الأهالي في مختلف المدن (مثل طهران، وسريل زهاب، ويزد، وستندج، وصومعة سرا وقصر شيرين). كما هاجمت عصابة "سالارجاف" أهالي مدينة باوه... تغيير النظام لأسلوبه في ذاك اليوم بالذات يكشف عن أن الحكومة الأميركية قد أملت على الملك الإيراني سياستها الجديدة قبل ذلك اليوم عن طريق آخر غير طريق سفيره في واشنطن زاهدي.

الاضطرابات^(١). أي أن الإنكليز والروس تحالفوا وقالوا لي: تحدث إليهم، بهذه الأحاديث التي أوجهها إليكم. كما قالوا للكسبة وللعلماء ولكم أنتم الذين ترددون هذه الهتافات. أطلقوا هذه الشعارات، فالإنكليز والروس هم الذين يثيرون هذه الاضطرابات، ويحتمل أن يكون للإنكليز دور في هذا الأمر.

هذا ما يقال في أميركا. أي أنهم يفتعلون تهماً وشتائم لأنفسهم من أجل تحقيق غاياتهم. فيلوئون هذه النهضة بتهمة أنها نهضة إنكلترا والإتحاد السوفيتي. ولا جدوى لهم من هذا الأسلوب أيضاً، لأن حتى أطفالنا يعلمون أيضاً أن كل ما يقوله أولئك كذب وافتراء! فليقولوا ما يشاؤون فأطفالنا وشبابنا وشيوخنا يعلمون جميعاً أن أقوالهم مكر وخداع وافتراءات، والهدف منها إخماد هذه النار التي تأججت في القلوب وقمع هذه النهضة التي زلزلتهم، وستسقطهم إن شاء الله (الحاضرون: إن شاء الله)، ولكن الشعب الآن يعي أهداف مثل هذه الادعاءات، لذا فلا فائدة من التشبث بهذه الوسيلة أيضاً.

وأما التحرك المفيد، مفتاحه بيد "صاحب الجلالة الملكية" نفسه، ولا يستطيع القيام به غيره، وهو أن يقوم ويرحل (يضحك الحاضرون). المفتاح بيده، فإذا أراد تهدئة البلد فليأخذ بيد امرأته وأطفاله ويرحل عن هذا البلد ويتخذ نفسه، فأنا أخشى من وقوع اضطراب يقتلون فيه حتى الأطفال الصغار، وهذا ما لا نرغب فيه. لذا فإني أرى صلاحه في أن يستقل ليلاً طائرة دون ضجيج (يضحك الحاضرون) ويذهب إلى القصور التي أعدها لنفسه بتلك الأموال الضخمة^(٢)، إذا سمح له الشعب بالقيام بذلك!! (يضحك الحاضرون). (وهنا يقول أحد الحاضرين: لن يدعوه أيها السيد. فهم ملزمون بذلك لن يدعوه).

الإمام: سيقبضون عليه هناك أيضاً إن شاء الله (الحاضرون إن شاء الله)، وفقكم الله جميعاً إن شاء الله (الحاضرون آمين)، وستتقدمون إن شاء الله نحو الانتصار. وأنتم منتصرون. أي أنكم إلى الآن منتصرون، حتى دون حاجة إلى رحيله. فقد أنزلتموه من عرشه، وهو الآن خارجه يتشبث بأي شيء وباستمرار، ولا أرغب بذكر

(١) كان الملك يعتقد أن الانتفاضة ليست حركة شعبية بل إنها خطة ينفذها أشخاص معينون. وكان يقول إن ما يجري أكثر من قدرة الخبايا السوفييتية لذا فلا شك أن المخابرات البريطانية والأميركية متحالفة معها أيضاً. وكان الملك يشك بالإنكليز خاصة، ويقول: أنهم حملوا في قلوبهم حقداً عليه منذ قضية تأمين النفط، وقد قاموا بإثارة الشعب ضده لأنه رفض شروطهم لتمديد عقود عمل مجموعة الشركات الأجنبية للنفط في إيران. وفي مقابلة خاصة مع السفير الإيراني في لندن برويز راجي قال الملك لسفيره: "... لا شك أن معظم هذه التحركات تدبرها المخابرات السوفياتية، ويبدو أن من المحتمل أن يكون لأصدقائنا الغربيين أيضاً دور في الاضطرابات الأخيرة".

(٢) ذكروا أن من العسير إعداد إحصائيات دقيقة من أملاك الملك الإيراني وعائلته (من الدرجة الأولى) في خارج إيران. إذ لا يمكن الحصول على قائمة كاملة تضم هذه الممتلكات. ومن نماذج هذه الممتلكات التي لا شك في نسبتها للملك وعائلته: عدة هكتارات من الأراضي في أستراليا/عدة جزر كبيرة في إيطاليا مسجلة باسم زوجة الملك فرح ديبا/أراض شاسعة على سواحل بحيرة جنيف/أربعة قصور فخمة في أرقى مناطق باريس والسويد وقرية سان ماريس/ قصر شتوي في السويد، إضافة إلى جهاز كامل للعبة السكي/ عدة قصور في كاليفورنيا وتكساس وفلوريدا في أميركا.

بعض ما يتشبه به لكنه دائما يتشبه. لقد أنزلتموه من مرتبة "الشمس الآرية"^(١) إلى حضيض التشبه بكل وسيلة وحتى الفتوات. وهذا هو انتصاركم. نصركم الله وأوصلكم إلى النصر النهائي. فلقد عانى هذا الشعب الظلم طوال حياته، وسحقته أقدام الظلمة الأجانب والمضللين، ولا زالت. وفقكم الله ووفقنا جميعا لإنقاذ هذا الشعب بمشيئته تعالى (الحاضرون: آمين).

هوية الخطاب رقم - ٥٦

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو.

الموضوع: الشعب عرف طريق نهضته ولا فائدة من محاولات الملك البائسة للإستمرار في الحكم.

المناسبة: عودة الدكتور علي أميني إلى الميدان السياسي بهدف إنقاذ الملك.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

الوقائع التاريخية عجيبة حقا، وهي تحمل الكثير من الدروس. ففي سنة ١٩٦١م سافر الملك محمد رضا إلى أميركا في فترة رئاسة الدكتور علي أميني للحكومة الإيرانية - وهو العميل الذي كانت تعتمد عليه في أميركا - وأنداك قدّم الملك الكثير من التعهدات من أن لإقناع الرئيس الأميركي السابق "جون كينيدي" بأن يتولى بنفسه الإشراف على مشروع التغيير الأميركي في إيران المسمى بـ"الثورة البيضاء" بدلا من أميني، وكذلك لإقناعه بأن تنفيذ هذا المشروع يحتاج إلى مجيء وجه مثل أسد الله علم لرئاسة الحكومة. وقد نجح في ذلك وتسلم أسد الله علم منصب رئاسة الحكومة.

وعلى الطرف الآخر، فإن معارضة الإمام الخميني وعلماء الإسلام لللائحة المجالس المحلية أدت إلى تحقيق انتصار للشعب، ولكن الذي حدث هو أن انتفاضة الإمام والشعب ضد ثورة الملك البيضاء تعرضت للقمع الوحشي في واقعة ١٥ خرداد المعروفة. ثم أمرت أميركا الملك بأن ينفي الإمام الخميني بتاريخ ١١/٤/١٩٦٤م إلى تركيا ثم إلى العراق، عقابا على معارضته لللائحة (الحصانة القضائية) للأميركيين العاملين في إيران.

وفي مثل هذا اليوم، بتاريخ لإلقاء الخطبة بعد ١٦ عاما من تلك الواقعة، نجد الملك في حالة أشد ضعفا من أي وقت آخر، وهو يتوسل بالدكتور علي أميني. ويطلب منه العون وإيجاد حل لأزمته. يقول "ويليام سوليفان" (السفير الأميركي في طهران آنذاك) في تقرير سرّي أرسله إلى وزارة الخارجية الأميركية: "... طلب مني علي

(١) تعريب للقب "آريامهر" الذي يعني شمس ونور النسل الآري. وقد أعدّه السناتور الأذربيجاني رضا زاده شفق، ووافق عليه الأدباء الإيرانيون، والذي طلب منه أسد الله علم اختيار لقب عظيم للملك الإيراني. وفي سنة ١٩٦٧م صادق مجلس الشورى الوطني الإيراني (النواب) على منح الملك هذا اللقب الذي يكشف بوضوح النزاعات القومية المتعصبة التي كانت مترسخة في النظام الملكي ومعاداته للعقائد الإسلامية.

أميني باحتياط بالغ أن أجتمع به عصر يوم ١١/١٦ في منزل أحد الأصدقاء. وقد بدأ الحديث بتأكيد كلا الجانبين على عدم الرغبة في اللقاء بسبب انتشار الإشاعات التي لا تقوم على أساس في طهران، والتي تصف أميني بأنه دمية أميركية أو جاسوس لوكالة المخابرات المركزية الأميركية. وقد طلب هؤلاء "المجاميع القومية المعارضة" من السفير البريطاني ومني أن نكون ممثلين عنهم في الوساطة. وقد قال أميني إنه يوافق على ذلك ويسعى أن يكون وسيطا، وهو ينوي التحرك في البداية بعدد من الجامعيين ثم يصل إلى ساسة الجبهة الوطنية. وقال: "... إن المفاوضات يجب أن تكون سريعة، وأن تتم قبل شهر محرم. وهو يشعر أن بإمكان المعتدلين من آيات الله تهدئة الشعب إلى ذلك الحين. وإذا لم يتوصل الملك إلى اتفاق مع المعتدلين قبل ذلك التاريخ فإن الخميني يستطيع الاستفادة من فورة أجواء محرم لإيجاد الاضطرابات..."^(١)

وكان أميني قد اعتبر في وقت سابق، وضمن مقابلة أجراها بعد اجتماعه بالملك، طريق الحل يكمن في تشكيل حكومة ائتلافية. وادعى أنه لو التقى الإمام الخميني وحده بما لديه لحلت كافة المشكلات.

في هذه الخطبة التي ألقاها الإمام بتاريخ ١٩٧٨/١١/٤م يشير إلى "أن أحد الحالمين بالوصول لرئاسة الوزراء من محبي الملك. فقد أجرى هو الآخر مقابلة في الآونة الأخيرة...". ثم يشرع بالرد على تصريحات أميني.

ويتطرق إلى زيارة أميني إلى قم^(٢) ولقائه بالسيد شريعتمداري، بعد أن التقى الملك قبل التوجه إلى مدينة قم. ويقول مخاطبا أميني: "... قبل كل شيء أقول لهذا السيد المحب للملك، والذي يصفه الجميع بأنه أميركي الهوى: لأنكم قمتم بزيارة قم بعد أن صعدتم حافظكم وعبرتم بها طهران، ورأيتم تظاهراتها حتما.. وتقول: لقد شاهدت مدينة قم ولا شك بأن سمعكم مفتوح، والله الحمد، وذكاؤكم متوقدا! أفلم تسمعوا ما كان يقوله الأهالي وما الذي يطلبونه...؟؟ انظروا لمطالب الشعب بصغاره وكباره، وأعطوه ما يطلبه، وهو الحرية والاستقلال ثم إسقاط الحكومة البهلوية، وهذا هو صوت شعبنا.. يقول السيد المنتظر للوزارة (يقصد أميني):... يجب معاقبة الذين ظلموا هذا الشعب. وأنا أسأل هذا السيد، من الذي ظلم الشعب؟؟...".

وسعى أميني خلال هذه المقابلة إلى تأييد تصريحات الملك القائلة بأن معارضة الإمام الخميني للنظام ناشئة عن اختلاف شخصي، وناجئة عن قيام النظام بسجن الإمام ونفيه. وهذه المحاولة يتطرق إليها الإمام في خطبته، ويقول: "... نحن لم نعاني أذى - بالنسبة لي شخصيا - لكي تكون معارضتنا لهذا الرجل مدفوعة بهذا الأذى..

(١) وثائق وكر الجاسوسية الأميركية، ج ٢٥، ص ١٦٧، الوثيقة رقم ٤٥.

(٢) لقد سعى الدكتور أميني للالتقاء بآية الله السيد مرتضى بسنديه (شقيق الإمام الخميني ووكيله الشرعي). ولكن الإمام وفور اطلاعه على زيارة أميني إلى مدينة قم اتصل بآية الله السيد مرتضى ونهاه عن أي شكل من أشكال الالتقاء أو التفاوض مع أميني، حتى عبر واسطة ثالثة، وبذلك تم إلغاء اللقاء.

أذاً هو أذى هذا الشعب، وأنا أتألم بعمق عندما تمر في ذهني صورة الآباء الذين قتلت قوات النظام أطفالهم وأبناءهم.. إن الذي لا يتألم لما ينزل بشعبه ليس مسلماً.. هذا الذي يؤذينا وليس أذاً من أنهم سجنونا..".

وفي بداية الخطبة يرد الإمام الخميني على الإشاعات التي روجها آنذاك، وعلى نطاق واسع، عملاء النظام، مشيرين من خلالها قلقاً واسعاً لدى أبناء الشعب، وهي إشاعة توجه مجموعة خاصة للقيام بمهمة اغتيال الإمام الخميني. وضمن رده عليها يؤكد الإمام على أن مثل هذه التهديدات تهديدات صيانية ومحاولات فاشلة مسبقة، ويؤكد أيضاً أن أوار الثورة أقوى من أن يخمد، ووعي الشعب أعمق من أن يؤثر فيه مثل هذه المحاولات البائسة.

وعلى الرغم من التحركات السياسية التي كانت تجري خلف الكواليس، وعلى الرغم من المؤامرات المتنوعة واستبدال الوجوه، فإن شعلة الثورة كانت تزداد تأججاً يوماً بعد آخر. وكانت جامعة طهران قد شهدت قبل أيام من ذلك تظاهر عشرات الآلاف من الطلبة الجامعيين وتلاميذ المدارس. كما تجمعت حشود كثيرة من طلبة المدارس والجامعات المختلفة في هذا التاريخ ١٩٧٨/١١/٤م في باحة جامعة طهران والشوارع المحيطة بها وخرجوا في تظاهرات احتجاجية على سياسات النظام الملكي، بمناسبة ذكرى نفي الإمام إلى تركيا. وقد وصف أحد المراسلين الذي كان في المنطقة ما حدث فيها فقال في تقريره الإخباري: "... وقف الطلبة الجامعيين خلف قضبان سياج الجامعة، وأخذوا يرددون الشعارات الاحتجاجية على قيام قوى النظام الأمنية بإطلاق العيارات النارية على المتظاهرين. فوجهت

قوات النظام أسلحتها مرة أخرى باتجاه المتظاهرين، وأخذت تمطرهم بالرصاص، فسقط فجأة عدد من الطلبة على الأرض وعلت صيحاتهم لشدة إصابتهم، فسارع بقية زملائهم لإخراجهم من هذه المنطقة التي شهدت المزيد من أعمال العنف منذ الساعة الواحدة بعد الظهر، حيث كانت العيارات النارية وقنابل الغازات المسيلة للدموع تطلق في كل لحظة وتسمع أصواتها في أطراف المنطقة. وقد أغلقت قوات النظام شارع الملك رضا (شارع الثورة حالياً) والشوارع المحيطة وتمركزت في المنطقة التي كانت الغازات المسيلة للدموع قد انتشرت في أجوائها، بحيث جعلت تحرك عناصر قوات النظام فضلاً عن غيرهم، أمراً عسيراً.

ومنذ الساعة الثانية بعد الظهر أغلق الطلبة البوابة الجنوبية للجامعة. ووسعوا منطقة تجمعهم في أطراف البوابة الشرقية لمباني الجامعة، وأوقدوا النار في إطارات السيارات والأخشاب بهدف الحد من تأثيرات الغازات المسيلة للدموع، ولمنع اقتحام قوات النظام لمحل تجمع المتظاهرين، وأغلقوا الطريق بسحب مجموعة من السيارات إلى وسط الطريق.

وقد حاصرت قوات عسكرية مدرعة تابعة للحاكمية العسكرية أطراف مباني جامعة طهران كشوارع الملك رضا، وشارع ١٢ آذر (شارع ١٦ آذر حالياً)، وشارع فروردين، وشارع وصال الشيرازي. كما استقرت قوات

النظام وسط ميدان ٢٤ سفند (ميدان الثورة حاليا) وأغلقت طريق الدخول لشارع الملك رضا. في حين كان يشاهد في الشوارع الفرعية أعداد من الشبان وهم يتحركون بسرعة.

كما تمركزت قوات النظام والحرس الملكي على طول شارع تخت جمشيد (شارع الطالقاني حاليا) إلى ميدان كاخ (ميدان فلسطين حاليا)، وقد ارتفعت في أجواء هذه المنطقة أعمدة الدخان الناشئة من حرق إطارات السيارات وسط الشارع. وقد بدت الشوارع المحيطة بمنطقة جامعة طهران وكأنها مدينة منكوبة بالحرب وعلت فيها أصوات شعارات تقول: ".. يعيش الخميني.."، "الموت للملك.."، "أيها الأخ العسكري لماذا تقتل آخاك؟!...".

وبعد إطلاق قوات النظام للبيارات النارية بكثافة اتسع نطاق التظاهرات ليصل إلى ميدان فوزية (ميدان الإمام الحسين حاليا) من جهة الشرق وإلى ميدان محطة القطار من جهة الجنوب. وقد كتبت على اللافتات عبارة تقول: "لقد قدمت الجامعة ٦٥ قتيلًا هذا اليوم...".

ولم تكن أصوات حركة سيارات الإسعاف تنقطع لحظة، فيما اجتمعت أعدادا غفيرة من الأهالي على أبواب المستشفيات في المنطقة المحيطة بالجامعة.^(١)

وقد نشرت الصحف المحلية الصادرة في اليوم التالي إحصائيات عن أعداد الشهداء والجرحى الذين تم نقلهم إلى المستشفيات، ورغم ذلك أعلن مصدر مسؤول في مقر الحاكم العسكري لمدينة طهران أنه لم يقتل أحد في تظاهرات جامعة العاصمة!! في حين قام عدد من العاملين في التلفزيون بمبادرة ذاتية في مساء اليوم التالي وقدموا تقريرا مؤثرا للغاية عن مشاهد التظاهرات والحرب التي شهدتها جامعة طهران في اليوم السابق.

وفي الوقت الذي كانت مختلف المناطق الرئيسية في العاصمة تشهد تظاهرات واسعة وتدوي فيها هتافات "الموت للملك"، أعلن الدكتور علي أميني لمراسل صحيفة "اللوموند" الفرنسية عن أنه: "مستعد - وعلى الرغم من رأي آية الله الخميني - للبدء بتشكيل حكومة وطنية طبق الشروط التي أعلنها". وجاء هذا التصريح بعد إعلان موقف الإمام الخميني (س) الرافض للذين يفاوضون النظام الملكي ويساومونه.

وبالطبع فإن تقييم مواقف ودور الأحزاب والمجاميع والشخصيات السياسية والدينية في إيران، وتحديد الإيجابي منه والسلبي وحجم تأثيرها في وقائع العاملين الذين سبقا انتصار الثورة، أمر لا يسعه المجال المحدود لمقدمات التعريف والهوامش التوضيحية في هذه المجموعة، لكنه أمر مهم للغاية تقع مسؤولية إنجازه على عاتق المؤرخين المخلصين المطالبين بالمبادرة إلى دراسة الوقائع بدقة وموضوعية كاملة وتسجيل الحوادث الصحيحة وبصورة موثقة لما شهدته تلك الحقبة التاريخية الحساسة.

(١) الأرشيف الخيري لهيئة التحرير في صحيفة "كيهان" الفارسي.

وهناك يمكن الاطمئنان من حقيقة واقعية هي أنه ومنذ تفجر انتفاضة علماء وطلبة العلوم الدينية من أتباع الإمام الخميني في مدينة قم المقدسة في ١٩٧٨/١/٩م وإلى حين انتصار الثورة الإسلامية في ١٩٧٩/٢/١١م كان علماء الدين وطلبة علومه الثوريون، وجامعة أساتذة الحوزة العلمية في قم، وممثلو ووكلاء الإمام الخميني في مختلف المدن الإيرانية، وجماعة علماء الدين في طهران والمدن الأخرى، كانوا أوثق المراجع الميمنة لآراء الإمام الخميني - وهو القائد الأوحى للنهضة - والمدافعة عنها، وكما أن المساجد - وهي خنادق الثورة - شكلت في أيام الشعائر الدينية (كشهر رمضان ومحرم، ومناسبات عاشوراء والأربعين وغيرها) محال تجلي وحدة الشعب وأصالة نهضته، كما لا يمكن إنكار حقيقة أكثر السجناء السياسيين الذين تم إطلاق سراحهم؟ استرضاء للجماهير هم علماء الدين وشخصيات من أمثال آية الله الطالقاني وآية الله المنتظري، واهتمام الجماهير بهم كان مشهوداً للغاية.

كما أن من العوامل التي ساهمت في زيادة مشكلات النظام الملكي السياسية في بعض الحالات هي ظاهرة ظهور أحزاب سياسية جديدة وإعادة نشاط الأحزاب القديمة التي كانت قد جمدت نشاطاتها^(١). وإصدارها الأهداف الحزبية والمصالح الخاصة التي كانت تسعى لتحقيقها، وإن كانت المساعي التي كانت تبذلها أميركا آنذاك لإنقاذ النظام الملكي تركزت على إجراء المفاوضات السرية مع قادة عدد من نفس هذه الأحزاب والتيارات السياسية!!

(١) في أعدادها الصادرة بتاريخ ٢٩-٣٠/٩/١٩٧٨م، نشرت صحيفة "اطلاعات" الإيرانية أسماء عدد من المجاميع والأحزاب السياسية المجمدة التي أعادت نشاطاتها السياسية في تلك الفترة أو تلك التي أعلنت عن نفسها للمرة الأولى، حيث تم تأسيسها في تلك الفترة، وهي: الجبهة الوطنية الإيرانية (المهندس حبيبي كريم سنجابي، شاهرور بختيار، داريوش فروهر، رضا شايان، أسد الله مشيري)، حزب الكادحين الإيراني (مظفر بقائي)، حزب وحدة الإيرانيين كافة (محسن بزشكبور)، حزب الإيرانيين (فضل الله صدر)، النهضة الثورية الإيرانية (مقدم مراغشي)، اللجنة الإيرانية للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان (مهدي بازركان، كريم سنجابي، حسن نزيه، يد الله سحابي، لاهيجي..)، نهضة حرية إيران (مهدي بازركان، يد الله سحابي) مجمع النواب (المحامون) (حسن نزيه، متين دفتر، دامغاني بزشكبور، أنواري..)، جمعية الحقوق الإيرانية، إتحاد الكتاب الإيرانيين، جمعية الدفاع عن الدستور (مهدي بيراسته)، الحزب الديمقراطي الإيراني (جواد علاء ميردولو)، جمعية الأحرار الإسلامية، الحزب الإسلامي الإيراني، حزب "راما" الشيوعي، الحزب القومي الآري، تجمع الأحرار الديمقراطيين، الديمقراطيون الشبان، الجبهة الوطنية لحركة الأحرار.

كما نشرت الصحيفة المذكورة أسماء عدد من الشخصيات التي بدأت نشاطات سياسية مستقلة - حسب زعم الصحيفة - وهم: علي أصغر حاج سيد جواد، اللهيار صالح، دكتور صديقي، مهدي آذر، أحمد بني أحمد (وهو نائب في المجلس النيابي للنظام الملكي، وقد أعلن فيما بعد نبأ تأسيس جمعية الإتحاد من أجل الحرية!).

الخطاب رقم - ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مصائبنا كثيرة. كما أن محاولات الملك وأشياعه اليايسة كثيرة أيضا، فقد سلكوا ويسلكون طرقا شتى لقمع الشعب وإخماد حركته، كاللجوء إلى القوة وممارستها، واستخدام العسكر والشرطة وقوى الأمن وغيرها. وقد ثبت بالتجربة عجزها عن قمع صرخة الشعب. كما لجأوا إلى التهديدات متوهمين أن التهديد باغتيال أحد الأشخاص^(١) يمكن أن يكون مؤثرا، وأن شعبنا يستند الآن على شخص واحد. في حين أن حركة الشعب الآن هي حركة ذاتية نابعة من داخله وتتواصل من تفجره الذاتي. لذا لا تستطيع أية قوة إيقافها وهي تتواصل بهذه الصورة التي تلاحظونها، حيث يقف هذا الشعب بملايينه التي تربو على الثلاثين، وفي كافة أرجاء البلد، من قراه النائبة إلى كبريات مدنه والعاصمة والمدن النائبة، ويهتف بإصرار وبكلمة واحدة وبصوت عال: لا نريد هذه السلطنة البهلوية.

وإذا كانت قد ظهرت في السابق أشكال من التحريض ودعوات الشعب للتحرك مثلا فالوضع الآن يختلف لأن الشعب عرف طريقه. فهو ليس بحاجة الآن للبحث عنه مرة أخرى ولا يسعى لذلك. فلا مجال، إذًا، للتوهم بأن وجود بعض الأشخاص أو عدم وجودهم واغتيالهم سيؤثر على تحركه. فقد بذلت جهود مضنية من أجل هداية الشعب إلى طريقه، وقد عرفه الآن، وهو يتحرك فيه باندفاع ذاتي، بمعنى أنه يبادر للإضراب عن العمل ولا ينتظر أن يدعوه لذلك زيد مثلا، أو زعيم هذا الصنف من الكسبة أو هذا العالم الديني أو هذا السياسي. كلا إن أبناء الشعب لا ينتظرون مثل ذلك، بل هم يشخصون أن من الواجب الإضراب اليوم، فترون أن إيران تضرب عن العمل فيه برمتها. المدن الكبيرة تشخص ذلك فتقوم به دون أن يؤثر على الأمر وجود الشخص الفلاني أو عدمه بعد الآن.

إذًا، فهذه تهديدات، أي أن يتوهموا فجأة بأنهم إن اغتالوا زيدا مثلا خمدت هذه النار. كلا فهي إذ لم تزد تاججا فإنها لن تخمد على أية حال. فهذه، إذًا، محاولة صيبانية يائسة لجأوا إليها.

(١) انتشرت آنذاك، وعلى نطاق واسع، إشاعة تمويل النظام الملكي لخطة تهدف إلى اغتيال الإمام الخميني (س). وكانت الشرطة الفرنسية تغلق الشارع المجاور لمنزل الإمام في "نوفل لوشاتو" أثناء إقامة الصلاة أو إلقاء الخطابات. كما كانت تراقب بدقة، على مدى الساعة التحركات في المنطقة، وتفحص بدقة كل رزمة مغلقة. وبعد انتشار هذه الإشاعة تم استبدال العناصر المكلفة بحفظ المنطقة بعناصر جديدة أكثر خبرة وتجربة وأعلى رتبة، كما ازداد عددها أحد عشر ضعفا. وقد قالت العناصر الأمنية الجديدة لأعضاء مكتب الإمام أن الحكومة الفرنسية نقلت تقارير تفيد أن مجموعة من القتلة المأجورين من أتباع إحدى الدول الآسيوية قد استلمت نصف مليار دولار من أجل تنفيذ عملية اغتيال الإمام. وقد سادت حالة غير عادية وبوضوح، في عموم مدينة باريس وأطرافها والمراكز الحساسة ومحال اجتماع الجامعيين الإيرانيين المقيمين هناك.

في الآونة الأخيرة أدركوا أن حكومة المصالحة فشلت في تحقيق مهمتها، حيث أرادت منذ البداية أن تحرف بالخداع والتضليل، مسيرة الشعب وتقتل هذه النهضة، فأطلقت الوعود وقامت ببعض الإجراءات التي لم تكن تعبر عن حقيقة مطالب الشعب، بل كانت أمورا فرعية بالنسبة للمطالب الشعبية. لقد قالت هذه الحكومة:.. أغلقنا مراكز لعب القمار!! في حين أن أبواب الآلاف من أنواع مراكز البغاء والفحشاء مفتوحة، وعلى رأسها مراكز فحشاء جهاز محمد رضا خان، حيث أبوابها مشرعة. ولكن فحشاءها ليس بالمعنى المعروف للبغاء بل بمعنى أسوأ من هذا!! فهي مراكز للظلم والخيانة والجريمة بكل معانيها ومصاديقها. فإذا أغلقت هذه المراكز هدا الشعب بمقدار، بالطبع، وليس بالكامل!! لكنكم أفقستم مراكز القمار! فهل أن كل صرخات الشعب وكل التضحيات التي قدمها هي من أجل إغلاق هذه المراكز؟؟ وهل هذا مطلبه؟ بالطبع هذا من مطالبه، ولكن يجب الذهاب إلى الشوارع لنعرف ما هي مطالبه الأساسية.

في الآونة الأخيرة، وبعد أن اتضحت حقيقة حكومة المصالحة، واتضح أن "المصالحة" تعني الحكومة العسكرية وتثبيت وتسليط مجموعة من الأشرار الفتوات على أرواح الناس ليجلدوهم ويضربوهم بالهراوات ويقيدوهم ويقمعوهم بعد اتضاح هذه الحقيقة، الواضحة لنا منذ البداية، حيث كنا نعلم أن الهدف هو غير المعلن، وأن المراد استغلال الشعب للقضاء على النهضة بأية وسيلة كانت، وهذا ما لم ينجحوا في تحقيقه بعد كل ذلك، وبعد هذه الشهور التي جاءت فيها حكومة المصالحة وخاضت حربها ضد الشعب وانهزمت، لجأوا إلى أسلوب آخر لعل الملك أشار إليه مرارا في أحاديثه حيث يكرر القول: "نحن على أية حال بحاجة لبقاء الدولة، فافرضوا أنني غير صالح، ولكني لو رحلت فلن تبقى الدولة!! ألا تريدون البقاء لدولتكم؟ إذا زلت أنا فستفقدون هذا البلد. سينقلونه إلى مكان آخر، سيبتلع الاتحاد السوفيتي منه قسما، وتبتلع أميركا قسما وإنكلترا قسما آخر من الجهة الأخرى..". هذا هو القول الذي يردده الملك.

وأخيراً انبرى أحد محبي الملك، وهو الذي يحلم برئاسة الوزراء^(١) وقد تفضل بالإدلاء بتصريح قال فيه: لقد عانى الخميني من الأذى، ولذلك فهو يطلق هذه الأقوال. ولكن يوجد أشخاص آخرون عانوا الأذى - أقل أو أكثر - لكنهم عفوا (يضحك الحاضرون). إذا كان فلان محبا لوطنه، وهو كذلك - أجل قالها بهذه الصورة -

(١) يقصد الدكتور أميني، وهو خريج جامعة باريس فرع علم الاقتصاد، وقد تولى مناصب مهمة وهي: رئاسة إحدى المؤسسات الاقتصادية/ معاون رئيس دائرة السيطرة على الترياك/ معاون رئيس دائرة الجمارك ثم رئيسه/ المدير العام لدائرة الاقتصاد في وزارة المالية/ معاون وزير المالية/ نائب في الدورة ١٦ للبرلمان/ وزير الاقتصاد في حكومة منصور الملك وحكومة مصدق. وبعد حوالي ٢٨ مرداد تولى - بتطوع منه - مهمة حل أزمة النفط، ووقع الاتفاقية المشينة التي عرفت باسم "اتفاقية أميني- بيج" بتاريخ ١٩٥٤/١/٢١، ثم أصبح وزيرا للعدل ثم سفيرا لإيران في واشنطن. وبالتالي ولخدماته المهمة التي قدمها لمجموعة الشركات النفطية وأميركا - والتي حصل بسببها أيضا على مبالغ ضخمة - تم تعيينه في أبريل ١٩٦١م رئيسا للوزراء بعد استقالة شريف إمامي، وبقي في هذا المنصب ١٤ شهرا. ويعتبر الدكتور أميني من العناصر الأساسية التي عملت لتقوية النفوذ الأميركي في إيران. وبعد عزله عن منصب رئاسة الوزراء سافر إلى أوروبا وبقي فيها إلى أن تم استدعاؤه عدة مرات للتشاور في الفترة الأخيرة من حكم الملك. وقد قُدم المزيد من التوضيحات عنه في مقدمة هذه الخطبة.

فإن بلدنا في وضع خطير بحكم موقعه الجغرافي، لذا على هذا الشخص الذي يقول "يجب إزالة السلطنة والملوكية" أن يفكر دون هذا المستوى بقليل، فنحن بحاجة على كل حال لبقاء وطننا وبلدنا.^(١)

وهذا نفس كلام الملك، وقد كرره أحد النواب في المجلس^(٢). إذاً، فهو يقول: "نحن بحاجة إلى بقاء الدولة، وحب الوطن يقتضي من المرء الذي تعرض للسجن والنفي والتعذيب والأذى أن يعفو عن ذلك ولا يسمح بسفك دماء الوطن...". فوا مصيبتاه!! الوطن على هاوية الضياع من أيدينا!! ولكن هذا القول يستلزم تنمية وهي أن يقول: "إنني إذا التقيته (الإمام) لبيّنت له.. أن الشعب إذا شاهد عملياً تحقق شيء من مطالبه... ولهدأ بعض الشيء لكنه لم ير شيئاً... وهذه الحكومة جاءت ولم تقدم شيئاً عملياً. إذن ينبغي أن آتي أنا - هذا ما لم يقله ولكنه مما يقتضيه قوله السابق - إلى رئاسة الحكومة لكي أحقق شيئاً عملياً يدركه الناس بأعينهم فيهدأوا، كأن يشاهدوا الحرية.

إذاً، الأمر الذي نبتلي به الآن هو هذه المناورات التي يعج بها الميدان بهذه الصورة. صورة "الحرص على المصلحة" بعدما كانت "المصالحة" صورة المناورة السابقة. وطبق المناورة الجديدة فإن على الإنسان الوطني المحب لوطنه، أو الوطني - حسب قول ذلك - أن يضحي لكي لا يضيع الوطن.

(١) كان الدكتور أميني يأمل بتولي منصب رئاسة الوزراء خلفاً لشريف إمامي. وقد عقد الكثير من المقابلات والمباحثات خلال شهري أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٧٨، ونشرت له صحيفة "كيهان" مقابلة في عددها الصادر بتاريخ ١٦/١٠/١٩٧٨ تحدث فيها عن مختلف القضايا المرتبطة بعودة الإمام الخميني إلى إيران وقال فيها: "من الواجب تهدئته (الإمام)، وتحديد وتوضيح القضايا له، وتهيئة الظروف اللازمة لعودته. فهو ونحن جميعاً عانينا الأذى من الأوضاع الاجتماعية الإيرانية، ونحن جميعاً نتألم من هذه الأوضاع".

(٢) هذه الأقوال كان يطلقها الذين لم يكونوا يتجرأون على الدفاع الصريح عن الملك لكنهم كانوا يؤكدون على ضرورة بقاء سلطته تحت ذريعة الإحساس بالخطر من أعداء إيران والدفاع عن وحدة البلد، فيدافعون بصورة غير مباشرة عن أسيادهم، لأن صرخة المطالبة بالعدالة التي أطلقها الإمام الخميني دوت في أرجاء العالم، والحقائق الواضحة التي أوصلها إلى أسماع شعوب إيران والعالم، وفضحه لفساد حكم الملك وخيائته وجرائمه، سلبت من الجميع القدرة على التمجيد بالملك أو الدفاع عنه بلغة صريحة.

في شهر نوفمبر ١٩٧٨ م، صرح السيناتور أسد الله الموسوي، ممثل محافظة خورستان في مجلس الأعيان، قائلاً: "دون أن نرجع إلى منطق القوة والفساد السابق علينا أن نفكر بإنقاذ إيران، فلا نسمح بانقيادها وزوالها. فعلياً أن نصنع دنيا يكون فيها الإيراني هو وحده المتصرف في شؤون إيران، وفي نفس الوقت تبقى إيران مستقلة آمنة (صحيفة "اطلاعات" ١٣/١٠/١٩٧٩)، وقال ممثل محافظة آذربيجان في مجلس الأعيان: "إن النظام الملكي هو أحد أركان الدستور" (صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٧٩ م). وخاطب علي نظمي ممثل مدينة رضائية الأحزاب المختلفة قائلاً: "يجب منع أشكال الإنحطاط هذه والاهتمام أكثر بحقائق الوضع الإيراني والحفاظ على وحدته، فلا يمكن حفظ إيران بمجرد إطلاق الشعارات. فتعالوا نعرض عن الشعارات، ونلتفت للحقائق الواقعية، ونشكل مجموعات من أجل حفظ إيران (المصدر السابق). وقال السناتور جلالی نائینی: "لنستيقظ أبناء الشعب، فنحن قلقون على استقلال إيران وسيادتها الوطنية. فما من إيراني نبيل يرضى بضياع شبر من الأراضي الإيرانية. وعلى الجميع الاهتمام باستقلالنا وسيادتنا ووجدتنا" (صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٤/١٠/١٩٧٩ م).

ولذلك، فقد تجشم عناء الالتقاء بالملك ثم التوجه إلى قم^(١)، ولا أدري هل رضوا باستقباله أم لا. بعضهم لم يستقبلوه، ولكن لا أدري إن كان هذا الموقف شاملا، وبعد ذهابه إلى قم يتصدى لإنقاذ البلد من هذه الخطة التي طرحها الخميني وعرض بها البلد للخطر!!

فهو، إذن، يريد إنقاذ البلد من خلال اجتماعه بالملك وزيارته لقم التي لم يعرف هل استقبلوه فيها أم لا، وقد ضحى وغيض النظر عن كل شيء من أجل ذلك، يقول: "عندما ذهبت إلى قم رأيت اضطرابها وتظاهراتها وصرخاتها، أدركت بنفسي أن هؤلاء لن يهدأوا ما لم يروا شيئا عمليا منا. وأن تأتي للسلطة حكومة تقدم لهم شيئا عمليا. وهذا القول ومعناه أن يأتي هو للسلطة ويشكل الحكومة لتهدئة هذه الاضطرابات وإعطاء بعض الحرية، والقيام ببعض الأعمال الأخرى. ولا بد أن إغلاق الحانات من ضمنها. ولكن يجب بقاء "صاحب الجلالة" لكي لا يقع البلد فريسة بأيدي الروس والإنكليز! فقدرة صاحب الجلالة هي التي قمعت مطامع الروس والأميركان (يضحك الحاضرون)، وأجلستهم في أماكنهم ومنعتهم من التحرك. فلا يحق لأحد المس بهذه القدرة، ويجب إقناع الناس بضرورة عدم تعرضهم لتدميرها وبترك معارضتها، لأنها هي التي تحفظ إيران. في البداية نقول لهذا السيد "المحب للملك"، الذي يصفه الجميع بأنه أميركي الهوى: إنكم قد قمتم بزيارة قم بعد أن صعدتم حافلتكم وعبرتم طهران ورأيتم تظاهراتها حتما. إذا لم تكونوا قد شاهدتم تظاهرات حسن آباد وعلي آباد^(٢) وغيرها من القرى أيضا. حسنا، تقول لقد شاهدت مدينة قم ولا شك بأن سمعكم مفتوح، والله الحمد، وذكاءكم متوقد!! لكن ألم تسمعوا ما كان يقوله الأهالي وما الذي كانوا يطلبونه هؤلاء الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم وقدموا شبانهم وتلك الأمهات التي دفعت بشبابهن إلى الشوارع، وها هي أصواتهم عالية فماذا تقولون؟؟ لنعرف ما هو ألمها وما هو علاجها؟؟ وما لم يعرف الإنسان موطن الألم فلن يستطيع أن يقدم العلاج؟؟ إن هؤلاء جميعا يقولون: نحن لا نريد هذا الملك.. وأنت تقول أريد تهدئة الناس!.. لكنك تريد القيام بذلك من خلال الإبقاء على هذا الملك!!

(١) المقصود علي أميني. فبعد يوم من اجتماعه بالملك بتاريخ ١٩٧٨/١١/٢م توجه إلى قم للتباحث مع مراجع الدين حول أوضاع البلد. ولم يستطع الالتقاء في قم بأحد سوى السيد شريعتمداري، حيث أطلعه على مباحثاته مع الملك. وصرح السيد شريعتمداري قائلا: "إن علماء الدين الشيعة لا يريدون أن يكونوا مركزا للحكم. كما أن مطالبهم لا تختلف عن مطالب الشعب.. وهي رعاية الشؤون الإسلامية والتنفيذ الكامل للدستور وإجراء الانتخابات بصورة سليمة..". وقال الدكتور أميني جوابا على سؤال مراسل صحيفة "اطلاعات" عن نتائج زيارته لقم واجتماعه بالسيد شريعتمداري: "بعد أن سمعت تصريحاته الدقيقة والبلغة والمثيرة للإعجاب، رأيت من اللازم - باعتباري إيراني حريص على مستقبل البلد واستقلاله وسيادته - أن أذهب لزيارته. وقد وجدت آية الله شريعتمداري، كما هو شأنه على الدوام، واعيا ويقظا تجاه القضايا". كما قال أيضا: "إنني أكن احتراما كبيرا للدكتور سنجابي والمهندس بازرگان، ولا شك أنهما سيكونان في الصف الأول إذا دعت الضرورة إلى تشكيل اتحاد بين قوى الجبهة الوطنية وبين الوطنيين". راجع صحيفة "اطلاعات" تاريخ ١٩٧٨/١١/٤م.

(٢) من القرى الواقعة على الطريق القديم بين قم وطهران.

إن سبب هذه الاضطرابات على ما يصرّح به الشعب حيث يقول: "لقد خاننا الملك فلا نريده.." لكنك تتحدث عن أمرين، الأول: إنني سمعت مطالب الشعب ولا يمكن تهدئته إلا بأن نعطيهم ما يريدون ونقدم لهم شيئاً منها عملياً على الأقل. فلو أردتم القيام بشيء عملي، فقوموا بما من شأنه أن يجعل هذا الشخص (الملك) يذهب لشأنه ويرحل لكي يهدأ الشعب بعض الشيء، بالطبع، وليس بالكامل.

الأمر الثاني الذي يتحدث عنه هو خصوصية الموقع الجغرافي لإيران. وكأنا نفتقد أي اطلاع عنه. ويقول:.. إن وجود هذه الثروات في ظل هذا الموقع الجغرافي الخاص لإيران يجلب لها خطراً عظيماً ولكن وجود الملك يدفع هذا الخطر. إذاً ما يقوله هو أن وجود الملك حصانة من هذا الخطر فلو رحل الملك لا سمح الله - حسب قوله - لسقط البلد فريسة بأيدي القوتين الكبيرتين، وعندها تقع الطامة الكبرى!! لكننا نقول إن الملك هو الذي جعل البلد بين هاتين القوتين!! فواضح أن المقصود ليس قيام الاتحاد السوفيتي بنقل تراب قم إلى أراضيه وقيام أميركا بنقل تراب طهران إلى أراضيتها. وهذا ما يدعّن له ذلك المتحدث أيضاً، وأن المقصود هو أن يتسلّط على البلد!! أفليساً متسلّطين عليه الآن؟؟!

إن الموقع الجغرافي مهم بالنسبة لهما لكنهما يطمعان بأشياء أخرى. ألا يتسلطان على ثروات الشعب وينهبان نفطنا ويعطونا في المقابل أسلحة يقيمون بها قواعد لهم على أراضينا؟؟ أليسا متسلطان علينا وهم ينهبون منا ثروة الغاز؟؟ إن ثروات الشعب تضيق الآن من بين يديه.

أليس التسلط الأميركي هو الذي جاء بالإصلاح الزراعي والثورة البيضاء التي لم تكن لا ثورة الشعب ولا ثورة الملك بل ثورة أميركا التي أريد منها سلب إيران هذا المقدار المتبقي من زراعتها والذي كان يغنيها عن الدول الأخرى؟؟ أليس التسلط الأميركي علينا يعني استيلاء أميركا على ما لدينا من ثروات ومعادن ومصالح أخرى ونهبها؟؟ فهل هم فاقدون للسلطة علينا حتى يحصلون عليها إذا رحل الملك؟؟ وهل سيتسلط هؤلاء على إيران إذا أقيم فيها الحكم الإسلامي الذي ينص قرآنه على حرمة تسلط غير المسلم على المسلم؟؟ أم أن هذا الموقع الجغرافي يقتضي قيام قوة مستقلة ونظام شعبي يستند إلى الشعب وقوته لكي تعجز كلا القوتين عن العدوان عليه؟؟ إذاً فالموقع الجغرافي لوطننا يستلزم وجود قوة حاکمة مقتدرة وليس موجوداً طفيلياً، لتردع كلا هاتين القوتين وتضمن السلام في هذه المنطقة.

في حين أن وضع النظام الذي يحكمنا هو وضع طفيلي، وكذلك حال جيشنا فهو خاضع لحكم أميركا ويدار بالصورة التي تخدمها. وقد انقضّ ٤٥ ألفاً و ٥٠ ألفاً والبعض يقول ٦٠ ألفاً من هؤلاء الخبراء والطفيليين الأميركيين على شعبنا وثروات بلدنا، وصنعوا لأنفسهم كل هذه القواعد العسكرية، وهذا هو احتلال عسكري أميركي لبلدنا. ورغم ذلك يقول هذا السيد:.. إن رحيل الملك يعرض البلد للخطر!! أي خطر أكبر من هذا وقد دمروا زراعتنا واحتلوا أرضنا؟؟ وهل أنت الذي تريد أن تدفع عنا هذا الخطر؟ ألسنت أنت الذي فرضت علينا أميركا خلال رئاستك للحكومة؟

أُلسْتُ أنا الذي بعثت لك تحذيرا من القيام بهذا الأمر لأنه يؤدي إلى تدمير زراعتنا؟ والله يشهد أنني نهيت مبعوثه عن أن يقوموا بهذا الأمر، وقلت: "لا تفعلوا ذلك". فأنت لديك أملاك وتعرف أنهم لا يستطيعون إدارتها وسيؤدي ذلك إلى دمار الزراعة. فأنت الذي دمرت زراعتنا من أجل أميركا^(١) وتريدون الآن إصلاح الأمر لكي لا يتسلطوا علينا^(٢)، فهل نحن مستقلون الآن؟؟ وهل توجد لدينا سلطة

مستقلة صامدة ورادعة للجميع؟ وهل لدينا دولة مستقلة متحضرة؟ وهل أن النساء والرجال فيها متجردون؟؟^(٣). نحن نريد دولة قوية تنبع قدرتها من الشعب وتستلهم منه. فلو كان الجيش مستندا على الشعب

(١) كان النظام الملكي يسعى في إعلامه التضليلي تصوير انتفاضة الشعب والعلماء بقيادة الإمام الخميني سنة ١٩٦٣م بأنها حركة ضد الإصلاح الزراعي، وأنها ثمرة التحالف بين الإقطاعيين والعلماء. في حين أن نهضة الإمام كانت تسعى لمواجهة الأهداف التي أرادت أميركا تحقيقها من "ثورة الملك البيضاء". فالإمام كان يعارض سياسات النظام الملكي وإصلاحه الزراعي المزعوم الذي لم يؤد سوى إلى استيلاء الملك والمربطين به على أفضل الأراضي الخصبة، وتدمير الزراعة الإيرانية. فهو (رضوان الله عليه) لم يعارض أبدا الإصلاح الزراعي الحقيقي الذي يحدد سلطة الإقطاعيين الكبار، بل كان من المعارضين الأشداء للنظام الإقطاعي. وهو يقول في خطبة له بتاريخ ١٩٧٨/١٢/١١م: "لا تصوروا أن الحكومة الإسلامية ستأتي وتُرجع هذه الأملاك التي أخذت من هؤلاء المترفين الكبار (فقط)، بل ستقدمهم فردا فردا للمحاسبة.. وتقول: عليكم أن تدفعوا الضرائب الإسلامية التي حبستموها على مدى سبعين سنة ومئة سنة، أنتم وآباؤكم وأجدادكم. فلو حسبنا هذه الضرائب لوجدناها أكثر من قيمة أملاككم وجواهركم وأموالكم التي في البنوك، وسنأخذها منكم لأنكم مدينون للحكومة، فعندما تؤمم الأملاك فإن ذلك يعني أنها أصبحت للحكومة الإسلامية..".

(٢) الخطاب هنا للدكتور أميني، وهو من العائلات الإقطاعية القديمة المعروفة في شمال إيران، وهو من الساسة المعروفين المنسوبين إلى سلالة العائلة القاجارية، وهو أيضا من الساسة البارزين في عهد النظام الملكي. وقد أصبح وزيرا للمالية في حكومة زاهدي التي جاءت للحكم بعد انقلاب ١٩٥٣/٨/١٩م الأميركي الذي أرجع محمد رضا للحكم بعد حركة مصدق. وفي تلك الفترة وقّع الاتفاقية المشؤومة التي اشتهرت باسم "أميني-بيج" مع مجموعة الشركات النفطية الاحتكارية الدولية. وهي الاتفاقية التي تنقض صراحة مبادئ ومقررات قانون تأميم النفط. ويتضح من رسالة أخيه "أبو القاسم أميني" (الذي كان قبل انقلاب آب ١٩٥٣م وزيرا للبلاط، وقد أطلق تصريحات ضد الملك محمد رضا خلال الفترة القصيرة التي أعقبت انقلاب ١٦ آب ١٩٥٣م الفاشل، إلى انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣م الذي نجح في إرجاع الملك). يتضح أن أخاه علي أميني قد أودع في حسابه الشخصي ما لا يقل عن خمسة ملايين دولار من أول قسط دفعته أميركا للحكومة الإنقلابية. وقد اعتزل المناصب السياسية بعد سقوط حكومة زاهدي ومجيء علاء لرئاسة الحكومة، لكنه عاد للساحة السياسية سنة ١٩٦١م في عهد الضغوط الأميركية لإجراء التغييرات الاجتماعية والإقتصادية في إيران التي سميت فيما بعد بـ "حركة الإصلاح الزراعي". وسعى أميني بتشجيع أميركي إلى إيجاد تغيير في نظام حكم الملكية الأمر الذي أثار قلقا لدى الملك من ازدياد نفوذ أميني. وفي سنة ١٩٦٢م حصل الملك محمد رضا خلال زيارته لأميركا على موافقة "كينيدي" على أن يتولى الملك بنفسه تنفيذ المطالب الأميركية هذه (راجع ص ٥٧ كتاب "المساعي الأخيرة في الأيام الأخيرة" بالفارسية). وعليه يتضح أن البدء بسياسة الإصلاح الزراعي والثورة البيضاء لم يحدث في سنة ١٩٦٣ بل إنه يرجع إلى قبل ذلك بعامين.

(٣) بعد واقعة ١٥ خرداد (١٩٦٣/٦/٥م) استعدت الحكومة الإيرانية لإجراء انتخابات المجلس النيابي. وقد عازمت على منع فوز ممثلي المجاميع المعارضة فيها وإرسال مجموعة من العاملين في خطة "الإصلاح الزراعي" الأميركي وممثلي العمال من عناصر منظمة الأمن لملكي (السافاك) إلى عضوية المجلس النيابي. ولتحقيق هذا الهدف عقدت مؤتمرا تحت عنوان "المتحررون والمتحررات" تولى إدارته حسن علي منصور، وقد عقد هذا المؤتمر بتأييد أميركي ووصفته أميركا بأنه "وفي لمبادئ ثورة الملك والشعب". ومن خلاله أدخلت الحكومة إلى المجلس وجوها جديدة مثل: حسن علي منصور، عباس روستا (وهو خياط ومن أثرياء طهران)، حبيبي (أحد أبطال المصارعة المعروفين في إيران)، مجيد محسني (ممثل سينمائي وإذاعي) وعباس ميرزاني (وهو من أعضاء منظمة "السافاك" وممثل عمال شركة التبغ الإيرانية).

فلا تستطيع تلك القوة ولا هذه أن تفعل شيئا. فهؤلاء يريدون إيجاد حالة تضمن لهم عدم التمرد عليهم وهذا ما لا يمكن ضمانه إذا كانت قوته مستقلة.

أنتم تريدون تسليط هاتين القوتين علينا بمثل هذه الخطط والحيل ولا تريدون أن تريحوا البلد، بل تسعون إلى المزيد من تدميره. نحن الذين نريد إنقاذه من هاتين القوتين، لكنكم تريدون إبقاءه إلى الأبد تحت سلطتهما. أما كيف تسعون لذلك؟؟ تسعون إلى الهدف من خلال الادعاء بأن رحيل صاحب الجلالة يؤدي إلى انهيار الدولة، فيجب أن يبقى لضمان ردع هاتين القوتين!! ولكن صاحب الجلالة هذا وأباه اللذين سلطا علينا القوى الكبرى أيها السيد!!

هذا السيد^(١) يكرر نفس عبارات الملك. يتصور ويقول: "إنه تحمل الأذى! يقصدني أنا، إنه تحمل الأذى وغيره". وهذا نفس قول الملك الذي يقول "إن له غرضا وحسابات شخصية معي يريد تصفيته" هذه نص عبارة الملك. إذًا، فأنت بوق صاحب الجلالة في قوله: نحن نريد بقاء الدولة ولو رحلت أنا لزلت.. وأنت أيضا تقول لو رحل الملك انهيار البلد. أي أنك كررت نفس قوله:.. إن موقع البلد في حالة تجعله في معرض الزوال لو رحلت عنه، حيث سينقض عليه هؤلاء من هذه الجهة، وأولئك من الجهة الأخرى.

وأنت بوق له تكرر هذا القول: إن لفلان - يقصدني أنا - حسابا شخصيا معي يسعى لتصفيته، فقد سجنته ونفيته، وهو يعمل الآن لتصفية الحساب. وهذا الرجل يكرر نفس هذا القول فهو بوق للملك، الذي كنت أتصور أنهم يملون عليه وهو يتحدث بما يملى عليه، وهذا هو الواقع بالفعل، بل وأكثر حيث اتضح لأن ما يملى عليه يكتب، وهو يقرأ وحسب!! (يضحك الحاضرون).

يجب ما حسبه أيها السيد، أنا لم أكن رئيسا للوزراء ولم تكن لي قبة!! فأنا على نفس ما كنت عليه في السابق وقد أتيت إلى هنا ولم أغير. وقد شاهدتم منزلي الذي لا يستطيعون أن تسكنوه. وأنا لا أطلب أكثر منه. بل إنني عندما دخلت السجن، في مقر استراحة الضباط حيث أخذوني إليه في البداية، رأيت أن المكان جيد للغاية وكل شيء فيه معد بحيث أن عوائلنا لم تر مثيله حتى في الحلم. وقد قلت لعناصر قوى الأمن إن هذا المحل أفضل من منزلنا (ضحك الحاضرون).

(١) المقصود هنا هو الدكتور علي أميني، المذكور سابقا، وهو المخاطب في فقرات هذا المقطع من الخطبة والعديد من المقاطع الأخرى.

وكان أفضل حقا. ثم نقلونا إلى محل آخر مشابه لحال منزلنا، بل أفضل منه قليلا^(١). ثم خرجنا فلم تكن فترة السجن من النمط الشاق. أجل ثمة مشقة تدهور العلاقة مع الملك (يضحك الحاضرون) فسجنهم لنا لم يكن بالنسبة لنا، وكان الذين يرافقوننا فيه يتلطفون بنا ويحبوننا. ثم نقلونا إلى حديقة كبيرة وبناية ضخمة لعنا لم نرها ولا في المنام وبقينا فيها^(٢). ثم رجعنا فيما بعد إلى منزلنا وحالنا فيه معلوم!! ونحن لم نعتد كثرة الخروج من المنزل والتجوال لكي يشق علينا البقاء في ساحة المنزل، وحتى عندما نقلونا إلى تركيا فقد كان الوضع أفضل بكثير مما كان عليه الحال في إيران بالنسبة لي من الناحية الشخصية، أي أننا لم نتحمل أذى^(٣). ثم ذهبنا إلى النجف وكان فيها المنزل جيدا أيضا، وقد أتينا إلى هذه المنطقة ومحلنا فيها أفضل من منزلنا، ففيه حديقة وكل شيء.

إذاً، فنحن لم نعان أذى بالنسبة لي شخصيا، لكي تكون معارضتنا لهذا الرجل مدفوعة بهذا الأذى. فأذانا هو أذى الشعب. إنني أتألم بعمق عندما تمر في ذهني صور الآباء الذين قتل أطفالهم وأبناؤهم. والأم التي تشق

(١) في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ١٩٦٣/٦/٥ دخلت قم مجموعة من قوى الأمن الملكي لاعتقال الإمام. وبعد اعتقاله تحركت إلى طهران فورا فوصلتها في الخامسة صباحا، حيث نقلوا الإمام فورا إلى دار استراحة الضباط، فوقعت في نفس اليوم فاجعة ١٥ خرداد الشهيرة. وعند الغروب نقلوا الإمام إلى معسكر قصر عند منطقة تقاطع السجون، بواسطة سيارة صغيرة غطيت نوافذها الزجاجية بستائر سوداء.

(٢) بتاريخ ١٩٦٣/٨/٢ اضطر النظام الملكي، وتحت ضغط مختلف فئات الشعب وخاصة مراجع الدين وعلمائه، إلى إطلاق سراح الإمام ونقله وآية الله بهاء الدين المحلاتي وآية الله القمي إلى منزل في منطقة الداودية في طهران، وهو من أملاك المدعو حاج عباس نجاني (شقيق آية الله القمي)، وكان من المرتبطين بالنظام. وفرضت على الإمام في هذا المنزل مراقبة مشددة. وقد اجتمع الأهالي في أطراف المنزل والشوارع المحيطة به فور سماعهم نبأ نقل الإمام إليه. في حين تمركزت قوات الأمن على طول المسافة بين شارع "ميران الذيم" إلى محل إقامة الإمام. وبعد عدة أيام نقلت منظمة الأمن الملكي الإمام مرة أخرى إلى منزل من أملاك السيد روغني يقع في منطقة قيطرية في طهران، حيث بقي الإمام فيها محاصرا وتحت الإقامة الجبرية حتى إطلاق سراحه وعودته إلى قم بتاريخ ١٩٦٣/٤/٧. وقد نشرت بعد انتصار الثورة الإسلامية وثائق تثبت ارتباط مهدي روغني، ابن صاحب المنزل الذي سجنوا فيه الإمام، بالسفارة الأميركية في طهران. (راجع مجموعة وثائق وكر الجاسوسية الأميركية ذات الأجزاء الستة، ص: ١٤٥-١٤٨-١٤٩-٢٠٢-٢٠٥).

(٣) إقتنى الإمام في بداية وصوله إلى تركيا نسخة من ديوان الشاعر العرفاني جلال الدين الروحي ونسخة من كتاب تعليم اللغة التركية وبدأ يتعلما. وبعد ٣ أيام قام بالتجوال في شوارع المدينة ومراكزها السياحية يرافقه عناصر منظمة الأمن الملكي الإيراني وعناصر الأمن التركي. وبالطبع فهذه الجولة كانت بواسطة حافلة نقل صغيرة، وقد تمت بناء على طلبه. وبعد ٣ أيام أخرى ذهب تحت الحراسة إلى شارع أتاتورك والشاطر القديم من مدينة أنقرة وزار مساجد مدينة اسطنبول القديمة ومتاحفها ومرقد الأربعين من علماء المسلمين الأتراك الذي قتلوا بأمر من أتاتورك. ومن أجل إضعاف روحه المعنوية فرض عناصر "السافاك" على الإمام ارتداء المعطف والقبعة الغربية. فارتدى المعطف، لكنه رفض ارتداء القبعة. بتاريخ ١٩٦٤/١١/١٢ وبعد ٨ أيام من نفيه إلى تركيا فشل عناصر منظمة الأمن "السافاك" من التقاء المراسلين الصحفيين بالإمام في أنقرة، لذا نقلوه إلى مدينة بورسا التركية على بعد ٤٦٠ كلم غربي أنقرة وبالقرب من بحر "مرمره" حيث أسكنوه في منزل جنوب المدينة. وبعد ٣ أشهر التحق به نجله الأكبر السيد مصطفى. فسأله الإمام بهدف معرفة أكان لجأ إلى الطلب من النظام الملكي لزيارته: هل جئت بنفسك أم أتوا بك بالقوة؟ فأجاب بل جاؤوا بي بالقوة. وينقل السيد مصطفى أن الطعام الذي كان يقدم للإمام سيئ الطعم للغاية، لكنه لم يكن يرفضه. وبقي الإمام في تركيا ١١ شهرا، ألف خلالها كتابه الفقهي المعروف "تحرير الوسيلة". ثم تم نقله إلى العراق بتاريخ ١٩٦٥/١٠/٥م.

جيبها في مقابل الشرطة وتطلب منهم أن يقتلوا بعدما قتلوا ابنها الشاب. أجل فهذه المصائب النازلة بشعبنا هي التي تؤذيني بشدة وليس ما مر بي شخصيا، فهذا كان مريحا للغاية.

إن الذي لا يتألم لما ينزل بشعبه ليس مسلما، ولا أستطيع أن أصف من يريد بقاء هذا الرجل (الملك) بأنه مسلم. بل ولا نعتبر الذي يصفاح المجرم إنسانا أصلا حتى لو كان مسلما في الظاهر. فهو ليس إنسانا، وبالتالي لا يمكن أن يكون مسلما. هذا ما يؤذينا وليس أذانا من أنهم سجنونا. كلا إن أذانا أيها السيد هو أنهم نشروا بالمناشير أرجل علماء الدين^(١). أحرقوهم بالزيت. إن أذانا من سجن علمائنا منذ عشر سنين وخمسة عشر عاما وثمان أو سبع سنين. لقد ظل والد هذا السيد (إشارة إلى أحد الحاضرين) عدة أعوام في السجن. هذا الذي يؤذينا. وقد خرجوا الآن من السجون. أجل فهم يقولون: "لقد أطلقنا سراح السجناء السياسيين"، أو "عفونا عنهم"، حسبما يقولون. ولكن هل انتهى الأمر؟ إن من هؤلاء السجناء، وهو عالم جليل^(٢)، بقي في السجن عشر سنين يكابد الأذى، وقد ضربوه على وجهه حتى أحدثوا عيبا في سمعه. وقد خرج الآن من السجن. فهل عليه أن يشكر الملك ويدعو لبقائه؟ هذا محال أيها السيد. محال إسكات الشعب بهذه الأقوال. فلا رئيس الوزراء الفعلي يستطيع أن يفعل شيئا ولا منتظر الوزارة^(٣). ولا العسكر ولا الحكومة العسكرية ولا أية قوة أخرى. فلن تستطيعوا إسكات الشعب، فهذا محال. تعرفوا على ما يريده الشعب واعطوه ما يطلبه، بصغاره وكباره، وهو الحرية والاستقلال، ثم إسقاط الحكومة البهلوية. هذا هو صوت شعبنا بكافة فئاته في داخل البلد وخارجه. فحققوا هذه المطالب لكي يرضى الشعب عنكم ويهدأ.

لكنكم تريدون حفظ المجرم الأصلي. هم يحرقون آذربيجان ثم يعتقلون محافظها مواساة لأهلها. يقول هذا السيد المنتظر للوزارة!! يجب معاقبة الذين ظلموا هذا الشعب. وأنا أسأل هذا السيد من الذي ظلم الشعب؟؟ تعال نبحث لمعرفة الجواب. هل المحافظ قتل الأهالي دون إذن؟؟ وهل فعل الشرطي أو حاكم الولاية ذلك دون إذن؟ وهل يأمر قائد القوات بذلك دون إذن الملك؟؟ لا يمكن لمثل هذه الأمور أن تقع دون إذن الملك. وهذا غير ممكن في النظام العسكري فهو "كبير العسكر"^(٤). وإذا لم يأذن لا يقع القتل. فعاقبوه لنقبّل أيديكم! بسم الله، عاقبوه! فتطبق أحكام الشرع. جزاؤه السجن المؤبد حتى إذا لم يقتل بنفسه أحدا، وهذا هو الحكم الشرعي بحق الذي يأمر بالقتل، والذي يجب تطبيقه في الحكومة الإسلامية ويقال إنه مجرم "قتل" بيديه أيضا، فإذا ثبت فعله القصاص.

(١) يقصد العالم المجاهد آية الله الشهيد حسين الغفاري الذي أنزلوا عليه أشكالا من التعذيب الشديد حتى استشهد.

(٢) المقصود آية الله المنتظري.

(٣) يقصد الدكتور علي أميني المخاطب في الكثير من فقرات الخطبة.

(٤) ترجمة مصطلح بالفارسية كان يخاطب به الملك، ويقصد به القائد الأعلى للقوات المسلحة.

عاقبوا المجرم الذي يعتبر مصدر كل الجرائم، وينسب الشعب إليه كافة الجرائم، وهو علة علل مصائبنا. عاقبوه لكي يهدأ الشعب بعض الشيء. كما يجب بعد ذلك تحقيق الاستقلال الذي لا يمكن للشعب أن يقرّ دون تحقيقه.

لقد قاموا بكل هذه المحاولات المخادعة منذ البداية وإلى الآن من أجل إجهاض هذه النهضة الإسلامية المنطلقة من كافة فئات الشعب. أو من أجل تطويقها. ولجأوا إلى العسكر وإلى الأكراد والبر وغيرها، وإلى مكيدة حكومة المصالحة ففشلوا. ثم ادعاء أن الوطن اليوم في خطر... فأنقذوه من الخطر بالإبقاء على الملك... في حين أن كافة الأخطار تنبع من عمل هذا الرجل، فكيف نحفظ وجوده لكي ندفع تلك الأخطار؟

أيها السادة، عليكم بالتكاتف فيما بينكم جميعا والتخلي عن الخلافات في الداخل والخارج. أعرضوا عن الشعارات غير الإسلامية. والتفوا جميعا حول شعار إسلامي موحد. لقد اتصلوا هاتفيا من إيران كما سجل ذلك السادة، وذكروا أن الطلبة الجامعيين أعلنوا إزالة كافة الخلافات بين التيارات الجامعية وشكلوا جبهة موحدة. أسأل الله أن يحفظهم جميعا إن شاء الله. وعليكم جميعا أن تكونوا جبهة واحدة. فلو سلك كل منكم أحد السبل المتفرقة فاعلموا أنكم ستبقون إلى الأبد مسحوقين تحت أقدام الأجانب والأذئاب المحليين. وستحاسبكم الأجيال القادمة. فإذا لم تستفيدوا اليوم من هذه النهضة القائمة فستبقون إلى الأبد تحت أقدام أولئك الأجانب والطغاة المحليين. فعليكم كافة أن تدعموها وأن تعرضوا - أنتم المقيمون هنا وأولئك الموجودون هناك - عن خلافاتكم الداخلية. وأن تبنوا لكتاب الصحف والمجلات والجامعيين والأساتذة حقيقة ما يجري في إيران، فقد شوهوها (الأعداء). وعليكم تدارك الأمر وتبيان الحقائق. وهذه هي الخدمة التي يمكنكم تقديمها لهذا الشعب.

عليكم أن تتركوا كافة الخلافات وتتضامنوا بقلب موحد مع الشعب في داخل إيران. وتعلنوا مطالبكم، وهي المطالب التي يصدق بها عامة أبناء الشعب، ويجب على الجميع في الجامعات والمعاهد العلمية توحيد كلمتهم والإلتفاف حول شعار موحد، هو الشعار التوحيدي الإسلامي، فهو القادر على إنقاذكم. أما الآخرون فهم عاجزون عن إنقاذكم، بل إنهم يجرونكم إلى الفخاخ وفقكم الله وأيدكم جميعا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هوية الخطاب رقم - ٥٧

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٤ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الإسلام باعث الحياة الحقّة في المجتمعات الإنسانية.

المناسبة: نشر إحدى الصحف السوفيتية لمقال معاد للإسلام.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

تفجرت الثورة الإسلامية في إيران والعالم يحكمه نظام القطبية الثنائية والمتأثر إلى درجة كبيرة، في قضاياها السياسية والاجتماعية، بالفكر الراسمالي الغربي أو الشرقي الشيوعي. فقد كانت الحركات المعارضة في البلدان الخاضعة للنفوذ الأميركي، تديرها الأحزاب اليسارية المرتبطة بالقطب الشيوعي الحاكم على جزء واسع من العالم آنذاك والمؤثر في قسم كبير من الميادين السياسية. وبالمقابل كانت النظريات السياسية الغربية وتدخلاتها، خاصة الأميركية، تفعل فعلها في إيجاد التغييرات السياسية الفوقية، وتحجيم الضغوط الشعبية، والسيطرة على الأوضاع، بما يخدم المصالح الغربية.

ولكن من المميزات البارزة والفريدة التي تميز ظاهرة الثورة الإسلامية في العصر الحاضر عن كل ما سواها هو استقلالها الكامل في أصل ظهورها وفي استمرارها وفي أساليبها الجهادية، وكذلك في أهدافها. وأفضل شاهد على صدق هذه الحقيقة هو التوافق الذي لا سابقة له بين القطبين الدوليين في عدائهما للثورة الإسلامية. ففي ٥ حزيران ١٩٦٣ قامت أميركا بقمع دموي، بواسطة النظام الملكي التابع لها، لانتفاضة الإمام الخميني (س). فكان موقف الروس وزعماء المعسكر الشرقي والأحزاب اليسارية مؤيدا لهذا القمع، ومتضامنا مع موقف النظام الملكي الإيراني كما أعربت عن ذلك مقالات الصحف السوفيتية كـ"البرافدا"، وتصريحات الزعماء الشيوعيين في تلك الأيام. حيث كانت تفسر انتفاضة خرداد المعروفة بأنها حركة إقطاعية تستهدف عرقلة الإصلاحات الاجتماعية التقدمية للثورة البيضاء التي أعلنها الملك الإيراني. ولذلك كانت تدين تلك الانتفاضة الشعبية.

وعلى الرغم من وجود أصلب العناصر وأشدّها معاداة للإمبريالية في حركة الثورة الإسلامية، لم تقدم الشيوعية الدولية ولا الأحزاب اليسارية أي دعم لانتفاضة ١٥ خرداد، وهذا الأمر يعبر في الحقيقة عن إحدى أبرز النقاط الإيجابية للثورة الإسلامية. واستمر التوافق بين القطبين الدوليين وبدرجة أشد وأكثر غرابة، في التعامل مع الظاهرة الإسلامية خلال عامي ١٩٧٧-١٩٧٨ اللذين شهدا عودة تأجج الانتفاضة الإسلامية وبلوغها مراتب متقدمة للغاية. فاستنادا إلى اعترافات السفير الأميركي آنذاك في طهران وكذلك الجنرال حسين فردوست، وهو من العناصر المؤثرة للغاية في النظام الملكي، وسائر أركان النظام، وكذلك استنادا إلى وثائق

وكر الجاسوسية (السفارة الأميركية في طهران)، فإن الأميركيين كانوا المخططين الأساسيين لمواقف النظام الملكي وجرائمه، وقد بقي قادة الدول الغربية يسعون إلى آخر لحظة للحيلولة دون سقوط النظام الملكي متحدثين توجهات الرأي العام العالمي. وقد تقدمت في مقدمات الخطب السابقة نماذج عديدة من الأدلة الوثائقية على هذه الحقيقة.

ولكن وفي نفس الوقت وعلى الرغم من هذا التبنى الغربي والشرقي لجرائم الملك الإيراني، قام قائد الصين الشيوعية "هاوكونغ" بتجديد معاهدة الصداقة مع الملك محمد رضا تزامنا مع المجزرة البشعة التي ارتكبها الأخير في ميدان جاله (الشهداء حاليا) في العاصمة طهران في يوم الجمعة السوداء ١٩٧٨/٩/٨م كما كان زعماء الكريملين يعربون عن رغبتهم في توسيع العلاقات مع النظام الملكي إلى الأيام الأخيرة من عمره، كما يتضح ذلك من خلال برقيات تهانيمهم للملك واجتماعاته المتكررة مع مسؤولي نظامه.

ويعتبر نشر الصحف السوفيتية لمقال "الإسلام أفيون الشعوب" نموذجا كاشفا لطبيعة هذا الموقف الروسي، المتزامن مع تلك الأيام التي شهدت أوسع موقف ثوري موحد للشعب الإيراني تحت راية الإسلام، حيث قام الشعب بأكمله بإسقاط أشد الأنظمة في العالم تبعية لأميركا الإمبريالية. والهدف من نشر هذه المقالات هو إعطاء أميركا والغرب ضوء أخضر بشأن عدم معارضة الشيوعية الدولية لقمع النهضة الإسلامية. فهي تعتبر الإسلام نقیضا لأسسها الفكرية، وهي تدعم أي مسعى لهدم آثار الثقافة الدينية. وقد أدى التحجر الفكري الذي ساد عقلية قادة الكريملين في العقود الأخيرة إلى جعلهم يطبقون التحليلات النظرية لمؤسس الاتحاد السوفيتي (لينين)، وكذلك النظريات الماركسية الجافة، الخاصة بظروف ثورة أكتوبر الشيوعية، على كافة المجتمعات والشعوب الأخرى وفي مختلف الظروف. وهذا الأمر أدى بهم إلى ارتكاب أخطاء تاريخية فظيعة والسقوط في هزائم متتابة أدت إلى انهيار أركان ومظاهر الشيوعية وحاكميتها المعادية للدين.

وفي الوقت الذي انتفضت فيه إيران برمتها ضد النظام الملكي الفاسد، نشرت صحيفة "البرافدا"، الناطقة رسميا باسم الحزب الشيوعي السوفيتي، مقالا أشادت فيه بما اسمته إصلاحات الملك الإيراني، وأدانت تحركات الزعماء الدينيين الإيرانيين وقالت: "إن آية الله الخميني لا يستطيع، دون أدنى شك، أن يعول على أدنى دعم سوفيتي له في حركته المعارضة الحالية".^(١)

الإمام الخميني (س) يرد في هذه الخطبة على المقال المذكور، مستندا إلى آيات القرآن وسنة النبي (ص) وأهل بيته (ع) والشواهد التاريخية الكثيرة. فلا يدحض ادعاء المقال بأن الإسلام أفيون الشعوب وحسب، بل يثبت أن الإسلام اسمى منهج يلبي كافة احتياجات الإنسان الفردية والاجتماعية. فهو الذي أحيا المجتمع الذي قتله الجاهلية في الحجاز ودافع عن المحرومين والحفاة، وانتشر في مدة قصيرة، هزم خلالها الإمبراطوريتين

(١) راجع صحيفة "اطلاعات" الإيرانية الصادرة بتاريخ ١٩٧٨/١١/٤م.

الرئيسيتين في ذاك العصر، الساسانية الإيرانية والرومية، وحارب السلطويين والمترفين المتجبرين. في حين كان قاداته الأكثر شعبية ومواساة لعامة الشعب، وهم في ذروة قوتهم واتساع حكمهم، حيث كانوا يعيشون بمستوى عامة الناس بل ودونهم، ويشاركون المحرومين في حياتهم البسيطة المتواضعة، وهذا نمط تاريخي عجز العالم المدعي للديموقراطية عن تقديم نموذج يماثله.

الخطاب رقم - ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة أخرى ظهر اليوم في الصحف السوفيتية كما ترجموها لي، عنوان يقول... الدين أفيون الشعوب. ونحن عندما ننظر إلى النظام بحد ذاته، نجده تارة ملكيا أو جمهوريا، وتارة أخرى حكما إسلاميا. مرة ندرس صلب الإسلام لنرى حقيقته وهل هو أفيون يدعو الناس إلى الخدر والنوم والكسل؟ من الواجب القيام بدراسة للإسلام نفسه ولدستوره الأساسي، الذي يمثل القرآن أنقى مصادره. فلا ينبغي للذين يصغون إلى الصحف والأبواق الأجنبية أن يصدقوا بأمر ما دونما تحقيق ودليل برهاني، فهذا مما ترفضه الفطرة الإنسانية التي لا تصدق بأي أمور فورا دون برهان. لذا ينبغي للمرء إذا نقلوا له موضوعا ما أن يطلب أولاً الدليل البين على ما يقولون.

إنهم يقولون "الإسلام أفيون المجتمع"، وهذه مقولة قديمة وليست جديدة وأهدافها أساسية عزل هذا الشعب الإسلامي عن القرآن وعن دينه. ولذلك تكثفت دعاياتهم المروجة لهذه المقولة التي يروجونها تارة بصيغة "الإسلام أفيون الشعوب"، وهذا ما قرأته اليوم أو بالأمس، وأخرى بصيغة "الدين أفيون الشعوب". وهنا ينبغي للمرء أن يعرف أولاً: ما هو أساس هذه المقولة التي يروجونها؟ ولماذا يجعلها صحفيي سوفيتي عنوانا بارزا في صحيفته. وما هو هدفه من الكتابة عنها وهو في ذلك الجانب من الدنيا؟ إن الهدف الأساسي هو أنهم يريدون استغلالكم واستغلال بلدكم ونهب كل ما فيه، ولذلك فهم يسعون لإزالة كل ما يتصورونه عقبة بوجه نهبهم لكي يستطيعوا القيام بكل ما يشاؤون بحرية.

وأحد هذه العقبات المحتملة كامنة في الإسلام نفسه أو الدين. وهؤلاء لم يطلقوا أقوالهم تلك عبثا، بل إنهم درسوا القرآن والإسلام، وأدركوا أن القرآن كتاب يؤدي تمسك المسلمين به إلى دحر أي قوم يسعى إلى التسلط على المسلم. فالقرآن الكريم يؤكد أن الله (تبارك وتعالى) لا يسمح أبدا لغير المسلم بالتسلط على المسلم. ولا ينبغي أن يحدث أصلا مثل هذا، ولا تفتح للكافر باباً لذلك أبدا: ﴿لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾^(١)، فلا ينبغي أن يكون للمشركين وهذه القوى الفاسدة سبيلا على المسلمين.

(١) سورة النساء: الآية ١٤١.

أجل لقد درسوا القرآن والمتون الإسلامية وادّكروا أن اطلاع المسلمين عليها وتمسكهم بها يعني نهاية نهبهم والقضاء على تسلطهم على المسلمين. إذًا، فما الذي يجب القيام به للإبقاء على تسلطهم ونهبهم؟ المطلوب هو عزل هذه الأمة عن الإسلام. وهو الأصل وباقي الأديان مقدمة. فعندما وجد الأوروبيون طريقا إلى بلدان الشرق ووجدوها لقمة دسمة. درسوا سبل حصولهم عليها فتوصلوا إلى تلك المقولة، وإطلاقها على سائر الأديان هو مقدمة لتطبيقها على الإسلام، وإلا فإن الأديان الأخرى لا تعنيهم كثيرا، بل المراد هو التمهيد لتشويه صورة الإسلام في أعين المسلمين لإبعادهم عنه. فسعوا إلى الإيحاء لهم بأن الإسلام دين جائر لتخدير المجتمع لكي يتمكن الأقوياء من نهبه. هذا هو منطقهم وما هو بمنطق بل ادعاء ودعايات يسعون عبر ترويجها لعزلكم عن الإسلام.

هل ينبغي لنا ولشبابنا التسليم والقبول بهذه المقولة لمجرد أنها منشورة في صحيفة أو كتاب أو مجلة؟! إن من يقبل بمثل ذلك منحرف عن الفطرة الإسلامية والإنسانية التي تطلب لكل فكرة غير واضحة دليلا، فلا تقبلها على علاتها. ولذا علينا أن ندرس المصادر الإسلامية: القرآن والسنة، وأن نعرف هل أن القرآن يدعو الجماهير للنوم لكي ينهبهم الأقوياء المتجبرون والسلاطين ويتسلطون عليهم. أم أنه على النقيض من ذلك؟ الجواب لا يحتاج إلى التعمق في القرآن بل تكفي نظرة عابرة له وتلاوته لرؤية كثرة ما فيه من آيات تتحدث عن الحرب، وآدابها، والتحريض عليها، والأمر بها، وإلزام المسلمين بالتحرك للقتال، وتحديد من يجب مجاهدتهم وهم المشركون. ومعرفة ذلك لا يحتاج إلى دقة وعلم واسع بل تكفي النظرة السطحية.

حروب النبي (ص) بدأت في الحجاز عندما كان النبي الأكرم (ص) في المدينة مع عدد قليل من الأفراد الذين كان قد أعدهم وبنى شخصياتهم منذ كان في مكة. فما كان يريد هو تربية الناس. لكن المشركين أصحاب المال والثروة، صدوه عن القيام بذلك ولم يدعوه يقوم بنشر دعوته في مكة التي بقي فيها سنين عديدة كالسجين، فمكة كانت له مثل السجن طوال بقائه فيها مثلما هو حال إيران اليوم بالنسبة إلى شعبها، ولا أقصد المقارنة هنا. وعندما يأس من مكة أو رأى أن المدينة أفضل لعلمه وأقام علاقات سرية مع أهلها، وأعدوا الأمر لذهابه إليها، رحل (ص) إليها حيث لم تمر فترة طويلة على انتقاله إلى المدينة حتى بدأت العمليات الحربية وبدعوة من القرآن وهو مصدر الإسلام ودستوره، وخاض حروبا كثيرة، فصد من كانت حروبه؟

هؤلاء يقولون: "إن الإسلام أفيون الشعوب". ويقصدون أنه جاء لكي يخدر جماهير الطبقة الثالثة الفقراء، وبالتالي لكي ينهبهم الأقوياء ويستولون على مصالحهم وثرواتهم. وأكثر من ذلك هم يقولون: إن الأقوياء هم الذين أوجدوا الأديان أساسا لكي تدعو الجماهير إلى عدم إزعاج الأقوياء والصمت، وعدم الاحتجاج على ما ينزلونه بهم من أذى، وبالتالي لكي يتمكن الأقوياء من استغلال واستعباد الضعفاء والفقراء. ولكن ننظر هل أن هذا القول يصدق على الحروب التي خاضها الرسول الأعظم (س)، وهي من صلب الإسلام بلا نقاش، ويتحدث عنها القرآن. فهل حديثه هو لتخدير الضعفاء والفقراء؟ وهل تحالف النبي الأكرم (ص) مع الأقوياء وهاجم الضعفاء، أم على العكس؟

إن كل من يطلع، ولو على ظواهر التاريخ، يلاحظ أن طائفة من الفقراء الذين لم يكن لهم أي مأوى التفوا حول النبي وكانوا يقيمون في صفة المسجد حتى سمّوا "أصحاب الصفة"^(١). وحيث كان عدد من أصحاب النبي يبيتون في هذا المكان من المسجد لشدة فقرهم. وكانوا كما هو مدون في التاريخ يتقاسمون التمرة الواحدة بينهم في بعض الحروب، فهي مؤونتهم فيها! إذاً فالذين التفوا حول النبي الأكرم (ص) هم الفقراء المعدمون والمساكين، وهؤلاء هم الذين فتحوا الحجاز في عهد الرسول (ص) بفضل تعاليم القرآن الكريم.

لم يستطع النبي الأكرم (ص) البقاء في مكة وهجرها في الليل مهاجراً إلى المدينة بعد أن كان قد أقام علاقات مع أهلها لأنه لم يستطع إنجاز شيء في مكة. والذين تجمعوا حوله كانوا الفقراء وليسوا الأغنياء. فكيف تحالف مع الأغنياء لإسكات الفقراء؟ جميع الحروب التي خاضها كانت ضد مشركي العرب، وكانوا طغاة وأقوياء ومحاربين. لكن تعاليم الإسلام والقوة المعنوية التي وهبها لتلك المجموعة القليلة من المسلمين، وتربيته الخاصة لهم جعلت أحدهم يقتل مئة. فتعاليم الإسلام تصنع الإنسان الذي لا يهرب شيئاً في مواجهة القوى الطاغوتية، ويجعل ثلاثين منهم يعلنون استعدادهم لمواجهة ستين ألفاً هم طليعة جيش الروم، وهذا الموقف شهدته العصر الإسلامي بعد العهد النبوي، وحيث لم يقنعوا بقدرة هذا العدد القليل على إلحاق الهزيمة بستين ألفاً، فلماذا أصروا عليه قبل بأن يأخذ معه ستين شخصاً أغار بهم ليلاً على أولئك الستين ألفاً من الروم وقتلهم وهزمهم وهؤلاء هم من الفقراء.

كما ينبغي أن نلاحظ هل أن القرآن، وهو مصدر الإسلام الأساسي، والإسلام نفسه دون أية حواشي، وبنصوصه الأصلية التي لم تمسها أيدي التحريف من أية جهة. هل كان يدعو الناس إلى الخضوع للأغنياء والسكوت على ما يرتكبه الأغنياء والأقوياء من سرقات وتجاوز على ثرواتهم؟ وهل كان يمنيهم بالجنة ثمناً لهذا السكوت؟ أم أن القرآن هو الذي تحرك وفتح الحجاز وهزم الطواغيت بهؤلاء المعدمين والفقراء الذين لم يكن لكثير منهم مأوى فيضطرون للمبيت في صفة المسجد، أرض بلا سقف، متقاربين فيما بينهم ولم يكن لديهم ما يقتاتون عليه إلا القليل، الذي يعطونه من هنا وهناك أو يحصلون عليه، والذين كانوا يتقاسمون التمرة الواحدة بينهم؟! فهل من يفعل هذا مخدر أم أنك أنت الذي تريد تخدير الآخرين بمثل هذه الادعاءات؟ فالذين يصفون الإسلام بأنه مخدر يريدون إغراق المسلمين في نوم الغفلة وإبعادهم عن دينهم ليتمكنوا من نهب ثرواتهم. إذاً المخدر هو نفس الادعاء بأن الإسلام أفيون الشعوب وليس الإسلام هو المخدر. حيث أن إطلاق مثل هذه الادعاءات يهدف إلى استغلال الناس وتخديرهم. وهذا هو الأفيون الحقيقي وليس الدين الذي جاء به النبي الأكرم (ص) وفتح في عهده الحجاز بمجموعة قليلة العدد من الفقراء فنشر القسط والعدل في جميع ربوعها.

(١) الصفة: محل يقع إلى جوار مسجد قباء أقامه النبي الأكرم (ص) للفقراء من أنصاره وجماعة من المسلمين الذين تركوا أموالهم في مكة وهاجروا مع الرسول إلى المدينة ليسكنوا فيه. ولذلك نسبوا إلى هذا المكان حيث أطلق عليهم اسم "أصحاب الصفة". وبعد قيام النبي الأكرم (ص) بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أشرك الأنصار عدداً من أصحاب الصفة في أموالهم.

هذا ما كان في عهد النبي الأكرم (ص). أما بعده، وحيث ازدادت قوتهم، فقد هزموا خلال القرن الأول من التاريخ الإسلامي، بل خلال الثلاثين أو الخمس والثلاثين عاما الأولى منه، الإمبراطوريتين الكبيرتين آنذاك الرومية والفارسية، وفتحوا إيران وبلاد الروم^(١)، فهل جاء الإسلام والحال هذه ليدعو الناس للخضوع لكسرى أو سلطان الروم وطاعتهما؟ أم أنه حارب هاتين الإمبراطوريتين وهزمهما لمنعهما من استغلال الفقراء وبهدف نشر العدل في العالم. ورغم هذا يأتي ذاك الدعيّ ليكتب في الصحيفة، وفي ظل هذه الأوضاع^(٢)، أن الإسلام مخدّر!! وبالطبع فالأمر يرجع في الأغلب إلى تلك الحالات من الغفلة^(٣) التي شهدتها التاريخ الإسلامي. أما الآن فإن شعبنا وشبابنا مطلعون على القرآن ومعارفه، إن كان البعض منهم مع الأسف يصدقون ما يسمعون بسرعة دون تحقيق^(٤) ويتبعونه، في حين أن على المرء، إذا سمع شيئا بشأن منهج معين، أن يدرس الأمر أولا لمعرفة صحة ما سمع وصحة ما كتبه - مثلا - هذا الدعيّ عن الإسلام.

حيث أن الإسلام هو الذي أعطى تلك المجموعة المحدودة من الفقراء، الطبقة الثالثة من المجتمع، القوة على مجاهدة الإمبراطوريات الكبرى، فهزموا الإمبراطورية الرومية والإيرانية بآلاف معدودة منهم^(٥). وفي وقت كان الفرس يزينون خيولهم بالذهب وأمثاله جاء هؤلاء الحفاة الحاسرو الرؤوس تتناوب كل مجموعة منهم على جمل واحد أو حصان واحد لأنهم كانوا يفتقدون المقدار الكافي من الخيل والجمال والمؤن المناسبة. لكنهم كانوا مقتدرين، فقد أعطتهم تعاليم الإسلام الأصيلة تلك القوة الفائقة!! وقد أعطاهم ذلك الذي جسّد حقيقة الإسلام تلك القوة التي جعلت من أولئك المعدمين الذين كانوا يتخطفهم الناس بالأمس، يحملون سيوفهم اليوم ويهزمون هاتين الإمبراطوريتين.

وفي ذلك الزمن كانت هاتان الإمبراطوريتان تتسلطان على العالم ولم يكن يوجد غيرهما. فكيف هزمهما عدد قليل من العرب المعدمين والصعاليك الذين كانت جيوشهم تفتقد العدد الكافي من السيوف والدروع

(١) فتح المسلمون بلاد الشام سنة ١٩ للهجرة، كما فتحوا إيران سنة ٢١ للهجرة حيث سمي "فتح الفتوح".

(٢) يشير إلى العهد الذي كانت فيه الثورة الإسلامية تصدر استنادا لتعاليم الإسلام، ميادين الجهاد ضد النظام الملكي وأميركا. ففي خضم هذه الثورة الإسلامية نشرت الصحافة السوفياتية مقالا تحت عنوان "الدين أفيون الشعوب".

(٣) إشارة إلى سكوت العلماء والناس في الحوادث المؤلمة التي شهدتها المجتمعات الإسلامية، والإعراض عن ساحات الجهاد. ثم يشير إلى يقظة الشعب الإيراني.

(٤) يشير إلى الشباب المخدوعين بالإعلام الشيوعي التضليلي، الذين اعتبروا الدين من عوامل التخلف دون أن يتأملوا في أحكامه التقدمية الحية.

(٥) لم يصل عدد عساكر المسلمين في معركة نهاوند الـ ١٢ ألفا في حين كان عدد عساكر الإيرانيين ١٥٠ ألفا مدججين بأفضل أنواع التجهيزات العسكرية في ذلك الزمان. أما جنود المسلمين فلا يمكن مقارنة تسليحهم بما عليه حال عدوهم. فلم يكن جند الإسلام يملكون سوى عدد محدود من السيوف القديمة والرماح القصيرة.

وسائر المعدات الضرورية؟ لقد تحرك هؤلاء بأيدي خالية لكنهم كانوا يتمتعون بقوة معنوية عالية هي التي وهبها الإسلام لهم. فلم يكونوا مثلنا ضعاف النفوس والقلوب؟ تحركوا بتلك العدة القليلة والقوة الإلهية والدعامة التي وفرها الإسلام ودعوته لهم. وهزموا تلك الإمبراطوريتين العظيمتين وفتحوا أراضيها حيث فتحت إيران وبلاد الروم قبل مضي ثلاثين سنة على ظهور الإسلام وامتدت دولة الإسلام إلى ذاك الجانب من أفريقيا وإلى إسبانيا. ولكن المسلمين أنفسهم أظهروا فيما بعد عدم لياقة وكفاءة فتراجعوا، وهذه قضية أخرى.

إذًا، فنحن عندما ندرس مصادر الإسلام الأصلية لا نجد فيها أي تأييد لدعوى أنه جاء لتسليط السلاطين والأقوياء على الفقراء وعلى الضعفاء. لنلاحظ كيف هي معيشة الذين كانوا يدعون إلى الإسلام؟ مثلًا نفس النبي الأكرم (ص) وبعده الخلفاء الأوائل - الذين كانوا على نحو آخر - ثم الإمام علي (سلام الله عليه). فهل كانت حياتهم تشبه حياة ملالي البلاط؟ وهل كان للنبي بلاط أم أنه حارب البلاطات ودمرها؟ وهل كان أمير المؤمنين من أصحاب البلاطات أم أنه جاهد سلطة كانت تستر بالإسلام مثل سلطة معاوية؟ وقتاله (سلام الله عليه) لهذه السلطة هو حجتنا الشرعية على جواز ومشروعية، بل وجوب هذا الجهاد الذي يخوضه المسلمون ضد هذه السلطة الفاسدة (النظام الملكي). كما أن حجتنا الشرعية على مشروعية ذلك تستند أيضًا إلى عمل سيد الشهداء (الإمام الحسين "عليه السلام") حيث أجهدا (الإمام وابنه سيد الشهداء) هذين الرجلين اللذين تسلطا على الشامات^(١)، فلماذا حارباهما وجهزا الجيوش لقتالهما؟ ألم يكونا من المسلمين؟ قد يقول الآن قائل: إن هذا الرجل قد طبع القرآن فهو مسلم!!^(٢)، لكن حجتنا الشرعية على مواصلة الجهاد ضده، وعلى كوننا نرى أنه من الجدير تقديم مئات الآلاف منا قتل في سبيل دفع ظلمه وقطع أيديه عن التسلط على هذا البلد الإسلامي.

حجتنا في ذلك هو عمل الإمام علي وسيد الشهداء (ع). فيزيد أيضًا كان سلطويا وسلطانا بكل خصوصيات السلطنة، فهو خليفة معاوية. فبأي حجة شرعية تمرد سيد الشهداء (ع) على سلطان عصره أو (ظل الله)^(٣).

(١) المقصود معاوية وابنه يزيد. والشامات تشمل أقطار سوريا ولبنان وأجزاء من الأردن وفلسطين، وهي الأقطار التي ظهرت في القرون الأخيرة.

(٢) كان الملك يقوم ببعض الأعمال المرائية لخداع الشعب، كحج بيت الله الحرام وزيارة مرقد الأئمة (ع)، والالتقاء بالشخصيات الدينية والتباحث معهم، وإقامة مجالس العزاء الحسيني باسم البلاط، وتقوية البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون وأمثال ذلك.. وقضية طبع القرآن الكريم هي من هذه النماذج، ومنها أيضًا إعمار مرقد الأئمة والأولياء.

(٣) احتجاج الإمام على هذا الموضوع يكشف عمق مظلوميته في الحوزات العلمية. فعلى الرغم من أن قيادته الربانية جعلت كافة فئات الشعب تشارك في النهضة، وعلى الرغم من أن الحكومة الملكية الفاسدة كانت تعيش أيامها الأخيرة، إلا أن الإمام كان مضطرا للإجابة على شبهات وإشكالات ذوي الظاهر المقدس والمتحجرين الذين كانوا يعتبرون الملك "ظل الله" ويطلبون من الإمام الخميني (س) حجة شرعية على مشروعية جهاده ضد النظام الملكي. ومن هنا ندرك الأوضاع الصعبة التي عاناها الإمام في انتفاضة خرداد (١٩٦٣/٧/٥م) وما قبلها. وهو نفسه يتحدث عن جانب منها في بيانه الذي وجهه إلى علماء الإسلام ومراجعته في الفترة الأخيرة من حياته المباركة (١٤ رجب ١٤٠٩هـ-ق) حيث يقول: "في بداية نشاطات الجهاد الإسلامي، إذا أردت أن تقول إن الملك خائن لأجابوك فوراً إنه من الشيعة.. والمواجهة في انتفاضة خرداد (١٤٣٢هـ-ش/١٩٦٣م) لم تكن مع رصاص البنادق والمدافع الرشاشة. فهذه كانت مواجهة يسيرة بل كانت إلى جانبها ما يطلق من الجبهة الداخلية من رصاصات المكيدة والتظاهر بالقدسية والتجبر واللمزة والتعريض والنفاق والتي كانت أشد تأثيراً آلاف المرات، من البارود والرصاص في تمزيق الكبد والروح وإحراقهما..".

وحيث "ينبغي عدم التعرض للسلطان"؟؟ وبأي حجة واجه سلطان عصره الذي كان يتشهد الشهادتين ويقول: أنا خليفة رسول الله!! الجواب هو لأنه كان حاكما غير شرعي^(١) ولأنه كان يريد استغلال الأمة ونهبها والاستئثار بثرواتها لنفسه وأتباعه. ولكن هل هذا الذي حجته أكثر أم الذي ينهبه هذا (الملك محمد رضا)!! يجب إجراء حساب بهذا الصدد.

هذا هو حال رجال صدر الإسلام، الذين استقوى الإسلام وانتشر على أيديهم. فالنبي الأكرم (ص) نفسه حارب الأقوياء والمتسلطين، كما حارب الذين تلوه في الصدر الأول للإسلام من السلاطين والمتسلطين. كما حارب الإمام علي (ع) المتسلطين. فمتى كان هذا الدين أفيونا؟ ومتى كان هؤلاء أصحاب بلاطات؟

يقولون: نحن نريد دولة ديمقراطية! فانتبهوا ولاحظوا الإسلام.. ومرادنا صدر الإسلام ومصادره الأصلية، هل كانت حكومته ديمقراطية أم أنه كان نظاما متجبرا استبداديا؟ قدموا نماذج من الدول الديمقراطية من الدرجة الأولى تشابه ما ينقله التاريخ من روايات عن الحكم الإسلامي، وبعدها قولوا: إن هذه أفضل من ذاك. الروايات بهذا الخصوص كثيرة. لكنني أنقل منها نماذج أحدها عن رسول الله (ص) والأخرى عن أمير المؤمنين (ع) وأخرى عن عمر. فعندما أراد عمر الذهاب إلى مصر^(٢)، بعد فتحها وتعظيم قوة الإسلام الذي انتشر في كل مكان، كان لديه بعير واحد يتناوب ركوبه مع أحد مرافقيه. فأحدهما يركبه والآخر يأخذ بزمامه ويقوده، فإذا تعب ركبه ونزل الآخر وأخذ بزمامه ليقوده وهكذا. وعندما دخل مصر كانت نوبة ركوب البعير لمرافقه الغلام، حسب ما يروي التاريخ، فكان السيد الخليفة يقود البعير وغلامه مستقر عليه، واستقبله أهل مصر على هذه الحالة. هكذا كان الخليفة.

عندنا مآخذ على عمر، ولكن هذا العمل كان إسلاميا. بمعنى أن هذا هو تأثير الإسلام، وإن كنا لا نرتضي صاحب العمل. ولكنه عمل أنتجه تأثير الإسلام. إذ أن هذا كان سلوك نبي الإسلام الذي كان يركب الحمار ويردف خلفه شخصا آخر يشرح له أحكام الإسلام ويعلمه. فآتونا بنموذج واحد من هذه الديمقراطيات كافة يشابه هذه النماذج حيث يتعامل سلطان زمانه الذي كانت رقعة سلطنته تربو بعدة أضعاف على رقعة إيران أو فرنسا، آتونا بسلطان ديمقراطي يتعامل مع خادمه على هذا النحو فيتناوب معه ركوب البعير دون أية أبهة!! انظروا كيف يدخل أي سلطان "ديمقراطي" تأتونا به دولة مهزومة، ثم قارنوا ذلك مع من يدخل بلدا مفتوحا وهو يمشي وييده زمام البعير الذي استقر عليه غلامه، الذي كان يتناوب ركوبه مع الخليفة!! فجاء أشرف مصر وعظموه جميعا. وهذا كان تأثير تعاليم الإسلام.

(١) يشير إلى فقدانه المؤهلات التي يوجب الإسلام توفرها في الحاكم.

(٢) فتحت مصر سنة ١٩ للهجرة على يد عمرو بن العاص. وكان فتحها نصرا كبيرا للمسلمين الذين فتحوا طريقهم عبرها إلى شمال أفريقيا. راجع كتاب "تاريخ الإسلام - دراسة وتحليل" للدكتور جعفر شهيدى، ص ١٠٩ (بالفارسية).

والنبي الأكرم (ص) نفسه كان يجلس بين أصحابه ويعلمهم ويحدثهم ويبين الأحكام لهم ويقضي بينهم ويقوم بينهم بكافة مهامه وهو على هيئة بسيطة، بحيث إذا دخل الغريب لم يعرف أي الجالسين هو النبي، فلا يميز بين الحاكم والرعية. فلم يكن لديه حتى هذا المقعد^(١) الذي أعدتموه لي. حيث كان يجلس على الأرض وعليها يتناول طعامه. وأي طعام بسيط هو؟ تتصورون أنهم كانوا يعدون له طعاما ومائدة متنوعة؟ كلا.. كيف كان أدام الإمام علي (ع) الذي كان يحكم دولة أكبر من إيران بأضعاف مضاعفة؟ كان طعامه قطعة من خبز الشعير يضعها في جراب ويختم عليها لكي لا تصب عليها ابنته مثلاً شيئاً من الزيت يربطها قليلاً شفقة عليه!! أجل هذا الخبز اليابس هو طعام "الإمبراطور" الذي كان يحكم دولة كبرى أكبر بكثير من إيران، وهكذا كان سلوكه.

أنقل هنا روايتين بهذا الصدد نقلتهما سابقاً أكثر من مرة. الأولى عن رسول الله (ص) حيث صعد المنبر في أيامه الأخيرة وخطب في الناس قائلاً: "فمن كان له قبلي تبعة أو مظلمة فليقتص مني.." ولم يكن لأحد عليه حق. فقام رجل وذكر أن قضيب ناقة الرسول أصاب بطنه في المعركة الفلانية. فقال له "قم واقتص مني حتى ترضى.." فذكر الرجل أن بطنه كانت عارية، وطلب من الرسول أن يكشف عن بطنه ففعل، فقبلها الرجل وكان هدفه من قوله هذا هو تقبيلها.^(٢)

أي ديمقراطي، وأي سلطان عادل أو رئيس جمهورية عادل، يقوم بمثل هذا العمل؟! أيهم يعطي أحداً من رعيته حق القصاص إذا كان قد ضربه، ويصعد المنبر وهو يومئذ كان حكمه، بهذا المعنى المتعارف الآن لحاكمية الدول، يشمل الحجاز والعراق وإيران والكثير من الولايات الأخرى. في هذه الفترة رفع عربي يهودي شكوى ضد أمير المؤمنين (ع) لدى القاضي الذي نصبه بنفسه، بشأن درع لدى أمير المؤمنين (ع) إذ ادعى اليهودي أنه له - لا أتذكر تفاصيل القصة لكنني أعرف أصلها - فاستدعى القاضي الأمير (ع) الذي نصبه للقضاء، فذهب إليه وجلس بين يديه، بل وعلمه - ظاهراً في نفس الموقف - بعض آداب القضاء - كما نهاه عن أن ييدي من الاحترام له أكثر من احترامه لخصمه، بل يجب أن يلتزم المساواة في التعامل بين الطرفين اللذين أحدهما يهودي والآخر رئيس دولة مترامية الأطراف تمتد من إيران إلى الحجاز ومصر والعراق وغيرها. ثم درس القاضي الأدلة وأصدر حكمه ضد أمير المؤمنين!!

ابحثوا في تواريخ هذه الحكومات وكافة الجمهوريات والأنظمة الأخرى وآتونا بمثل هذا السلوك الذي يتعامل به رئيس الدولة مع يهودي خاضع لحكمه ومع القاضي الذي هو الآخر من رعاياه!! وعندها سنقول بأن النظام الإسلامي دون سائر الأنظمة الأخرى.

(١) يشير إلى الملحف الذي كانوا يفرشونه له في "نوفل لوشاتو" ليجلس عليه عندما يخطب.

(٢) الرجل هو سودة بن قيس. والحادثة التي ذكرها وقعت عند عودة الرسول (ص) من الطائف، وقد نقلنا الحادثة سابقاً.

نحن عندما نطالب بالحكم الإسلامي إنما نعني مثل هذا النظام. نحن نريد حكومة إذا استدعى القاضي العدلي رئيسها لبي وحضر على الفور. فهل من الممكن أن يقول أحد لصاحب الجلالة (الملك) إنك غصبت مالي؟؟ هل يمكن لأحد أهالي مازنداران أن يقول للملك مثل ذلك؟؟ وهل يتجرأ القاضي على استدعاء صاحب الجلالة حتى في الأوضاع الحالية التي تعلق فيها حتى صيحات الأطفال بالموت للملك؟؟.. وأنتم تعرفون أي وضع مأساوي كان حاكما قبل أعوام. ولكنكم ترون في المقابل في الحكومة الإسلامية، أن القاضي يستدعي رئيس الدولة فيحضر ويحكم القاضي ضده فيسلم لحكمه دون نقاش.

نحن نقول نريد الحكومة الإسلامية. وهؤلاء يروجون دعايات تقول إننا نريد إثارة الهرج والمرج!! فهل ما نريده الهرج والمرج؟؟ نحن نطالب بإقامة مثل تلك الحكومة الإسلامية في إيران، إذ انتصر المسلمون إن شاء الله، وفي كافة البلدان الإسلامية. حكومة لا تنهب أموال الناس، حكومة تخضع لحكم القانون وترضى به. لا أن يكون القانون حاكما على عامة الناس فيما الأقوياء مستثنون منه. فالأقوياء لا يدفعون الضرائب الآن، ولم يشملهم قانون تقسيم الأراضي حيث أن راضي (علم)^(١) وجميع أملاكه لم تزل على حالها إلى يوم أمس الأول لأنه كان وزيرا للبلاط ورئيسا للوزراء. فكل تلك الادعاءات من "الإصلاح الزراعي" إلى "الثورة البيضاء" ادعاءات خاوية ولعب تضليلية.

لقد تعبنا، لكنني أقول لكم أيها السادة: إن الدعايات التي روجوها على مدى ثلاثة قرون قد عزلت المسلمين عن الإسلام، وعزلتكم عن العلماء، الذين وصل الحال ببعضهم أنهم كانوا يُمنعون من ركوب حافلة النقل في زمن رضا خان. يقول المرحوم الشيخ عباس الطهراني (رحمه الله)، أردت أن أصعد حافلة نقل صغيرة. فقال لي السائق: نحن لا نقل فئتين: العلماء والبغايا!! أجل هكذا كان حالنا في عهد رضا خان. وأنتم ترون الحال في عهد هذا (الملك الحالي). فكل هذه دعايات يثيرها الأجانب لعزلكم عن علماء الإسلام وعن الإسلام، لكي ينهبوا ثرواتكم دون أن يعترض أحد.

ليس لدي الآن الوقت والطاقة اللازمة لتفصيل الحديث عن ماهية الذين ثاروا ضد السلاطين، بعد عصر رواد الإسلام الأوائل إلى الآن، حيث نحن جالسون هنا، وهل كانوا من المسلمين أم من غيرهم؟ ونقول لهذا الذي كتب يقول: إن الإسلام أفيون الشعوب. أليست هذه الانتفاضة التي تفجرت في إيران والنهضة القائمة فيها فعلا إسلامية؟ لقد ظهرت هذه النهضة الإسلامية ببركة الإسلام ويقوم بها المسلمون بما هم مسلمون، وقد ارتفعت صرخة الإسلام، وهو الآن يصفع الاتحاد السوفيتي وأميركا، فهل هو أفيون؟؟

(١) يقصد "أسد الله علم" وكان قد عين كأول رئيس لمؤسسة بهلوي سنة ١٩٦١م، وكُنز باستغلال هذا المنصب ثروات طائلة. وكان من الذين يوليهم الملك محمد رضا ثقته الكاملة. وكان من أقرب مستشاريه عندما عينه وزيرا للبلاط الملكي ثم رئيسا للوزراء. وقد مات سنة ١٩٧٨م وعمره ٥٧ سنة.

أنت تقول إنه أفيون لكي تثبّط عزائم الشعب لكي يتمكنوا بعد ذلك من نهب نفطه وغازه الطبيعي، لكنك أنت أيضا تعلم أنه ليس أفيونا!! وتعلمون أنتم جميعا أن الإسلام قوة محرّكة تقود الناس إلى الرقي والتقدم ومجاهدة الكفار ومحاربتهم.

في هذا الوقت الذي انتفض فيه ثلاثون مليوناً من الإسلاميين والمسلمين في إيران وثاروا ضد القوى السلطوية، وقد حرّضهم جميعاً على ذلك الإسلام، وهم كافة يهتفون بصوت الإسلام، في مثل هذا الوقت يأتي هذا "التافه"^(١) ليكتب... الإسلام أفيون الشعوب..! عسى أن يقتنع بقوله بعض قليل من شبابنا الغافلين.

استيقظوا أيها السادة.. أيها الشبان.. وتعرّفوا على أهداف هذه المخططات، ولماذا يريدون إبعادكم عن الإسلام وجذبكم إلى التيارات الأخرى..؟؟ إنهم لا يريدون لكم الخير.. بل يريدون افتراسكم ونهبكم.. لكن الإسلام لا يسمح لهم بذلك وعلماء الإسلام لا يريدون أن يتركوهم ينهبونكم. أسأل الله أن يوفقكم جميعاً ويؤيدكم إن شاء الله.

هوية الخطاب رقم - ٥٨

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٥ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: مصالحة الملك ومساومة الحكومة العسكرية خيانة للإسلام.

المناسبة: إعلان الملك للتوبة والتعهد الخادع بعد تكرار الأخطاء وقيام الحكومة العسكرية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

اضطرت حكومة جعفر شريف إمامي لتقديم استقالتها بسبب اتساع الانتفاضة الشاملة وفشل مخططاتها القمعية. وكذلك بسبب فضيحة الهجوم الوحشي البشع الذي شنته قوات الحكم العسكري على طلبة جامعة طهران الذين اجتمعوا في باحة الجامعة. حيث استشهد وجرح الكثير منهم كما عرض التلفزيون الإيراني بمبادرة من العاملين فيه، تقريراً مصوراً عن هذا الهجوم الذي نشرت الصحف أيضاً تفصيلاته ودعمتها بصورة وثائقية عن الحادثة نشرتها في صدر صفحاتها الأولى.

لم يبقَ شريف إمامي في منصب رئاسة الحكومة أكثر من ٧٠ يوماً، حيث لم يستطع أن يحقق أي إنجاز من خلال ما سمي بحكومة المصالحة الوطنية، لا من خلال وعوده الكثيرة ولا من خلال إعلانه الحكم العسكري وارتكاب المجازر في طهران والمدن الأخرى. بل ازدادت خلال هذه الفترة التظاهرات الشعبية والاضطرابات

(١) المقصود كاتب المقال المذكور في الصحيفة السوفياتية.

والاعتصامات في المؤسسات الإدارية والمصانع. نقرأ في كتاب الجنرال "قره باغي" عن تظاهرات يوم ١١/٥/١٩٧٨م الشاملة في طهران والوقائع التي تلتها: "...ذكرت تقارير الشرطة أنّ الاضطرابات وأعمال الشغب بدأت في المدينة في الساعة ١٢، وكانوا يقومون بتفجير القنابل اليدوية وإشعال النار في نقاط متعددة بمرأى عناصر الحكم العسكري دون أن يتدخل هؤلاء.. وقد سألني صاحب الجلالة: ما هو الحل باعتقادكم؟ فأجبت: مثلما أكدت مرارا، يجب تنفيذ مقررات الحكم العسكري في الوقت المناسب، واعتقال مثيري الشغب وإلا فلن يشهد البلد الأمن والاستقرار أبدا. فقال الملك: حسنا جدا سيتم اتخاذ القرارات اللازمة.

وفي الساعة ٢١، وعندما خرجت من مبنى وزارة الداخلية، كانت النار لا زالت تشتعل في بعض المباني، وكان السائق يقود السيارة بصعوبة بين الموانع والنيران. وكان يضطر أحيانا للعبور على النار حتى وصلنا المنزل. الاتصالات الهاتفية كانت تتوالى باستمرار من مختلف أرجاء البلاد حيث كان المحافظون يوضحون المشكلات التي تشهدها محافظاتهم ويقدمون طلباتهم.. وكان الأذى والقلق قد بلغ درجة عالية في تلك الليلة.

وفي حدود الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم (١١/٦) اتصل بي الجنرال "أويسى" الحاكم العسكري لطهران، هاتفيا.. وسألته من هو رئيس الحكومة؟ فأجاب الجنرال أزهارى. وأضاف إن كافة قادة القوات أعضاء في لحكومة. وطلب مني بلغة مؤكدة، الحضور في الساعة الثامنة صباحا إلى قصر "نياوران" الملكي.

في الساعة السابعة اتصل الجنرال أزهارى (رئيس هيئة القادة العسكرية العليا) بي هاتفيا وقال دون أن يشير إلى الاتصال الهاتفي الذي أجراه الجنرال أويسى: لقد أمرني صاحب الجلالة الملك بتشكيل الحكومة العسكرية، وأنتم تتولون وزارة الداخلية. وقد أردت أن تتولوا أيضا وزارة المالية والاقتصاد، فهي وزارة مهمة للغاية، وأرجوكم أن توافقوا على ذلك. وأضاف قائلا قبل أن أرد: يجب أن تقدموا الدعم..".

الجدير بالذكر هنا، أن الملك وجّه للشعب بيانا عبر التلفزيون تم بثه في أخبار الساعة الثامنة من مساء يوم (١١/٥) قبل الإعلان عن تشكيل الحكومة العسكرية، وقال في هذه الكلمة إنه سمع رسالة ثورة الشعب وسيقوم بمعالجة الأخطاء السابقة. وقال: "...إن الحوادث المؤسفة التي وقعت في العاصمة بالأمس لا يمكن أن تتواصل، ولا يمكن أن يتحمل الشعب استمرارها". واعترف الملك في هذا البيان بالأخطاء السابقة وتفشي الفساد المالي والسياسي. وأضاف.. لقد سمعت أنا أيضا رسالة ثورتكم يا أبناء الشعب الإيراني، وأنا حافظ نظام الملكية الدستورية، وهو نعمة إلهية فوضها الشعب للملك الضامن لكم حفظ ما كلفكم الحصول عليه تقديم القرابين والضحايا.

وطلب الملك في بيانه من الآيات العظام والعلماء الأعلام والآباء والأمهات والشبان والفتيان والزعماء السياسيين والعمال والموظفين والفلاحين أن يكتفوا مساعيهم لحفظ وإحياء الاقتصاد الوطني وقال:.. اعلّموا إنني أقف إلى جانبكم في مسيرة ثورة الشعب الإيراني ضد الاستعمار وضد النظام والفساد وسأبقى معكم.^(١)

(١) راجع كتاب "اعترافات جنرال"، ص ٦٠ (بالفارسية).

هذه الكلمات المثيرة للسخرية صدرت من الحاكم الذي أسكره الدعم الأميركي بعد المجزرة الفظيعة التي ارتكبها في قم انتفاضة ١٥ خرداد (١٩٦٣/٦/٥م) وجعله يوجه أقبح الاتهامات لانتفاضة الشعب تلك، وأسوأ الإهانات لعلماء الإسلام ومراجعته، فقد وصفهم بأنهم مثل الحيوانات النجسة. وهو الذي خاطب "كوروش" عندما وقف إلى جوار قبره في الاحتفالات الضخمة التي أقامها في ذروة تصعيده للإرهاب والقمع، بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الإمبراطورية الفارسية. وقال له: "نم قرير العين يا كوروش فنحن مستيقظون..".

وفي هذا الخطاب يبين الإمام الخميني (س) موقفه تجاه مجيء مجموعة الجنرال أزهاري العسكرية، ويرد على البيان اللئيم الذي وجهه الملك للشعب. ويتطرق الإمام هنا إلى أن "الملك لجأ مرة أخرى للتشبيث بوسيلتي التضليل والحرب لإنقاذ نفسه". ثم يشير إلى التصريحات المخادعة التي أطلقها الملك آنذاك، ويفصل الحديث عن جرائم الملك. ثم يتنبأ بفشل أسلوبه إعلان الحكومة العسكرية والتعهد بتصليح الأخطاء السابقة، وهما آخر ما قام به النظام الملكي آنذاك من إجراءات للسيطرة على الأوضاع. وقال: "إذًا، فكل الأساليب لا تحل المشكلة، ولا تنفع من يريد معالجة ما يعانيه الشعب. فهذه محاولات يائسة عقيمة. والعلاج يكمن في كلمة واحدة وهي: يجب أن يرحل النظام".

وفي نهاية خطبته، أغلق الإمام بحزم كل طريق للمساومة، وقال: "على أية حال، فهذا هو الموقف والمسير (اسقاط النظام) ومن يفكر بغيره فهو خائن للشعب والوطن، وخائن للإسلام. ولو أمهلتهم اليوم (الملك) فلن يبقى لكم لا الإسلام ولا الوطن ولا العائلة، فلا تمهلوه واضغطوا على عنقه حتى يختنق ويموت..".

لقد استجاب الشعب بكل وجوده لكلمة الإمام، ورأينا كيف أنه لم تمض على ذلك سوى ثلاثة أشهر حتى طوى الإمام والأمة بساط حكم الاستبداد البهلوي، وأزالوا حكم الظلم الملكي في إيران.

الخطاب رقم - ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة أخرى تشبث الملك لإنقاذ نفسه، بوسيلتي التضليل والحرب: التضليل تجسد في الكلمة التي ألقاها، وعهد للشعب بعدم تكرار الأخطاء السابقة، وبالالتزام الكامل من الآن فصاعداً بالدستور، وجبران الأخطاء التي ارتكبها، ومطالبته الشعب بإيقاف ثورته، والآيات العظام والعلماء الأعلام دفع الناس إلى التحلي بالهدوء، ومطالبته كافة فئات الشعب، العمال والطلبة والشبان وغيرهم، الكف عن نشاطات المعارضة والتفكير بإيران^(١)!

(١) بتاريخ ١٩٧٨/١١/٦م، وبعد فشل حكومة جعفر شريف إمامي أعلن الملك ضمن كلمة إذاعية عن تشكيل الحكومة العسكرية برئاسة الجنرال أزهاري. وطلب من الشعب - بحالة الرجاء - أن يحترموا الدستور. وتعهد بمنع وقوع الأخطاء السابقة، ومكافحة الفساد والإتيان بحكومة وطنية وديمقراطية. وخلافاً لما اعتاد عليه سابقاً استخدم في هذه الكلمة ضمير المتكلم المنفرد "أنا" بدلاً مما كان يستعمله عادة في خطاباته وهو ضمير الجمع التفخيمي "نحن". وقال بلغة المعتذر، إنه اضطر لتشكيل الحكومة العسكرية دفاعاً عن الأمن القومي.

وأن المخالفات للدستور وللإسلام والخيانات للشعب وكل هذه الجرائم، كانت مجرد أخطاء غير مقصودة - كما يدعي - أم أنها مقصودة ومتعمدة؟ فهل أن النفط الذي أعطاه مثلاً لأميركا كان يتصور أنه يعطيه للإيرانيين أو لقبيلة منهم في إحدى حاراتهم أو مدنها؟! وهل توهم أن هذه الأسلحة التي لا تنفعنا بل صنع بها قاعدة لأميركا في بلدنا بدل النفط الذي يعطيه لها، هي عملة صعبة فأخذها وهو يتصورها مالا أو ليرات ذهبية؟! وهل كل هذه الجرائم التي ارتكبها في إيران وإلى الآن، من سجن وتعذيب ومجازر عشوائية عامة كانت جميعاً أخطاءً غير متعمدة؟! فعندما أرسل قواته الخاصة إلى المدرسة الفيضية مثلاً، ليحطموا غرفها ويحرقوا المصاحف والعمائم ويهشموا أيدي وأرجل الشبان، هل كان يتصور أنه يهاجم بقعة من روسيا.. ثم اتضح له خطأه؟ هل كان يعتقد أن المدرسة الفيضية من مراكز الأجانب؟! وهل كان يتصور أنه يأخذ، الذين سجنهم إلى الرياض والحدائق ثم تبين له أنها كانت سجوناً وليست حدائق؟! هل كان سجن العلماء وقتلهم أو حرق أرجلهم بالزيت الساخن، أو قطع أرجل بعضهم بالمناشير كما نقل، والقيام بمثل ذلك ضد الشخصيات السياسية كان مجرد اشتباهاً وأخطاء ناتجة عن تصورات غير صحيحة وسيعرض عن تكرارها بعد الآن ويتعهد بذلك؟! ولكن ألم يقدم مثل هذه التعهدات وأقسم على الوفاء بها في بداية حكمه؟ من الطبيعي لمن يريد الحكم أن يقدم مثل التعهدات، وقد أعطى هذا الملك في بداية حكمه مثل ما يعطيه الآن من تعهدات ومواريث ثم فعل كل ما فعل! فما الفرق بين هذه وتلك؟ وهل أن هذه لا يمكن نقضها فيما تلك كان من الممكن نقضها؟!

وكيف يمكن تصليح تلك الاشتباهاً التي وقع فيها؟ بل وهل الأمر ممكن أصلاً؟ كيف يمكن إصلاح عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً أو أكثر أو أقل قضاها، ليس شخص واحد بل الكثيرون، في السجن في قفص صغير تحت كل ذاك التعذيب والأذى والإهانات؟ كيف يمكن تعويض ما ضاع من أعمارهم على هذه الحالة؟ وهل يعوضها مجرد تعهد يطلقه هذا السيد؟

هل يريد من ارتكب كل هذه الجرائم أن ينهي المشكلة بمجرد تقديم هذا التعهد؟ لنفرض أنه صادق في تعهده، ولكن هذا مجرد فرض لأن (الأمر واضح) عندما جاء الملك رضا إلى النجف التقى المرحوم الفيروزآبادي في الحرم، وقال له: إنني مقلد لكم يا سيدي. فأجاب المرحوم الفيروزآبادي الأمر واضح (يضحك الحاضرون). والآن ذكرتني تعهداته بكتاب (الفأرة والقطعة^(١))، وهو كتاب قيم وفيه الكثير من العبر، يحكي حال السلاطين والجبابرة إذا استقوا، كما جسّد أحيائهم إذا وهنوا تحت عنوان قصة الفأر والقطعة. فالقطعة ادعت التوبة عما كانت تقوم به، وفرشت سجادة الصلاة وشرعت بالصلاة والاستغفار، فاجتذبت الفئران المسكينة، وأخذت تجلب لها بعض الأشياء حتى انقضت على الفئران وأخذت تقبض على خمسة منهم في كل مرة بعدما كانت تحصل على فأر واحد في كل مرة.

(١) منظومة قصيرة بالفارسية للشاعر "عبید زاکانی"، وقيل إنه كتبها بهدف كشف أحوال وخداع سلطان عصره.

لكننا نعلم أن توبتك هي توبة الذنب وتوبة تلك القطة. وهذا الأمر يعيه الشعب الآن جيدا فلا ضرورة أن تحمل نفسك مشقة التحدث ودعوة الآيات العظام والعلماء الأعلام لدفع الناس إلى الهدوء. هؤلاء هم الذين كنت تصفهم بالأمس بـ"الرجعية السوداء"^(١). فهؤلاء في قاموس الملك "رجعيون" وسود أيضا. وقد قال في إحدى كلماته التي ألقاها في إحدى المدن الإيرانية وعندها كنا في قم: اجتنبوا هؤلاء الرجعيين اجتنابكم للحيوان النجس^(٢). واليوم أصبح أولئك الذين وصفهم آنذاك بالحيوانات النجسة. الآيات العظام والعلماء الأعلام^(٣). ولو أعطوه هؤلاء الآيات العظام والعلماء الأعلام الفرصة ليستعيد أنفاسه لعادوا بعد ثوان حيوانات نجسة.

هذه الأعمال والخيانة ارتكبتها عن عمد، وهو يدعي أنها "اشتباهاات" غير مقصودة، ولو أمهله الشعب لعادت تلك "الاشتباهاات" ثانية، فهذه حيلة توسل بها لإنقاذ نفسه حيث يتعهد الآن بعدم تكرار تلك الأخطاء، وهو يدعو الجميع إلى التفكير بمستقبل إيران. لكننا نقول له: إننا نقول ما نقول لكوننا نفكر بإيران، والشعب قد قام بهذه الانتفاضة والثورة لأنه يراكم تسعون لسلبه إيرانه، فقد سلطت كافة الجبابة علينا ونهبت كافة ثرواتنا.

كما أننا نعارضكم ونجاهدكم - وأنت مصدر ما تصفه بالاشتباهاات وما نعتبره نحن بالجرائم المتمدة - لأننا نفكر بوضع إيران وسبل إنقاذها. فالتفكير بأمر الأمة هذه والبلد الإسلامي والمستضعفين هو الذي اضطرنا لمعارضتكم ومجاهدكم بهذه الصورة. فنحن نفكر بحال إيران ونسعى لإنقاذها، ومعارضتنا لكم لا تعني أننا نسينا إيران لكي تدعونا للتفكير بها.

(١) كان الملك يذكر العلماء بوصف "الرجعية السوداء"، فمنذ عام ١٩٦٢م أخذ يذكر في مقابلاته وكلماته وبياناته، قوتي "الرجعية السوداء" و"الرجعية السوداء والقوى التخريبية الحمراء لن تسكت وستبذل قصارى جهدها لمنع تحقق هذه الإصلاحات في إيران..". وبعد ذلك بشهر وصف في خطاب ألقاه في مدينة قم علماء الإسلام، وبلغه صريحة، بأنهم "رجعية سوداء"، ووجه الإهانات لهم. ونقرأ في كتاب "الثورة البيضاء" عن انتفاضة خرداد العظيمة: "إن مصيبة ١٥ خرداد هي أفضل نموذج يكشف التحالف غير المقدس بين الجناح الأسود والقوى الحمراء المخربة، حيث تم تنفيذها بأموال الإقطاعيين الذين شملهم قانون الإصلاح الزراعي" (راجع "دائرة المعارف الشيعية"، ص ٥٦٦-٥٦٧. وكتاب "مقابلات وكلمات وبيانات الملك محمد رضا"، ص ٣٠٧٨ و ٣٢٨٤. وكتاب الموسوعة السياسية ص ٥ وكافة الكتب المذكورة بالفارسية والعناوين المذكورة هي ترجمات لعناوينها الفارسية.

(٢) بتاريخ ٢٧/٥/١٩٦٣م قال الملك في خطاب ألقاه في مدينة كرمان وبكل وقاحة: "... ولكن عليكم الانتباه. فإذا أطلق البعض ألسنتهم وأرادوا بث مثل هذه السموم بينكم، فانبذوهم ولا تسمحو لهم بالاقتراب منكم، تماما كما تفعلون مع الحيوان النجس". وقد رد الإمام الخميني على تصريحات الملك بكل قوة في خطابه يوم العاشر من محرم، قبل يومين من انتفاضة خرداد المعروفة، حيث قال: "... أرجو أن يكون قصدك من "الرجعية السوداء مثل الحيوان النجس وعلى الشعب اجتنابهم" غير العلماء، وإلا فلا تستطيع العيش حيث، لا يسمح الشعب لك بذلك. فلا تفعل ذلك واستمع لنصيحتي".

(٣) في كلمة ألقاها الملك بتاريخ ١٩٧٨/١١/٦م قال فيها: "... وإني أطلب هنا من الآيات العظام والعلماء الأعلام، وهم الزعماء الروحيون والدينيون للمجتمع وحماة الإسلام والمذهب الشيعي خاصة، وأرجوهم أن يسعوا لحفظ الدولة الشيعية الوحيدة في العالم بتوجيهاتهم ودعوتهم (الشعب) للهدوء وحفظ النظام..".

أي موجود هذا الرجل، الذي لا زال يكرر مثل هذه الأقوال؟ كيف يفكر ومن يريد أن يخدع بها وما الذي تفتق عنه عقله؟ من ينخدع بقوله أن بزواله تزول إيران أيضا. أي ما أن يضع رأسه على الأرض حيث من المؤكد أنه سيموت يوما ما، عجل الله بذلك (يضحك الحاضرون) ستموت حيثنذ إيران أيضا حسب زعمه، ونخسرنا الآن أو بعد عشرة أيام أو شهر أو بضعة أشهر أو أكثر بقليل فستزول حتما لأنه هو حافظها: "ولولاه لما بقي لنا وجود" (يضحك الحاضرون). "ويجب تغيير اسم إيران ووضع اسمه".^(١)

هذه هي وسيلة المخادعة التي تشبث بها الملك ولجأ إليها بالأمس أيضا وزيره^(٢)، حيث قال أو أملى عليه أسياده أن يقول: "إننا أخطأنا وفعلنا ما فعلنا فتعالوا جميعا لتتعاون وتعالوا أيها الشبان لتتصالح.."، ولم يصغ الشعب لهذه الأقوال، حيث شهدت اليوم أيضا طهران ومختلف المناطق الإيرانية نفس ما تشهده كل يوم.

الوسيلة الثانية التي تشبث بها هي القوة والحرب، حيث يتحصن اليوم بحصنين: الأول... هراوات الأشرار الذين يستأجرونهم ويدفعون لهم الأموال ليهاجموا الناس بهراواتهم. والثاني.. حرب هؤلاء العسكريين الذين يفعلون ما يفعلون في الشوارع وليس من جديد في هذه الحرب، فمنذ فترة ونحن وشعب إيران نعيش في ظلها. لكنه لم يبق له ما يتحصن به غير هذه الحرب وتلك الهراوات، وهو الذي كان إلى الأمس يقول:.. إن الشعب يحب الملك! والعجيب أنه لم يقل ذلك اليوم (يضحك الحاضرون)، فعندما كانت صيحات أهالي أصفهان ترتفع بهتاف "الموت للسلطنة البهلوية". قال في خطابه:.. إن الشعب يحب الملك!.. أو إن الذي كان إلى جانبه من عملائه، قال: "إن للشعب الإيراني حبا ذاتيا لهذا العرش والتاج"، وهذا هو منطقهم. الشعب يريد الحكم الملكي فماذا يفعل هؤلاء المساكين؟ إنهم قلقون من احتمال انهيار الحكم الملكي، ولذلك فقد نزلوا إلى الشوارع وأخذوا يطلقون هذه الاستغاثات.

أجل لقد تحصنوا منذ فترة بالحرب والهراوات لكنها لم تنفعهم. فالحكومة العسكرية تعلن منع اجتماع أكثر من شخصين، وتفرض عقوبات على ذلك. وبمجرد الإعلان عن ذلك تحرك سبعون ألفا ومئة ألف وثلاثمئة ألف من هنا وهناك، وأخذوا يرددون شعاراتهم ويعبرون عن آرائهم. فلم تستطع الحكومة العسكرية التأثير على هذا الشعب وهذه الجماهير التي وضعت أرواحها على الأكف وهي تضحي بشبانها وتفتخر بذلك. فالأم تضحي بأبنائها ثم تقول: "إنني أفتخر لأنني خدمت بذلك الإسلام". ومثل هذه الجماهير لا يمكن مواجهتها بالحرب، فأقصى ما تستطيع الحرب فعله هو القتل، وهذه الجماهير تتقدم للقتل طواعية.

(١) يشير إلى بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني فردوسي والبيت مشهور لدى الإيرانيين وترجمته هي:

إذا لم تكن إيران فلا كان جسمي بل ولا كان حيا أي جسم في هذه الأرجاء.

(٢) يقصد رئيس الحكومة العسكرية الجنرال أزهاري، حيث اعترف هو الآخر بالأخطاء السابقة ودعا الشعب إلى التحلي بالهدوء والتعاون مع الحكومة العسكرية.

فمثل هذه الحلول محاولات حمقاء حيث يأتون تارة بحكومة المصالحة وينفذون تلك الأحاييل، والآن وقد جاؤوا بالحكومة العسكرية^(١) في حكومة عسكرية؟ ألم يكن حكمكم إلى الآن عسكرياً؟ غاية الأمر أن رئيس الحكومة لم يكن عسكرياً، بل كان نائباً ثم أصبح رئيساً للحكومة التي كان عملها عمل الحكومة العسكرية. وأصبحت إيران برمتها تحت الحكم العسكري المعلن والرسمي في بعض مناطقها وغير الرسمي في المناطق الأخرى. إذاً الشعب رأى الحكومة العسكرية أصبحت ظاهرة عادية بالنسبة له فلا غرابة أن لا ترهبه.

هل يظن أحد أن الحكومة العسكرية يمكن أن تشكل حلاً؟ وهل تتصور أميركا أن بالإمكان حل المشكلة عن طريق الانقلاب العسكري وإسقاط النظام الحالي والإتيان بنظام آخر؟ هل يمكن أن يؤثر ذلك على الشعب بعد أن اعتاد على حكم العسكريين؟ أجل مثل هذا الإجراء كان مؤثراً في السابق حيث لم يكن أبناء الشعب يدركون الحقائق، فإذا دخل عسكري وارتكب كل ما ارتكب لم يعترض عليه أحد. أما إذا كان يضع نجمتين هنا^(٢)، فهو إذاً شخصية مرموقة، فوا مصيبتاه.. فلم يكن يعترض عليه أحد مهما فعل من الأفعال الشريرة وحيثما ذهب. أما الآن فلو جاء بنفسه إلى وسط الميدان لقطعوه إرباً إرباً. فالشعب اليوم غير شعب الأمس. فالتغيير الذي حصل جعله شيئاً آخر، وأصبح لا يخاف من قيام الحكومة العسكرية أو مجيء نظام عسكري. لأنه واجه نفس هؤلاء العسكر وجاهدتهم وعارضهم وتحمل الضرب والقتل منهم. فقد شاهد كل هذه الأفعال من العسكر. وعندما يصبح الشعب مستعداً للموت فلا فرق عنده حينئذ بين أن يقوم بذلك نظام الانقلاب العسكري والحكومة العسكرية أو الحكومة المدنية. إذاً فهذا أيضاً ليس حلاً يمكن أن يسيطر على الوضع الشعبي.

إحدى الصحف السوفيتية كتبت ما كرره أحد الأميركيين من أصدقاء الملك، وإن كان كل منها تحدث بتعبير معين، فالأولى قالت:.. إن العلماء يعارضون الملك لأن سياسته في الإصلاح الزراعي قد أضرتهم وعرضت مصالحهم للخطر. والثانية قالت:.. إن لفلان حساباً شخصياً مع الملك. وقد قلنا بالأمس أن الأمر ليس شخصياً ولا يرتبط بهذه الأقوال. أما ما كتبه الصحيفة السوفيتية فهو أيضاً خطأ لأن أوضاع العلماء المعيشية هي الأفضل

(١) قبل مجيء حكومة الجنرال أزهاري للحكم، فشلت حكومة الائتلاف الوطني التي طرحت شعار "الملك يبقى ملكاً دون أن يحكم" في السيطرة على الأوضاع. فاستبدلت الحكومة العسكرية بتاريخ ١٩٧٨/١١/٦م، حيث عين الملك محمد رضا الجنرال أزهاري رئيساً للحكومة بعد مشاورات أجراها مع سفير أميركا وإنكلترا وبناءً على قرارها. والهدف من الإتيان بالحكومة العسكرية هو إرعاب الأجنحة المحافظة وإثارة الخلاف بينها وبين الأجنحة الثورية. وقد أغلق العسكريون في الليلة الأولى مكاتب صحف "كيهان" و"اطلاعات" و"أينكان". فأضرب العاملون في الصحافة عن العمل احتجاجاً على هذا الإجراء. فتجددت الاشتباكات العنيفة مرة أخرى بعد أسبوع من ذلك. وقد أصدر الجنرال أزهاري قراراً باعتقال أمير عباس هويدا وعدد من المسؤولين البارزين في الحكم مثل: منوچهر آزمو، منصور روحاني، غلام رضا نيكبي، داريوش همايون، إيرج وحيدى، الجنرال نصيري وهجر يزداني. وهو بذلك سعى إلى تهدئة الشعب، لكنه أصيب بسكتة قلبية بعدد فترة وجيزة بسبب الضغوط التي كان يخضع لها بسبب ضعف الملك وعدم حزمه من جهة وتهور العسكريين المتطرفين من جهة أخرى فسقطت حكومته بعد أقل من شهرين، وقد أخذ الجنرال أزهاري مئات الملايين من الدولارات عند فراره من البلد.

(٢) أشار الإمام هنا إلى كتفه.

بكثير عما كانت عليه قبل العمل بسياسة الإصلاح الزراعي. ويمكن لكل من أراد أن يذهب للتحقيق في الأمر. كما يقال لكان العكس، في حين أن وضعهم المعيشي أفضل مئة درجة من السابق.

كما لم يتغير شيء من موقعهم الاجتماعي فكلمتهم نافذة كما ترّون، ولم تكن كذلك. فلماذا يتشبث (الملك) بترجيّهم، ويقول أيها المراجع العظام والعلماء الأعلام، تعالوا لتهدئة الناس! فيتحول فجأة إلى مخاطبتهم بهذه اللغة بعدما كان يخاطبهم في بداية حكمه وفي رده على رسالة المراجع، قائلا: ".. اذهبوا لإرشاد العوام!"^(١). ويقصد أنكم لا يحق لكم التدخل في شؤون الدولة فتوجهوا لإرشاد العوام. ويجب القول له:.. إننا قد قمنا بإرشاد العوام (يضحك الحاضرون)، فقد هُديّ العوام وأرشدوا، وأنتم كنتم في نوم الغفلة، ولأنهم أرشدوا اليوم أخذتم تتشبثون بأقوال من قبيل:.. اذهبوا واحفظوني، وفكروا بمستقبل إيران.

كل هذه محاولات يائسة عقيمة بالكامل. فالجواب كلمة واحدة لا غير. وهي أن يرّحل هذا النظام، وترفع أميركا والإتحاد السوفيتي وإنكلترا وجميع الذين تهافتوا على المائدة الإيرانية ليأكلوا منها مجانا، أن يرفعوا أيديهم جميعا عن هذه المائدة المستباحة. نحن لا نريد أن نقطع عنهم النفط لكي يضجوا قائلين: إنكم ستدمرون شعوبا كاملة بالبرد^(٢). كلا، نحن نريد أن يكون نفطنا تحت تصرفنا نبيع منه بمقدار ما نريد. فكل نظام يأتي يريد بيع نفطه ولكن ليس بهذه الصورة. نحن نرفض النهب، وليس بيع النفط بالأسعار العادلة، بل نبيعه بهذه الأسعار ونستلم العملة الصعبة، فنحن بحاجة للأموال لصرفها في تلبية احتياجات الشعب.

إنهم الآن يستخرجون من نفطنا أكثر من المقدار الذي يجب استخراجه، ولا يستلمون مالا في مقابله. فهم إما يأخذون قطعاً حديدية عديمة الجدوى لنا، أو طائرات بأسعار باهظة. وحتى المقدار الذي يأخذونه من الأموال

(١) بعد مصادقة النظام على لائحة اتحادات الولايات والمقاطعات بعث المراجع العظام برقية إلى الملك طالبوا فيها بإلغاء هذه اللائحة. فبعث لهم جواباً إلى قم فيما يلي نص ترجمته:

".. قصر سعد آباد - إلى قم - الرقم ٣٠٥: ٩٠ ت ٤١/٧/٢٤، حضرة حجة الإسلام.. (دامت إفاضته) - قم. وصلت برقيتكم. ليس جديداً أن تصادق الحكومة على بعض القوانين. ونذكركم.. أنا سأكون أكثر من أي شخص آخر في حفظ الشعار الدينية. هذه البرقية ترسل إلى الحكومة. كما نجلب - ضمنا - انتباه حضرتكم إلى الظروف الزمانية والتاريخية وأوضاع سائر البلاد الإسلامية في العالم. تتمنى لجنابكم التوفيق في نشر الأحكام الإسلامية وهداية العوام. ٢٣ مهرماه الملك". والتاريخ المذكور هو وفق التقويم الهجري الشمسي ويصادف حسب التقويم الميلادي ١٥/١٠/١٩٦٢م.

(٢) في تلك الأيام قال الملك في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي (القناة الثانية) بتاريخ ٢٢/٨/١٩٧٨م: "إذا تغير النظام في إيران فستموتون أنتم (الغريون واليابانيون) وذلك لشدة الارتباط بين إيران وأوروبا التي تحصل على ٧٠ بالمئة من حاجتها للطاقة من إيران. وبين إيران واليابان التي تحصل على ٩٠ بالمئة من احتياجاتها النفطية من إيران. وبينها وبين أميركا التي تحصل على ٥٠ بالمئة من احتياجاتها النفطية من إيران". وبتاريخ ٢٥/٣/١٩٧٨م زار وزير الدفاع الإنكليزي آنذاك "فريدريك موللي" إيران والتقى الملك والسفير الإنكليزي في طهران، وأعلن أنه سيتم، في القريب العاجل، تصنيع صواريخ ودبابات متطورة في إيران (راجع صحيفة "رستاخيز" ٣٠/٣/١٩٧٨م) كما قال أيضاً: "إن لإيران دوراً مهماً في المنطقة، حيث أن أكثر إستيرادات أوروبا وأميركا النفطية هي من منطقة الخليج، ولذلك فإن موقع إيران يحظى بالأهمية في الرؤية الاستراتيجية". راجع صحيفة "رستاخيز" ٢٥/٣/١٩٧٨م.

لا يصرفونه على الشعب. ماذا يملك الآن هذا الشعب المسكين؟ لا تنظروا إلى أربعة من تجار سوق طهران الكبار أو إلى أربعة من الأسياد الذين يرتزقون من نفس هذه المائدة. بل اذهبوا إلى الأكواخ والقرى، اذهبوا وشاهدوا وضع قواها فهو والله يشهد، مؤسف للغاية، على الرغم من وجود الأنهار فيها.

قبل ثلاثين عاما مررت بخوزستان، وأنا في طريقي لزيارة العتبات المقدسة في العراق. فرأيت شطها وهو كبير، وليس نهرا صغيرا أو نهريْن، بل كانت تتحرك فيه البواخر. ولكن الأراضي الزراعية غير مزروعة، وحيثما تلتفت لا تجد زراعا. فقلت في نفسي لعلها غير صالحة للزراعة فنزلنا من الحافلة في إحدى نقاطها فأخذت شيئا من ترابها فوجدته جيدا، فأرضها صالحة للزراعة. ولكن أيدي الخيانة لا تسمح بإحيائها فتركها مواتا، فيما الماء يضيع هدرا. معدمون لا يملكون شيئا، وإذا مرض أطفالهم لم يجدوا طبيبيا يعالجهم. فلا ترى مستوصفا واحدا في أكثر من عشرين قرية. بل لا تجد مستوصفا أصلا في بعض المناطق فلا يعرف أهلها معنى الطبيب أصلا. فهل هذا هو التحضر العظيم؟!!

كتبوا في صحفهم بالذات أن الماء الموجود غير كاف لغسل أعين الأطفال عندما يستيقظون صباحا حيث لا يمكنهم فتحهما بسبب إصابتهما بـ"التراخوما" - وهذه الظاهرة ناتجة أيضا من إهمال الحكومة الفاسدة - فيجب ترطيبها لكي يستطيعوا فتحها، وحيث لا يوجد الماء الكافي لذلك فهم يستخدمون البول لفتحها!! هذا ما كتبته صحفهم نفسها.

هذه هي أوضاع الحياة التي نعيشها بسبب "الأخطاء غير المقصودة" التي وقع فيها ذاك السيد الذي يدعي أنه سيتركها لكي تنتقل إيران إلى التحضر الكبير!! ولكنها ليست خطأ واحدا ولا اثنين ولا عشرة، كما أنها ليست غير متعمدة. بل إنكم تعمدتم ارتكابها. يسألنا المراسلون باستمرار عن سبب عدائنا للملك؟ فهل هذا الموقف يحتاج إلى سؤال؟! اسألوا هذا الشعب الذي ترونه يطلق بصغاره وكباره صرخات الرفض للملك. ماذا فعل هذا الرجل لكي تعادونه بهذه الصورة؟ هل الدافع للعداء شخصي؟ وهل يمكن أن يعادي ثلاثون مليوناً أحد الأشخاص بدوافع شخصية؟!

لقد ارتكب هذا الشخص من الخيانات والجرائم في هذا البلد بحيث أغلق على نفسه طريق المصالحة. ولم يدع لأحد مجالا لكي يقول: حسنا لننس الآن أخطاءكم السالفة، ولن تقعوا في أمثالها مستقبلا إن شاء الله. أجل لم تدع مجالا للقيام بمثل هذا العمل الذي أصبح محالا، فلو جاء عالم دين أو سياسي أو أحد التجار أو أحد الجامعيين وقال للشعب: تعالوا للتصالح مع الملك فقد تاب واستغفر! لا تهم الشعب نفس من يدعوهم لذلك بالخيانة! ولأجابوه: عن أي شيء نغفو؟ وهل ما ارتكبه مما يمكن العفو عنه؟ لقد تضرع صغارنا وشبابنا بالدماء أيها السيد. ودمر بلدنا فهل يمكن العفو عن ذلك؟ وماذا سيكون الحال مستقبلا؟ لقد أنزل المصائب بكافة عوائل الشعب فهي جميعا في مآتم. فهل يمكن القول بعد ذلك. حسنا لقد انتهى الأمر ولنبدأ من جديد الآن، فقد قال: "سامحوني فقد أخطأت!" هل حدث مثل هذا في أي مكان في العالم؟ ومن تراه يخاطب بهذه الأقوال؟

وعلى أية حال، فهذا هو الموقف والمسير (إسقاط النظام)، ومن يفكر بغيره خائن للشعب والوطن، ومن يفكر بغير ذلك فهو خائن للإسلام. ولو أمهلتموه اليوم (الملك) فلن يبقى لكم لا الإسلام ولا الوطن ولا العائلة. فلا تمهلوه واضغطوا على عنقه حتى يختنق ويموت.

وفقكم الله جميعاً، وأيدكم، ورد عنا جميعاً شر هؤلاء الأسياد فهم أسوأ من هؤلاء (النظام الطاغوتي).

هوية الخطاب رقم - ٥٩

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٦ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٧٨ م.

الموضوع: موارد غفلة وأخطاء العلماء والساسة طوال حكم العائلة البهلوية.

المناسبة: مجيء حكومة الجنرال أزهارى العسكرية وعرض أنصار النظام للحلول التساومية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

ألقى الإمام الخميني (س) الخطاب بعد ثلاثة أيام من الفاجعة الدامية التي شهدتها جامعة طهران، حيث سقط في باحتها أعداد من الشهداء والجرحى من التلاميذ وطلبة الجامعة، وكذلك بعد يوم واحد من تشكيل حكومة الجنرال أزهارى العسكرية.

وفي الخطاب يشير الإمام إلى "توبة الملك" المعروفة ويتحدث عن جرائم العائلة البهلوية، ويعتبر أن توبة الملك وتصريحاته الأخيرة خدعة جديدة الهدف منها حفظ النظام الملكي والبقاء في الحكم، ثم يقول: "... إذا لم يُرد الشعب ذلك فلا يمكن تحقيقه، والشعب الآن يعلن الرفض للنظام الملكي" برمته، لا يرتبط بموقف حزب واحد أو جبهة معينة أو تجمع، بل الذي يعلن الرفض هو الشعب بأكمله وهو يصرخ "لا"، ولذلك فلا تستطيع مواجهة كلمة الرفض هذه لا الحراب ولا الدبابات ولا تهديدات "كارتر" والكرملين الجوفاء..".

وإضافة لهذا الخطاب أصدر الإمام الخميني (س) بياناً بمناسبة مجيء حكومة أزهارى العسكرية، أشار فيه إلى فاجعة جامعة طهران، حيث قال: "... إنني في عزاء بسبب الجريمة التي ارتكبوها مؤخراً في الجامعة ضد أبناء الإسلام، وأشكر الطلبة الجامعيين الأعزاء الذين تصدوا للتضحية في سبيل الإسلام والوطن وصمدوا بقبضات راسخة بوجه الملك وأدانوه.. لا تخشوا من هذا الضجيج العسكري وأنتم لا تخشونه، فقد أثبتتم يا أبناء الشعب الباسل أن الدبابات والمدافع والحراب المتصدئة عاجزة عن مواجهة الإرادة الصلبة لهذا الشعب، ولا تنخدعوا بهذه المرونة الشيطانية والتوبة الإبليسية ولن تنخدعوا..".

وقد أعرب المسؤولون الأميركان عن ارتياحهم لمجيء الحكومة العسكرية وصرح الناطق الرسمي باسم الخارجية الأميركية آنذاك "جيل شوكر" قائلاً: "... نحن ندعم الملك في هذا القرار، فقد اتخذته بعدما ثبت له عدم

قدرته على تشكيل حكومة ائتلافية، وقد اتخذ قرار تعيين الجنرال أزهارى رئيس هيئة أركان الجيش بنفسه وبصورة مستقلة، ولم تصر واشنطن على ذلك أصلاً..". كما صرح المسؤولون في وزارة الخارجية الأميركية: "... لم يكن الملك بحاجة إلى إصرار واشنطن على تنصيب العساكر لقيادة الحكومة فالحوادث الأخيرة لم تترك له خياراً آخر".

وفيما بعد، تحدث مستشار "كارتر" للأمن القومي "بريجنسكي" في مذكراته عن بعض قضايا تلك الأيام، وكتب يقول: "... قبل يومين من هذه التغييرات أي في ١١/٣/١٩٧٨م. تحدثت عبر الهاتف مع الملك، بأمر من "كارتر" وبموافقته، وقلت له:.. إن الولايات المتحدة الأميركية تدعمكم بالكامل في الأزمة الراهنة دون أدنى تردد وشروط أو قيود. فنحن ندعمكم بالكامل.

فقال الملك:.. أرى الأوضاع سيئة للغاية، ويبدو أنها تزداد سوءاً باستمرار. فطلبت منه أن يطلعنا عما إذا كنا نستطيع أن نفعل له شيئاً. وكان هدفي من هذا الاتصال الهاتفي هو أن أوضح له أن الرئيس الأميركي والولايات المتحدة الأميركية يدعمونه بقوة لكي يتحرك بحزم قبل أن يفلت من يده زمام السيطرة على الأوضاع بالكامل.^(١)

وكتب "ويليام سوليفان" (السفير الأميركي في طهران) في كتابه "مهمة في طهران" عن وقائع يوم ١٩٧٨/١١/٥م يقول: "... بعد ظهر ذلك اليوم تحولت طهران إلى ما يشبه ميدان الحرب، وكانت النيران لا زالت تشتعل في الكثير من المباني ويتصاعد الدخان منها إلى عنان السماء.. وقد اتصلوا بي هاتفياً من مكتب الملك الذي كان يريد الاجتماع بي في أسرع وقت ممكن، فأجبت: سأصل إلى القصر بأسرع ما يمكن إذا الطريق سالكة. وبعد نصف ساعة أخبرنا الرائد في الشرطة "هايكار" أن الطريق إلى قصر "نياوران" مفتوح ونستطيع التحرك الآن، فتحركنا تتقدمنا سيارة الرائد وخلفنا سيارة أخرى للشرطة، وكان الوقت قبيل الغروب، والمشهد يبعث الحزن والأجواء ملوثة، وهي تذكر بمشاهد قصص الأدب الفاقد لأي قيود. وقد عبرت سيارتنا دون تأخير البوابة الرئيسية للقصر ثم توقفت مقابل مبنى مكتب الملك. وخلافاً للمتوقع فقد وجدت الملك هادئاً. قال لي إنه حلق بطائرة الهيلوكبتر في أجواء المدينة وشاهد الخراب في العاصمة، وأضاف أن مئات المباني قد لحق بها الخراب ولا زالت النيران تشتعل في الكثير منها. وقال إنه لم يبقَ أمامه سوى تعيين حكومة عسكرية. وبعد هذه المقدمة سألني.. عما إذا كنت أستطيع الاتصال فوراً بواشنطن للاطمئنان عن دعم أميركا لقراره. فأجبت:.. لأنني كنت أتوق لهذا الأمر لذا فقد استفسرت من قبل عن رأي واشنطن بهذا الشأن، وعلمت أن الرئيس والحكومة الأميركية سيدعمون مثل هذا القرار. ففرح الملك لذلك واطمأن وأوصى بتقديم "الويسكي" لي، ثم قال إنه طلب من السفير الإنكليزي أن يحضر أيضاً إلى القصر، والأفضل أن نصبر حتى يأتي..".

(١) "القوة والمبادئ" لبريجنسكي، نقلاً عن كتاب "المساعي الأخيرة في الأيام الأخيرة".

وفي جانب آخر من مذكراته يقول "سوليفان": ".. انتشرت طوال ذلك اليوم في أرجاء المدينة إشاعات تقول إن عناصر "السافاك" هم الذين قاموا بإضرام النيران في طهران اليوم بهدف إجبار الملك على التحرك الحازم وتشكيل الحكومة العسكرية. وقد تحدثت للملك عن هذه الإشاعات التي سمعتها أنا أيضا وسألته عن رأيه بشأنها. فنظر إلي بوجه متعب وحرك كتفيه، وقال: من يدري؟ أنا في هذه الأيام أصدق كل شيء..".^(١)

ورغم أن حكومة الجنرال أزهاري تشكلت من ستة من القادة العسكريين ومن قادة الأسلحة العسكرية الثلاثة ولم تضم سوى ثلاثة مدنيين. ورغم أنها نشرت مئات الدبابات والمدرعات وشاحنات النقل العسكرية المحملة بالجنود في شوارع المدينة بهدف إرعاب الأهالي وتهديدهم! حيث أن الجنرال أزهاري أراد إنهاء الأزمة مرة واحدة، على حد تعبيره، رغم كل ذلك فقد استمرت التظاهرات المتفرقة في معظم شوارع العاصمة وكانت هتافات "الموت للملك" تسمع في كل مكان.

أعلن الإمام الخميني (س) موقفه فور إطلاعه على نبأ تشكيل الحكومة العسكرية. وكان أول رد فعل أعلنه هو مقابلة أجرتها معه شبكة التلفزة الأميركية "سي بي إس" يوم الاثنين ١٩٧٨/١١/٦م. حيث سأله مراسل الشبكة:

".. ما هو رد فعل جنابكم على آخر تطور شهدته إيران (تغيير الحكومة وخطاب الملك)؟ فأجاب الإمام: ".. لا يؤثر تغيير الحكومات على نهضة الشعب الشاملة. ولا تستطيع هذه الحكومات، العسكرية منها وغيرها حل المشكلات، أي لا تستطيع إلحاق الهزيمة بهذه الانتفاضة التي تفجرت من بين أوساط الشعب".

وقال الإمام الخميني (س) في نفس ذاك اليوم في مقابلة أخرى مع التلفزيون الألماني القناة الثانية: ".. إن الشعب يتعامل مع هذه الحكومة العسكرية بنفس الأسلوب الذي يتعامل به مع الحكومات العسكرية الأخرى. ولن تنفع الملك بعد الآن هذه المحاولات اليائسة التي تشهدها إيران فهي عقيمة وغير مجدية. على الملك أن يرحل ولا حيلة له سوى الرحيل".

(١) كتاب "مهمة في إيران" ويليام سوليفان، ص ١٦٦ و ١٦٧ من طبعة الترجمة الفارسية.

الخطاب رقم - ٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتكبت أخطاء مؤسفة للغاية طوال حكم هذه السلسلة، بعضها في عهد الملك رضا والأخرى في عهد هذا السيد.

الخطأ الأول وقع في بداية الانقلاب الذي نفذته الملك رضا بأمر الإنكليز. حيث أن الذين كانوا يعرفون بحقيقة الأمر وكانوا يستطيعون معرفة الحقائق، لم يُطلعوا الناس عليها. الملك رضا كان يقوم بنفس هذه الأعمال التي يقوم بها الآن ابنه. فقد أخذ في بداية حكمه بإقامة مجالس العزاء الحسيني وإخراج مواكب اللطم للعسكريين يوم عاشوراء. وهذه كنت شاهدها بنفسني بمعنى أنني أتذكرها. وكان يطوف بنفسه على تكايا مجالس العزاء في طهران كافة وفي الأماكن التي كانت تقام فيها مجالس عزاء طويلة^(١). فقد ورد الميدان في البداية بهذا السلاح واللجوء للخداع وللقيام بهذه الممارسات المرائية التي يمارسها خلفه الآن بطريقة أخرى.

في تلك الأيام كان يوجد الذين يدركون حقيقة هذه الممارسات لكنهم غفلوا عن التحرك لتوعية الجماهير والشعب عليها ويكشفون صورة الملك رضا الحقيقية، وهذا أحد الأخطاء. فتابع هو سياسته فبعدها كان يقوم بتلك الممارسات المرائية كشف عن وجهه الحقيقي، فأغلق كافة تلك المراكز الدينية والتكايا ومنع مجالس الوعظ والإرشاد، فلم يسمح بعقد واحد منها في كل إيران، وقام بكل تلك الممارسات التي تعرفونها جميعا.^(٢)

(١) كتب الأديب والسياسي الإيراني المرحوم ملك الشعراء بهار يقول: "كان يوم عاشوراء عندما دخل موكب للعسكر بقيادة رضا خان (قبل أن يصبح ملكا) مرتبا بطريقة خاصة إلى السوق، ترافقه عدة فرق للموسيقى العسكرية وهي تعزف ألحان العزاء، وكانت معهم أحصنة. وكان قائد العسكر (رضا خان) يتقدمهم بنفسه، وقد خلع قبعته العسكرية، ونثر على رأسه "تبنا" (علامة الحزن).. كما جاء إلى السوق ليلة الحادي عشر من محرم موكب مماثل من هؤلاء العسكر إلى مراسم ليلة سوق الغرباء إلى الشام. كما كان قائد العسكر (رضا خان) بنفسه يتقدم مجموعة منهم وهو يحمل بيده شمعة، ودخل المسجد الجامع في طهران ومسجد الشيخ عبد الحسين، حيث كانت تقام فيها أوسع مجالس العزاء يومئذ، وطاف حول المجلس وهو على هذه الحالة. والتظاهر بهذه الأعمال يظهره وكأنه يولي أهمية كبرى للمقدسات الدينية، وقد استمر على القيام بها لستين أو ثلاث حتى وصل إلى منصب رئاسة الوزراء، وعندها أخذ يضايق مجالس العزاء الحسيني ومواكبه حتى منعها، وظهر بصورة العدو الأول للإسلام. راجع كتاب "مختصر تاريخ الأحزاب السياسية"، ج ١، ص ١٨٣ ١٨٤ وهو بالفارسية.

(٢) أول إجراء اتخذه الملك رضا في بداية حكمه هو منع تدريس القرآن والتعاليم الدينية وإقامة صلاة الجماعة في المدارس. كما منع إقامة المراسم الدينية في كافة أرجاء إيران. وكذلك مجالس العزاء الحسيني. كما فرض قيودا وضوابط خاصة حتى على مجالس الفاتحة والتأبين للموتى. وكذلك تعطيل حوزات تدريس العلوم الدينية العريقة الواحدة تلو الأخرى، واستبدالها بحوزات حكومية يديرها ملائي البلاط الملكي كمدرسة "المعقول والمنقول" / مدرسة سبها سالار. وسنة سنة ١٩٣٨م أسس، وبتكاليف ضخمة، مؤسسة "تطوير الأفكار" وهي المؤسسة الرسمية الوحيدة للنظام المتخصصة بالأمور الدينية والتبليغ، وقد أصبحت مركزا لتجمع الخطباء المرتزقة ومداحي الملك. وطبقا للإحصائيات المتوفرة كان عدد مدارس العلوم الدينية قبل مجيء رضا خان للحكم ٢٨٢ مدرسة، وعدد طلبة العلوم الدينية ٥٩٨٤ طالبا، انخفض سنة ١٩٤١م، أي نهاية حكم رضا خان إلى ٧٨٤ طالبا فقط، أي أقل من سدس ما كان عليه قبل ١٦ عاما. راجع كتب: "تاريخ إيران الحديثة"، ص ٨٦ وكتاب "ذكريات وأخطار"، ص ٣٧٨. وكتاب "عشرون سنة من التاريخ الإيراني"، ج ٦، ص ٢٠٣. وكتاب "انتفاضة مسجد كوه رشاد"، ص ٤٨ و ٥٠.

ومن الأخطاء الأخرى التي شهدتها ذلك العهد، أن الشعب أو الذين كان عليهم أن يوعّوا الشعب لم يدعموا السيد المدرّس وهو الرجل العظيم الوحيد الذي عارض رضا خان وصمد في مواجهته في المجلس النيابي، كان البعض مؤيد للسيد المدرّس، ولكن البعض كان يعاديه بشدة. وفي ذلك الوقت أيضا استطاع البعض أن يدعموا السيد المدرّس. ولكن لو كان الآخرون قد دعموه أيضا لكان من المحتمل أن يقطع دابر شر هذه العائلة (البهلوية) في ذلك الوقت لأن السيد المدرّس كان يتحلى بالحجة القوية والمعلومات الواسعة والشجاعة وغير ذلك، ولكن هذا لم يحدث.

والأسوأ من ذلك، والذي يشعرني بالأسى حقا كلما فكرت فيه، هو ما جرى عندما هاجم الحلفاء إيران (واحتلوها) بعدما كان الملك رضا يطلق تلك الأقوال، وبعد تلك المدائح التي كانوا يقدّمونها عليه أو يغدقونها هو على نفسه، وادعاءاتهم بأن هذه الدولة بلغت المستوى الذي لا يقدر أحد معه على التعرض لها! يطلق مثل تلك المدائح الآن ابنه، وهو حقا خلفه. ثم رأوا أن تلك الادعاءات جوفاء، حيث لم يتبع البيان العسكري الأول بيان ثانٍ^(١)، وينقلون أنه (رضا خان) عندما عاتب الملك رضا أحد قواد الجيش عن سر قصر فترة مقاومة الجيش الإيراني وكونها لم تدم أكثر من ساعتين. أجابه: ساعتان! ما كان يجب أن تدوم خمس دقائق! فلم نكن نملك شيئا وكانوا يملكون كل شيء^(٢).

لقد قاموا بكل تلك الأفعال من أجل إلحاق الهزيمة بهذا البلد. فقد كانت للشعب طاقات وقوة في عهد الملك رضا، وهي وإن كانت مختلفة لكنها كانت داعمة للبلد، فأمر الأجانب هؤلاء (نظام رضا خان) بسلب الشعب هذه الطاقات والقوة. فكان (رضا خان) يسلب قوة كل ذي قوة بالقيود التي يقيد بها بالخارج وغيره. والأجانب كانوا يتحركون في هذا الإطار طبق خطة تستهدف نزع مراكز القوة في إيران من قوتها وأسلحتها لكي لا تستطيع القيام بشيء إذا فكرت يوما بإظهار قوتها^(٣). وعلى أية حال، فقد نفذ رضا خان تلك المهمة

(١) في بيان طارئ عقده المجلس النيابي بتاريخ ١٩٤١/٨/٢٥م أعلن منصور رئيس الوزراء في عهد رضا خان نبأ احتلال قوات الحلفاء لإيران، ثم تخلى عن منصبه بعد يومين، حيث احتل مكانه فروغي. وقد أصدرت قيادة الجيش الإيراني قوات الحلفاء لإيران بتاريخ ١٩٤١/٨/٢٦م البيان العسكري الأول وأمرت فيه الجيش الإيراني بعدم المقاومة، وكان هو البيان العسكري الأول والأخير.

(٢) في كتابه "مهمة من أجل وطني" يعترف الملك محمد رضا بهذه الواقعة المخزية فيقول ص ٨٨: "... بعد طي المرحلة الأولى من الهجوم (الذي شنته قوات الحلفاء) أدرك جيشنا أن المنافس أقوى من أن يكون بالإمكان مواجهته. وحقا فإن جندنا في الجبهة الشمالية لم يكونوا مسلحين سوى ببنادق التدريب. وقد استقال رئيس الوزراء من منصبه بعد ثلاثة أيام، وأن خليفته أمر القوات الإيرانية بترك المقاومة. ولكن المقاومة كانت، في الواقع، قد انتهت بالكامل قبل إصدار هذا الأمر".

(٣) قرر الإنكليز، عملا باقتراح السير "بيرسي لورن" (السفير الإنكليزي المفوض)، جعل القوة في أنها متمركزة في محل واحد، وتكليف الملك رضا بالقيام بذلك. وقد أنجز ما أرادوا. بهذه السياسة أسقطوا حكم العائلة القاجارية القديمة، ونزعوا سلاح الكثير من زعماء العشائر وأصحاب القوة في إيران آنذاك، أو قتلوهم، أمثال: الشيخ خزعل الكعبي، وصولة الدولة القشقائي (زعيم القبائل العربية والبختيارية)، العقيد ساعد الدولة، ابن محمد ولي خان سبهاسالار، ابني الأمير مؤيد سوادكوهي (وهما زعيما قبائل شاهسون)، دوست محمد خاج بلوش، إقبال السلطنة ماكوئي القائد محمد تقي خان ببيان (في محافظة خراسان)، القائد معزز البجنوردي، وسميتقوا (في محافظتي آذربيجان وكردستان).

ونزع سلاح مراكز القوة في إيران ثم رحل هو أيضا. أي رحلوه هو ومجوهرات البلد أيضا، حيث أخذوا منه حقائب المجوهرات التي جمعها، وقالوا له اذهب أنت! وهذا ما أنقله أنا عن شخص ينقله عن مسؤول حكومي رافق الملك رضا في سفره إلى جزيرة موريس.^(١)

فقد كان يتصور أنه سيبعدونه إلى هناك ليعيش في قصر ضخم مثلا، لذا حمل معه تلك الجواهر. وينقل راوي القصة أنه وقف على رأس الجسر الذي كان عليه أن يعبره، وبكى لكنه بكاء عقيم. نقلوه والحقائب المملوءة بالجواهر إلى السفينة، وفي وسط البحر ربطوا هذه السفينة بأخرى مخصصة لحمل الدواب. ثم أمره أن يتقل إلى السفينة الثانية، ورأى أن لا مناص له من الانتقال، فسأل عن الحقائب؟ فقالوا سيأتون بها. فذهب هو من جهة وذهبت الحقائب إلى الجهة الأخرى. فهل هي الآن لدى الإنكليز؟^(٢) الله العالم. وهذا أيضا (ابنه الملك محمد رضا) يقوم الآن بإرسال أمثاله!^(٣)

أجل، لقد رحل الملك رضا، ولكن المؤسف والمؤسف حقا هو أن أبناء الشعب الذين شاهدوا ممارساته العدوانية، التي لم تعد خافية، فرحوا بهجوم قوات تلك الدول الثلاث على إيران عندما أعلن الملك رضا عن انتصارها. فرغم أنها كانت دولا معادية لكنهم فرحوا، وكنت شاهدا لهذه القضية بنفسى، وبدوا وكأنهم فرحون بمجيئها لأنها وإن كانت معادية لكنها لن تفعل أسوأ مما كان يفعله ملكهم!. وهذا هو حال السلطان أو الحاكم المتنفذ الفاقد لدعم الشعب. فالشعب يفرح إذا نفوه أو أخرجوه بدلا من أن يحزن أو يقوم بثورة، فلماذا يقوم بذلك؟ إن الخير في رحيله حقا، وهذا هو الواقع. ولكن الذي يبعث على الأسف هو عدم انطلاق صوت واحد يعلن رفض تنصيب ابن الملك رضا عندما جاءت قوات الحلفاء ورحيل الأب! ولو كان قد ارتفع هذا الصوت لما كانوا قد نصبوه ملكا، ولكن الذي حصل هو أنهم نصبوه كما اعترف هو بنفسه فيما كتبه، وقد سمعت أنهم

(١) أبعد الإنكليز الملك رضا بهلوي إلى جزيرة موريس هذه التي تقع شرق مدغشقر (إحدى المستعمرات الإنكليزية).

(٢) لقد انتشر نبأ سرقه الجواهر الملكية عند نفي الملك رضا إلى درجة اضطرت نواب مجلس الشورى الوطني الإيراني إلى استجواب الحكومة رسميا بشأنه. وقد كذبه وزير المالية آنذاك "كلشانيان"، والمشرف على المصرف الوطني آنذاك "مؤيد أحمددي" في اجتماع عقده المجلس النيابي بتاريخ ١٣/٩/١٩٤١م، لكن هذا التكذيب لم يستطع إخفاء الحقيقة التي كان الكثيرون شهودا عليها. راجع محضر مداولات المجلس الوطني الإيراني في التاريخ المذكور، وكذلك كتاب "اطلاعات في ربع قرن" ص ١٩٦.

(٣) إضافة إلى المقادير الكبيرة من الذهب والمجوهرات والتحف التي أخرجها المرتبطون بالبلاط الملكي وبصورة سرية إلى خارج إيران، حيث نشر فيها بعد نبأ بيعها بالمزادات العلنية في أوروبا وأميركا. فإن نفس العائلة البهلوية أخرجت القسم الأكبر من المجوهرات الملكية إلى الخارج، وخاصة من قبل الملك نفسه وأخته (أشرف بهلوي). وقد ذكر شهود عيان إن عدة طائرات نقل عسكري من طراز ١٣٠ سي، تابعة للقوة الجوية الإيرانية، قامت بنقل أشياء ثمينة لصالح أشرف بهلوي. كما أن الملك محمد رضا نفسه قد حول لخارج البلد، وبصورة علنية، ملايين الدولارات خلال الشهرين التاسع والعاشر ١٩٧٨م. وأرسل أيضا إلى الخارج أشياء ثمينة أخرى بواسطة طائرة نقل عسكرية قبل فراره. كما ذكرت التقارير أن طائرة "البوينغ" الخاصة التي نقلته إلى مصر كانت مملوءة بالأشياء الثمينة. راجع كتاب "السفر الأخير للملك" ص ٥٠، تأليف "ويليام شوكراس"، وترجمه إلى الفارسية السيد مهدوي.

حذفوا فيما بعد عبارة الاعتراف وهي قوله:.... إن الحلفاء رأوا من الصالح تنصبي. لو تصدى يومئذ أحد الأشخاص من الوجهاء أو من العلماء أو مجموعة من أبناء الشعب وصرخوا قائلين: نحن لا نريد العائلة (البهلوي) فقد ارتكبوا بحقنا الكثير، فماذا فعل الأب لكي نتوقع أن يفعل ابنه خيرا؟ لكنهم غفلوا عن القيام بذلك، وهذه إحدى الأخطاء في التاريخ الإيراني. ولو لم يغفلوا عن القيام بذلك لتغير مسار التاريخ الإيراني، ولما كنا نحن مبتلين الآن والتحدث عن هذه الأمور، ولما كنت أنا ولا أنتم هنا، بل لكان الجميع يقومون بمهامهم في بلدهم.

هذه هي الغفلة الكبرى التي وقع فيها الساسة وعلماء الدين وسائر فئات الشعب. وقد أدت إلى فرض (الحلفاء) هذا الشخص حاكما علينا ودعموه بقوة. وقد وقعوا في العديد من حالات الغفلة هذه منذ ذاك اليوم وإلى اليوم، حيث أن قوام السلطنة كان يستطيع القيام بذلك لكنه لم يفعل بسبب الغفلة وضعف النفس.^(١)

وأهم منه الدكتور مصدق، فقد وصلت إليه السلطة وأراد أن يخدم وطنه، ولكن كانت لديه أخطاء أيضا، أحدها أنه عندما امتلك القدرة لم يخنق هذا (الملك محمد رضا) وينهي الفتنة. وكان هذا الأمر يسيرا عليه حيث أن الجيش وكافة القوى كانت تحت سيطرته في حين لم تكن لهذا (الملك) يومئذ أية قيمة، فقد كان ضعيفا، ولكن يكن قد استقوى بعد، بل كان قبضة الدكتور مصدق؟ ولكنه غفل عن ذلك وأخطأ. والخطأ الآخر الذي غفل وارتكبه هو أنه حل المجلس (النيابي) وأجبر النواب فردا فردا على تقديم الاستقالة، وعندما استقالوا وجد الملك مخرجا دستوريا، وهو أن من حق الملك تعيين رئيس الوزراء في حالة عدم وجود المجلس النيابي، فقام الملك بتعيين رئيس الوزراء. وهذا الخطأ الذي وقع فيه الدكتور^(٢). وقد أدى إلى إعادتهم هذا الرجل إلى إيران

(١) أحمد قوام (١٨٧٣-١٩٥٥) الملقب بـ "ديبر حضور، وزير خضو، وقوام السلطنة"، وهو الذي كتب بخط يده الوثيقة الملكية الدستورية. وكان السكرتير الخاص للملك ورئيس مكتبه في زمن القاجاري مظفر الدين، وأصبح واليا على خراسان في زمن الملك أحمد القاجاري، ثم رئيس وزرائه. ومع وصول قائد العسكر رضا خان للسلطة عزله، فاضطر إلى مغادرة إيران. ثم عاد لمزاولة النشاط السياسي. وآخر سنة ١٩٤١م تولى منصب رئاسة الوزراء أربع مرات. ولكنه عُزل مرة أخرى بسبب حوادث شهر تموز سنة ١٩٥٢. ويوصف أحمد قوام بأنه أحد المرتبطين المعروفين بعجلة السياسة الإستعمارية الإنكليزية والأميركية. وقد عقد في شهر أيلول ١٩٤٧م معاهدة سرية مع الحكومة الأميركية تنص على الآتي: "لا يحق للحكومة الإيرانية استخدام خبراء عسكريين من سائر الدول الأخرى، إلا بموافقة الحكومة الأميركية"، وبذلك جعل الجيش الإيراني إحدى المؤسسات التابعة لوزارة الحرب الأميركية. كما أن منح أميركا امتيازات مهمة في المجال النفطي - في ظل حكومته - شكّل عاملا مهما في توسيع وترسيخ النفوذ والهيمنة الأميركية على إيران.

(٢) الدكتور محمد مصدق (١٨٨٢-١٩٦٧م)، ابن الميرزا هدايت، من السياسيين الإيرانيين المعروفين، وهو خريج معهد العلوم السياسية في باريس، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة "نوشاتل" السويسرية. وقد عيّن واليا لمحافظة فارس (سنة ١٩٢٠) ثم آذربيجان (سنة ١٩٢٢) في عهد الملك رضا. كما انتُخب نائبا في مجلس الشورى الوطني الدورات ٦٥ و١٦، وشكل في الدورة السادسة عشر للمجلس "الجبهة الوطنية" بمشاركة عدد من الأحزاب السياسية في المجلس. وبعد المصادقة على قانون تأميم النفط اضطر الملك إلى اختياره رئيسا للوزراء، وقد وصل للحكم بفضل الدعم الواسع الذي قدمه له الزعماء الدينيون، وخاصة المرحوم آية الله السيد الكاشاني، كما دعمه الشعب بحماس. وقد حدثت السياسة التي انتهجها كثيرا من صلاحيات الملك، وقد عزله الملك في فرصة سنحت له في تموز سنة ١٩٥١م،

ثانية. فكان أن "ذهب الملك محمد رضا وعاد الملك رضا" كما قال البعض للدكتور بشأن نتيجة عمله. أي أن الذي ذهب هو الملك محمد رضا الضعيف الذي كان في قبضته وعاد الملك رضا، أي عاد الملك قويا متجبرا. والذين قالوا ذلك حينئذ لم يدروا أن العائد يزيد بأضعاف عما كان عليه أبوه الملك رضا من تحبر!! هذا أيضا من الأخطاء التي ارتكبت.

والمرحلة الآن حساسة، وأنا أخشى من وقوع الأخطاء فيها، ونحن الآن مكلفون بواجب. وقد رأينا أخطاء الماضي وأنا أخشى من أن تقع فئات الشعب من شخصياتنا العلمية والسياسية والثقافية في خطأ ما، وحينئذ سنبقى في المحنة إلى النهاية. ولن يبقى أمل بتجدد ثورة أخرى.

إنكم جميعا وكذلك كل من قرأ التاريخ، تعلمون بعدم وجود نظير لهذه النهضة القائمة على مدى التاريخ الإيراني، إذا لم نقل على مدى التاريخ العالمي عموما. حيث تجد فيها الصغير ابن سبع سنين والشيخ الذي بلغ السبعين عاما يرددون معا بصوت واحد: نحن لا نريد الملك. فهي نهضة تتحدى الحراب والمدافع والدبابات والعساكر الذين يجولون في الشوارع ويسحقون الشعب ويقتلون أبناءه، ورغم ذلك يقف صامدا رافعا قبضاته الراسخة وهو يهتف: لا نريد هذا (الملك)!! لا شك بأن هذه النهضة لا نظير لها في التاريخ الإيراني، ولا أدري إن كان يوجد مثيلا لها في التاريخ العالمي، ولكن لا نظير في السابق لهذا التحول الذي شهدته إيران، وأنا متيقن من ذلك. وعلى كل عاقل أن يدرك أن هذه النهضة لا يمكن أن تتجدد إذا ما أخدمت. فليس لها مفتاح مثل زر المصباح الكهربائي يمكن به للإنسان أن يطفى المصباح ثم يوقده متى ما شاء. كلا، فهذه النهضة التي لم يشهد التاريخ مثيلا لها أوجدتها سلسلة من الجهود المضنية ويد الله (تبارك وتعالى) ..

وعلى الرغم من قيام الحكومة العسكرية حاليا، وحيث أن المدن الإيرانية محتلة بصورة عملية من قبل العسكريين والجيش. إلا أن الأصوات ترتفع في كل مكان والتظاهرات تخرج في كافة المناطق ولا زال شعار "الموت للملك" مدويا، ومثل هذه الحالة لم تظهر في السابق أبدا ولا أمل بتكرارها في المستقبل أيضا. وما أخشاه هو أن لا تحقق هذه النهضة ثمارها وتخدم بسبب أخطائنا نحن وأنتم وسائر فئات الشعب، وحينئذ سيبقى بلدنا، وإلى الأبد، في الأسر تسحقه أقدام الأجانب.

إنهم الآن يتشبثون بكل وسيلة، سواء أولئك الذين يتواجدون في المجلس تحت عنوان "النواب" أو الذين في خارجه من أنصار الملك، فهم جميعا يتشبثون الآن بأي شيء من أجل الإبقاء عليه. كذلك المناورات التي

ولكنه واجه حركة احتجاجية عامة اضطرتته إلى تكليفه مرة أخرى بتشكيل الحكومة. الخلاف الذي ظهر بين الدكتور مصدق الذي يعتقد بفصل الدين عن السياسة وبين آية الله الكاشاني الذي يؤمن بوجوب رعاية الأصول والقواعد الدينية في إدارة شؤون المجتمع، أخذ يتسع تدريجيا، ووسّع الفجوة بينهما. ثم تم إسقاط حكومة الدكتور مصدق في الانقلاب العسكري الذي نفذته أميركا بتاريخ ١٩/٨/١٩٥٣م. واعتقل الدكتور مصدق وبقي في السجن ثلاثة أعوام، ثم نفي إلى قرية أحمد آباد على الطريق بين طهران وقزوین، وبقي فيها إلى نهاية عمره.

شاهدتم إجرائها في المجلس النيابي مؤخرا. حيث أصبح هذا معارضا وذاك مؤيدا! كلا، فالمعارضون والمؤيدون يتفقون على نقطة واحدة، وهي بقاء الملك.^(١)

فما معنى الشعار الذي يرفعونه حاليا، أي شعار "الانتخابات الحرة"^(٢)، إنه يعني أن يأمر "صاحب الجلالة" الشعب بالانتخاب، ويبقى النظام الملكي في موقعه الرسمي. ويكون أمر الانتخابات بيد الملك، لكنها انتخابات

(١) تزامنا مع تصاعد الانتفاضة الشعبية سنة ١٩٧٨م، عمد النظام الملكي إلى لعبة تضليلية جديدة لا مثيل لها في السابق، أشركوا فيها أعضاء المجلس النيابي وكذلك مجلس الأعيان، وهم دمي بيد النظام. ففي شهر حزيران من السنة المذكورة ظهرت حمى الخطابات الحماسية والمعارك البرلمانية المفبركة بين هؤلاء النواب، كما ظهرت حمى تأسيس الأحزاب السياسية، وبلغت ظاهرة تقسيم التكتلات البرلمانية إلى أقلية وأكثرية ذروتها آنذاك. ولكن محور جميع تلك الخطب الحامية كان تنزيه الملك وإلقاء اللوم على عناصر الدرجة الثانية والثالثة في النظام الملكي. ولتوضيح ماهية آخر الجهود اليايسة العقيمة التي كانت تبذلها السفارة الأميركية في طهران والبلاط الملكي لإنقاذ النظام. تكفي نظرة سريعة للعناوين الأساسية التي كانت تنصدر مثلا صحيفة "اطلاعات" الإيرانية في تلك الأيام. فنقرأ مثلا فيها:

"ممثلو حزب "رستاخيز" يقولون إنهم يثيرون العراقيل أمام الحكومة لأنها لا توزع عليهم الكرزات!".. "وهل يمكن أن يكون الشخص حين الانتخابات عضوا في حزب "رستاخيز" ثم يصبح بعد انتخابه عضوا في حزب "بان إيرانيست"؟".." ١٢ من النواب بقيادة بني أحمد يهددون بالخروج من الحزب.." "سيستأنف بزشكبور قريبا نشاطاته الحزبية.." "الحزب يوافق على تشكيل جناح جديد" (صحيفة "اطلاعات" ١٩٧٨/٦/٢٢م).

"الملك: على المجلس النيابي والحزب أن يوجد ديمقراطية حقيقية.." "إعادة بناء خلايا حزب "بان إيرانيسم".." "لن يتزعزع حزب "رستاخيز" بسبب استقالة بعض النواب.." (صحيفة "اطلاعات" ١٩٧٨/٦/٢٦م).

"الحزب يعطي مختلف الأجنحة حق النقد البناء.." "بزشكبور يرد على الناطق باسم الحكومة.." "انتخاب موشنك أنصاري كرئيس تنسيقي للجناح البناء.." (صحيفة "اطلاعات" ١٩٧٨/٦/٢٨م).

"جناح الأكثرية في البرلمان يفاجئ المعارضين بتحركه السريع.." "بني أحمد يصدر بيانا عن نشاط التنظيم الجديد.." (اطلاعات" ١٩٧٨/٧/١م).

"سقوط حكومة شريف إمامي.." "ممثلو آية الله العظمى شريعتمداري يدعون إلى التحلي بضبط النفس.." "منح حرية التحرك للأحزاب الدستورية، واحترام العلماء والأحكام الإسلامية، وملاحقة المعتدين على بيت المال، ومعاينة المسؤولين الحكوميين عن الحوادث الأخيرة" (اطلاعات" ١٩٧٨/٨/٢٧م).

"بني أحمد: لن أمتح رأي الثقة لرئاسة الرياضي.." "بزشكبور: سأدلي برأي معارض لحكومة شريف إمامي.." "تأسيس مجمع الاتحاد من أجل الحرية" (اطلاعات" ١٩٧٨/٩/٢م).

"المعارضون يشنون حملات عنيفة ضد الحكومة في المجلس النيابي.." "بزشكبور: سأقدم استجوابا للحكومة إذا لم يقدم وزير العدلية اعتذاره" (اطلاعات" ١٩٧٨/٦/١٢م).

(٢) بتاريخ ١٩٧٨/٩/١م صرح الدكتور كريم سنجابي رئيس الجبهة الوطنية الإيرانية قائلا: "إذا تغيرت الأوضاع بالكامل واطمأن الشعب الإيراني من سلامة الانتخابات فسيشارك بكل حماس واندفاع فيها كافة طاقاته، لأن كل مجموعة أو تجمع أو حزب يجب أن يستند بالضرورة إلى آراء جماهير الشعب وطاقاتها، ويشق طريقه نحو مؤسسات ومراكز اتخاذ القرار، ويشارك في الحكومة الوطنية عن طريق انتخابات حرة سليمة." راجع صحيفة "اطلاعات" ١٩٧٨/٩/٢م. الجدير بالذكر أن حكومة جعفر شريف إمامي أطلقت على نفسها اسم "حكومة المصالحة الوطنية".

حرة! هذا معنى الانتخابات الحرة: أن يكون الحكم ديموقراطيا والملك يبقى ملكا دون أن يتدخل في شؤون الحكومة.

كل هذه الأقوال تطرح في داخل المجلس (النيابي) وخارجه وكل مكان. فهم يأملون بكل وجودهم أن يقتنع الشعب بمقولة أن يبقى الملك ملكا دون أن يتدخل في شؤون الحكومة. وهم يسعون لذلك منذ شهرين أو ثلاثة وقد يستمرون في مساعيهم سنة أخرى، ولكن ماذا يكون حال المستقبل؟ لنفرض أنه سيلتزم بذلك ويبقى ملكا لا يتدخل في شؤون الحكومة، ثم يتحول إلى إنسان صالح بالكامل - وهذا فرض باطل ومع ذلك لنقل بذلك فرضا- ولكن ماذا عن كل هذه الجرائم التي ارتكبتها؟ فهل يُترك شخص ارتكب جريمة قتل لمجرد أنه جاء واعتذر؟! وهل يعفو القانون عنه؟ فمن يقتنع بذلك؟ لقد تسلط هذا الشخص على مقدّرات بلدنا ٢٥ سنة وأكثر وارتكب طوالها أشكال الخيانة بحق الوطن، وسلم ثرواته جميعا للأجانب، وسلّطهم عليهم، وضجّع نفطنا وغازنا الطبيعي، ولا زال يقوم بذلك. وقتل كل هذه الأعداد الكبيرة من الناس، وارتكب كل هذه المجازر العامة في واقعة ١٥ خرداد، وأشد منها ما ارتكبه في الآونة الأخيرة. ثم يقول الآن: لقد وقعنا في بعض "الأخطاء" غير المقصودة و"نتعهد" بعدم تكرارها! لنفرض أنك تعهدت بذلك (حقا) ولنفرض عدم تكرار الأخطاء مستقبلا. ولكن ماذا عن الأخطاء السابقة؟ لقد ألقيت شخصياتنا السياسية أو العلمائية في السجن عشر سنين أو خمسة عشر عاما، أكثر أو أقل، وصببت عليهم أنواع العذاب والأذى، وقد خرجوا الآن بحالة صحية متدهورة. فهل ينتهي الأمر بمجرد إطلاقك سراحهم؟ لقد ضيعت عشرة أعوام من أعمار الآلاف في هذه السجون ثم لا مقابل! وعلينا أن نسمح لك بأن تبقى ملكا في الصدارة وفي "المقام السامي"، ويأتي الجميع ليسلموا عليك في يوم تقديم التحية، وتبقى في قصرك العالي منشغلا بالترف والفساد، ولا حاجة لأن تتدخل في شؤون الحكومة!! هذا هو المطلوب؟! إن هذا القول يفتقد لأدنى مراتب الإنصاف، فهل يمكن لأي مسلم أو أي إنسان ذي ضمير حي أن يدعو لذلك ويقول: لا بأس أن يبقى مجرم تسلط على هذه الحكومة، غير الدستورية الباطلة، أكثر من عشرين عاما، ضجّع خلالها ثروات الشعب، وارتكاب المجازر العامة ضده، وسلّط الأجانب على وطنه، فيترك الآن لمجرّد أنه قال: لقد أخطأت فاعفوا عني. لقد وقعت بعض الأخطاء، إن هذا القول بحده إقرار واعتراف بالجرائم يدان بسببه في المحاكم.

لنفرض أنك أصبحت الآن مسلما عابدا، ولكن ماذا عن هذه الجرائم التي ارتكبتها إلى الآن؟ هل يغلق ملفها طبق قوانين أي محكمة في العالم ومحكمة العدل الإلهي وأحكام الإسلام أو طبق قوانين المحاكم العرفية؟ وهل تنتهي القضية باعتذاركم لأنك ملك فتركك ونذهب ويذهب كل فرد لعمله؟

إن من الخيانة للإسلام ولهذا الشعب المظلوم التحدث عن المساومة مع الملك، أو القول بأن نتركه يظل ملكا غير حاكم، أو أن يذهب هو وتأتي السيدة "فرح"^(١) وتصبح ملكة علينا، ثم تجرى الانتخابات الحرة ويتم إصلاح كل شيء.

وماذا عن تلك الأم التي كانت إلى الأمس تجلس مع أبنائها الخمسة على مائدة الطعام، فإذا بها تجد الآن وحدها مع زوجها الشيخ الكبير حيث قتل شبابها؟ هل يكفي (لإرضائها) مجرد أن يعتذر الملك "القاتل"؟ أيستطيع الإنسان المسلم أن يتفوه بمثل هذا القول؟ ما هو الجواب الذي نقدمه للتي فقدت ابنها الشاب عندما تنظر إلى زملائه الذين كان يذهب معهم بالأمس إلى المدرسة فلا تراه اليوم بينهم؟ وماذا يقول الشعب؟ أنقول لقد صالحننا "صاحب الجلالة" فلا محل لدماء أبنائكم غير تحت الأقدام؟ أليست هذه هي الخيانة؟ كيف يمكن أن يخطر على ذهن الإنسان مثل هذا؟ وأية غفلة شيطانية ووساوس شيطانية هذه التي تخطر على ذهن الإنسان فيقول: حسنا لنعفو الآن "فقد أصاب الأذى الجميع وقد عفونا نحن فاعفوا أنتم أيضا". فعن أي شيء نعفو؟ وهل هو حق متعلق بي لأعفو؟ إن هذا هو حق الشعب، وحق الإسلام وحق الله، فهل يستطيع أحد أن يعفو عنه، وهذا ما لا يمكن العفو بشأنه؟

(١) تولت "فرح" زوجة الملك منصب نائبة الملك. ويتضح من المقابلة التي أجرتها معهما (فرح والملك) صحيفة "دير شيبغل" الألمانية أنها جندت كافة صلاحياتها وقواها لحفظ النظام الملكي في تلك الفترة. وقد أمسكت بزمام الأمور بنفسها في الأيام التي كان فيها الملك عاجزا عن اتخاذ أي قرار. في هذه المقابلة قال الملك: "إنهم يريدون إرسالنا، أنا والملكة، في إجازة خلاف رغبتنا. ولو كان الأمر بيدي لذهبت في الإجازة أواسط الخريف. وقد أجبرتني زوجتي على البقاء هنا". وقد سأل المراسل "فرح" عما إذا كانت هي التي منعت الملك من مغادرة البلد؟ فرمقت بنظرة حادة زوجها وقالت: كان ثمة اختلاف في الرأي بيننا فيما يتعلق بتحديد موعد السفر فقط.

لقد أرادت أن يذهبها عندما لا يكون الحاكم "قانون الشارع".

وهنا سألها المراسل: هل تعتقدون أن هذا السفر هو بدون عودة؟

فأجابت: آه، كلا، كلا، بلا ريب! فأنا أفكر فقط بإجازة طويلة. تطول بالمقدار اللازم لكي تهدأ حمى الشارع ويتم إنقاذ التاج والعرش.. الشعب يصبر على رحيلنا! حسنا سنرحل، ولكن ليعلم الشعب بأن رحيلنا لن يطول بدون عودة!

وسأل مراسل الصحيفة: هل كنتم تتوقعون كل هذا السخط الشعبي؟

فأجابت فرح: كلا، أبدا، لقد وقعت في حيرة شديدة.

ثم سأل المراسل الملك عن مشاعره فأجاب: أشعر بحزن عميق، وأنا متعب حقا..

ويتضح من هذه المقابلة أن الملك كان يائسا بالكامل من استمرار حكمه، وكان يريد مغادرة إيران، لكن فرح كانت عازمة على البقاء وإخماد النهضة بأي وسيلة. فقد كانت هذه المرأة تلجأ إلى كافة الدسائس والخطط، وتقوم بعقد الاجتماعات والمفاوضات مع الشخصيات السياسية الغربية المتنفذة من أجل السيطرة على "قانون حكم الشارع" في تلك الأيام الأخيرة من حكم النظام حيث كانت رياح الثورة تعصف بأركان الظلم الملكي فيما يتعلق بعلاقات "فرح" وسوابقها وشخصيتها. راجع كتاب "ظهور الملكية البهلوية وسقوطها". ومذكرات الجنرال السابق حسين فردوست، ج ١، ص ٢١٠.

إنني أخشى من وقوع مثل هذا الخطأ والانحراف! لذا يجب على الجميع أن يتعاونوا للحيلولة دون وقوعه! عليكم أنتم الشباب الذين تعلنون صرختكم هنا، وعلى أولئك، الذين يجاهرون بصرخاتهم في إيران الآن أن لا يسمحو، في هذه المرحلة الحساسة، حيث وصلت النهضة إلى الخندق الأخير، بانتصار هذا الشخص (الملك) حيث يتشبثون الآن بكل الأطراف. فهذا خطر كبير يتهدد إيران إذا وهنوا ووقع ذاك الانحراف أو خافوا من الضجيج الذي أثاره "كارتر" حيث قال: إن مصالحنا تستلزم بقاءه (الملك) وهو ثمرة "سياستنا"، أو بعبارة أخرى خادمنا فلا نسمح بسقوطه، بل يجب أن يبقى. لم يستخدم هذا التعبير وهذه الأوصاف لكن هذا هو محتوى ومضمون ما قال. فمن أين يمكن أن نحصل على مثل هذا الخادم؟ لا تخشوا هذا الضجيج أبدا.

لا يمكن فرض شيء على الشعب إلى النهاية، وقد رأينا أنهم عجزوا عن تحقيق ذلك بالعسكر، وهو (الملك) كان راغبا للغاية في أن يرتكب العسكريون المجازر الواسعة ويقتلون مليونين أو ثلاثة. ولكن لا يمكن تحقيق ما يريدون بذلك. وهذا ما لا يستطيع أسيادهم أيضا تحقيقه. فهل تتصورون أن جيوش الروس والأميركان والإنكليز ستأتي من هذه الجهة وتلك إذا فشل هؤلاء؟ كلا فهذه أشعار لا أكثر، فالشعب إذا لم يرد فلا يمكن تحقيق ذلك والشعب الآن يعلن الرفض برمته. فالقضية اليوم لا ترتبط بموقف حزب واحد أو جبهة معينة أو تجمع. بل الذي يعلن الرفض هو الشعب بأكمله حيث يصرخ: لا... ولذلك فلا تستطيع مواجهة كلمته هذه لا الحراب ولا الدبابات ولا المدافع ولا تهديدات "كارتر" أو الكرملين الجوفاء. لا تجدي شيئا كل هذه. فليكتبوا كل ما يريدون في صحفهم أو فليرفعوا به عقيرتهم.

أرجو أن ينصر الله الإيرانيين الذي التفوا من أجل حقهم (الحاضرون: آمين)، ويؤيد هؤلاء الشجعان الذين ثاروا يريدون استحصال حقوقهم (الحاضرون: آمين). وعلينا جميعا أن ندعمهم بمقدار ما نستطيع حيثما كنا (الحاضرون: إن شاء الله). علينا جميعا القيام بما نقدر عليه لنصرتهم، وهو أن نوصل صوتهم للآخرين، حيث يوجد الآلاف من الإيرانيين خارج البلد ويستطيعون إيصال قضيتهم إلى أضعاف عددهم من الأجانب، ويحبطوا هذه الدعايات التي تروج في الخارج وتصور الشعب الإيراني بأنه مثير للشغب وأنه لا يصلح لأن تمنح له الحرية! وأمثال هذه الادعاءات الجوفاء التي يطلقها الملك وأبواقه، وعليكم أنتم أن تدحضوها. فأبناء هذا الشعب قد وقفوا وهم يجاهرون بالقول: نحن نريد حقوقنا، أن نكون أحرارا وليس تحت سلطة المستشارين الأميركان. هذا هو النضوج الذي بلغته جماهيرنا حيث تطورت ولم تعد تقتنع بمثل تلك القضايا^(١)، ولن تقتنع إن شاء الله. حفظكم الله جميعا ووفقكم.

(١) يقصد مكائد النظام الملكي ودعاياته.

هوية الخطاب رقم - ٦٠

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٧ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: لا يمكن نسيان الجرائم التي ارتكبتها الملك وأبوه طوال خمسين عاما.

المناسبة: قيام النظام الملكي بترويج إعلامي واسع لتسوية الملك المزعومة واعتذاره من الشعب.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد يومين من تشكيل حكومة الجنرال أزهاري العسكرية. كانت مختلف مراكز صحف طهران الرئيسية تحت حصار كامل فرضته عناصر الحكومة. كما اعتقلوا العديد من الصحفيين، واستقروا حتى في مركزي الاتصالات الهاتفية لصحيفتي "كيهان" و"اطلاعات" لكي يردوا على الاتصالات الهاتفية الواردة والتي تستفسر عن أخبار التطورات، حيث كانوا يردون عليها بجواب واحد هو "الصحيفة معطلة".

وكانت الدبابات والمدرعات والشاحنات المحملة بالجنود تشاهد في معظم شوارع طهران، كما حاصرت قوات الجيش مباني الوزارات ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون. وقد بلغت شدة الإجراءات العنيفة للعسكريين حدا أنهم كانوا يبادرون إلى الضرب ومهاجمة أي تجمع حتى لو كان من ثلاثة أشخاص خاصة إذا كانوا من الشباب دون أي مسوغ. ورغم ذلك كانت مجاميع من الشباب والفتيان تشكل الواحدة من ٢٠-٣٠ شخصا، تخرج إلى الشوارع مرددة شعار "الموت للملك"، فإذا هاجمهم عناصر الحكومة العسكرية أخذوا بالتفرق في الأزقة فتدوي في أكثر الأزقة بسبب ذلك صرخات "الموت للملك" التي كانوا يرددونها وهم يتفرقون في الأزقة خلال مطاردة العسكريين لهم. فيعمد العسكر إلى إطلاق العيارات النارية بصورة عشوائية، وكانت أبواب معظم المنازل الواقعة في الأزقة أو على جانبي الشوارع مفتحة أمام المتظاهرين لكي يدخلوها.

وقد استشهد عشرة من المتظاهرين وجرح آخرون في مدينة كرمينشاه (باختران) ومدينة آمل خلال التظاهرات الواسعة التي خرج بها أهاليهما. وأطلق العسكر العيارات النارية على المتظاهرين في مدينة زنجان، ولم يعرف عدد القتلى والجرحى على نحو التحديد.

وفي نفس التاريخ، ذهب الجنرال أزهاري وحكومته المؤلفة من تسعة أشخاص إلى المجلس النيابي الشكلي من أجل الحصول على الثقة!! يقول الجنرال قره باغي في اعترافاته: "لقد أدى أسلوب الجنرال أزهاري في العمل، مع وجود الحكومة العسكرية، واستمرار أسلوبها الغامض في الحكم إلى التأكيد للشعب الإيراني والمعارضة والعالم كله على أن آخر إجراء سياسي مهم اتخذه صاحب الجلالة الملكية، وهو تشكيل الحكومة العسكرية برئاسة رئيس القيادة العسكرية العليا وعضوية قادة الأسلحة الثلاثة، لم يستطع منع أعمال الشغب والإضرابات والاضطرابات التي يثيرها المعارضون والمتمردون".

ورغم أن الجنرال أزهاري قد تعهد أمام المجلس النيابي بإنهاء الاضطرابات بكل حزم واستخدام الجيش لإنهاء الاضطرابات، إلا أن كل المؤسسات الحكومية والدوائر تقريبا كانت في حالة إضراب عن العمل ومعطلة بالفعل فيما كانت دائرة التظاهرات تتسع باستمرار يوما بعد آخر.

وفي تاريخ ١٩٧٨/١١/٧م، أي بعد يوم واحد من تشكيل الحكومة العسكرية، سأل مراسل وكالة "الأسوشيتدبرس" الإمام الخميني (س): ما هو رأيكم بشأن الحكومة العسكرية التي عينها الملك؟ فقال الإمام: إن المؤامرة الجديدة للملك، أي تعيين الحكومة العسكرية لقتل أبناء الشعب الإيراني وإجبارهم على الاستسلام، لن تفتح أمام الملك سبيلا للخلاص، بل إنها ستؤدي به وحماته إلى السقوط في طريق مسدود أشد سوءاً.

ثم سأل المراسل: هل أن الإتيان بهذه الحكومة يجعل إسقاط النظام الحاكم الآن أيسر أم أصعب؟ فأجاب الإمام: إن من المؤكد أنه يجعل إسقاط النظام أشد حتمية.

أبناء الشعب لم يكونوا يثقون بالإذاعة والتلفزيون الخاضعين لسيطرة العسكر، لذا لم يجدوا، للحصول على الأخبار، بداً من التوجه إلى الإذاعات الأجنبية، وقد بثت هيئة الإذاعة البريطانية المقابلة القصيرة الأنفة الذكر التي أجراها مراسل "الأسوشيتدبرس" مع الإمام في مساء نفس ذلك اليوم. وفي اليوم التالي كانت تشاهد بوضوح على جدران شوارع طهران وأزقتها العبارة التالية: إن من المؤكد أن مجيء الحكومة العسكرية يجعل سقوط النظام أشد حتمية.

وفي هذا الخطاب يتحدث الإمام الخميني (س) بصورة مفصلة عن الهزائم المتتابة لمخططات النظام في الإتيان بحكومة المصالحة الوطنية ثم الحكومة العسكرية. ويبين أن الحرية التي لجأ إليها الملك، أي التوبة والاعتذار من الشعب، ما هي إلا وسيلة جديدة لاستغلال الشعب وخداعهم بهدف فسخ المجال لتكرار الوقائع المرة لحقيقة الحكم البهلوي. ويشير الإمام إلى ما يطرحه البعض من الساسة الذين يدعون إلى بقاء الملك ملكاً دون أن يحكم ويحذر من ذلك ويقول: إن هذا الخيار انتحار للشعب، فهو يدمر شعبنا ويضيع إيران.

ويصف دعوى الملك بأن رحيله يؤدي إلى تقسيم إيران واحتلال القوات الأميركية والروسية لها، بأنها حمقاء وصبيانية لن تؤثر على عزم الشعب الراسخ. ثم يؤكد على ضرورة مواصلة النهضة حتى إسقاط النظام ويقول: "لو تهاون أحد في هذا الأمر، أو أهمله، أو قال كلمة تدعم هذا الشخص (الملك)، فهو خائن لهذا الشعب والإسلام، ويجب اعتزاله..".

وفي جانب آخر من خطبته، وضمن مخاطبته الطلبة الجامعيين الإيرانيين المقيمين خارج إيران، بين الإمام الخميني (س) مميزات الحكم الإسلامي، استناداً إلى السيرة العلمية والسياسية لنبي الإسلام (ص) والإمام علي (ع) في حياتهما الشخصية والاجتماعية. كما أكد حقيقة أن الإسلام يرفض الفساد ومظاهره وليس التحضر ومظاهر التقدم.

الخطاب رقم - ٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة كانوا يرددون شعار "سنقتل عدوك الوحشي"^(١)، وهذا ليس عدوا وحشيا لي فقط بل إنه وأباه عدوان وحشيان لهذا الشعب، وهما منذ خمسين سنة يعاديان بدموية استقلال بلدنا وحرية شعبنا وثرواتنا العظيمة وثقافتنا واقتصادنا وعسكرينا وجيشنا وفئات شعبنا كافة، وهما عدوان دمويان للإسلام وعلمائه وأبنائه ولإيران.

لقد أدرك شعبنا هذا العداء وتفجرت هذه النهضة الإسلامية العظيمة، لذا يتشبث هذا العدو الدموي بوسائل مختلفة الآن. وكان قبل تفجر هذه النهضة يلجأ إلى وسيلتين أهمها تلك الأقوال التي كان يطلقها والخطابات التي كان يقرأها والأحاديث التي كانوا يعدونها له على هيئة كتب مثل كتاب "مهمة من أجل وطني"، وكتابه الآخر الذي كتبه الآخرون باسمه ونشره هو. وتأتي في هذا السياق الدعايات التي كان يروجها "صاحب الجلالة والشمس الآرية" والقائلة: بأن إيران وصلت في ظل جلالتها إلى المرتبة التي لم تعد أميركا فيها "أبنا الأكبر" الذي تجب علينا طاعته، وإننا قطعنا أيدي الأجانب عن بلدنا فلا يتجرأ الإتحاد السوفيتي على التناول علينا، ولا تقدر أميركا على الاعتداء علينا. ومثل هذه الأقوال التي تتردد بكثرة وسخاء في خطباته وحيثما حل، وتلاحظون ما تحتويه كتبه من أحاديث عن "التحضر العظيم" وغير ذلك.

أما وسيلته الأخرى، فهي الإرهاب ومنظمة الأمن (السافاك) والعسكر والشرطة، حيث كان يسلطهم على أرواح الناس وأموالهم. وكان هذا الحال قائما إلى أن تفجرت النهضة قبل أكثر من عام واتسعت في كافة أرجاء إيران، وهي تزداد اتساعا كل يوم، وستبقى ويستمر انتشارها إلى النهاية، إن شاء الله. وفي خضم انتشارها أخذ الملك يتشبث بوسائل مختلفة، فمرة بالإتيان بالحكومة العسكرية والادعاء بأنها جاءت لتعمل طبق ما يريده الشعب، وتحقق له مطالبه. وقد قاموا ببعض الإجراءات الصبائية، فقالوا: لقد أغلقنا مراكز لعب القمار، في حين أن مختلف مراكز الفساد موجودة في إيران ويدعمها الملك بنفسه، وكذلك الجهاز الملكي الحاكم. وقالوا: لقد أرجعنا التقويم الهجري وأمثال ذلك من إجراءات أرادوا بها استغلال الشعب، وعندما شاهدوا أنه لم ينخدع وواصل إطلاق صرخاته، وأن نفس هذه الحيلة التي قاموا بها قد زادت في وعي أبناء الشعب الذين تظاهروا رافضين لها. حينئذ تشبثوا بخيار الحكومة العسكرية، ففي نفس الوقت الذي كانت حكومة "مصالحة وطنية" أصبحت أيضا "حكومة عسكرية"! وارتكبت كل جرائم القتل والمجازر تلك التي تعرفون بأمرها جميعا، ففي بداية الأمر جاؤوا بحكومة المصالح، ثم رفعوا الحراب والحكومة العسكرية".

(١) كان الشعب الإيراني في أيام نهضته يطلق شعارات مختلفة في تأييد الإمام الخميني وإدانة النظام الملكي، منها هذا الشعار: حفظك الله أيها الخميني، سنقتل عدوك الوحشي. وهذا هو الشعار الذي يشير إليه الإمام حيث كان الجامعيون يرددونه قبل خطبة الإمام.

لكن شعبنا لم يتأثر بذلك، فقد شهد في داخله تحولا معنويا لا نظير له في كل مكان ولا في التاريخ الإيراني، فهو تحولٌ شمل أبناء الشعب في جميع أرجاء البلد. فعندما كانت تعلن الحكومة العسكرية قرارها بمنع اجتماع أكثر من شخصين كانوا يخرجون على هيئة تجمعات تربو أعدادها على ٢٠٠ أو ٣٠٠ أو ٥٠٠ ألف شخص يتحركون في نفس المناطق التي يسيطر عليها العساكر وهم يرددون هتافات "الموت للملك".

وعندما شاهدوا فشل أسلوب الحكم العسكري عمدوا هذه المرة، قبل أيام، إلى استخدام هاتين الحربتين معا، فرفع الملك في إحدى يديه "عريضة" توبته وفي الأخرى الهراوات! وكانت هذه مؤامرة. واحتمال - بل هو هذا الواقع - أنهم قرروا في الاجتماع الثلاثي أو الرباعي الذي عقده مع الملك^(١)، أن يقوم الملك بالحدث كإنسان تائب^(٢)، ويتعهد أمام الشعب بعدم تكرار الأخطاء السابقة، ثم يتوجه لمخاطبة كل فئة من فئات الشعب ويقول للمراجع العظام والعلماء الأعلام، حسب تعبيره: أرجو منكم أن تهدئوا الشعب وتدعوه إلى التحلي بضبط النفس، وإني قررت أن تكون الانتخابات فيما بعد حرة، وسأعطي الشعب الحرية بجميع معانيها، فتولوا أنتم مهمة تهدئته!

وتوجه إلى الشخصيات السياسية قائلا: ساعدونا في منع الشعب من الاستمرار في نشاطاته الحالية، فنحن سنمنحه الحرية، وستكون الانتخابات حرة والمجلس النيابي سليما، ولن نكرر ارتكاب تلك الأخطاء السابقة. ثم خاطب الشباب بقوله: إنكم من هذا الشعب وأمثال هذه الأقوال، كما خاطب الآباء والأمهات داعيا إياهم إلى منع أبنائهم من النزول إلى الشوارع والقيام بتلك النشاطات^(٣)، وخاطب جميع فئات شعبه واعترف أمامهم. وقد ذكروا أن الإذاعة نقلت "صحيفة توبة" الملك في كافة برامجها، كما نقلت اعترافه هو: "إن الأعمال التي قمت بها كانت أخطاء!، وهذا بحد ذاته إقرار بالجرم! لقد اعترف أمام الشعب بأنه سلبه الحرية، ويريد الآن ترك هذا العمل لأنه أدرك أنه عمل خاطئ!! كما أنه إقرار بأن المجلس (النيابي) لم يكن وطنيا بل كانت تقيمه الحراب، وهذا أيضا "اشتباه" آخر وقع فيه، لذلك الانتخابات ستكون حرة في المستقبل.

(١) اعترف السفير الأميركي السابق في إيران "سوليفان" في كتابه "مهمة في إيران"، ص ١١٨، أن اجتماعات ثلاثية كانت تعقد باستمرار كل يومين مرة في الأيام الأخيرة من حكم الملك يحضرها الملك و"سوليفان" نفسه إضافة إلى السفير الإنكليزي آنذاك "بارسونز".

(٢) قبيل انتصار الثورة اتسع نطاقها بدرجة كبيرة، والتحق بها معظم الموظفين الحكوميين في مختلف دوائر الحكومة، ولذلك كان أنصار الثورة يرسلون التقارير للإمام الخميني عن تحركات النظام الملكي وردود فعله تجاه التطورات. كما كانوا يرسلون تقارير تتضمن معلومات حتى عن الشخصيات السياسية التي تطلب الالتقاء بالإمام، حيث كان يطلع على التقارير قبل الاجتماع.

(٣) قال الملك في خطابه الذي ألقاه بتاريخ ١٩٧٨/١١/٦م: إني أطلب منكم، أيها الزعماء السياسيون للشعب، أن تجندوا طاقاتكم لإنقاذ الوطن في هذه المرحلة التاريخية والحساسة والاستثنائية التي يمر بها، وأن تقوموا بذلك بعيدا عن الخلافات العقائدية... وأطلب منكم أيها الآباء والأمهات الذين يقلقكم مستقبل وطنكم وأبنائكم مثلما يقلقني ذلك، أن توجهوا أبناءكم وتمنعوهم من الاشتراك في أعمال الشغب بدافع حماسهم وعواطفهم فيلحقوا بذلك الأضرار بأنفسهم وبوطنهم... وأطلب منكم، أيها الشباب والفتيان الذين يرتبط مستقبل إيران بكم، أن لا تفرقوا وطننا بالدماء ولا تحرقوه بالنار، ولا تلحقوا الأضرار بحاضر إيران ومستقبلها...".

وهو يعترف بأن: جرائم القتل والسلب التي كان يرتكبها عناصر من السافاك وغيرهم بأمر مني كانت أعمالاً خاطئة ولن أكررها! وكذلك الحال مع قيامنا بسجن العلماء والسياسيين وسائر الفئات الأخرى وإبقائهم في السجن عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً، وأقل وأكثر، فهو أيضاً عمل خاطئ ما كان ينبغي أن نقع فيه، ولكنه وقع ولن يتكرر، ولن نقوم بمثل هذه الأعمال، فتعالوا نتعاون لكي أبقى أنا سلطاناً وأنتم رعية، وتحلّوا أنتم بالهدوء لكي أستطيع أن أواصل حكمي بهدوء، وعلى وفق ما أشتهي، وأنا أتعهد لكم وأضمن أن لا أكرر مثل تلك الأفعال!!

هذه هي اليد التي تحمل صحيفة التوبة، وقد تقرر أن يطلق هذه الأقوال في خطابه للشعب، ثم تلاه رئيس الوزراء وأعاد إطلاقها^(١) وكلاهما قالاً: أيها الشعب [والخطاب لفئات المنتفضين] تعالوا لنكفّر معاً لأمر إيران، واعرضوا عما تقوموا به من نشاطات لكي نفكر معاً بإيران!! هذه هي اليد التي رفعت "صحيفة التوبة"، وقد ارتفعت إلى جانبها يد أخرى عمدت، بكل شدة، إلى القتل، وهي الآن منهمكة بذلك في إيران. فقد وصلنا صباح اليوم نبأ من قم وقال الذي اتصل هاتفياً: إن قم لم تشهد إلى الآن مثل هذه الثورة، ومثل هذه الحرائق والنيران والبنادق والفساد، ولا علم لي الآن بالمناطق الأخرى ولكن حالها لا يختلف عن تلك. ويقولون إن هذه الإجراءات قائمة على قدم وساق في مدينة زنجان.

هاتان هما اليدان المرفوعتان الآن، فعندما تلقي طرفك إلى ذاك الجانب تجده (الملك) يستغفر الله ويجاهر بالتوبة والاعتراف بالخطأ. وعلى الجانب الآخر تشاهد اليد الثانية، وقد أعملت السيف بكل شدة في قتل الشعب!! فكيف يصدق الشعب توبته؟ كان من الممكن أن يصدق البعض القليل من غير العارفين بحقائق الأشياء (بتلك التوبة المزعومة) إذا لم يقترن بها إقامة الحكومة العسكرية، وإذا كانت قد جاءت حكومة وطنية، حسبما يصفونها. وبالطبع، فإن العارفين بالأمور لا يصدقونك في أي شيء! وهذا ما توصل إليه الذين درسوا شخصية هذا الشخص ورأوا كيفية سلوكه، طوال هذه الأعوام الثلاثين أو دون ذلك، وشاهدوا تغييره المستمر للهيئة والوجوه التي يظهر بها، فتارة يظهر بصورة العابد الزاهد ثم بصورة الذي يقبض خمسة تلو خمسة^(٢)، وهذا ما شاهده عموم الشعب أيضاً، فلن يصدقك في أي قول العارفون بالأمور.

لو كنت قد أخرجت يداً واحدة فقط، وظهرت بهيئة الاعتذار من الشعب والتوبة فقط، لكان من المحتمل أن يصدقك البعض من الذين ينظرون إلى ظواهر الأمور وحدها. ولكن ذلك إنجازاً لك! إذا سمح الواعون لأولئك

(١) في تاريخ ١٩٧٨/١١/٥م ألقى رئيس الحكومة العسكرية الجنرال أزهاري خطاباً في أعضاء مجلس النواب والأعيان وقال فيه: إن البلد سيتعرض لأخطار التقسيم إذا ما سقط النظام الملكي.

(٢) يقول الشاعر في منظومة "الفأر والقطة" التي يحكي بها أساليب السلاطين في التعامل المخادع مع الناس ما ترجمته النثرية - على لسان الفئران - : كانت القطة تسرق منها في العام فأراً واحداً، أما الآن فهي تسرق الكثيرين.

فهي الآن تسرق الخمسة تلو الخمسة منا لأنها أصبحت مؤمنة مسلمة!

السطحيين بارتكاب حماقة ما، ولكنك رفعت هاتين اليدين معا. وهذا تصرف طفولي يفتقد للخبرة، أو أن الذين يعلمون هذا "الرجل" مغرضون ويريدون إزاحته، ولكن بصورة غير مباشرة، وذلك بأن يجعلوا الشعب يدرك أن هذا الذي يعلن توبته أمامه ويعطي الموائيق المؤكدة بعدم تكرار الأخطاء. يخفي تحت عباءته بندقية! فمن يصدق بموائيقه حيث؟ أي شعب، أو أي أحق يصدق بذلك؟ بل وحتى الذين لم يعرفوك هل يمكن أن يصدقوا بما تقول وأنت تقوم في نفس الوقت بارتكاب تلك الأعمال؟! وهل هناك من يحتمل، مجرد احتمال، أن يقتل العساكر أحدا أو يطلقوا العيارات النارية على الناس دون أمر مباشر من الملك بذلك؟!

لقد توصل أولئك بتفكيرهم السقيم في ذلك الاجتماع إلى السعي لإنقاذ صاحب الجلالة وذلك بأن يقولوا: إن الملك قد تاب، وإن العساكر هم الذين يقومون بتلك الأعمال وليس الملك. ورتبوا الأمر بصورة جعلته يفضح نفسه بنفسه مثل قضية ذنب الديك! فحقيقة الأمر كانت واضحة، ويبدو للإنسان أن الذين رتبوا الأمر كانوا قد شاهدوا أن ممارسات الرياء لم تُجد نفعا وكذلك الحكومة العسكرية والحراب. فجمعوا بين هذا "اللاشيء" إلى ذاك "اللاشيء"، ولكن ما دام كل منهما لم يحقق شيئا فكلاهما معا لا يحققان شيئا، ورغم إدراكهم لهذه الحقيقة طرخوا هذه الخطة ليدرك الشعب، ومن خلال الخطة، نفسها أن الأمر ليس على ما يدعيه الملك من التوبة وإجراء انتخابات حرة وجعل البلد مستقلا وسليما وحرًا!! فالآن وفي نفس الوقت الذي يستغفر الله ويدعي التوبة تنطلق العيارات النارية من مدافعه الرشاشة لتقتل الناس بأمره، وقبل أن يجف حبر صحيفة توبته أحرقوا قم وزنجان، وكذلك الحال في سائر أرجاء البلد ولا شك، وستصلنا أخبارها حتما عصرا أو في المساء.

كيف يمكن (بهذه الخطة) فتح هذا الطريق المسدود، في ظل هذه الأوضاع؟ لقد انتفض هذا الشعب واستيقظت جميع فئاته، وحصلت على الوعي الصحيح بمختلف القضايا، واتضح الخيانات كافة. والجرائم لا زالت ترتكب باستمرار ضد الشعب الذي انتفض مطالبا بحقوقه، فكيف يمكن منه أو من زعمائه (بالتوقف عن مطالبته لأن الملك قد تاب؟) وكيف يمكن الطلب من زعمائه، من العلماء، أو من السياسيين، أو من الكسبة والتجار، أو من الجامعيين، التوسط والطلب من الشعب أن يعفو لأن السيد (الملك) قد تاب وسيبذل مساعيه لإقامة الديمقراطية وتحقيق الاستقلال للبلد؟ وحتى لو فرضنا - فرض المحال - أنه سيجتمع في نفسه جميع المحاسن، ولكن ماذا عن الماضي وكل تلك الجرائم التي ارتكبتها؟ هل تمر هكذا دون أي شيء؟ شخص واحد يتم آلاف العوائل، وجعل آلاف الأمهات ثكلى وسلب آلاف الآباء أبناءهم وشبابهم، هذا الشخص يأتي الآن ويخاطب الشعب: سامحوني فأنا معتذر إليكم! فهل يقبلون اعتذاره؟ وبماذا يجيب من يقبل اعتذاره على تساؤلات الأمهات والآباء؟ بماذا يجيب الذي يقبل ببقائه ملكا لا يحكم؟ لنفترض أن هذا الطرح ليس مؤامرة، وإن كان هو مؤامرة في الواقع ودون أدنى شك، ولكن ماذا نقول للشعب "إذا وافقنا عليه؟" ماذا نقول لتلك الأم التي تقدم بها العمر وهي تجد منزلها خاليا، إذ قتلوا كافة أبنائها؟ هل نقول لها: ليق "صاحب الجلالة" ملكا وفي

مقام "صاحب الجلالة"! يسلم الشعب عليه عند أوقات تقديم التحيات، ويدعو له بالخير؟ لقد ارتكب، ولا زال، كل هذه الجرائم، ووضع في السجن عشرة أعوام (مثلاً) من أعمار علماء الإسلام والشخصيات السياسية والكسبة وأساتذة وطلبة الجامعات والمعاهد. فما هو ثمن هذه الأعوام الضائعة من أعمارهم؟ هل يكفي مجرد إطلاق سراحهم الآن؟ وهل يعيد ذلك ما ضاع من أعمارهم؟ لقد أصبح الشاب شيخاً في سجنك. كنت قد التقيت ببعض هؤلاء قبل دخولهم السجن، وكانوا يصفحوني، وعندما رأيتهم الآن وقارنت حالهم الآن بحالهم قبل دخولهم السجن وجدت أن الفرق هو كالفرق بين البطل المصارع وبين الشيخ الطاعن في السن. كانت شعر رأسهم أسود، فخرجوا بعدما ابيض، وكانوا أصحاء وهم اليوم مرضى يجب معالجتهم، فما هو المقابل لكل ذلك؟ لا شيء!!

لنفترض أن توبته صادقة ونصوح، ولكن ماذا عن كل الجرائم التي ارتكبتها؟ هل تمر دون أي عقاب؟ وهل يعفو الشعب عنها جميعاً؟

ومن أقواله وأقوال رئيس وزرائه: "تعالوا نفكر بأمر إيران"، نحن منذ سنين نفكر بإيران، وهذا ما يفعله شعبها أيضاً، ولذلك قام بهذه النهضة، لأنه يرى أن إيران تضيع أمامه، بل أنه فقدتها ويريد إنقاذها، فهو يفكر بها لإنقاذها.

فهل نأتي لنعينكم على فتح طرقكم للمزيد من سلبها ونهبها وتكريس تبعيتها للقوى الكبرى؟ وهل تريد أن تفكر بإيران بالصورة التي تستطيع معها ارتكاب المزيد من الخيانات بحقها، ولكي تقول أنت مرة أخرى بأن الإيرانيين، وهذه من أفكار الملك، لم يبلغوا بعد المرتبة التي تؤهلهم للحصول على الحرية، فيجب أن يبقوا تحت مطرقة القمع والحكم العسكري وأقدام الأجانب وعملائهم المحليين! هذا هو منطلق الملك فهو قول: إن الإيرانيين لم يتأهلوا بعد لكي نمنحهم الحرية^(١)! فيما يقول ذلك (الرجل)... لقد علت صيحاتهم لكثرة ما أعطوهم من الحرية! فهذا هو قول "كارتر" الذي صرح بأن صيحات الإيرانيين علت بسبب الحرية السريعة والمكثفة التي أعطوها لهم! هذه هي الأقوال التي يطلقونها الآن، فكيف ينبغي أن نتعامل معهم؟ هل ثمة سبيل أماننا غير هذا الطريق، أي مواصلة الضغط على هذا البلعوم الخبيث حتى تنتهي هذه المشكلات؟ فهل بقي لنا غير هذا الطريق؟ هل يمكن سلوك سبيل التصالح؟ أو القبول بخيار بقائه (الملك) في إيران؟ أم أن هذا يعني انتحار الشعب؟ إن هذا الخيار يقود شعبنا نحو الدمار ويخرب إيران ويؤدي إلى ما هو أسوأ من ذلك.

(١) أشار الملك في عدد من كلماته إلى أن إعطاء الحرية للشعب الإيراني سيستتبع دفع ثمن باهظ، كما قال في كلمته بمناسبة افتتاح المجلس النيابي ومجلس الأعيان، وكذلك في مقابلة أجراها بمناسبة ذكرى ٢٨ مرداد، بتاريخ ١٩/٨/١٩٧٨م: "لقد قلت في جواب على سؤال: إن هذا هو الثمن الذي يجب أن ندفعه للوصول إلى الحرية، ولكني لم أكن أتصور أنه باهظ إلى هذه الدرجة". وقد نشرت صحيفة "اطلاعات" بتاريخ ١٩/٨/١٩٧٨م النص الكامل لهذه المقابلة.

كل ما فعله (الملك) إلى الآن كان فسادا، وهو الآن يطلب إمهاله من أجل شن الهجمات اللاحقة! والله يعلم أنهم والشعب الإيراني لو أمهلوه لوجّه لكم ضربة لن ترفعوا بعدها رؤوسكم، وهذا ما قلته سابقا وقلت: لا تمهلوه ولا تعطوه الفرصة ليوجّه ضرباته التي وجّهها منذ سنة، وسيفعل ما هو أسوأ.

إذا كانت الأقوال التي يطلقونها هي أقوال الملك حقا، فهي تبدو طفولية: إذا رحلت فسوف تزول إيران أيضا، فتعالوا نفكر بحال إيران! إذا رحلت فستعرض إيران للتقسيم ويأتي الروس من هذه الجهة والأميركان من الجهة الأخرى، وهم لا يأتون الآن بسبب الاقتدار الملكي! وكأنهم لم يأتوا إلى الآن (يضحك الحاضرون). إن المستشارين الأميركيين هم الذين يسيرون جيشنا، وقد أقاموا قواعد لهم في العديد من أرجاء بلدنا وهم مستمرين في نهب نفطنا، فيما يواصل السوفييات نهب غازنا. فهل نحن مستقلون وأحرار في جميع شؤوننا؟ لقد قال هو (الملك) بنفسه أن الأميركيين كانوا يرسلون قوائم، من السفارات، بأسماء الأشخاص الذين يجب أن نعيّنهم نوابا في المجلس، ولم يكن أماننا سبيل سوى الانصياع!! وغاية الأمر أنه ادعى أن هذا الحال كان في السابق، أي في عهد أبيه الذي طالما أثنى عليه^(١)، وأنه لن يسمح بتكراره! والقضية الآن لم تعد قضية صداقة! وكل هذه ادعاءات لم تعد مؤثرة وهي غير صحيحة.

ليس أمام الإيرانيين سوى القيام بواجب واحد: وهو حفظ هذه النهضة قوية، ويركزوا ضرباتهم الساحقة بكل ما استطاعوا على هذا النظام، حتى يسقط. ولو تهاونوا في القيام بذلك، وتهاونا، لارتكبنا بذلك خيانة بحق هذا الشعب وبحق الإسلام والقرآن الكريم. لأن هذا الشخص يعادي كل ما لدينا، فهو عدو شرس لنا في مختلف شؤوننا. لذا فلو تهاون أحد في هذا الأمر، أو أهمله، أو قال كلمة تدعم هذا الشخص، فهو خائن لهذا الشعب وللإسلام، ويجب اعتزاله. وواجبكم جميعا - أنتم المقيمون خارج البلد - أن تدعموا الشعب الإيراني وتتضامنوا معه.

السادة الذين جاؤوا من الخارج - من ألمانيا - سألوني بشأن موضوع عملهم حيث قالوا: إن العمل الذي نقوم به لا ينفع إيران^(٢)، ونفس الأمر ذكرته مجموعة أخرى زارتني في تلك الأيام، إضافة إلى موضوع آخر.

(١) قال الملك في خطاب ألقاه بتاريخ ١٩٦٤/١/٢٦م: لقد خطت إيران خطوة سريعة على طريق الرقي والتقدم بفضل جدارة ونبوغ أبي العظيم، بحيث استقطبت أنظار الرأي العام العالمي واهتمامه، ومع الأسف لم تتح لنا الفرصة للاستفادة من جهود ذلك القائد المصلح. وقد ضيعت الآثار الناتجة عن الحرب والخدمات والإجراءات التقدمية لذلك الرجل العظيم. ويكتب في كتابه "مهمة من أجل وطني" فيقول: هو رضا خان الذي وضع الأسس القوية للإجراءات التي قمت بها أنا من بعده... وهو الذي قاد الإيرانيين نحو مرحلة جديدة من الحياة الوطنية.. لقد كان ذا شخصية عجيبة للغاية واستثنائية.. كان من الممكن أن يعتبر أبي نموذجا لصاحب أفضل أخلاق في العالم.. كان أبي رجلا رؤوفا ورقيق القلب.. كان ملتزما بالعقائد الدينية ببساطة، بعيدا عن التظاهر.. كان خارقا للمألوف في سرعة بداهته.. كان مطلعا على آخر التطورات الصناعية والعسكرية والإقتصادية في العالم.. لم يكن يغضب أبدا.

(٢) يقصد الطلبة الجامعيين الذين يدرسون في مجال الطاقة الذرية في ألمانيا ضمن مشروع تزويد إيران بمحطات إنتاج هذه الطاقة.

فهؤلاء السادة يعتقدون أن عملهم لا ينفع إيران بل يشكّل خطراً عليها، لأن عمره ينتهي بنفاد نفطنا، ولذلك لا يمكن أن تشكّل هذه الطاقة النووية بديلاً عن النفط. هذا ما صرح به السادة، وهو ضمن اختصاصهم العلمي فهو مما يحيطون به علماً، وهم يقولون: نحن نعمل في هذا المركز^(١) لكن أصحابه يحدّدوننا بمجال معين ولا يسمحون لنا بالتطور العلمي.

إذاً، فأنتم لا تحصلون على ثمرة علمية من وجودكم في هذا المركز ولا تخدمون وطنكم فيه بل تقولون: إن العمل مضر لوطنكم، فإذا كان الأمر كما توصلتم إليه فيجب ألا تذهبوا إلى هذا المركز ويجب أن تقوموا بعمل آخر. فتكليفكم الشرعي مرهون بتشخيصكم أنتم، "فيجب أن تتركوا هذا العمل" إذا شخصتم أنه يمثل محاولة ينفذونها بهدف الحيلولة دون تفتح طاقاتكم وطاقات الشباب المبدعة، مثلما يفعلون في جامعاتنا وفي كل أرجاء إيران فهم يسعون لمنع تقدمكم والإبقاء عليكم ضمن حدود التخلف (العلمي)، لكي يستوردوا الخبراء من الخارج، فتستهلك طاقات شعبنا وقواه في تنفيذ أوامر الخبراء الأجانب، الذين يكونون - بعبارة أخرى - هم السادة وأبناء شعبنا الأدوات المنفذة لأوامرهم، فيجلسون ويدخنون "الغليون" ويضعون الخطط المضادة لمصالح الشعب الإيراني، ويأخذون الرواتب - التي يعلم الله ضخامتها - مقابل ذلك (تأييد من الحاضرين).

هذه هي المؤامرة المعدة منذ البداية، وقد عملوا طبقاً منذ عهد الملك رضا لتكريس التخلف (العلمي) لدى شعبنا وعزله عن دينه. لأنهم أدركوا أن القرآن الكريم وأتباعه هم الذين يحركون الشعب والمجتمع ويعترضون (على الاستعباد)، ولذلك قرروا منذ ذاك العهد ضرب الإسلام وحملة الإسلام. فلم تكن تجد في كل إيران مجلساً واحداً للخطابة الدينية والوعظ والإرشاد، لا في شهر محرم ولا في شهر رمضان، كل المجالس كانت معطلة. وكان البلاء ينزل بكل عالم ديني يخرج من منزله إذ كانوا يعتقلونه ويسوقونه إلى مركز الشرطة، ويمزقون عباؤه، ويأمرونه بتغيير زيّه! ويتركون هذا وينقلون ذاك إلى محل آخر. منذ ذلك الحين، ارتكب هذا الرجل^(٢) الكثير من الجرائم ضد الإسلام والمسلمين، ثم ورثها هذا الرجل الذي ترّون ما يفعله، وإن كان ما ترّونه هو الصفحة الظاهرية، أما الصفحات الخفية والأمور السرية التي لا نعرف عنها شيئاً لا أنا ولا أنتم فهي كثيرة، والعالمين بها لا يتجرأون الآن على التحدث، لكنها ستتكشف فيما بعد. أما الآن فنحن لا نستطيع تصور ما فعله هؤلاء بهذا البلد وبالإسلام والمسلمين وبهذا الشعب وبثرواتنا.

في إيران، لدينا - كما لأي شعب آخر - نوعان من الثروات: الأول المادية الموجودة في الأرض، والثاني هو هؤلاء الفتية، فهم أيضاً ثروة للشعب، وهو الآن يدمر كلا هذين النوعين من الثروات، وقد دمرهما. أما بالنسبة للثروات المادية، فقد أعطى - ولا زال - النفط والغاز بهذه الصورة للأجانب. أما المراتع الطبيعية والغابات فقد

(١) يقصد الشركة التي تبني محطات الطاقة النووية لإيران.

(٢) يقصد الملك بهلوي.

جعلها "وطنية" كما يقول، إذ أعطاها للأجانب، وقد وصلتني وثائق بهذا الشأن ظلت في مدينة النجف ولم أحملها معي. كما دمر زراعتنا بالكامل، وإذا ما استمروا بإعطاء نفطنا بكل هذا السخاء! للأجانب، فسينفد بعد ثلاثين سنة أو ما يقارب من ذلك، وعندها يكون شعبنا بلا نفط ولا زراعة، ويصبح منكوبا إذا بقي هذا الشخص حاكما، فنصف شعبنا الآن يستجدي، وإذا بقي هذا الشخص حاكما عليه فسيصبح جميع الشعب على هذه الحالة لأنه سيفتقد أية دعامة، فلو أمهلتموه لدمر كل ما لديكم من الأمور المادية والمعنوية.

هذا هو حال ثرواتنا المادية، الظاهرة منها أو التي تحت الأرض. أما بالنسبة للنوع الثاني، أي الشباب، وهم من ثرواتنا العظيمة، فلا يسمحون لهم باكتساب العلوم والتقدم العلمي، فيحجمونهم في الحدود التي يظنون فيها كأيدٍ عاملة فقط لدى الأجانب. وهذا الحال يصدق حتى على الذين يخرجون من البلد للدراسة، فقد رتبوا الأمر بحيث لا يسمحون لهم بأن تكون دراستهم حقيقية، لأنهم لا يريدون أن تظهر فيهم القدرة على الاعتراض، فلا يسمحون لهم بالتطور الفكري لكيلا يقفون بوجههم ويعرقلون نهجهم.

ولكن هذا الوثن تحطم الآن، والله الحمد، وأزيلت هذه العقبة، وسيوسع إطار تحطيمها. وقد انتفض شعبنا وسجل في التاريخ شهادة على شجاعته ووعيه، وأثبت أن لا الخدع ولا الحيل الملكية تستطيع قمعه ولا "الهرافات الملكية" ولا الحكومة العسكرية ولا تعيين عسكري لرئاسة الوزراء: إذ أن الحكومة العسكرية قائمة اليوم في إيران ورغم ذلك فالنشاطات النهضوية قائمة أيضا فيها وتعلو فيها أيضا شعارات "الموت للملك".

لا يمكن قمع مثل هذا الشعب بتلك الأقوال التي يطلقها "كارتر" حيث يقول: نحن مع هذا الملك فلا نستطيع أن نضيع مثل هذا الخادم الذي يحفظ مصالحنا في إيران، أو التي يطلقها ذلك "الرجل" الإنكليزي حيث يقول: نحن لا نستطيع الصمت مقابل ما يتعرض له حافظ مصالحنا في إيران. أجل لهذا السبب نحن نعارضه ونقول: إن هذا الذي جاء لتحقيق مصالح إنكلترا وأميركا والاتحاد السوفيتي هو خائن لشعبنا ومعاد لجميع مصالح هذا الشعب، ولهذا فهو ليس ملكا طبق الدستور. وقد حكمت العائلة البهلوية منذ البداية خلافا للدستور. فلم يكن لدينا مجلس نيابي حقيقي أصلا. والمجلس الذي أقر حكم هذه العائلة قد شكّله بقوة الحراب. وهذه الحقيقة كنت تشاهدها عن قرب، وقد شهدتها ويعرفها كل أتربي، فالذي يحكمنا إذاً هو ملك غير دستوري، ومجلس نيابي غير دستوري، وحكومة غير دستورية. ورغم ذلك يقول هذا الرجل: حسناً سنجعل الانتخابات حرة!! فكيف ذاك والانتخابات هي أصلا مخالفة للدستور إذا أقيمت في ظل وجودكم غير القانوني أساسا؟ ما معنى الانتخابات الحرة؟ إنها يجب أن تكون قانونية طبق الدستور، حيث يأمر بإجرائها الملك الدستوري طبقا للدستور، وأنت لست ملكا بل باغ، وقد غصبت هذا المنصب خلافا للدستور.

لا تمهلوه أيها السادة، هذا واجب الجميع وإذا قصرنا في القيام به فجميعنا خونة (الحاضرون يرددون الصلوات على محمد وآله تأييدا)، وأرجو أن تدعموا - أنتم الشباب - هذه النهضة، وتتوحد في دعمها كلمتكم وأعمالكم دون اختلاف وتفرقة. فهذه النهضة تخدم مصالح وطنكم ومصالحكم أنتم أيضا. (واعلموا أن)

الدعايات المثارة ضدها هي جميعها من صنع الإعلام الملكي، أمثال الأدعياء بأن الإسلام هو وليد ما قبل (١٤) قرناً فلا يستطيع إدارة الحياة المعاصرة^(١)، وأنه يمثل الاستبدادية الثانية^(٢)، وأنه لا يستطيع الاستجابة لاحتياجات الشعب المعاصرة، وأنه يدعو إلى الرجعية وأمثال هذه الادعاءات البالية.. وهي أصبحت قديمة الآن، وإن كان من الممكن أن يطلقها أحد قبل ٢٠ سنة، مثلاً، أما الآن فلا. نفس هذا الشخص الذي كان يتحدث (في السابق) عن الرجعية السوداء، ويقول إنها والرجعية الحمراء موجودان غير مباركين سيئان إلى البلد. يمد اليوم للمراجع العظام والعلماء الأعلام قائلاً: ساعدوني لكي أوسع نطاق جرائمكم وأزيدها وأواصلها (يضحك الحاضرون)، كان هذا وضعه في السابق. أجل لقد أصبحت هذه الأقوال قديمة.

(١) أجاب الإمام الخميني (س) على هذه الشبهات بصورة مفصلة في كتاب "ولاية الفقيه" (أو "الحكومة الإسلامية")، وفي جواب على سؤال مراسل صحيفة "لوتاكتونينا" الإيطالية هو: كيف يمكن للإسلام أن يحكم وفق أساليب الحكومة العصرية. يقول (رضوان الله عليه): "الإسلام يولي أهمية للعقل والتفكير، ولذلك فموقفه إيجابي أيضاً تجاه آثاره ونتائجه الصحيحة". وسأل مراسل تلفزيون اللوكسمبورغ الإمام في مقابلة أجراها مع سماحته: ألا يعارض الإسلام التحديث ويدعو للعودة إلى الأوضاع السابقة؟ ألم يعارض الإسلام الإصلاحات التقدمية للملك في إيران كإعطاء الحرية للمرأة؟ فقال الإمام في جوابه: "الإسلام لا يعارض مظاهر التحديث وآثاره، باستثناء تلك التي تضر بأمن الشعب واستقراره وتضر بالعفة والحشمة، والإسلام هو نفسه حرر المرأة واحترم حقوقها وليس أنه سلبها حريتها".

وسأل مراسل التلفزيون الفرنسي: كيف يمكن أن يضمن الإسلام بأحكامه المتشددة الفاقدة للمرونة استمرار التقدم الاجتماعي؟ وهل يمكنكم أن تذكروا نموذجاً للحكومة الإسلامية المثالية؟ فأجاب الإمام: "الأحكام الأساسية الإسلامية ثابتة لا مرونة فيها، ولكن يوجد في الإسلام الكثير من الأحكام المرنة التي يمكن بها تطبيق السياسة السليمة. والدولة التي نريدها إسلامية بكل معنى الكلمة، ولا توجد الآن في جميع أقطار العالم حكومة إسلامية، ولكن في السابق (في صدر الإسلام) يمكن مشاهدة نموذج لها".

(٢) قال شاهبور بختيار (آخر رئيس وزراء في العهد الملكي)، والذي كان يصف نفسه بأنه مسلم مكافح ومؤمن: لا ينبغي أن نستبدل هذه الديكتاتورية (حكومة الملك محمد رضا) بديكتاتورية ثانية (الحكومة الإسلامية). (صحيفة "اطلاعات" ١٩٧٩/١/٢٤م). وقد روجوا هذا الإدعاء على نطاق واسع في باريس.

وكان المراسلون يوجهون باستمرار الأسئلة للإمام عن هذا الموضوع فمراسل صحيفة "الإكسبرس" اللندنية سئل الإمام: هل تختلف حكومتكم عن الحكومة الحالية فيما يتعلق بإعطاء الحريات؟ أليس النظام الذي تنشُدونه "ديكتاتورية دينية"؟ فأجاب الإمام: "النظام الذي نريده هو نظام الجمهورية الإسلامية. والإنسان حر في ظل الإسلام، باستثناء ذلك النمط من الحرية الذي يضر المجتمع والبلد ويؤدي إلى الفساد". أما مراسل هيئة الإذاعة البريطانية فقد سأل الإمام قائلاً: يتصور غير المسلمين أن المجتمع الإسلامي متوحش تفرض فيه عقوبات شديدة على جرائم صغيرة، كقطع يد السارق، كما نرى في باكستان والسعودية. وهم يقولون إن أحكام الإسلام وحشية، فما هو رأيكم؟ أجاب الإمام: "إن الذين يسيئون الظن بالإسلام لم يعرفوه، ولا توجد الآن حكومة إسلامية كالتي كانت في صدر الإسلام. ففي ظل حكومة الإمام علي بن أبي طالب (ع) مثلاً كان الناس يعيشون في أمن كامل. أما الحكومات القائمة الآن فهي التي أرعبت لئس وسلبتهم كافة أشكال الأمن، وهي تتمادى في قتل الناس أفواجا أفواجا". وسأله مراسل الوكالة الفرنسية للأنباء قائلاً: بعض الأنظمة الإسلامية القائمة الآن هي أشد ديكتاتورية من الأنظمة الملكية. فأجاب الإمام: هذه الحكومات الاستبدادية ليست إسلامية لكي تستطيعوا مقارنة الملكي منها بالجمهوري، ولا يمكن الجمع بين النظام الإسلامي والاستبدادي".

الإسلام هو الذي فتح كل هذه البلدان في نصف قرن لكي يهدي أهلها إلى الحياة الإنسانية، ففتوحاته ليست مثل فتوحات السلاطين الآخرين، كالمملك "نادر شاه"^(١) كلا، فالحكم الإسلامي هو الحكم الذي يبني الشخصية الإنسانية. ينبغي أن تلاحظوا سيرة زعماء الإسلام، كالنبي الأكرم وبعده أمير المؤمنين، فهل كانوا مستبدين؟ النبي الأكرم كان يجلس مع الناس بصورة لا يمكن معها (للغريب) معرفة السيد (الحاكم) وتمييزه عن الرعية وتمييز النبي عن الأصحاب. هكذا كان جلوسه مع الناس، كجلوس العبيد والفقراء!! وكان يعيش حياة الفقراء فلا يتصرف ببيت المال، أصلاً فهو للمسلمين. وكان يصعد المنبر ويطلب ممن كان له حق عليه أن يقوم ويقتص منه فلم يقيم أحد - باستثناء شخص واحد قام لغرض معين - ليقول إنك ظلمتني ولو بقرش سلبه منه أو بظلم أو إساءة وجهها لأحد أو خيانة - معاذ الله - ارتكبتها بحق الأمة. لقد فعل (ص) ذلك في أواخر عمره، ولم يقيم أحد ليدعي وقوع شيء من تلك المظالم باستثناء شخص واحد ذكر أن القضيبي الذي كان يستخدمه الرسول في سوق ناقتة قد أصاب بطنه فأمره الرسول أن يقتص منه فذكر الرجل أن بطنه كانت عارية، فكشف الرسول عن بطنه، فقبلها الرجل. أي أنه أراد بهذه الحيلة تقبيل بطن الرسول، الذي لم يضربه عن عمد.

اعثروا على مثل هذا الحاكم بين جميع حكومات الدنيا. فهذا ما نبحت عنه نحن أيضاً. وبالطبع لن تتمكن من العثور على نظير له، ولكن نريد حاكماً يعمل ببعض أحكامه. فلا يخون شعبه، ولا ينهب ويسرق ثرواته ويعطيها لأmirكا والدول الأخرى، ويبني بها قصوراً له ولأولاده وعشيرته.

عندما رحل النبي عن هذه الدنيا لم يكن يملك شيئاً^(٢)، وهكذا كان حال الزعيم الثاني الذي شمل اتساع رقعة حكمته الشرق وأجزاء من أوروبا. فقد كانت له قطعة من الجلد ينام عليها في الليل هو وزوجته فاطمة الزهراء (ع) ويضع عليها في النهار طعام بعيره ليعتلف منه. فلم يكن له بلاط وعرش مثل حال صاحب الجلالة السلطان!! بل كان يعمل مثل سائر العمال، ولكن ليس لكي يجمع الأموال بل ليوقفها في سبيل الله. وفي نفس الوقت الذي بويع فيه للخلافة أخذ الفأس والمسحاة وذهب للعمل الذي كان يقوم به. وعندما حفر تلك البئر وتفجر الماء باركوا له على ذلك. فأجابهم بأن يوجهوا تهنئتهم للورثة!! ثم طلب دواة وصحيفة وأوقف تلك

(١) المراد فتح الملك "نادر شاه" للهند، حيث جهز لها جيشاً ضخماً - كما ينقل المؤرخون - وهاجمها وهزم ملكها "محمد شاه" واحتلها. ثم تراجع عن رأيه وعين مرة أخرى "محمد شاه" ملكاً عليها. وقد حصل "نادر شاه" خلال هذا الهجوم على مجوهرات وغنائم ضخمة تعد ثروة عظيمة. ويتقل أنه أودع تلك الجواهر الثمينة في خزانته، وزين بقسم منها عرشه وتاجه، وحرّم إيران من الإنتفاع بها، رغم أنها كانت تعيش في فقر مدقع. وبعد موته تعرض هذا الكنز الثمين للتلف أو تضييعه بالإسراف وبقيت في قلوب شعبه حسرة ضياعه. راجع كتاب "تاريخ إيران: حياة نادر شاه" ترجمة كشاورز الفارسية، ص ١٧٦ و ٦٠٤.

(٢) طلب الرسول (ص) وهو على فراش الموت، بضعة دنائير كان قد أودعها لدى زوجته عائشة وأمرها أن تنفقها على الفقراء، وعندما فعلت ذلك أعرب عن ارتياحه لأنه سيذهب إلى لقاء ربه وهو خفيف المؤن.

العين لأحد المجالات (الخيرية). هكذا كانت سيرته في معاشه وطعامه الذي لم يكن يتجاوز عددا قليلا من قطع خبز الشعير.

نحن نبحث عن مثل هذا الحاكم ولن نجد له نظيراً بالطبع، فقد أخبرنا بنفسه عن عدم قدرتنا على ذلك. لكنه أوصانا بالتقوى.^(١)

لذا، فنحن نبحث عن حاكم تقيّ يتحلى بالتقوى السياسية، فلا ينهب ولا يسرق ثروات الشعب ولا يضيّعها. هذا ما نبحث عنه وهذا ما نريده عندما نقول نريد حكومة إسلامية. أي نريد حكومة يكون الحاكم فيها يشبه - بمقدار - هؤلاء الحكام، فمتى كان هؤلاء استبداديين لكي يقلق أولئك السادة بشدة من الحكومة الإسلامية! وأي ديكتاتورية فيها وهي تمثل حكومة القانون. فلو ارتكب الشخص الأول في بلدنا - في ظل الحكم الإسلامي - مخالفة أو ظلماً، أو اعتدى على أحد، لعزله الإسلام، لأنه فقد أهلية الحكم. فهل هذه حكومة استبدادية؟ إنها تمثل حكم القانون الإلهي، بحيث لو اشتكى أحد على الحاكم - وهو الشخص الأول في الدولة - استدعاه القاضي ولاستجاب هو أيضاً وذهب للمحاكمة، كما فعل الإمام علي (ع). وما نريده نحن هو مثل هذه الحكومة المعبرة عن حكم القانون، وليس أي قانون بل القانون الإلهي وتشريعات الإسلام التقدمية.

إن أولئك هم الذين يثيرون فيكم الخوف من الحكومة الإسلامية. فيقول (قائلهم): لو أقيم الحكم الإسلامي لوضعوا النساء في الحجرات، وأقفلوا عليهن الأبواب ليحجرن فيها إلى النهاية!! إن النساء في صدر الإسلام كن يشاركن في الحروب ويرابطن مع العساكر طوال فترة الحرب لمعالجة الجرحى، فهل يتوقع أحد أكثر من هذا.

أقيموا دوراً للسينما تلتزم بالأخلاق والتربية، فلن يعارضها أحد، لأن الحكومة الإسلامية تعارض مراكز الفساد وليس التحضر. فهل هو من التحضر والرقى أن يكون البلد مملوءاً بكل هذه المراكز المفسدة، فاقدا للمكتبات؟! هذا ما يعارضه الإسلام وليس التطور. في حين أن هذا الرجل (الملك) قال في أحد خطباته، وكنا حينها في قم: إن هؤلاء الملالي يريدون التنقل بواسطة الحمير!!^(٢) فكيف يمكن التعامل مع مثل هذا الشخص؟ بعدما كان يقول: إن هؤلاء الملالي مثل الحيوانات النجسة. أو بعدما كان يقول مرة أخرى: إنهم مثل الديدان

(١) يقول الإمام علي (ع) في كتابه إلى عامله عثمان بن حنيف: "... ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد.." نهج البلاغة (الكتاب ٤٥) من فصل كتبه ورسائله (عليه السلام).

(٢) في خطاب له بتاريخ ١٩٦٣/٦/٨م خلال توزيعه سندات تملك الأراضي للفلاحين في همدان قال الملك محمد رضا: ماذا فعلت الرجعية السوداء في يوم الأربعاء ١٥ خرداد (١٩٦٣/٦/٥)؟ لقد أحرقت مكتبة بارك شهر لأن كل ما يرتبط بالعلم والحاجات المعاصرة لا ينفعها. ولذلك أحرقت الملاعب الرياضية ووسائل النقل ومحال بين بطاقات حافلات النقل العامة لأنها تفكر حتما بأن علينا التنقل بواسطة الحمير أو الخيول في القرن الذي يتحرك فيه العالم للسيطرة على الفضاء.

التي تعيش في القاذورات!^(١) ظهر اليوم - بعدما وصف العلماء بهذه الأوصاف - خاطبهم بأوصاف "المراجع والعلماء الأعلام". وهم يعلمون أنك تكذب (يضحك الحاضرون)، ومن يحتمل الصدق فيما تقول فهو ناقص في قواه العقلية.

وعلى أية حال، أسأل الله أن يؤيدكم ويوفقكم. اتحدوا فإذا تفرقتم لن تحققوا شيئاً. لأن كلا - لوحده - لا يستطيع إنجاز شيء. لذا على الجميع أن يتحدوا فإن "يد الله مع الجماعة" (الحاضرون يرددون الصلوات على الرسول وآله).

هوية الخطاب رقم - ٦١

فرنسا/ باريس / نوفل لوشاتو: ٧ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: أدعاء الدفاع عن حقوق الإنسان يدافعون عن جرائم النظام الملكي.

المناسبة: تأييد الناطق باسم البيت الأبيض الأميركي لإقامة الحكومة العسكرية في إيران.

الحاضرون: جمع من الإيرانيين المقيمين في الخارج من الجامعيين وغيرهم.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

يتناول الإمام الخميني (س) في هذا الخطاب قضية طرح أميركا والحكومات الغربية آنذاك لضرورة "احترام حقوق الإنسان في إيران"، ويرد على هذا الادعاء التضليلي المخادع ويؤكد قائلاً: "إن الهدف من طرح موضوع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأمثال هذه الشعارات هو التستر بها لتسويق ابتلاعهم (القوى الكبرى) للحكومات الضعيفة، فلا يتصورون أحد أن لهذا الإعلان حقيقة واقعية..".

ويشير الإمام في جانب آخر من كلمته إلى تأييد الرئيس الأميركي "كارتر" والناطق باسم القصر الأبيض لإقامة الحكم العسكري في إيران ويقول: "هل أن "كارتر" لا يعي ما يقول، والناطق باسم القصر الأبيض يطلق هذه الأقوال نتيجة عدم فهمه، وكذلك لجهله بالوقائع؟!".

وقد جاء هذا الانتقاد الخميني العنيف بعد إعلان مستشار الأمن القومي الأميركي آنذاك "بريجنسكي" عن دعم الرئيس والحكومة الأميركية لقيام الملك الإيراني بتشكيل حكومة الجنرال أزهاري العسكرية، وقد استقبلت

(١) يقصد الخطاب الذي ألقاه الملك بتاريخ ١٤/٣/١٩٦٣م في قاعدة دسفلو الجوية، وقد تفوه بأقبح السباب والشتائم التي وجهها للعلماء المعارضين لخطته الأميركية حيث قال: إن ثروتنا الوطنية العظمى تتقدم بسرعة، لكننا لا زلنا نرى ونسمع أن البعض.. مثل الأفاعي الميتة التي أخذت تستعيد حياتها.. ولأنهم يغوصون في قذاراتهم.. وكأن هؤلاء الأشقياء البائسين يفكرون بأنه أن الأوان لبث سمومهم، وأنهم غاصوا مرة أخرى في قذاراتهم.. وإذا لم يستيقظ هؤلاء السفلة مع شركائهم في أفكارهم من الرجعيين ويتنبهوا من هذه الغفلة، فإن يد العدالة ستنزل مثل الصاعقة على رؤوسهم - بأي زي كانوا - وبصورة قد تؤدي إلى إنهاء حياتهم المخزية القذرة.

مجموعة "بريجنسكي" في أميركا هذا الإجراء الملكي بسور بالغ، يقول "بريجنسكي": "لقد بعثت الأخبار الواردة بشأن تشكيل الملك لحكومة عسكرية ارتياحا شديدا، فقد رأيت في الإجراء علامة طيبة تكشف عن أن الملك قد قرر في النهاية التصدي للأزمة، وهو مستعد للقيام بقيادة الأمور بصورة مؤثرة، وأعتقد أنه يستطيع الانتصار في حالة وقوع مواجهة علنية إذا استعان بالجيش الكبير الخاضع لإمرته، وهو يستطيع بهذا الجيش ليس إقامة النظام وحسب بل وإزالة الفساد القائم أيضا".^(١)

وفي نفس يوم الإعلان عن تشكيل حكومة الجنرال أزهاري، وجّه أحد المراسلين في مؤتمر صحفي اشترك فيه مراسلون من إنكلترا وفرنسا وألمانيا، السؤال التالي للإمام الخميني (س): لقد عمد الملك، وبهدف إيجاد التنسيق اللازم، إلى اللجوء إلى تشكيل الحكومة العسكرية، واختار لرئاستها الجنرال أزهاري، الذي تعهّد بإجراء انتخابات حرة. كما أن الملك نفسه طلب المساعدة من آية الله وسائر الآيات العظام للتعاون من أجل إعادة السلام والاستقرار لإيران، فما هو رد فعلكم تجاه هذه المواقف؟

الإمام أجاب: "تشتمل محاولات الملك اليائسة هذه على الخداع والتضليل من جهة، إذ أنه يطلب العون من علماء الدين وسائر فئات الشعب في أقواله. ومن جهة أخرى يتوسل، في أفعاله، بالحكومة العسكرية لقمع الشعب وقتله وسلبه. ولكن هذه المحاولات اليائسة لن تؤثر على مسيرتنا وعلى هذه النهضة. وعود إجراء الانتخابات الحرة أو هام لا أكثر. والانتخابات (في ظل النظام القائم) غير قانونية أساسا لا فرق في ذلك بين الحرة منها أو غير الحرة، فلا الملك قانوني ولا حكومته دستورية، فلا محل في ظله للانتخابات (القانونية) أصلا لتكون حرة أو غير حرة. لذا لن يوافق الشعب عليها أبدا".

كان الملك في تلك الأيام يعقد كل آماله على دعم أميركا وإنكلترا لنظامه، لأنه كان يعلم أن حكومة أزهاري العسكرية لن تستطيع فعل شيء لحفظ حكمه، يقول "ويليام سوليفان" آخر سفير أميركي لدى النظام الملكي في كتابه "مهمة في طهران"، وفي ذلك المقطع من مذكراته الذي يتحدث فيه عن دعوة الملك له وللوزير الإنكليزي إلى قصر "نياوران"، عندما اتخذ قرار تشكيل الحكومة العسكرية: "... وكان وصول السفير الإنكليزي إلى قصر "نياوران" يحتاج إلى ساعة كاملة. وخلال هذه الفترة تحدث الملك هاتفيا مع الملكة.. وقد انتهت إلى أن الملك قال لها خلال هذا الاتصال الهاتفي: إن أميركا أيضا تدعم قراره. وبعد ذلك اتصل هاتفيا بالجنرال أزهاري، رئيس هيئة أركانه، وطلب منه أن يأتي بأسرع ما يمكن إلى القصر للالتقاء به. وعندما وصل السفير الإنكليزي أعرب الملك في بداية حديثه عن أسفه للهجوم الذي تعرضت له السفارة البريطانية، وقال: إن الحكومة الإيرانية ستتكفل بمصاريف تلافي الأضرار التي لحقت بمبنى السفارة بسبب ذلك. ثم اطلع السفير الإنكليزي على قراره بشأن الإتيان بحكومة عسكرية واستطلع رأيه بهذا الخصوص فقال "بارسونز" (السفير

(١) راجع كتاب "السلطة والمبادئ"، تأليف "بريجنسكي".

الإنكليزي آنذاك) إنه لا يستطيع بنفسه إعطاء موقف بهذا الخصوص، كما أنه لا يستطيع الاتصال فوراً بلندن لمعرفة الموقف لأن الأضرار لحقت أيضاً بأجهزة الاتصال في السفارة. وبعد هذا الجواب لم يتابع الملك الحديث بهذا الشأن بل قال إنه سيرتب هذه الليلة أمر تشكيل الحكومة العسكرية وسيعلن عنها غداً. وعندما كنا نخرج من القصر رأينا الجنرال أزهارى في قاعة الانتظار، ولأننا كنا نعلم بالمهمة التي سيكلف بها، لذا فقد تمينا له التوفيق في القيام بها. ولم يكن الجنرال أزهارى من القادة العسكريين الساعين للسلطة والمتعطين لها، فشكرنا باستغراب وتوجه إلى مكتب الملك وهو في هيئة المنهار...^(١).

في غضون ذلك، كانت قد وصلت طهران للتو نسخ من البيان المهم الذي أصدره الإمام الخميني (س) بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ، الموافق ١٩٧٨/١١/٧، والذي قال في بدايته: "إنني في عزاء بسبب الجرائم التي ارتكبوها مؤخراً في جامعة طهران ضد أبناء الإسلام"، والذي وردت فيه عبارات من قبيل "لقد حوّل الملك جامعاتنا إلى مجازر لشبابنا...". وقد تم توزيع نسخ هذا البيان على نطاق واسع في إيران والصاقها على الجدران، خاصة في الشوارع القريبة من مباني جامعة طهران، وكان الجنود يقفون إلى جانب الشباب لقراءة بيان الإمام الخميني (س)، على الرغم من إعلان الحكم العسكري في بعض المناطق.

ومنذ الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كانت تُسمع في أغلب الشوارع والأزقة هتافات "الموت للنظام البهلوي"... "نحن أتباع القرآن ولا نريد الحكم الملكي"، وتسمع معها أيضاً أصوات إطلاق العيارات النارية التي لم تكن توجه إلى هدف معيّن.

الخطاب رقم - ٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في إحدى هذه الصحف أنه بمجرد مجيء... "الحكومة العسكرية"... في إيران إن أميركا ستدعمها...^(٢) ولأن هذا الموقف يتعارض مع دفاع أميركا عن حقوق الإنسان، لذلك فقد سعى الناطق باسم القصر الأبيض تسويغ هذا التعارض بالقول: إن سبب هذا الزعم هو أن الإتيان بالحكم العسكري يهدف إلى إقامة الديمقراطية في إيران، إذ أن الحكم العسكري مقدمة للديموقراطية!! فهو يردع الشعب ويثبت النظام العام، وهذا هو الهدف من الإتيان به الذي سيكون إجراءً مؤقتاً، فإذا استتب النظام العام تحول إلى حكومة صالحة.

إن الهدف من طرح موضوع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأمثال هذه الشعارات هو التستر بها لتسويغ ابتلاعهم (القوى الكبرى) للحكومات الضعيفة، فلا يتصورن أحد أن لهذا الإعلان حقيقة واقعية، فهل أن القوى

(١) كتاب "مهمة في إيران"، ص ١٢٧-١٢٨ من طبعة الترجمة الفارسية.

(٢) بعد تشكيل حكومة الجنرال أزهارى العسكرية صرحت "جيل شوجر"، الناطقة باسم القصر الأبيض الأميركي قائلة: نحن نؤيد الملك الإيراني في هذا القرار. راجع ص ٢٢٢ من كتاب "العامين الآخرين" الطبعة الفارسية.

الكبرى تحترم هذه الحقوق أساساً!! نستطيع أن ندرك مقدار عمل الذين وقّعوا على وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأيدوها، بما تدعو له من خلال ملاحظة سلوكياتهم بالذات، فأنتم ونحن نرى ما يجري في إيران، فأميركا وإنكلترا وروسيا وإيران أيضاً وقّعت على تلك الوثيقة. ولكن إلى أي مدى احترام حقوق الإنسان في إيران [من قبل] هؤلاء الموقعين على وثيقتها، الذين أطلقوا التصريحات والبيانات في تأييدها؟! إن حرية التعبير عن الرأي، وحرية الانتخابات والصحافة والإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام، هي من أبسط حقوق الإنسان. فهل تجهل أميركا، بفقداننا للإعلام والصحافة الحرة، أن جميع الصحف مغلقة الآن في إيران بسبب عودة الحكومة العسكرية، وفرضها الرقابة عليها، واعتقالها لأعداد كبيرة من مختلف الأشخاص، وقد ذكروا أن عدد المعتقلين من المعروفين بلغ ستمئة شخص^(١)، إن أميركا لا تعلم أن الصحافة في إيران لم تكن حرة بمعنى الكلمة حتى في تلك الأيام القليلة التي أعطوها حرية محدودة شكلية^(٢).

إن صحف إيران كافة لا تخلو حتى من كلمة انتقادية واحدة للملك، وهو رئيس السارقين. فهذا ما لم يحدث أبداً، ولا تجدوا كلمة واحدة من هذا القبيل لا في صحيفة "اطلاعات" ولا "كيهان" ولا غيرهما. فالانتقاد يوجه فقط للحكومة وعناصرها، فتلقى مسؤولية جميع الأخطاء على الحكومات والعسكريين، في حين أن المجرم الحقيقي هو الملك نفسه.

إذا كانت الصحافة حرة لفضحت الشخص الذي يرتكب كل هذه الجرائم ويأمر بارتكابها، وهي مستمرة منذ أكثر من ١٥ عاماً دون توقف. ولم تشهد طوال هذه المدة - بل ومنذ الحركة الدستورية - انتخابات وطنية إلا ما ندر. ولم يكن لدينا حكومة حرة ولا مجلس نيابي طوال حكم الملك رضا. وطال عهد الملك الحالي. فجميع المجالس النيابية أقيمت بقوة الحراب، رغم أن من أبسط حقوق الشعب أن يكون حراً في انتخاب ممثليه في المجلس النيابي، فهم الذين يقررون مصير البلد ويشرفون على إدارة أموره. وإذا صلح وضع الشعب وكانت مسيرته سليمة.. أما إذا كان فاسداً فإنه يسوق البلد نحو الدمار، وهذا ما فعلوه.

(١) في اليوم الأول لقيام الحكومة العسكرية تم اعتقال عدد من الكتاب والعاملين في الحقل الصحفي، فأضرب العاملون في الصحافة منذ ذاك اليوم وبقيت الصحف مغلقة إلى تاريخ ١٩٧٩/١/٧م، أي بعد عشرة أيام من تشكيل حكومة شهور بختبار، فلم تصدر في إيران طوال تلك الفترة أية صحيفة أو مجلة معتبرة باستثناء مجلة "خواندنيها".

(٢) اتخذت حكومة جعفر شريف إمامي التي تم تشكيلها بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٧م. مجموعة من الإجراءات الإصلاحية الشكلية بهدف تهدئة الأوضاع. فألغت الرقابة الحكومية على الصحف وسمحت بنقل مداورات المجلس النيابي عبر الإذاعة المسموعة مباشرة، وألغت القيود المفروضة على نشاط الأحزاب السياسية وأمثال ذلك. فاستغلت بعض التيارات السياسية - كتلك المرتبطة بالجهة الوطنية السابقة والديمقراطيين الاشتراكيين - الفرصة للقيام بنشاطات استعراضية فأخذت الصحف العالمية تنشر لهم مقالات انتقادية، بل واستغل بعض النواب المصلحين الفرصة لإظهار معارضة شكلية، بهدف تضليل العوام. لكن أياً منهم لم يغفل عن الحذر من انتقاد الملك بصورة مباشرة، وهذه الحرية الشكلية لم تدم سوى أيام قليلة انتهت بمجيء حكومة أزهارى العسكرية.

هل تجهل أميركا والاتحاد السوفيتي وإنكلترا أن إيران محرومة من الحرية في التمثيل النيابي والصحافة وكل شيء؟ وجميع هذه الشؤون تدار بقوة الحراب وتحت ظل الرقابة والإكراه؟ وجميع المجالس النيابية تقام بقوة الحراب من قبل الملك نفسه، فهل تجهل أميركا ذلك؟؟ أم أنها تعرف ما يجري في إيران، حيث لديها سفير وأجهزة تجسس وعملاء، بل إن إيران هي في قبضتها أساسا. إنهم يعلمون بما يجري ويعرفون ما يطالب به شعبنا لكنهم يتظاهرون بالجهل لأنهم يعرفون أن انتصار الشعب قد يؤدي إلى قطع دابر اعتداءاتهم على حقوقه، ولذلك فهم يتشدقون بالحديث عن حقوق الإنسان، وعندما يرون أن تأييدهم للحكم والحكومة العسكرية ينقض ادعاءاتهم بالدفاع عن حقوق الإنسان لأن الحكومة العسكرية تسلب الشعب جميع الحريات، ورغم ذلك يدعمونها هم والحكومة الأميركية. لذلك يسعون إلى تسويق هذا التناقض بالقول: إن الشعب الإيراني لا يدع الملك يمنح الحريات، وإن هذا المسكين يتحمل الصعاب ابتغاء تحرير الشعب وإعمار البلد، لكن الشعب هو الذي يرفض الحرية وإعمار بلده!! فهو شعب غير ناضج، بل هو مجموعة من المتوحشين الفاقدين للنضوج الفكري اللازم لإدراك أن الحرية شيء جيد! ولأن الملك يريد إعطاء الحريات فقد وقعت هذه الاضطرابات. ونحن ندعمه لكي يعيد الاستقرار في إيران ويستطيع، بقلب مطمئن، التفضل بمنح الحرية التي يريدها للشعب الذي لا يدعه يفعل ذلك!

هل إن "كارتر" لا يعي ما يقول، والناطق باسم القصر الأبيض يطلق الأقوال نتيجة لعدم فهمه وكذلك لجهله بالوقائع، أم أنه يطلقها عن علم واطلاع وانتباه؟!

إن إعلان حقوق الإنسان وسيلة لنهب الجماهير تحت غطاء مقبول يوحي بأنهم يحققون لها شيئا فهو نظير لإعطاء الملك الحريات للشعب، ومثل الأجواء السياسية الحرة والمفتوحة. كلها ادعاءات يعج بها العالم، وتصدر من أشخاص لا مبادئ لهم، فعقائدهم خالية من المبادئ، ولا غاية لهم سوى المصالح المادية، فكلها ادعاءات جوفاء.

الحكومة التي تستطيع الادعاء بأنها تحفظ حقوق الإنسان هي القائمة على أسس العقائد الإلهية الدينية، والتي ترى نفسها مسؤولة أمام قوة كبرى. أما الذين لا يرون أنفسهم مسؤولين أمام قوة عظمى، ولا يتوجهون إليها ولا يشعرون، حقيقة، بالمسؤولية، فكل ما يقولونه بشأن احترام حقوق الإنسان والحرص عليها والدفاع عنها هي ادعاءات خاوية لا مصداق لها أصلا.

وإذا فقد الإنسان ذلك المنطلق والأساس - التوجه إلى الله والخشية منه ومن المسؤولية في يوم الجزاء - أثار الفساد والتخريب والانحراف. فهذا هو طبع الإنسان يعمد إلى العدوان إذا ترك لحاله. أما الذي يضمن سيره على الصراط المستقيم ويهديه له ويضبط حركته فيه فهو الدين والإيمان بالمبدأ والمعاد فهو الذي يردعه عن الأعمال المنحرفة، حتى في الخلوات، حيث لا يراقبه أحد، وما عداه أقوال لا مصاديق لها، كالقول بأن الشرف أو احترام القيم الإنسانية هي التي تقتضي القيام بكذا وكذا. نحن لا نصدق أن هؤلاء المحترمين للإنسان

والشرفاء! يلتزمون بذلك، فهؤلاء هم الذين يأتون لزيارة إيران تزامنا مع وقوع مجزرة الجمعة السوداء. ومن هؤلاء هذا الذي يقول: أنا شيعي أحترم الإنسان - وهو يتحكم بمصائر مليار إنسان - ويأتي إلى إيران ويعبر بالطائرة العمودية من فوق أجساد قتلتنا ليصافح الملك ويقدم له التهاني^(١). هذا أحد المحترمين للقيم الإنسانية، وأحد المؤسسين الموقَّعين على وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وهذا هو أيضا حال إنكلترا وأميركا والاتحاد السوفيتي وسائر القوى الكبرى.

هل يجهل هؤلاء المدَّعون لحب الإنسان ما يحدث في إيران حاليا وما يقاسيه ٣٠ مليون إنسان فيها؟ ألا يعلمون بواقع الأمر؟ أم يتصورون أن المشكلة تكمن في أن الملك يريد إعطاء الحريات والشعب يرفض؟ هل يتصورون أن المشكلة هي على هذا النحو؟ أم أن "كارتر" قد عرف شيئا مما وراء هذا العالم نزل عليه؟ كلا إن الشيطان هو الذي علّمه أن يطلق هذا القول، فهذه تعاليم إبليس، وهؤلاء طواغيت ومظاهر إبليس.

لا يمكن إصلاح الإنسان وحفظ حقوقه إلا بالاستناد إلى مبدأ معنوي. كما أننا نرى كيفية تعامل الحكومات التي قامت على أساس التوجه إلى الله مع الناس وكيفية تعامل غيرها من الحكومات، فنرى ذاك الحاكم (الإمام علي "عليه السلام") كان يقوم بنفسه، رغم اتساع رقعة حكومته وشمولها لكل تلك البلدان، بالتجوال ليلا على قدميه لتفقد أحوال الضعفاء وتوفير ما يحتاجون، ثم يقول (ع) إنه يخشى أن يكون في الإمامة أو غيرها جائع، فلا يُشبع نفسه خشية من أن يكون طعامه أكثر من طعام أولئك الجياع. هذا هو عمل المستند إلى المبدأ الغيبي، وإلا فما هو إلا بشر مثل سائر البشر، لكن الاستناد والتوجه إلى المبدأ الغيبي هو الذي يدفعه إلى التأكيد، عندما جاءت عساكر معاوية أو غيره وسلبت خلخال امرأة من أهل الذمة، يهودية أو نصرانية، على أن المؤمن إذا مات كمدّاً بسبب ذلك لكان جديرا وليس ملوما^(٢). هذا هو حال الطالب لصالح الرعية المحب للإنسان حقا، لأنه يتوجه إلى ما هو اسمى من ذلك، وأمثاله من الدين يستندون إلى هذه المبادئ المعنوية يمكن الاعتماد عليهم والثقة بهم، بحيث يضع الإنسان مقدراته بأيديهم ويختار منهم النائب والوزير ورئيس الجمهورية، وهذا ما نهتف به مطالبين، ونريد القيام به.

إن مقدراتنا لا زالت ومنذ ٢٥٠٠ سنة بأيدي حكم الملكية السوداء، التي كان هذا الرجل (الملك محمد رضا) يقول إلى أمس الأول: إن الشعب الإيراني يحب الملكية، وأفراده عباد الملك! في حين أن الحرب

(١) تلبية لدعوة الملك قام الرئيس الصيني "هاو كونغ" بزيارة لإيران بدأها بتاريخ ٢٩ آب ١٩٧٨م. واستمرت ٤ أيام وجاءت تزامنا مع تصاعد أوائل النهضة وعزل حكومة "جمشيد آموزگار"، وتشكيل حكومة شريف إمامي، ووقوع فاجعة إحراق دار سينما "ركس" في مدينة آبادان. وقد سعى الملك لاستغلال هذه الزيارة للإيحاء بأن القوى الكبرى لا زالت تدعمه لأنه ملك مقتدر أمام الرئيس الصيني، فكان يطمح من وراء هذه الزيارة وقبول دعوة الملك الحصول على امتيازات مهمة في إيران.

(٢) إشارة إلى الغارة التي شنها سفيان بن عوف من قادة معاوية على مدينة "الأنبار" في عهد حكم الإمام علي (ع) حيث هجم جنده خلال ذلك امرأتين مسلمة وذمية، وسلبوهما الخلخال والعقد وغيرهما.

والصراع والنزاع ظل قائما طوال التاريخ بين هؤلاء الملوك من جهة وعباد الملكية، حسب اصطلاحهم من جهة أخرى، وحتى صالحهم الذي لو قرأتم أو سمعتم اسمه انقذ مدح له في قلوبكم، أو الذي إذا ذكره في كتاب قرنوا اسمه بوصف "سكان الجنان"، حتى ساكن الجنان الشاه عباس هذا هو رجل خبيث، أعمى عيني ولده بسبب الملك وحب السلطة! كما أن "أنوشيروان" العادل كان من أسوأ الظلمة، وقد سجل التاريخ ممارساته الظالمة.

الله يعلم ما أنزله هؤلاء الملوك على إيران، وأنتم ترون الآن حال هذا الملك، كان في أمس الأول يسير على نفس المنوال، هذا الملك الساعي لتحقيق العدالة الاجتماعية والذي أصبح حصن الإسلام!! حيث أثنى في خطابه أمس الأول على الإسلام وقال: نحن نسعى لنشره وتعزيز الدستور. لكن هذا الملك نفسه كان إلى أمس على تلك الحالة، وهو الآن يكذب وأمام الناس كافة، وهم يعرفون أنه يكذب. أهالي أصفهان الذين كانوا إلى أمس محبي الملك - كما كان يصفهم - كانوا قبل أيام يحرقون ما يتعلق بالحكومة والملك، باستخراج نفطنا وحجم الاستخراج والثلث والمقابل المقدم. فأنتم تنهبون النفط وثلثه والعوض والمعوّض، فتأخذون النفط وتصنعون بثلثه قواعد لكم، وهذا هرج ومرج، وهو ما نريد إزالته.

إن أول حقوق الإنسان الذي يتفق الجميع على الإذعان له هو حق الحرية، وأن لا يكون أسيرا للآخرين، وهذا هو ما نريد الحصول عليه. فهذه الجماهير وهذا الشعب الذي نزل أبنائه إلى الشوارع وهو يطلقون صرخاتهم، فيما يبادر شبابه إلى الذهاب حيث تسحقهم الدبابات التي يواجهها النساء والرجال، هؤلاء جميعا إنما يطالبون بالحرية والاستقلال والحكم الإسلامي، نحن نريد حكومة شرعية تلتزم بالدستور، ونعارض الحكومة التي تسحق جميع القوانين وقوانين العالم كافة، وتتعامل مع الشعب طبق ما يشتهي. نحن نريد حكومة كحكومة الإسلام، لا حكم فيها سوى للقانون، وبالتحديد قانون العدل، القانون السليم الهادف إلى تربية الإنسان وصلاحه.

وعلى أية حال، فنحن نواجه هذه القضايا. واعلموا، حيث نحن الآن جالسون هنا، فإن المصائب لا زالت قائمة في إيران، لكنها ورغم كونها مصائب فإنها تقترب بالأمل. ونحن نرجو أن نقطع بمشيئة الله أيدي هذه القوى الكبرى عن مطامعها رغم كل ما تمتلكه من قوى (الحاضرون: إن شاء الله) حفظكم الله جميعا وأيدكم إن شاء الله.

هوية الخطاب رقم - ٦٢

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٨ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الإسلام هو الدين الوحيد القادر على تلبية كافة احتياجات الإنسان.

المناسبة: الالتقاء بجمع من الفتيات والشباب الفرنسيين المحبين للإمام والإسلام.

الحاضرون: جمع من الشباب والشبان الفرنسيين.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

أمسكت حكومة الجنرال أزهارى العسكرية بزمام الأمور في البلد، لكن التحركات الاستعراضية التي كانت تقوم بها الدبابات والمدربات باستمرار، والحضور الواسع للعسكريين المدججين بالأسلحة وللحافلات العسكرية المحملة بالجنود، لم تستطع الحد من اتساع التظاهرات الحاشدة سوى لأيام قليلة معدودة. في حين تواصلت عمليات الكر والفر التي كان يقوم بها المتظاهرون في وسط العاصمة طهران وجنوبها. كما استمر الإضراب العام وبقيت المدينة في ظلام في معظم ساعات الليل بسبب إضراب العاملين في حقل الطاقة الكهربائية.

القوات العسكرية تحاصر دوائر الصحف، ولم تكن تسمح بانتشار أكثر من صحيفتين أو ثلاث، تكتفي بنشر بيانات القيادة العسكرية. فيما كانت الجماهير تنتظر وصول بيانات الإمام من باريس أو أشرطة خطابه لكي تبادر إلى نسخها وتوزيعها بأسرع ما يمكن. كما كانت مقابلات الإمام تبث، بمقدار أو بآخر، من الإذاعات المختلفة. وقد استهلت الجماهير اندفاعاً جهادياً جديدة من البيان الذي بعثه لها الإمام من باريس، وقال في بدايته: "أعزائي، لا تخشوا من ضجيج العساكر هذا وأنتم لا تخوضونه. لقد أثبتتم، يا أبناء هذا الشعب الشجاع، أن الصدا قد علا الدبابات والمدافع والحرب، فهي عاجزة عن مواجهة الإرادة الصلبة للشعب، فلا تنخدعوا بهذه المرونة الشيطانية والتوبات الإبلسية ولن تنخدعوا..". وقد تم توزيع نسخ هذا البيان في العاصمة طهران، ثم إرسالها إلى المحافظات الأخرى.

ومرة أخرى تجددت التظاهرات والمسيرات وعمليات الكر والفر بين المتظاهرين والعسكر في مختلف شوارع طهران والمدن الأخرى وأزقتها، وعلى نطاق واسع. وقد أحيى مئات الآلاف من المتظاهرين في تظاهرات واسعة شهدتها مقبرة "جنة الزهراء" في طهران بتاريخ ٩/١١/١٩٧٨م ذكرى الشهداء من الجامعيين والتلاميذ الذين قتلوا في جامعة طهران وأطرافها في يوم ١٤/١١/١٩٧٨م. وكانت شعاراتهم: "سأقتل قاتل أخي..." "أيها الملك الخائن لقد قتلت شباب الوطن..." "الموت للملك..." "الموت للسلطنة البهلوية..." ونظائرها تُسمع على مسافة عدة كيلومترات. وقد قرأ أحد علماء الدين في هذه المراسم مقطعاً من بيان الإمام الخميني

الذي جاء فيه: "إنني إن كنت أعلم أن مكائد الملك والمرونة الكلامية والإرهاب العملي لن تؤثر على صفوف شعبنا المتواصلة، لكنني أرى من الضروري - في كل مناسبة وعند كل حادثة واقعة- أن أذكركم أيها الأعزاء ببعض الأمور: إن الهدف هو نفس ما ذكرته في خطاباتي وهو: إسقاط السلطنة البهلوية والنظام الملكي المشؤوم، وإقامة حكم "الجمهورية الإسلامية" المستند على ضوابط الإسلام، والمعتمد على آراء الشعب.

وكانت الجماهير الحاضرة تعلن تأييدها لهذه المطالب والأهداف من خلال ترديدتها لعبارة "مقولة صحيحة" بعد كل مقطع، وكانت طهران تتقرب أياما تاريخية كبرى، وقد استمرت التظاهرات والاشتباكات في الليالي بين الشباب وعناصر الحكومة العسكرية في أزقة وسط طهران وجنوبها، وكان الأهالي يفتحون أبواب منازلهم أمام المتظاهرين ليدخلوها عند مطاردة العسكر لهم، كما نصبت القوات الشعبية لوحات خاصة على رأس الأزقة المغلقة بهدف تحذير المتظاهرين في حين غطت شعارات "الموت للملك" .. يعيش الخميني" .. بلدان ومختلف أرجاء المدينة، وعندما كانت عناصر الحكم العسكري تقوم بمسح هذه الشعارات بالأصباغ في منتصف الليل، كانت تحل محلها عبارات "لا يمكن مسح العار بالأصباغ"!

وكان الإمام الخميني (س) قد أعلن بعد تشكيل حكومة أزهارى العسكرية وضمن العديد من المقابلات الصحفية^(١)، عدم تأثير الحكومة العسكرية على الإرادة الشعبية. كما أعلن فشل آخر عملية تعبوية يقوم بها الملك. وأصدر مراجع الدين في مدينة قم المقدسة بيانا مشتركا بتاريخ ١٩٧٨/١١/٩م، بمناسبة نقل السلطة في البلد للحكومة العسكرية، وجاء في جانب منه: "إن هذه الحكومة لا تحظى بتأييد العلماء والشعب النبيل المطالب بالحق وحسب بل إنها حكومة مدانة ومرفوضة".

وفي هذا الخطاب الذي ألقاه على مجموعة من الفرنسيين يتحدث الإمام عن شمولية الإسلام، وبعده الاهتمام بإقامة العدالة في الحكومة الإسلامية. ثم يعرب عن آرائه بانضواء عموم بني البشر تحت لواء الإسلام بعد انهيار التيارات المنحرفة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحاضرين في هذا المجلس وهم من الفتيات والفتيان الفرنسيين المحبين للإسلام كانوا قد طلبوا من المترجمين أن يقرأوا للإمام ترجمة النص التالي الذي كتبه بالفرنسية، وقد قرأوه قبل الخطاب وترجمته: "بهذه الباقة من الزهور التي نقدمها لكم، نعرب لكم عن مشاعرنا الجياشة تجاهكم حيث أن حضوركم في فرنسا أدى إلى زيادة حبنا للإسلام خاصة بعد الذي شاهدناه هنا حيث أثار فينا رغبة في السفر إلى إيران بصورة جماعية لكي نتعرف عن قرب على العلاقة التي يقيمها الإسلام بين الإنسان وربه".

(١) في الفترة ما بين ١٩٧٧/١١/٦م أجرى الإمام الخميني المقابلات مع وسائل الإعلام التالية: شبكة التلفزة الأميركية (سي بي أس)، صحيفة "تدويم" اليونانية، مجلة المستقبل، التلفزيون الألماني القناة الثانية (١١/٦)، مراسلون من إنكلترا وفرنسا وألمانيا، وكالة "الأسوشيتدبرس"، مجلة "اشيغل"، صحيفة "دي فولت" الهولندية، صحيفة "الفانناشال تايمز" (١١/٧)، مجلة "الساندي تلغراف"، التلفزيون الألماني (أي آر دي) القناة ٣، وكالة "اليونيتدبرس"، التلفزيون الياباني (١١/٨)، مراسلو الصحف البرازيلية والبريطانية والتايلندية واليابانية والأميركية وبلدان أخرى، مجلة "أمستردام نيورو"، التلفزيون الهولندي (١١/٩).

الخطاب رقم - ٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجو أن تقام الحكومة الإسلامية في إيران لتتضح للعالمين مزايا حكم الإسلام، فيعرفوا حقيقة الدين الإسلامي، والعلاقة التي يقيمها بين الحكومة والشعوب، وطريقة إقامته العدالة، وطبيعة حياة الشخص الأول في الدولة وما يميزها عن سائر رعيته، فإذا عرف الناس مزايا الإسلام فالأمل أن يتوجه الجميع إليه.

في ظل الحكم الإسلامي يعيش الشخص الأول في الدولة - وهو الخليفة الحاكم على المسلمين وبمثابة سلطانهم- في مستوى معاشي عادي، دون مستوى معيشة الطبقة الثالثة في المجتمع، ويعيش مع عامة الناس بمستوى معيشة الفقراء.

والعدالة الاجتماعية التي يقيمها الإسلام في مختلف المجالات تنصبّ لصالح كافة طبقات المجتمع بصورة لم يشهد لها التاريخ الإنساني مثيلاً. وليس الحكم الإسلامي كحكم السلاطين أو رؤساء الجمهوريات، فالحكم الإسلامي يعيش بين الناس، وكان يجلس في ذاك المسجد الصغير في المدينة بقية فئات الشعب. وكان جلوسهم على هيئة لا يستطيع معها الغريب تمييز الحاكم وأصحاب المناصب العالية في الدولة عن الفقراء إذا دخل المسجد، فزيهم زي الفقراء وطريقة تعاملهم هي طريقة سائر الفقراء.

وكانت العدالة مقامة بالصورة التي كان يستطيع معها أدنى الرعية أن يذهب للقاضي ويرفع إليه شكوى على الشخص الأول في الدولة، فيستدعيه القاضي، فيحضر بين يديه، ويرضى بحكمه حتى لو كان عليه.

ومع الأسف، فإن مزايا الإسلام خافية على الناس، حتى على المسلمين أنفسهم، لأن أيدي الظلمة وسارقي النفط قد منعت من اتضاح حقيقة الإسلام أمام الناس. ولو تم تطبيق الإسلام بصورته الحقيقية، فإننا نأمل أن ينتفض جميع بني الإنسان للنهضة تحت لوائه، وتنهزم كافة التيارات الأخرى. ولكنهم لم يسمحوا للناس بالتعرف عليه، فقد وصفوه تارة بالرجعية، وأخرى بالعنف، وثالثة بأنه يرتبط بما قبل ألف وبضعة قرون، فلا يستطيع تنظيم الحياة المعاصرة. وكل هذه الدعايات أطلقها الأجانب وتدحضها حقائق الإسلام الحية.

نحن نريد تطبيق الإسلام، وعلى الأقل إقامة الحكومة القريبة مما يريده، لكي تتعرفوا على المعنى الحقيقي للديمقراطية، ولكي يعرف المجتمع الإنساني حقيقة أن الديمقراطية التي يوفرها الإسلام تختلف كثيراً عن تلك الديمقراطية المتعارفة التي تدّعيها الحكومات ورؤساء الجمهوريات والسلاطين. ولا يمكن توضيح حقيقة القوانين الإلهية، ولو على نحو الإجمال، في مثل هذه اللقاءات. لكنني أذكر هنا نموذجاً بسيطاً لها، فأحكام الإسلام قوانين تنظم حياة جميع أفراد بني الإنسان، تنظم علاقتهم بالله وبني الإسلام وبالجهاز الحاكم، وتنظم العلاقات التي يمكن تصورها. إذ أن للإسلام قوانين تنظم كل هذه الشؤون.

وكثيرة هي الأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بالله تعالى، كالذي جاء به السيد المسيح (ع)، أي نفس هذا البعد من حياة الإنسان الذي اهتم به دين المسيح (ع)، كما هو مشهود في المسيحية حالياً، أي العلاقة مع الله الخالق فقط، موجودة في الإسلام بصورة كاملة، وتوجد أحكام كثيرة بشأنها فيه. وإضافة إليها توجد فيها أحكام تنظم مختلف العلاقات بين بني الإنسان أيضاً وجميع شؤون حياتهم، حتى قبل الولادة، إذ شرع أحكاماً خاصة تستهدف التمهيد لولادة الإنسان السالم والسليم، وتشمل ما قبل الزواج، وضوابط اختيار الزوج، ثم حين الزواج، وعند المعاشرة بين الزوجين، ثم فترة الحمل وبعدها زمن الرضاعة، وحضانة الأم للطفل، وتربيته، ثم مرحلة تربية الطفل من قبل المعلمين الأوائل، حيث أن للإسلام أحكاماً بشأن كل هذه المراحل، وله قوانين تنظم تربية الإنسان.

وإضافة لذلك، فإن الإسلام يختلف عن المسيحية التي تفتقد الأحكام الخاصة بشؤون الحكم أو أن لديها مثل هذه الأحكام لكنها لم تصل إلى المسيحيين، فالإسلام يحتوي على نظام للحكم يناظر مؤسسات الأنظمة الأخرى للحكم، لكن مؤسساته تقوم على أساس العدالة. كما أن أحكاماً وقوانين تنظم علاقة الجهاز الحاكم بالرعية بمختلف فئاتها، وعلاقة الرعية بالحكومة، وعلاقة الحكومة بالأقليات الدينية وعلاقة المجتمع الإسلامي مع المجتمعات الأخرى. ولا أستطيع الآن أن أبين لكم هذه الأحكام والقوانين حتى على نحو الإجمال، لكنكم ستعرفونها تدريجياً، ومن كان جديراً بذلك، إذا وفقكم الله ودخلتم الإسلام إن شاء الله.

هوية الخطاب رقم - ٦٣

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ٨ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الملك هو المجرم الحقيقي.

المناسبة: اعتقال مجموعة من المشتركين في جرائم الملك وإطلاق سراح السجناء السياسيين.

الحاضرون: مجموعة من الطلبة الإيرانيين المقيمين في الخارج من الجامعيين وغيرهم.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد فشل تشكيل حكومة "المصالحة الوطنية" برئاسة شريف إمامي، وإعلان الحكم العسكري في العاصمة طهران وإحدى عشرة مدينة كبيرة، وارتكاب مجزرة الجمعة السوداء في طهران، بعد فشل كل ذلك في الحد من تصاعد الثورة، لجأ الملك إلى تشكيل الحكومة العسكرية وتعيين الجنرال أزهارى رئيساً لها، بناءً على اقتراح قدمه مجلس الأمن القومي الأمريكي، استناداً إلى آراء "بريجنسكي" والجناح المؤيد لمنهج العنف والقمع في حل الأزمة في الحكومة الأمريكية.

وفي الليلة التي أُعلن في صبيحتها تشكيل الحكومة العسكرية، ظهر الملك على شاشة التلفزيون الإيراني ليعترف بأخطائه، هو ونظامه، ويطلق مقولته الشهيرة "لقد سمعت نداء ثورتكم"، ويتعهد بمعالجة الأخطاء السابقة. لكن حكومة الجنرال أزهاري - ورغم مهاجمتها للصحف الكبرى وإغلاقها وقيامها بالعديد من ممارسات القمع العنيفة - تحولت بعد أيام قليلة إلى الحالة التي أطلق عليها فيها وصف "الأسد الفاقد للرأس والذنب"، كما اعترف بذلك الملك نفسه، والذي كان يعوّل - أكثر من الجميع - على الدعم الأميركي، وقد طمأنه مستشار "كارتر" للأمن القومي "بريجنسكي"، نقلاً عن رئيسه، بأن "الولايات المتحدة تدعمه بكل قوة، ودون قيد أو شرط وبصورة كاملة، في صعوبة الأزمة التي واجهها". وعندما أخبر الملك "بريجنسكي" بأن "الأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد آخر" سمع منه هذا الجواب: "... إننا مستعدون للقيام بأي عمل نستطيعه، وعليكم أن تثقوا بالدعم الأميركي الحازم والكامل، وأن تسارعوا لتشكيل الحكومة العسكرية".^(١)

وقد قامت حكومة الجنرال أزهاري ببعض من الإجراءات التضليلية كاعتقال عدد من الوزراء والمسؤولين في الحكومات السابقة، يقول الجنرال قره باغي في اعترافاته: "قام الجنرال أزهاري، واستناداً إلى البند الخامس من دستور الحكومة العسكرية، باعتقال مجموعة من الشخصيات الحكومية والعسكرية منهم: أمير عباس هويدا (رئيس الوزراء الأسبق)، منوچهر آزمون (وزير الدولة الأسبق للشؤون التنفيذية)، داريوش همايون (وزير الإعلام والسياحة الأسبق)، منصور روحاني (وزير الزراعة الأسبق)، الجنرال نصيري (رئيس منظمة الأمن الملكي السابق "السافاك")، منوچهر نيكيي (محافظ طهران السابق)، الفريق صدري (مدير الشرطة العام)، عبد العظيم وليان (محافظ خراسان السابق)، شيخ الإسلام زادة (وزير الصحة السابق)، نيلي آرام (معاون وزير الصحة السابق) وفريدون مهدوي (وزير التجارة الأسبق).

وطبقاً لما ذكرته صحيفة "اطلاعات"، فإن الفريق علي محمد خادمي (المدير العام السابق لمؤسسة الطيران المدني) قد أقدم على الانتحار عندما توجهت عناصر القيادة العسكرية إلى منزله لاعتقاله".^(٢)

في هذا الخطاب يشير الإمام الخميني (س) إلى هذه المحاولات التي كان يقوم بها النظام الملكي فيقول: "... والآن توسلوا بأسلوب آخر، وهو اعتقال شركائهم - في الأمس - في جرائمهم، وبعضهم شارك الملك على مدى اثني عشر وثلاثة عشر عاماً في الجرائم التي ارتكبتها، والآن اعتقلوهم بتهمة الخيانة والإجرام، أي اعتقلوا هذا الشريك وتركوا الشريك الآخر مصوناً...".

فالإمام (س) يؤكد في هذه الخطاب على قضية أن المعتقلين هم "شركاء في جريمة" وأحدهم هو أمير عباس هويدا، الذي أصبح رئيساً للوزراء منذ ١٩٦٥/١/٢٧م بعد تنفيذ الإعدام الثوري لرئيس الحكومة السابق

(١) "اعترافات جنرال"، ص ٨٣.

(٢) "اعترافات جنرال"، ص ٥٧.

حسن علي منصور، وبقي في هذا المنصب ثلاثة عشر عاما. واستنادا لما ورد في وثائق منظمة "السافاك" فقد كان هويدا من أهم عناصر الحركة الماسونية في إيران، وهو عضو محافل "طهران، مولوي، ولايت، كوروش"، و"محفل إيران الأعظم" الماسونية، وقد اشترك في عضوية حكومته العديد من الماسونيين المعروفين أمثال: ناصر يكانة، جواد منصور، حسن زاهدي، منوچهر برتو، فتح الله ستوده، مهرداد بهلبد، ايرج وحيدى وهوشنغ أنصاري، وكل منهم عضو رسمي في المحافل الماسونية المرتبطة بالحركة الماسونية والصهيونية العالمية^(١). فلا غرابة من تحول إيران في عهد حكومة هويدا إلى إحدى أبرز الدول الحليفة لـ"إسرائيل" الغاصبة.

ورد في أحد تقارير منظمة "السافاك" عن سبب نجاح هويدا: "إن هويدا لا يصرح بموقفه لا سلبا ولا إيجابا أبدا، لا في الحزب ولا في المجموعة البرلمانية، حيث أن من الواضح للجميع أن ملك الملوك هو الذي يتولى مباشرة تسيير أمور الدولة، ولا يؤثر وجود السيد هويدا أو عدمه على تغيير الخطط".^(٢)

ومرة أثنى الملك على هويدا، ووصفه بأنه رئيس الحكومة الجدير بالثقة، والذي يعمل في اليوم عشرين ساعة!! لكنه اليوم يلقيه في السجن ابتغاء الحد من غضب الشعب، والسيطرة على أوار الثورة الشعبية! الإمام الخميني يخاطب الملك فيقول: "إنك أنت الذي أتيت بهؤلاء اللصوص للسلطة". وبهذه العبارة يحرق الإمام جميع أمانى الملك التي كان يرجو تحقيقها من اعتقال مسؤولي النظام، بهدف حرف الرأي العام عن مسؤولية الملك تجاه كل تلك الجرائم.

ويمكن التعرف على شدة ضعف النظام يومئذ من خلال الجنرال أزهارى نفسه، يقول الجنرال قره باغى: "ضمن حديث له قال الجنرال أزهارى: بالأمس كان الجنرال أويسي هنا، وكان يقول إنه أصبح مكروها أشد من الجميع في هذه الدولة. وأضاف أزهارى: لقد بكى الجنرال أويسي ضمن حديثه وقال: أريد الخروج من البلد"^(٣). والجدير بالذكر هنا أن الجنرال أويسي قد فرّ من البلد بطائرة عسكرية وبأمر مباشر من الملك.^(٤)

ويشير الإمام الخميني (س) في جانب آخر من هذا الخطاب، إلى إطلاق سراح السجناء السياسيين، في حين أن الملك كان قد صرّح قبل أعوام وفي ذروة قوته قائلا: "لا يوجد في بلدنا ولا سجين سياسي واحد، والموجودون في السجن هم مجموعة من المخربين الذين يريدون إثارة الاضطراب في البلد، وبعضهم يستلم

(١) "اعترافات جنرال"، ص ٣٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٧.

(٣) "اعترافات جنرال"، ص ٧٦.

(٤) نشرت الصحف بتاريخ ١٩٧٩/١/٨م، وبعد إنهاؤها إضرابها، خبر فرار الجنرال أويسي، وهو الحاكم العسكري للعاصمة طهران، الذي أصدر الأوامر بقتل عشرات الآلاف من أبناء الشعب الإيراني المسلم.

الأمر من الخارج، وبعضهم من دعاة الانفصال والتقسيم^(١). لكن الاعترافات اللاحقة التي أولى بها رؤساء منظمة "السافاك" في محاكم الثورة الإسلامية كشفت أن معظم هؤلاء السجناء قد سجنوا سنين طويلة بتهمة واهية، أنزلت بهم أقصى أشكال التعذيب الذي اتسمت به القرون الوسطى. لكنهم رغم ذلك صمدوا على مواقفهم الإسلامية، والذي أطلق سراحهم ليس الملك ولا حكومة جعفر شريف ولا حكومة أزهارى، بل إن سبب إطلاق سراحهم نجده في رسالة آية الله الطالقاني التي أجاب بها على رسالة التهئة التي بعثها له الإمام الخميني (س) حيث يقول: "إنني وجميع السجناء السياسيين نعتبر أننا مدينون في إطلاق سراحنا بالدرجة الأولى لألطف الرب العزيز المقتدر الذي جعل إرادته القاهرة في خذلان الظالمين وذلهم وتفوق إرادة المظلومين والمستضعفين، ومدينون بالدرجة الثانية لتضحيات الشعب الإيراني المسلم والمعذب والمظلوم، والدماء التي قدمها، والذي سطر عزا ومجدا له من خلال جهاده المقدس وتقديمه الدماء في التعذيب أو ميادين الإعدام أو في الأزقة والشوارع في ظل قيادتكم وهدايتكم التي تجسدت في مقام المرجعية والهداية والقيادة بإيمان راسخ وتحرك ثابت وجدارة فريدة..."

وقد استشهد في تظاهرات هذا اليوم ١٩٧٨/١١/٩ العشرات من أبناء الشعب الإيراني المسلم في مدن أصفهان ونجف آباد وكرمنشاه وبابل، وفي نفس اليوم اشترك عشرات الآلاف من أهالي طهران في مراسم حاشدة تكريما لشهداء "يوم الطلبة ١٩٧٨/١١/٤م" بمناسبة اليوم السابع لاستشهادهم.

وفي نفس هذا اليوم، طلب الإمام الخميني (س)، ضمن بيان أصدره، من علماء إيران أن يشكلوا لجانا لمساعدة الذين يعانون من مشكلات اقتصادية بسبب طول فترة الإضرابات عن العمل وتلبية احتياجاتهم بالاستفادة من المساعدات الشعبية والحقوق الشرعية، لكي تستمر الإضرابات عن العمل حتى إسقاط النظام الملكي.

وفي الخطاب الذي ألقاه في مثل هذا اليوم يرد الإمام على الدعايات التشويهية الاستعمارية القديمة ضد أحكام الإسلام السامية. ثم يقول مؤكدا على استمرار النهضة: "... كل من يتفوه بكلمة واحدة في تأييد المساومة مع هذا الرجل (الملك) فقد خان الإسلام والمسلمين والوطن. فاحفظوا أنفسكم وانتبهوا وراقبوا الذين يريدون القيام بمثل هذه الأفعال (الخيانة)، فإذا خرجت من فم أحد مثل تلك الكلمة فاصفعوه على فمه ليرتدع هذا العمل المنحرف.

(١) راجع كتاب "مقابلة مع التاريخ" تأليف "أوريانا فلاشي"، فصل مقابلة مع الملك رضا. وراجع كتاب "نهضة علماء إيران" بالفارسية،

الخطاب رقم - ٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من المحاولات اليائسة التي تشبث بها الملك حالياً، هي اعتقال مجموعة من شركائه في الجريمة، لقد رأوا أن لهذا الحكم العسكري والحكومة العسكرية التي أقاموها لم تحقق لهم شيئاً مهماً، لذا توسلوا الآن بأسلوب آخر وهو اعتقال شركائهم^(١) في أمس في جرائمهم، وبعضهم شارك الملك على مدى اثني عشر وثلاثة عشر عاماً في الجرائم التي ارتكبتها، والآن اعتقلوهم بتهمة الخيانة والإجرام، أي اعتقلوا هذا الشريك وتركوا الشريك الآخر مصوناً.

لقد توهموا أن أذهان الناس كافة ستتوجه لاعتقال هؤلاء الشركاء وتنتهي المشكلة، وعلى أبناء الشعب السماح ببقاء الملك! فماذا تريدون؟ فمن جهة جاء الملك واعتذر، وقال سامحوني فقد أخطأت! ولن أكرر ما سلف، ومن جهة أخرى أطلق سراح الكثير من السجناء السياسيين من العلماء والساسة ومن الفئات الأخرى، ومن جهة ثالثة اعتقل المسؤولين الحكوميين السابقين والذين ارتكبوا الممارسات المنحرفة ويريد أن يحاكمهم مثلاً!!

يقول... لماذا تعاند أيها الشعب الإيراني إلى هذه الدرجة؟.. لأبقى أنا "صاحب الجلالة والمقام السامي"! وأين نجد ملكاً أفضل من هذا: يعتقل اللصوص، ويطلق سراح السجناء السياسيين، وقد تعهد بأن يصبح زاهداً وعابداً ومسلماً حقيقياً!! فماذا تريدون أكثر من الملك لكي تستمروا في إضراباتكم عن العمل في مختلف أرجاء إيران؟ ولماذا تواصل شركات النقل الجوي وشركة حافلات النقل الكبيرة والأطباء الإضراب عن العمل!! وهكذا.

وهنا، وابتغاء تحليل هذه القضايا، ينبغي التساؤل لمعرفة هل أن هؤلاء يزيدون جرمهم أم يخففونه؟ لكنكم أنتم الذين شكلتم تلك الحكومات وصادقتم عليها! المجرمون الذين اعتقلتموهم اليوم كانوا جميعاً أعضاء في حكوماتكم، فهم شركاؤكم في الجريمة، وأنتم اليوم تقولون إنهم مجرمون ولصوص لكنك أنت الذي أتيت بهؤلاء المجرمين واللصوص للسلطة، فقد جئت بمجرمين وخونة وأدخلتهم بنفسك في تشكيلة الحكومات، وانهمكتم معاً في نهب ثروات هذا البلد وإلحاق الأذى بالشعب. فإذا اشترك شخصان أو عشرة في ارتكاب

(١) يقصد حكومة الجنرال أزهاري العسكرية التي اعتقلت بتاريخ ١٩٧٨/١١/٧م أمير عباس هويدا (رئيس وزراء الملك) وعدد من المسؤولين السابقين في الحكومة أمثال: منوچهر آزمون، منصور روحاني، غلام رضا نيكيني، داريوش همايون، ايرج وحيدى والجنرال نصيري. وقد أخبر السفير الإنكليزي في طهران آنذاك "أنطوني بارسونز"، المدير العام لوزارة الخارجية البريطانية آنذاك "مايكل وير" أن الملك لن يحاكم هويدا أبداً، لأن هذا العمل لا يعني سوى محاكمة النظام الملكي، وقد قالت هيئة الإذاعة البريطانية بتاريخ ١٩٧٨/١١/٨م إن هويدا قد أصبح درعاً لدرء البلاد (كبش فداء).

جريمة فهل أن هذا يصبح سببا للعفو عنه وتبرئته أو بأن يعترف ويقول:^(١) لقد خنت ونصبت هؤلاء في السلطة؟ إن أحدهم ظل اثني عشر عاما في السلطة، فهل كنت

جاهلا بوضعه طوال هذه المدة وعلمت به اليوم فقط فلم تعرف عنه شيئا قبل عدة أشهر أو منذ اثني عشر أو ثلاثة عشر عاما، وهو رئيس وزرائك ومستشارك، وكان له تأثير كبير في الأمور، في حين أن جميع الأعمال كانت تجري تحت إشرافك وبأمرك المبارك!! ألم تكن تعرف عنه شيئا طوال هذه المدة فاطلعت على حقيقته خلال هذه الأيام والأشهر القليلة الماضية؟ إذا كنت جاهلا بما كان يفعله مثل هذا الرجل طوال ١٢ أو ١٣ عاما من خيانات ونهب، فهذا يعني أنك تفتقد الأهلية والجدارة لهذا المنصب إذا كان منصبا حقا- فأنت غير جدير به!

لكنك كنت تعلم - مثلما تعلم الآن - بحقيقة الأمر، فأنتما شريكان في الجريمة، وغاية الأمر أنك كنت الشريك الأكبر، وهو الأصغر، فإذا اعتقل الشريك الأكبر شريكه الأصغر وسجنه، فهل يعني ذلك إغلاق ملف الجريمة أم بقاءه مفتوحا؟ حسنا لقد اعتقلت أنت الشريك الأصغر، والشعب يريد الشريك الأكبر. وبنفس الدليل الذي أعلنته لاعتقال شريكك أو شركائك في الجريمة يريد الشعب محاكمتك واعتقالك. هل هذا سبيل الفرار؟ ليس هذا سبيلا يقبله العقل! إنكم تريدون إيجاد سبيل لإنقاذه، ولكن هذا ليس سبيل الخلاص.

إن الهدف من كل هذه الأقوال والأحاديث هو أن يخدعوا الشعب، ولو على نحو الاحتمال الضعيف الذي لا يتجاوز نسبة الواحد بالمئة أو الواحد بالألف، أو أن يخدعوا العوام. لكننا نرى عيانا أن الجماهير لا تنخدع. فرغم اعتقال شركائه في الجريمة، ورغم ذلك الخطاب الذي يكررون بثه باستمرار، وقد سمعه الناس كما سمعناه نحن^(٢)، وسمعنا خطاب رئيس الوزراء العسكري ذاك أيضا. ورأينا كذلك حراب هؤلاء السادة وجميع أفعالهم، والهجوم على أبناء الشعب، واقتحام حتى المستشفى وتحطيم أبوابها وقتل الناس فيها^(٣)، وكذلك قتل ثلاثة أشخاص في قم في الحمام خنقا بالغاز^(٤)، وما حدث في همدان وسائر المناطق الأخرى. ولكنها رغم ذلك لا زالت جميعا تشهد نفس النشاطات الثورية والإضرابات عن العمل وإطلاق نفس الصرخات فلا يمكن أن تتوقف.

(١) المخاطب هنا هو الملك محمد رضا.

(٢) بثت الإذاعة الإيرانية المسموعة والمرئية آنذاك اعتراف الملك بأخطائه وإعراجه عن الندم مرارا.

(٣) في شهر نوفمبر ١٩٧٨م هاجم جلاوزة النظام مستشفى "١٧ من شهريور وقتلوا وجرحوا عددا من المرضى والعاملين بالمستشفى، وقد أضرب الأطباء والعاملون في المجال الصحي عن الطعام احتجاجا على هذه الجريمة، كما خرج أهالي مشهد في تظاهرات واسعة تضامنا مع المضربين بتاريخ ١٩٧٨/١١/٢. وفي تاريخ ١٩٧٨/١١/٥ واجه عناصر النظام بعنف مجموعة كبيرة من طلبة جامعة طهران الذين جاؤوا لاستلام أجساد الشهداء الذين قتلوا في مجزرة "ثوم" ١١/٤ في جامعة طهران، من مستشفى بهلوي، واشتبكوا مع هؤلاء الطلبة الذين تظاهروا مقابل المستشفى.

(٤) خرج قرابة ٢٠٠٠ من أهالي مدينة قم في مسيرة سلمية احتجاجا على تشكيل حكومة أزهارى العسكرية، وتأكيذا لنصرتهم للإمام الخميني (س)، وطافوا بهدوء شوارع المدينة، فتصدى لهم العسكر والشرطة بعنف وعمدوا إلى تفريق المتظاهرين، واكتفوا في البداية بمطاردتهم لكنهم سرعان ما عمدوا إلى إطلاق العيارات النارية على الأهالي بصورة مفاجئة، فتوجهت مجموعة من الأهالي إلى أحد الحمامات العامة الذي كان يقع بالقرب من محل الحادث والتجأ إليه عدد كبير منهم فأخذ جلاوزة النظام بإطلاق قنابل الغاز السامة والخانقة داخل الحمام فقتلوا عددا من الأهالي ولم يعرف عدد الشهداء.

هذا الشعب الذي بقي مسحوقاً تحت مخالب وأرجل هؤلاء على مدى ٥٠ سنة فتح أعينه اليوم وهو يرى أن هؤلاء المجرمين يسعون لإلحاق الهزيمة به وإيقاف تظاهراته وإضراباته بالقوة والضغط والضجيج، وهو يعلم أنه لو غفل وتراجع، ولو قليلاً جداً، فإن حاله سيعود إلى ما كان عليه منذ ٥٠ عاماً، عندها لن يستطيع إيجاد مثل هذه النهضة والثورة، ولا بعد ٥٠ سنة أخرى. الشعب يعلم بهذه الحقيقة، ويعلم أنه إذا لم يواصل مسيرته إلى النهاية ونهضته إلى إسقاط هذا الشخص فإنه سيرجع إلى ما كان عليه في عهد الملك رضا، بل وأسوأ منه. وإذا استقوى هذا الشخص فلن يمهل لا الصغير ولا الكبير هذه المرة، وسيقمع كل معارضيه، وهم الشعب كله، ولن يتورع عن ذلك أبداً.

لا تتوهمنّ تحقق شيء من العدالة الاجتماعية التي يصعد المنبر ليخطب، كل بضعة أيام مرة، ويعد بإجرائها وإيجاد الأجواء السياسية المفتوحة والانتخابات الحرة والتحضر العظيم والوصول إلى بوابة هذا التحضر! وأمثال هذه القصائد التي لم تعد المئات منها تساوي قرشاً في سوق إيران اليوم. فهي أساطير كان ينسجها، ولا يزال يفعل ويكررها متى ما تحدث، وغاية الأمر أن المظاهر تختلف، تارة يخرج بأمثال تلك وأخرى بغيرها، ومرة يخاطب الكسبة وتارة غيرهم.

عندما جاء إلى قم قبيل حادثة "١٥ خرداد"، أضاع يديه ورجليه.. حين دخوله لها، فكان عليه أن يمر من هذا الطريق، لكنه دخل إلى ذاك الزقاق! فذهبوا إليه وقالوا: إن الطريق من هذه الجهة أيها السيد فتفضلوا (يضحك الحاضرون)، وأهدوه إلى الطريق فجاء. وعندما وقف ليخطب خارج الصحن^(١) كانت حركاته مضطربة (مضحكة)، وقد كانت للأهالي تعليقات عليها أيضاً، ثم ذهب ووجه شتائم قبيحة لكسبة قم المؤمنين كقوله: إنهم أصحاب اللحي الكاذبة، ووجه ما هو أسوأ من ذلك للعلماء، إذ شبههم بالحيوان النجس وأمثال ذلك. نفس هذا السيد يقف أمام الشعب ويبيد التوبة والإخلاص لكافة فئاته، ويعلن أنه ارتكب أخطاء، ويتعهد بعدم تكرارها!! ولكن إذا كان ما فعلته خطأ فلماذا تعاود مرة أخرى القيام بأعمال القتل؟ إذا كنت بنفسك تصدق أنك أخطأت، فهل يوجد خطأ أشد من قتل الإنسان؟ وهل ثمة خطأ أفظع من قتلك شباب الناس ونسائهم؟ إذا كنت تعترف حقاً بهذه الأخطاء وتتعهد بالتوبة عنها وعدم تكرارك لها، فتوقف عن القيام بها إن كنت صادقاً، فكيف يصدق الشعب قولك وأنت تواصل القتل؟ أو يمكن أن يقدم عسكري على قتل أحد دون موافقتك؟ فما الذي يدفع العسكريين لقتل أحد من أجل شخص آخر؟ إنهم لا يقدمون على ذلك ما لم يأمر الملك، وما لم يروا وجوب طاعته لأنهم يفتقدون الجرأة على التمرد. فلا قتل دون أمره، وهو الذي يجبر هؤلاء الأراذل على قتل الناس وارتكاب غيرها من الجرائم.

(١) المراد خارج صحن مرقد السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم (ع).

نفس هذا الشخص الذي يقول الآن: "إنني أعتذر. وقد وقعت أخطاء أتعهد وأضمن عدم تكرارها"، كان قد تعهد في السابق بمثل ذلك. ففي بداية سلطتك الشيطانية أطلقت مثل هذه التعهدات، وأقسمت على الوفاء، وذهبت للمجلس النيابي من أجل ذلك، لكنك واصلت ارتكاب هذه الأفعال والانحرافات التي تسميها أخطاء!! فماذا حدث لكي تعاود إطلاقها؟ آنذاك توقفت فترة عن ارتكاب تلك الأخطاء، حيث عاودتها بعد عشرة أيام أو شهر أو شهرين أو ثلاث - مثلا - من إعطاء تلك التعهدات، لكنك تواصل اليوم ارتكاب الممارسات القذرة والجنايات في نفس الوقت الذي تطلق تلك الاعترافات بها والتعهد بعدم تكرارها، فكيف يمكن أن يصدقك الشعب؟!

كيف يمكن أن يصغي الشعب لطلب عالم ديني، مثلا، يأتي فرضا - لا سمح الله - ويطلب منه أن يلتزم الصمت والهدوء؟ إن أفضل ما يمكن أن يلقاه من أبناء الشعب هو ردهم بأن هذا العالم قد أخطأ أو أنه إنسان ساذج وبسيط ولا يعرف حقيقة هذا الشخص (الملك)، هذا إذا التزموا بأقصى درجات الأدب، وإلا لقالوا عنه بأنه من عملاء البلاط! أجل فلا يمكن تصور أن الشعب جاهل إلى هذه الدرجة. والشعب الذي انتفض وأطلق صرخته المدوية مطالبا بحقه المشروع لا يمكن استغفاله بمثل هذه الأساليب.

وعلى الطرف الآخر نجد الدعايات الإعلامية الشاملة الإيرانية منها والأجنبية، فكلا الجانبين (النظام والأجانب) يريد أن يروج الافتراء القائل بأن في إيران أقليات دينية "يهتم الأجانب بأمرها"، وإن إقامة الحكم الإسلامي تؤدي إلى دمارها، هذه هي القضية التي افتعلوها. ولكن لنرَ هل أنكم تتعاملون مع الأقليات بصورة أفضل من الإسلام؟ إنك الآن تسحق وتدمر الأقليات الدينية والأكثرية الدينية معا، بل إنك تسحق حقوق بني الإنسان كافة في إيران. فقد سلبت المسلم وغير المسلم الحرية في حين أن الأقليات الدينية تحظى في ظل الإسلام بالاحترام والحرية. أمثال هؤلاء يلجؤون في السؤال (منا): ماذا ستفعلون بالأقليات الدينية إذا أقيم الحكم الإسلامي؟ وسر تكرار هذه الأسئلة هو ما يلقنونهم به من أنه إذا حدث ذلك (إقامة الحكم الإسلامي) فسيقتلون اليهود والنصارى والزرادشتيين دون تمييز وبصورة شاملة!! متى وقعت مثل هذه المجازر في ظل الإسلام وفي بلد إسلامي لم تكن الأقليات الدينية في حالة حرب ضده؟ بل ومتى قتل في ظله أحد منها؟

من هذه الأقلية الدينية كانت تلك المرأة اليهودية الذميمة التي سلبوها خلخالها، ولما سمع أمير المؤمنين بالخبر اعتبر أن المؤمن جدير بأن يموت كمدا لذلك، لأنه وقع وهي تحت ظل حماية الإسلام، فهل مثل هذا الإسلام ومثل هذا الحكم الإسلامي سيء إلى الأقليات الدينية!!؟

هذه هي جميعا دعايات يروجها أنصار الملك بواسطة أبواقه من أجل تشويه صورة الإسلام وحكومته وعلمائه في أذهان الناس، أو على الأقل في أذهان الأجانب خارج إيران من غير المسلمين أو غير الدينيين أساسا، والإيحاء لهم بأن علماء الإسلام يريدون إقامة حكومة رجعية تمثل الرجعية الإسلامية! فهذا السيد (الملك) يصف الإسلام بالرجعية، وإن كان من جهة يصفه بأنه الدين المبين، لكن هؤلاء (أبواقه) يصفونه من

جهة أخرى بأنه رجعي يريد إرجاع العالم إلى ما كان عليه قبل ألف وأربعمئة سنة. وهو يروج لهذا القول غافلا عن أنه هو الذي أعاد اليوم تاريخ ما قبل ألفين وخمسمئة سنة! لكنه ليس رجعياً، أما الرجعيون فهم الذين يطالبون بإحياء تلك القوانين والأحكام التقدمية التي أنزلت قبل ألف وأربعمئة عام، والذين يقولون: يجب كبح هذا الشخص الذي سلب الشعب حريته، وسلط الأجنبي على إيران، وجعل الشعب تحت تسلط القوى الكبرى!! في حين أن الذين ينهبون ثروات الشعب بالقوة والإكراه ويسلبون حرية الجميع فهم متحضرون وفتحوا أبواب الحرية!!

هذه الأقوال وهذه الشعارات أعدوها في الخارج، لكي يزرعوا الخوف من الحكم الإرهابي في بعض شبابنا فيقعوا - لا سمح الله - في هذا الاشتباه. فيخشون من إقامة الحكم الإسلامي لأنه "سيقتل الأبواب على النساء لكي لا يخرجن من البيت أبداً!!" في حين أن نساء صدر الإسلام كنَّ يحضرن في ميادين القتال في الحروب الإسلامية للقيام بمهام التمريض وأمثالها ويتعرضن للشهادة.

من قال لكم إن النساء يجب أن يبقين في المحافظ المغلقة؟ إنهن حُرّات مثل الرجال. ومن قال إن الحكم الإسلامي يسيء إلى الأقليات الدينية؟ أجل إن أحد المخاوف الحقيقية هو إغلاقه محال لعب القمار والبغاء والملاهي الفاسدة.. فهو لا يسمح ببقائها لأنها هي التي جرّت شبابنا إلى هذه الحالة البائسة. وإذا كان أدعياء الثقافة والتحديث يؤيدون بقاء مراكز هذه المفاصد فإن الحكم الإسلامي وحفظا للشعب يعارضها ويغلق أبوابها ويغيّر حالة دور السينما فهي الآن تقوم بإفساد شبابنا وجرّهم إلى الفحشاء والبغاء. والحكم الإسلامي يقول يجب تغيير هذه الحالة، ويؤيد بقاء دور السينما، شريطة أن يكون دورها تربوياً أخلاقياً، فالإسلام يرفض الفساد ويعارض إفساد الشباب والمسلمين، ويعارض النهب، ويرفض سرقة بيت مال المسلمين ونهبه، ويخالف هذه الأعمال الوحشية الحيوانية، وليس الحداثة والتحضّر. إنه يخالف هذه المفاصد التي روجوها، ويعارض تبذير ثروات الشعب في مراكز القمار في الجزيرة الفلانية^(١)، هذه المفاصد ستُمنع بلا ريب، وإذا أقيم الحكم

(١) المقصود جزيرة "كيش" جنوبي إيران، القريبة من المنطقة الساحلية لميناء "لنجة" الإيراني قد اختارها الخبراء الأمريكيون سنة ١٩٧٠ كمحل مناسب للترفيه لزعماء النظام الملكي وأسيادهم. وفي سنة ١٩٧٢ تم تأسيس "منظمة إعمار كيش" برئاسة وزير البلاط الملكي أسد الله علم وبميزانية أولية بلغت ١٠ مليارات ريال إيراني، ٨٠ بالمئة منها من منظمة الأمن الملكي (السافاك) والباقي من مصرف الإعمار الإيراني. وقد قدم البنك المركزي الإيراني وإلى سنة ١٩٧٦ مبلغ ٦٠ مليار ريال كقرض لـ "منظمة إعمار كيش" بهدف بناء القصور والفنادق والمنتجعات والنوادي والمطار الخاص، وقد تم بناء العديد من القصور في مجمع "عاشة"، وأدى ذلك إلى تشريد أهل المنطقة وإخراجهم من منازلهم بالقوة وهدمها. كما وقّعت المنظمة إتفاقية لإقامة محطة للإذاعة والتلفزيون مع الشركة الأميركية المعروفة "آر. سي. أي"، واتفاقية ضخمة لإقامة أجهزة تحليل المياه مع شركة إسرائيلية كانت قد أنجزت في السابق مشاريع لتحلية المياه، وقّعت عقودها مع القوة الجوية الإيرانية وأقامت أجهزة تحليل المياه في القواعد الجوية في موانئ: عباس، وجاسك، ولنجة، وبوشهر وغيرها..

ومن المنشآت التي أقيمت في هذه الجزيرة قصور للملك وولي عهده ولهويدا ولأسد الله علم، كازينو ضخمة للعب القمار، ميادين للعب الغولف والتنس، مسابح مياه محلاة، ثلاثة نواد للترفيه، مطار خاص قادر على استقبال طائرة الكونكورد الضخمة. وقد تولت شركة "مركوري" التي تملكها "فيرجينيا"، الزوجة الفرنسية لمحمود مصنف (المدير التنفيذي لمنظمة إعمار كيش)، تنفيذ ٩٥ بالمئة من عمليات هذه المشاريع الضخمة.

الإسلامي فسيزيلها ولن يسمح بإفساد الشباب، ولا يسمح بالإبقاء على المستوى الثقافي والعلمي متخلفا، فهذا الوضع لا يسمح لشبابنا بالتقدم في المجال العلمي. وقد جاء هؤلاء الشباب المقيمون في الخارج وقالوا لي: إنهم لا يسمحون لنا بأن نتطور في المجال العلمي، فهم يبقوننا ضمن حدود متخلفة معينة لا يسمحون لنا بتخطيها! وبالطبع الإسلام يعارض هذه الأمور، فهو يريد التقدم للمرأة والرجل، وهو الذي أنقذ المرأة من تلك الحالة التي كانت عليها في الجاهلية. والله يعلم أنه خدم المرأة أكثر من مقدار خدمته للرجل، فلا تعرفون الحالة التي كانت عليها في الجاهلية والحالة التي ارتقت إليها في ظل الإسلام. وهؤلاء الآن يتعاملون معها أسوأ من أفعال الجاهلية، ففي عهد الجاهلية كانوا لا يقيمون للمرأة وزنا، أما الآن فإنه (الملك) يقول: إنها يجب أن تكون لعبة وأمثال ذلك من الكلمات المهينة لكرامتها، هذه هي نظرتة للمرأة التي يعبر عنها بتلك العبارة السيئة. والإسلام يريد إنقاذ المرأة من هذه الحالة الوضيعة، يريد أن تقوم بجميع المسؤوليات والأعمال المهمة التي يقوم بها الرجل، ولكن ليس على تلك الحالة المبتذلة من الاختلاط والظهور متبرجة في الوسط الاجتماعي، والاختلاط بالشباب بتلك الهيئة التي يريد لها ذلك الرجل. هذا ما يمنعه الإسلام فهو يريد حفظ المرأة وكرامتها واحترامها، ويعارض تحولها إلى لعبة تنتقل بين الأيدي. فهل هو ضد المرأة؟ لقد قدم الإسلام للمرأة خدمات لا نظير لها على مدى التاريخ، حيث أنقذها من المستنقعات القذرة، ومنحها شخصية محترمة، فكيف يكون معاديا لها؟!!!

كل هذه دعايات يروجونها بهدف إبعادكم عن الإسلام ونهب ثرواتكم. إنهم يريدون عزلكم عن علماء الإسلام بهدف نهب ثرواتكم والحيلولة دون رقيكم الثقافي والعلمي وسرقة ذخائركم والإبقاء عليكم أسرى وعبيدا للآخرين إلى الأبد. وإذا لم يتعاون أبناء الشعب كافة اليوم من أجل إنقاذ أنفسهم من هذا البلاء، مهما كان الثمن، فسيبقون يقاسونه إلى الأبد. وكل من يتفوه بكلمة واحدة في تأييد المساومة مع هذا الرجل (الملك) فقد خان الإسلام والمسلمين والوطن. احفظوا أنفسكم وانتبهوا وراقبوا الذين يريدون القيام بمثل هذه الأفعال (الخيانة). فإذا خرجت من فم أحد مثل تلك الكلمة فاصفعوه على فمه ليرتدع عن هذا العمل المنحرف.

حفظكم الله جميعا ووفقكم، إن شاء الله، أخدموا بلدكم وإسلامكم.

هوية الخطاب رقم - ٦٤

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: ١٠ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٧٨م.

الموضوع: الأبعاد السياسية العبادية في الإسلام.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

ألقى الإمام الخميني (س) هذا الخطاب في وقت كانت طهران ومعظم المدن الإيرانية الأخرى تشهد تظاهرات ومسيرات شعبية واسعة. وجاءت الخطبة بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وضمن تأكيده على أن النظام الملكي غير دستوري، يبين فيها مختلف الأبعاد السياسية والاجتماعية في الإسلام، ويشير إلى صلاة الجمعة والجماعة ومراسم الحج والأعياد الدينية كنماذج للجمع البديع بين العبادة والسياسة.

وعندما كان أهالي العاصمة طهران يستعدون لإقامة صلاة يوم عيد الأضحى، صعد عناصر الحاكمية العسكرية من ممارساتهم العنيفة، وظهروا بترتيب جديد حيث ازداد عدد الدبابات والمدركات والشاحنات العسكرية المحملة بالجنود، وكان الجنرال أزهاري قد ظهر ليلة عيد الأضحى على شاشة التلفزيون الإيراني وكرر أقواله السابقة، وفي صباح يوم العيد وصل خبر من مدينة قم المقدسة يفيد أن عناصر الحاكمية العسكرية هاجموا صفوف المصلين وأطلقوا القنابل المسيلة للدموع، ومنعوا بذلك إقامة الصلاة. ومع انتشار هذا الخبر في طهران، خرجت في جميع شوارعها تظاهرات احتجاجية من مجاميع كثيرة يبلغ تعداد كل منها ما بين خمسين إلى مئة شخص، لأن عدد الدبابات والمدركات في الشوارع كان من الكثرة بحيث يمنع اتصال هذه المجامع.

ينقل كتاب "دقائق الثورة" نموذجاً لهجمات الكرّ والفرّ المتبادلة بين الأهالي وعناصر الحكم العسكري، وهو نموذج للمئات من هذه الاشتباكات التي كانت تحدث يومياً في تلك المرحلة من عمر الثورة، فيقول: "... كان تقاطع (كاخ القصر) عند مبنى وزارة الإعلام مليئاً بالجنود فيما لم يكن عندنا نحن ما يزيد على السبعين أو الثمانين شخصاً، وكانت أصوات إطلاق الرصاص تعلو في كل مكان، فيما كنا نحن نردد الشعارات ونتقدم... وفجأة صرخ أحد المتظاهرين قرب الجدار عند إحدى الأشجار وسقط على الأرض، فبادرنا لإنهائه فنزف الدم منه بقوة، وكانت رصاصة قد أصابت صدره، وارتفع نداء "لا إله إلا الله"، وتضرجت الأيدي التي كانت تحمل الشهيد بالدماء، ثم عدنا به إلى داخل الشارع (صبا) وكان لا يزال حياً مثل وردة حمراء تطفو فوق أمواج السيل الهادر وتحرك على سطح الماء...

وكان كل شخص يقول شيئاً ما، ومدت امرأة من بعيد يدها لعلها تمس بأطراف أصابعها بدن الشهيد، وعندما وقع بصرها على لسانه وهو يتحرك داخل فمه المفتوح صرخت: إنه حي... حي... ثم ركضت داخل الزقاق

وقالت: هذه هي سيارتي وتوجهت نحو السيارة التي كانت في موقف يبعد قليلا عن تقاطع بهلوي عند محطة الأوتوبوس. ثم أعطت مفتاح السيارة إلى أحد الشباب ونقلوا الشهيد إلى السيارة.. وكانت أصوات إطلاق الرصاص ترتفع من كل جانب، وقد انتشر الجنود في جميع الشوارع والأزقة فسألت المرأة: إلى أية مستشفى يُنقل هذا الشاب؟ كنت مذهولا، وفجأة هرعت المرأة وقالت: جاءت السيارة التي وقف إلى جانبها شاب يبكي، ثم أعطى المفتاح للمرأة وقال: لقد استشهد في الطريق ونحن ننقله إلى المستشفى، وسبب تأخري هو أنني ذهبت لغسل سيارتك من الدماء. فبكت المرأة وبكى الجميع.

كنا قرابة الثمانين شخصا، تحركنا في مسيرتنا التي كانت تشترك فيها تلك المرأة ونساء أخريات، ونحن نردد جميعا بصوت واحد شعار "قل الموت للملك.. قل الموت للملك". وفجأة تجدد إطلاق وابل الرصاص نحونا فتفرقنا كل إلى جهة، ووصلت إلى شارع بهلوي وكان إطلاق الرصاص مستمرا، فرأيت شيخا كبيرا واقفا على جانب الشارع فقلت له: اجلس يا عم فوقوك هنا يعرضك للخطر، لكنه بقي واقفا حتى رأيته يسقط فجأة، وبعد توقف إطلاق الرصاص سارعت مع بعض الأشخاص إلى مكانه فوجدناه مصابا برصاصة في كتفه والدم ينزف منه ويسيل على جانب الشارع، والشيخ الكبير يرفس وقد أخذ منه الضعف مأخذه، وفجأة وصلت سيارة فنقلناه إليها وبقينا ومجموعة من الشباب واقفين عند بقع دمه المتناثرة".^(١)

وكانت الصحف الرسمية في البلد مضربة عن العمل منذ يوم ١٩٧٨/١١/٦م، يوم تشكيل حكومة أزهارى العسكرية، وكان الشباب يتولون مهمة طبع الأخبار المتعلقة بتظاهرات المدن الأخرى وتوزيعها بسرعة في أرجاء العاصمة طهران، ومن نماذجها:

- مقتل ستة وجرح مئة في التظاهرات والإشتباكات في مدينة جهرم، وكان بين القتلى طفل رضيع عمره ثمانية شهور واسمه محمد الأسدي، حيث أصابته رصاصة وهو في حضن أمه.

- هاجمت مجموعة تطلق على نفسها اسم "أنصار الحكومة" في مدينتي بافت وجيرفت في محافظة كرمان منازل المعلمين المعارضين للحكومة ومنزلي اثنين من أئمة المساجد في المدينتين المذكورتين.

- اغتيال معاون رئيس شرطة مدينة رفسنجان خلال هجوم شنته مجموعة بالأسلحة الرشاشة عليه في أحد شوارع المدينة، كما أصيب أحد مسؤولي الشرطة في مدينة كرمان بجروح بليغة اثر انفجار قنبلة موقوتة وضعت في سيارة.

- اجتماع عشرات الآلاف في مدرسة (جهار باغ صدر) في مدينة أصفهان، ثم وقع بعد ساعات قليلة من الاجتماع اشتباك بين الأهالي والشرطة قتل فيه شخص وجرح آخرون.

(١) كتاب "حقائق الثورة" بالفارسية ص ٤١-٤٢.

- مقتل أربعة أشخاص اثر إطلاق الرصاص على تظاهرة حاشدة في مدينة أصفهان.

- إقالة ثاني حاكم عسكري في مدينة جهرم بسبب تواصل تظاهراتها واضطراباتهما، وكان جندي مكلف قد اغتال الحاكم العسكري الأول واسمه اللواء أحمد نادور، واغتال معه رئيس الشرطة في هذه المدينة.

- قوات الشرطة تفتح نيران أسلحتها على المتظاهرين في مدينة همدان وتقتل أربعة أشخاص.

- مقتل ١٧ شخصا وجرح ٨٠ آخرين في تظاهرات مدينة سنندج خلال الفترة ما بين ٦ و ٢٦/١١/١٩٧٨م.

- مقتل ٧ أشخاص وجرح عدد كبير من الأهالي في مدينة كاليكش.^(١)

وفي نفس هذه الأيام تركز تردد المراسلين على طهران وباريس، باعتبارهما أهم مواقع التطورات الخيرية في العالم.

وكان من المواقف المحنكة والذكية والمبتكرة التي اتخذها الإمام الخميني (س) آنذاك، هو أنه أعلن عدم موافقته على استقبال أي من زعماء الأحزاب السياسية إلا بعد أن يعلن تأييده ودعمه للمواقف الصلبة للشعب وهي: إسقاط النظام الملكي- إدانة كافة أشكال مشاريع المساومة مع النظام - المطالبة بإقامة نظام الحكم الإسلامي.

وبتاريخ ١٠/١١/١٩٧٨م نقلت وكالة "رويتر" للأبناء الخبر التالي: "أعلنت وزارة الخارجية الأميركية اليوم أن الولايات المتحدة وافقت على بيع إيران، بعد إقامة الحكومة العسكرية في طهران، صفقة من معدات مكافحة أعمال الشعب، وهي تشمل لهذا العام ٢٥ ألف قنبلة مسيلة للدروع. و ٢٢٠ ألفاً من عصي الشرطة ومقاديراً من الألبسة الواقية والمعدات المماثلة"^(٢). وجاء هذا الإجراء في وقت كانت فيه أميركا تأمل من تكرار تجربة "٢٨ مرداد" (المؤامرات الأميركية التي أعادت الملك محمد رضا إلى الحكم في عهد حركة الدكتور مصدق)، وتسعى بكامل جهدها للسيطرة على الأوضاع، من خلال الإتيان بحكومة ذات ظاهر وطني مع حفظ المجلس الملكي.

في تاريخ ٥/١١/١٩٧٨م تشرف الدكتور كريم سنجابي بقاء الإمام الخميني (س) في باريس، وقد حمل إليه رسالة من الجبهة الوطنية الإيرانية تعلن فيها تأييد المواقف الثلاثة التي أعلنها الإمام. وقد تقرر في اللقاء أن يعلن سنجابي بصورة رسمية ما تضمنته الرسالة بعد عودته إلى طهران وخلال مؤتمر صحفي، ولكنه مُنع من إقامة المؤتمر الصحفي بعد عودته، واعتقل هو وداريوش فروهر، ولكن لفترة قصيرة، إذ قام الفريق مقدم باصطحاب سنجابي وأخذه إلى لقاء الملك حيث عقدا جولة عديمة الجدوى من المباحثات في حين أن الشعب الإيراني المسلم يواصل سيره على نهج الإمام الخميني (س) غير عابئ بمساومات الأحزاب السياسية.

(١) أعدت هذه الأخبار من أرشيف صحيفة "كيهان".

(٢) كتاب "تقويم تاريخ الثورة الإسلامية الإيرانية" بالفارسية ص ١٨٢، نقلا عن وكالة "رويتر".

الخطاب رقم - ٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أعتذر من السادة للمشقة التي يعانونها بسبب ضيق المكان، حفظكم الله جميعا إن شاء الله. كان اليوم عيداً، وقد أرادوا إقامة صلاة العيد، ولكن منعوهم من إقامتها في الكثير من أنحاء إيران، ففرقوا الأهالي في مدينة قم بالغازات المسيلة للدموع لكي لا يقيموا هذه الصلاة، كما هاجموا الأهالي في عدد من المناطق الأخرى، وارتكبوا ممارسات غاية في الوحشية، وهذا آخر سهم في جعبة الملك. وقد عامل الأهالي في أنحاء إيران بأشنع درجات الوحشية، وهو عازم على مواصلة هذا التعامل.

الحكومة عسكرية ورئيسها عسكري غافل عن الله تعالى، ولكن لا فائدة من كل ذلك ولا جدوى من كل هذه المحاولات اليائسة التي يتشبثون بها، فلم تبق للملك قاعدة بين أوساط الشعب. كما أن سلطنة الملك رضا لم تكن دستورية منذ البداية، حتى لو كانت دستورية فالحكم الملكي اليوم هو حكم بغاة أبطلته استغاثات الشعب في كل مكان، فالملك هو باغ وينهب ببيغية بيت مال المسلمين ويقتل الشعب.

إن لهذه الشعائر التي شرعها الإسلام مثل عيدي الفطر والأضحى وموسم الحج ومواقفه وصلاة الجمعة، وصلوات الجمعة التي تقام في الليل والنهار، بُعداً عبادياً وأبعاداً سياسية واجتماعية، وبُعدها العبادي مدغم بالسياسي. فالديانة الإسلامية ليست عبادية وروحانية مجردة تحدد فقط واجبات العبد نحو الله (تبارك وتعالى)، كما أنها ليست سياسية مجردة بل هي عبادية سياسية تمتزج سياستها في العبادات وعبادتها في سياساتها، بمعنى أن للجانب العبادي بُعداً سياسياً، فنفس الاجتماع في الأعياد لإقامة صلاتها هو عبادة لكنه أيضاً يشتمل على جنبه سياسية، وعلى المسلمين أن يحصلوا على ثمار كثيرة من الاجتماعات المتوفرة.

كانت المساجد، مثلاً، في صدر الإسلام مراكز يتحرك منها الجيش لمحاربة الكفار والجبابرة حيث كانت تُلقى فيها الخطب التي تعبئ الناس لمواجهة فلان الذي طغى في المكان الفلاني وبغى على المسلمين أو نهب أموالهم وتجبر وانحرف، فتتحرك الجيوش من المساجد لمجاهدة العدو، كما كانت تعقد فيها المعاهدات. هذه صورة المساجد في صدر الإسلام، ولكن المنحرفين حرّفوها إلى الصورة المبتذلة الحالية الغريبة عما كانت عليه آنذاك.

يجب تبيان القضايا المرتبطة بمصير البلد، والتحركات السياسية والاجتماعية التي ينبغي القيام بها في خطبة صلاة الجمعة، كما يجب أن تتناول هذه الخطب مشكلات المسلمين واختلافاتهم وسبل حلها وإزالتها، وأن تبين وتدّان فيها جرائم أمثال الملك محمد رضا. إن صلاة الجمعة عبادة لكنها ممتزجة بالسياسة، فالعبادة (في الإسلام) ليست مثل الدين المسيحي، أي هذا الدين الذي في أيدي المسيحيين اليوم، ولا أعتقد أن الذي جاء به المسيح (ع) هو هذا الذي يزعمون اليوم أنه لا شأن له بالحياة الاجتماعية والأوضاع السياسية، وأنه ينحصر

في أن يدقوا الناقوس ثم يقيموا عبادة قصيرة وينتهي الأمر حيث يذهب كل لشأنه، لا أعتقد أن هذا الموجود في العالم هو دين المسيح (ع)، فقد وقع تحريف في دين اليهود وكذلك دين النصارى، ولعبت بهما أيدي التحريف.

أما الإسلام، فإن وثيقة القرآن وهو محفوظ لم تتغير منه ولا كلمة واحدة، وفيه تبيان لكل شيء، فهو كتاب تربية الإنسان وصنع الشخصية الإنسانية بكل أبعادها، إذ أن للإنسان بُعدا معنويا وآخر ماديا وظاهرا وباطنا، وقد نزل القرآن لتربية جميع أبعاده وهو يشتمل على ما يلبي جميع احتياجاته، سواء المرتبطة به كفرد كالعلاقة بينه وبين الخالق (تبارك وتعالى)، وقضايا توحيد الحق تعالى وصفاته، والقيامة وأمثاله، أو القضايا السياسية والاجتماعية ومجاهدة الكفار وأمثالهم. حيث القرآن مليء بالآيات التي تحرض الناس على هذا الجهاد وتأمّر النبي بمجاهدة المعتدين والظالمين. فهو كتاب يبعث الحركة ففي العصر الذي نزل فيه كان العرب متفرقين يتنازعون ويتقاتلون فيما بينهم مثل مجاميع الوحوش، غافلين بالكامل عن الأمور السياسية، وفي أقل من نصف قرن، في حدود الثلاثين عاما، هزموا كلا الإمبراطوريتين (الإيرانية والرومية) عندما التفوا حول الرسول الأكرم الذي رباهم وجعلهم ينتصرون على هاتين الإمبراطوريتين اللتين كان كل العالم تقريبا يخضع لسلطتهما، فقد بعث فيهم القرآن الكريم تلك الحركة التي جعلتهم ينطلقون من الجزيرة العربية ويفتحون إيران والروم وأوروبا وكل مكان ويسيطرون عليها، ولكن ليس مثل ما يفعله غيرهم كنبليون مثلا الذي كان يسعى إلى التوسع في السيطرة على البلدان، بل إن هدف الفتوحات الإسلامية إصلاح الناس وهدايتهم إلى التوحيد والتخلي بالعدالة، وتوعيتهم بحقائق الأمور، وليس التسلط على البلدان. فلم تكن غايتهم هذه، بل هدفهم هداية الناس وتحويل المتوحشين الذين ينهش بعضهم بعضا إلى متحضرين.

القرآن الكريم نقل تلك الجموع المتناحرة على الدوام التي كان بعضها ينهش بعضا إلى تلك الحالة السامية من العدالة والتعامل مثل البلدان المتحضرة، بل خير منها. وعلى أية حال، فالإسلام ليس كسائر الأديان الأخرى التي وصلت لنا الآن ظواهرها، بل إنه يربي الإنسان بمختلف أبعاده، في عقله وتهذيب أخلاقه وفي آدابه الظاهرية، من ناحية الظاهر، وله حكم بشأن جميع احتياجاته، كما أنه ليس مثل الأنظمة الحاكمة الأخرى التي تهتم فقط بالجوانب الاجتماعية والسياسية ولا علاقة لها بما يجري داخل المنزل، إذ أنها تتدخل إذا خالف، مثلا، النظام العام. أما الإسلام فهو يهتم بأمركم، حتى وأنتم تختلون بأنفسكم في منازلكم، وبسلوككم مع عوائلكم الصغيرة، وبعلاقتكم مع جيرانكم وأبناء وطنكم وأبناء دينكم وأتباع الأديان الأخرى، فلكل ذلك آداب في الإسلام، فهو ليس حكما مجردا، بل إن الحكم وشؤون السياسة أحد مجالاتها، ومنها أيضا اهتمامه بتربية الجانب المعنوي في الإنسان إذ يحدد له العقائد الصحيحة التي يجب أن يتحلى بها، والآداب العملية وغيرها، فالإسلام يهتم بها جميعا. في حين أن الأنظمة الأخرى تتجاهلها، فما من حكومة تنبري لتقول لكم: اجتنبوا العمل الفلاني في منزلكم، هذا ما لا علاقة للحكومات به، وليفعل المرء في داخل بيته ما يشاء، أما الإسلام فهو

يتدخل في شأنك حتى وأنت في بيتك وحيدا، بمعنى أنه يحدد سلوكك هناك أيضا، ويبين الأخلاق التي يجب أن تتحلّى وكيف يجب أن تستفيد من قوتك العقلية وطبيعة سلوكياتك والآداب التي ينبغي أن تتعامل طبقها مع أطفالك وكيف يتعامل الابن مع أبيه وأمه وبالعكس، والأخ مع أخيه وأفراد العائلة فيما بينهم ومع العوائل الأخرى. فقد حدد الإسلام آدابا لكل هذه الشؤون.

كما أن الإسلام يهتم بالقضايا الاجتماعية التي تربط بكافة أفراد بني الإنسان بلا اختلاف بين بلد وآخر. إذ لا ينحصر الإسلام في بلد معين، مثل إيران أو العراق أو غيرهما، بل يهتم بالعالم كافة بمعنى أنه يسعى إلى تربية جميع بني الإنسان، فلا يرتبط بقطر دون آخر أو بشرق أو غرب أو شمال أو جنوب، إنه دين إلهي. والله (تبارك وتعالى) إله الجميع وليس إله الشرقيين وحدهم أو المسلمين أو الغربيين أو المسيحيين أو اليهود وحدهم، بل هو إله الجميع، ورازق وخالق الجميع، وكذلك حال الإسلام فهو دين الجميع بمعنى أنه جاء لتربية كل البشر وفق الصورة التي يريد من العدالة.

بحيث لا يعتدي إنسان على آخر، ولا بمقدار أنملة. لا يعتدي إنسان على ولده أو زوجته، ولا تعتدي الزوجة على زوجها، ولا أحد أخوين على الآخر، ولا الرفاق بعضهم على بعض. وإنه يريد تربية الإنسان العادل بكل معنى الكلمة الذي يكون تفكيره وعقله عقل إنسان، وكذلك نفسيته ظاهرا إنسانيا ومؤدبا بالآداب الإنسانية. هذا ما يريد الإسلام تحقيقه.

ومن فروع الإسلام: حكومته، وتتوفر قضاياها في نفس هذه الآداب الشرعية. مثلا: في مواقف الحج الذي دعت الناس إليه الذات المقدسة للحق (تبارك وتعالى)، ولكن المسلمين لم يستطيعوا استثمار الحج بالصورة المطلوبة، وهو اجتماع عام يشترك فيه المسلمون من مختلف الطوائف، فقد دعي إليه المسلمون جميعا بطوائفهم كافة، وحيثما كانوا في الشرق الأقصى أو الغرب الأبعد أو الشمال أو الجنوب أو أي بلد، بل دعي إليها (الناس)، أي ليس المسلمون وحدهم، بل يجب على الجميع أن يسلموا ويحجوا - أي المستطيعون منهم على الوصول إلى مكة - فقد دعاهم إلى الحج في العام مرة. فقد أراد تشكيل مؤتمر عام ينبغي أن يحل المسلمون فيه ما علموا به من مشكلات مختلف طوائفهم. فمثلا إذا ذهب إليه مسلمون من إيران وعرضوا فيه مشكلاتهم على سائر المسلمين، وجب على هؤلاء إعانتهم على حلها، كما أن الحجاج من الأقطار الأخرى عندما يعرفون في هذا الموسم ما يجري في إيران مثلا وما تفعله حكومتها ضد شعبها فإنهم سيكشفون هذه الحقائق عندما يرجعون إلى بلدانهم. ونفس الأمر يصدق على مسلمي الأقطار الأخرى، فإذا جاؤوا من إحداها إلى الحج وعرضوا على حجاج البلدان الأخرى مشكلات يعانونها من حكومتهم أو من قطاع من شعبهم، وجب على سائر المسلمين نصرتهم.

إذاً، فهذا هو الحال في الإسلام فاجتماعاته سياسية في نفس حال كونها عبادة، الإنسان يتصور أن صلاة الجماعة عبادة، وهي حقا عبادة يجتمع فيها جمع وقيموا الصلاة، ولكن يجب خلال اجتماعات صلوات

الجماعة هذه عرض القضايا السياسية أيضا، أي على هذا الخطيب الذي يعتلي المنبر كل أسبوع لإلقاء الخطبة ضمن إمامته لصلاة الجمعة أن يشرح في خطبته قضايا المسلمين السياسية، ويتحدث مثلا عن الأخطاء التي تصدر من الحكومات، ويهدي الناس إلى ما يحتاجونه فيما يرتبط بحياتهم ومعاشهم ومبدئهم ومعادهم.

وعلى أية حال، فقد آل الوضع في إيران إلى الحالة التي أخذوا معها بمنع الناس بالحراب حتى عن إقامة العبادات، واليوم منعوا إقامة هذه الفريضة الإلهية في مدينة قم، ونفس الخطأ ارتكبه في المناطق الأخرى، ولم تصلنا بعد كل الأخبار، ولكن المجازر ارتكبت في الكثير من المناطق. وهم يردون بالحراب على الناس، وعلى الذين يقولون لا تعطي ثرواتنا للأجانب أيها السيد، وعلى الذين يقولون: نحن نريد الحرية، فقد خنقنا هذا القمع المستمر منذ خمسين عاما، وعلى الذين يقولون: نحن نريد الاستقلال فقد سخرت بلدنا للأجانب. وهو يرد على هذه المطالب برئيس وزراء عسكري ووزراء عسكريين وحكومة عسكرية. ويريد حفظ نفسه بالعساكر، ومن جهة أخرى يطلق الأوباش الأشقياء ليهجموا على الناس بهراواتهم! فهو من جهة يقول: يجب حفظ النظام العام! ومن جهة ثانية يثير بنفسه الاضطراب وانعدام الأمن، حيث يأمر حملة الهراوات بالهجوم على المدن وإضرار الحرائق فيها.

هذا وضع بلدنا، وهذا هو وضع حكومة الملك ووضع الحياة المشؤومة لهذا الخبيث. يجب علينا أن نعين المسلمين في إيران على الأقل في المجال الإعلامي، أي أن تبينوا للذين تلتقونه هنا أو للأوروبيين مثلا أن واقع الأمر غير ما يصورونه من أن الشعب الإيراني متوحش والحكومة الملكية تريد تأييده دون جدوى!

فهذه الصورة التي يروجها الملك عنكم. قولوا للناس حقيقة أن الشعب الإيراني إنما يريد الخلاص من هذا الظالم والتحرر والاستقلال، وأن يعيش حياة إنسانية. لكن هذا الشخص (الملك) لا يسمح له بتحقيق ذلك.

حفظكم الله جميعا ووفقكم إن شاء الله.

محتويات الكتاب

١	هوية الخطاب رقم - ٣١
١٥	هوية الخطاب رقم - ٣٢
٢٤	هوية الخطاب رقم - ٣٣
٣٠	هوية الخطاب رقم - ٣٤
٣٨	هوية الخطاب رقم - ٣٥
٤٤	هوية الخطاب رقم - ٣٦
٤٩	هوية الخطاب رقم - ٣٧
٦٢	هوية الخطاب رقم - ٣٨
٧١	هوية الخطاب رقم - ٣٩
٨١	هوية الخطاب رقم - ٤٠
٩٥	هوية الخطاب رقم - ٤١
١٠٦	هوية الخطاب رقم - ٤٢
١١٣	هوية الخطاب رقم - ٤٣
١٢٠	هوية الخطاب رقم - ٤٤
١٢٩	هوية الخطاب رقم - ٤٥
١٣٥	هوية الخطاب رقم - ٤٦
١٤٥	هوية الخطاب رقم - ٤٧
١٥٢	هوية الخطاب رقم - ٤٨
١٦٣	هوية الخطاب رقم - ٤٩
١٧١	هوية الخطاب رقم - ٥٠
١٨٠	هوية الخطاب رقم - ٥١
١٩٤	هوية الخطاب رقم - ٥٢

هوية الخطاب رقم - ٥٣	٢٠٥
هوية الخطاب رقم - ٥٤	٢١٢
هوية الخطاب رقم - ٥٥	٢٢٦
هوية الخطاب رقم - ٥٦	٢٣٧
هوية الخطاب رقم - ٥٧	٢٥٢
هوية الخطاب رقم - ٥٨	٢٦٢
هوية الخطاب رقم - ٥٩	٢٧١
هوية الخطاب رقم - ٦٠	٢٨٣
هوية الخطاب رقم - ٦١	٢٩٦
هوية الخطاب رقم - ٦٢	٣٠٣
هوية الخطاب رقم - ٦٣	٣٠٦
هوية الخطاب رقم - ٦٤	٣١٦
محتويات الكتاب	٣٢٣